

موسى وعيسى
عبد الله بن عباس

سلسلة ردّ الشبهات

٥

مُوسِعَتُهَا

عَبْدُ اللَّهِ بَيْتُ عِبَّاسٍ

حَبْرُ الْأُمَّةِ وَتَرْجَمَانُ الْقُرْآنِ

الْجُزْءُ التَّاسِعُ

لِحَقِيقَةِ الثَّانِيَةِ: ذُرِّ السَّبْرِ وَعَطَاءِ

فِي الْمَثَاوِرِ عِنْدَهَا

تَأَلَّفَتْ

عَلَى يَدِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ



في بقية المأثور عنه شعراً ونثراً وكتابة

وخطابة ومحاوره ومحاججة ومفردات

حكيمية في آداب الأخلاق الإسلامية

وأجوبة مسائل في شتى فنون المعرفة

تمهيد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين ، ورضي الله عن الصحابة المهتمدين ، وعن التابعين لهم باحسان إلى يوم الدين.

وبعد ، فهذا هو الجزء الرابع من الحلقة الثانية من موسوعة (عبد الله بن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن).

يشتمل على الفصل الرابع من الباب الثالث الذي سنقرأ فيه ما روي عنه من محاورات عقائدية ، في مواقف جهادية باللسان (ما عن السيف تقصر) مضافاً إلى بقية المأثور عنه شعراً ونثراً ، وكتابة وخطابة ووصايا ، ومفردات من الكلم في الحكم وآداب الأخلاق الإسلامية ، وأجوبة مسائل في شتى فنون المعرفة ، وجميعها تعكس لنا صورة مشرقة عن حياة ذلك

البطل في سوح الجهاد في سبيل العقيدة والإيمان ، كما أنّها خزين علم وأدب ، يرفد التراث الإسلامي بما يزيده قيمةً قيّمةً ، إذ جمع ابن عباس رضي الله عنه من ميراث النبوة والإمامة علماً جماً وفضلاً عظيماً ، فصار ينفق منه مع وضوح في المنهج ، وقوة في الحجة ، وتفان في العقيدة ، وجهاد في سبيل الحق قولاً وعملاً ، لذلك كان فذاً بين الصحابة العلماء من العاملين المجاهدين ، الذين وفوا بما عاهدوا الله عليه من صدق الإيمان بجميع أركانه ومقوماته ، وأداء الأمانة في زمانه ومكانه .

ومن أبرز مظاهر إيمانه وقوفه مأموماً مخلصاً إلى جانب إمامه ، تلميذاً وقيّاً تابعاً لمعلّمه ، مستضيئاً بنور علمه ، مقتدياً بهداه ، مجاهراً بنصرته .

لم أقف على من ضاهاه في جرأته وشجاعته ، في كثرة مواقفه العقيدية ، كما ستأتي شواهد هذا في محاوراته مع عمر وغيره ممن لا يؤمن بطشه في سورة غضبه عند تحد سافر بقول ساخر ، غير أن الإيمان وصدق الموالاتة كانا عنده أقوى في الإندفاع نحو التضحية والمفاداة .

وهكذا كان هو فذاً في تلك المواقف طيلة حياته من شبابه إلى شيخوخته ، فلم يوهن عزمه كبر سنّ ، ولا فقدان بصر ، ولا وهن عظم ، ولا اشتعال الرأس منه شيئاً في أداء رسالته ، فهو كما كان في أيام نضارة شبابه مضاءً وعزماً ، وحسبنا شاهداً ما سنقرأه من خطاب ممضّ مع ابن الزبير في تنمره ، وتمعره ، وكتاب تهديد ووعيد إلى يزيد مع تجرّبه وكفره ، وكلاهما في البغض والعنف ما لهما من مزيد . ومن ذا غيره كان يجراً على مثل ذلك؟ وصفحات تلك الحقيقة في التاريخ بين يدي القراء ،

فليأتوا بآخر من الناس مثل ابن عباس رضي الله عنه.

إنه الفدّ المبرّز في عصره بكماله ، والمعترّ أئماً عزّة في إنتمائه إلى آله ، أليس هو القائل كما في (أسد الغابة) ، وهي كمقولة إمامه عليه السلام : (نحن أهل البيت ، شجرة النبوة ، ومختلف الملائكة ، وأهل بيت الرسالة ، وأهل بيت الرحمة ، ومعدن العلم)^(١) . وروى السيوطي في (الدر المنثور) في تفسير قوله تعالى : (**أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ**)^(٢) ، فقال : (أخرج ابن المنذر والطبراني من طريق عطاء ، عن ابن عباس في الآية ، قال : نحن الناس دون الناس)^(٣) .

ولئن كان صادقاً في هذا الإنتماء ، فلقد زاده فزانه بصدق الولاء ، فهو كان أيضاً كذلك فدّاً في مواقفه الجهادية في سبيل العقيدة ، فهو حين يقول في تفسير قوله تعالى : (**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبئس المصيرُ**)^(٤) : (جهاد الكفار بالسيوف ، وجهاد المنافقين باللسان والوعظ والتخويف)^(٥) . لم يتخلف عن مقولته في جهاده مع المنافقين.

وعلى هذا المبدأ كانت مواقفه مع الأعداء من المنافقين الذين يبغضون

(١) أسد الغابة ٣ / ١٩٣ .

(٢) النساء / ٥٤ .

(٣) الدر المنثور ٢ / ٥٦٦ .

(٤) النساء / ٥٤ .

(٥) التبيان للطوسي ٥ / ٢٥٩ ، فقه القرآن للقطب الراوندي ١ / ٣٤٢ ، الكشاف للزمخشري ٢ / ٢٩٠ ،

أحكام القرآن لابن العربي ٢ / ٥٤٤ .

الإمام عليه السلام الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما في حديث ابن عباس :
 (قال صلى الله عليه وآله وسلم وقد نظر إلى عليّ عليه السلام : (لا يحبّك إلا مؤمن ولا
 يبغضك إلا منافق ، من أحبّك فقد أحبّني ، ومن أبغضك فقد أبغضني ، وحببي حبيب الله
 ، وبغضبي بغض الله ، ويل لمن أبغضك بعدي)^(١). وكان ابن عباس رضي الله عنه يعرفهم
 على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو القائل : (كتّا نعرف المنافقين على عهد
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يبغضهم عليّ بن أبي طالب)^(٢).

فهو نسخة مفردة من بين شيعة الإمام عليّ عليه السلام ، فكان يترسم خطاه في
 مواقفه مع أعدائه ، وفي جامعته والمعينة ، حتى في تأثره بإسلوبه البلاغي ، حين نقرأ المأثور
 عنه في هذا نجده يتصرف في فنون القول فصاحة مع حكمة المعاني بلاغة ، وانسياب
 المفردات بدون تكلف ، وله إحاطة تامة بأساليب الفصاحة ، فيختار من الكلم أوعاها
 لمعناها ، ويضعها في مكانها ، ويبدل بالحجة في زمانها ، غير عابئ ولا هياب بما سيواجهه
 من الصعاب ، من سطوة معتد غاشم ، لا يرقب في مؤمن إلاّ ولا ذمة.

لهذا كلّ لم أتردد في قولي : إنّ ابن عباس كان فذاً بين أولئك الصفوة من شيعة الإمام
 عليه السلام في جامعته والمعينة ، فضلاً عن سائر الصحابة ممن أشادوا لهم صروحاً على شفا
 جرف هار ، فانهارت بهم عند الموازنة ، وساخت بهم أقدامهم عند المعادلة.
 وبالرغم ممّا لحق بتاريخ هذا الإنسان من قوارص الكلم ، وقوارص التمويه والتشويه وقد
 أشرت إلى مصادرها آنفاً ، من ذرية عباسية بغیضة ،

(١) عليّ إمام البررة ١ / ٩٣ ، نقلاً عن الطبراني في الأوسط كما في مجمع الزوائد ٩ / ٣٣ .

(٢) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ١٣ / ١٥٤ . ١٥٥ .

وأموية حاقدة ، وحسنية زيدية موتورة ، وخوارج كالجوارح قانصة ، وأخيراً صليبية كافرة ، ومع هذا كله فقد بقي في تاريخه فذاً يشار إليه بالبنان.

قال أبو عمر ابن عبد البر في كتابه (التمهيد) : ومن أحسن ما قيل في مدح البلاغة

قول حسان بن ثابت في ابن عباس :

صموت إذا ما زئن الصمتُ أهله وفتاق أبكار الكلام المختّم
وعى ما وعى القرآن من كلِّ حكمة ونيطت له الآداب باللحم والدم

وقال : ولحسان أيضاً في ابن عباس رضي الله عنه ويروي للحطيئة :

إذا قال لم يترك مقالاً لقائل بمنتظمات لا ترى بينها فصلا
وبعده :

يقول مقالاً لا يقولون مثله كنحت الصفا لم يبق في غاية فصلا
في أبيات له ، ولغيره فيه أيضاً :

إذا قال لم يترك صواباً ولم يقف بعى ولم يثن اللسان على هجر^(١)

أقول : أما الأبيات التي أشار إليها ابن عبد البر فهي من قول حسان بن ثابت فيه :

إذا ما ابن عباس بدا لك وجهه رأيت له في كلِّ أقواله فصلا
إذا قال لم يترك مقالاً لقائل بمنتظمات لا ترى بينها فصلا
كفى وشفى ما في النفوس فلم يدع لذي إربة في القول جداً ولا هزلا

(١) التمهيد ٢ / ٣٧٩.

سموت إلى العليا بغير مشقة فنلت ذراها لا دتيا ولا وغلا
خُلقت حليفاً للمروءة والندى بليجاً ولم تخلق كهاماً ولا خبلاً^(١)
فأنا أشعر بالسعادة حين أجهد نفسي في جمع ما تناثر من أقواله وأحواله في ظلال
الثقافة والفكر لأعرض بعض ما أحطت به خيراً من تراثه الأدبي وشذرات أكثرها في العقيدة
والآداب والأخلاق.

كما إنني استشعر بالأسى حين أجد في غيابة التاريخ حقائق مغيبة.

(١) ديوان حسان بتفاوت في اللفظ ، وسيأتي ذكر سبب قوله نقلاً عن الطبراني في الكبير / ٣٥٩٣ وعنه في
مجمع الزوائد ٩ / ١٥٥٢٩ وغيرها في محاوراته مع عثمان.

حقائق مغيبية في عيابات المؤرخين

إنّ العرب تكفي عن القلوب والصدور بالعيابات . جمع عيبة . من قولهم : فلان عيبة فلان ، إذا كان موضع سرّه ، ومنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم في الإمام عليّ عليه السلام : (عليّ عيبة علمي) (١) ، وقد رواه عنه ابن عباس كما في (تاريخ ابن عساكر) وغيره (٢) .

ولما كنّا نبحث في هذا الجزء عن مآثورات ابن عباس رضي الله عنه وهي من الكثرة والوفرة ما أعجز عن الإحاطة بها جميعها . فنود لفت نظر القارئ إلى أنّ تلك الكثرة والوفرة قد أصابتها أياد أئيمة وقلوب سخيمة على أسوء الظن ، وأياد سليمة ولكنّها مع قلوب سقيمة تشعر بالهزيمة على أحسن الظن . فافقدتنا كثيراً من الحقائق التي تدين السالفين الخالفين ، فضاعت في عيابات المؤرخين وغيابات الحاقدين ، وما وصل إلينا فيما بين ذين وذين يعني كلّ ذي عين ، بأنّ ابن عباس أصاب مآثوراته نصيب غير منقوص ، في تغييب بعض النصوص ، على أنّ ما وصل إلينا أيضاً لا يخلو

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي ٤ / ٣٥٦ وفي طبعة بيروت العلمية ٤ / ٤٦٩ ، وللمناوي في شرح الحديث كلام نافع جامع ، فليراجع .

(٢) تاريخ مدينة دمشق ترجمة الإمام علي ٢ / ٤٨٢ تحقيق المرحوم الشيخ المحمودي ، وقد روى الحديث المتقى الهندي في كنز العمال في مواضع متعددة منها ١٢ / ١٣ ، و ١٢ / ٢٠٣ ط حيدر آباد (الثانية) برقم (١١٥١) بلفظ (علي عتبه علمي) عد . ، وقد علق المحقق في الهامش فقال : كذا في المطبوع ونظ ، وفي المنتخب عيبة ، وهو الظاهر كما في حديث آخر الأنصار كرشى وعيبتي / ١٠٦ ، راجع الطبعة الثانية ٣ / ١٦١ .

أقول : وهذا بعض شواهد التعقيم المتعمد على فضائل الإمام عليه السلام ممّا لا يحصى ولا يعد .

بعضه من غبش وتعتيم ، خصوصاً في محاوراته الإحتجاجية مع الخلفاء ومن لفّ لفّهم ، ونسج على نولهم ، ومهما كان الحال فلا مناص لنا من الإمام بشيء من البحث في موضوع ما يتوزعه ذلك المأثور ، مع لمحة عابرة عن مصادره ، كمقدمة لما سنقرأ في هذا الجزء من منقول ، فنقول :

أمّا البحث عن الموضوع فهو يستوعب التراث الأدبي بمعناه الشامل العام ، ومن بعضه الشعر والخطب ومفردات الكلم في الحكيم ، والجانب الأهم والأتم هو ما نقرأ من فصول نثرية ممتعة من خطب ومحاورات ، تعلمنا أدب الجدل والمناظرة ، وكيف يكون دفع الحجّة بالحجة ، وهذا اللون يسمو بمفهومه عن عنوان الأدب الخاص بمفهومه الشائع الذائع. وأحرى بنا أن نعدّ محاوراته الإحتجاجية من آداب فصول علم الكلام وبحوث العقائد في الإمامة ، وابن عباس في هذا الجانب كان ابن بجدتها ، متكلماً بارعاً ، حجة في الكلام ، قوياً في الخصام ، (ما لاحاه أحد إلا خصمه) على حدّ قول عمر بن الخطاب كما سيأتي في حوارته معه عن أشعر الشعراء.

وكان رموز محاورته وهم في عنفوان غطرستهم يتفون محاججته ، فإنّ معاوية كان يوصي أصحابه بإجتناّب محاوره رجلين : الحسن بن عليّ وعبد الله بن عباس ، لقوّة بدهاتهما (١) ، وكان يقول : (والله ما كلمت أحداً قط أعدّ جواباً ولا أعقل من ابن عباس) (٢) ، وقوله الآخر : (ما استنبأه أحد

(١) الأعلام للزركلي ٢ / ١٩٩ هامش.

(٢) طبقات ابن سعد ترجمة الإمام الحسن (ع) / ٩٤.

إلاّ وجده معدّاً) ، إلى غير هذا ممّا سيأتي كلّه في صفحات إحتجاجه.

وكانت أسماء بنت أبي بكر تنهى ابنها عبد الله بن الزبير عن مكالمة ابن عباس وبني هاشم وتقول له : (فإنّهم كعم الجواب إذا بدّوا) ، وتنهاه عن ابن عباس خاصة وتقول له : (يا بني احذر هذا الأعمى الذي ما أطاقته الإنس والجن ، واعلم أنّ عنده فضائح قريش ومخازيها بأسرها ، فيأيك وإياه آخر الدهر) (١).

ولكن ابنها لم يسمع نصحتها فكان :

كناطح صخرة يوماً ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل فكان ابن عباس في براعته وشجاعته ، وبداهته ونباهته ، لا يوازيه في عصره أحد ، من سائر أقرانه إلاّ السادة الكرام من ذوي قرياه ، فهم كانوا أمراء الكلام ، ومن أبيهم وإمامهم تعلم هو العلم كما مرّ ذلك عنه مكرراً.

وأما البحث عن مصادر المرويات المأثورة التي سنقرأ ما وصلت إليه يد البحث وأمّكن الإطلاع عليه ، فهي المقبولة المعروفة لدى جلّ الباحثين. وسنعزز كلّ معلومة من شعر أو نثر أو محاوراة أو كلمة حكمية بتوثيقها مشفوعة بذكر مصادرها ، ولئن وجد بين المصادر ما لا يستسيغ بعضهم الرجوع إليه فهو مقبول عند بعض آخر ، كنحو كتب ابن أبي الدنيا ، أو كتب ابن عربي الحاتمي ، وأمثالهما من كتب التصوف كـ (إحياء العلوم) للغزالي ، و (طهارة القلوب) للديري ، وأضربهما.

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ٢٠ / ١٣٠.

والذي يهون الخطب في تقريب شقة الخلاف بين الطرفين ، أنّ المنقول عنها . على قلته . إنّما هو أدبيات في الحكمة ، والأخلاق وتهذيب النفس ، وليس نقضاً أو تأسيساً لحكم شرعي ، وليس بينها ما ينافي الأخذ به أصلاً ثابتاً من أحكام الشريعة . فلا نحتاج إلى توظيف الضوابط والمعايير التي وضعها علماء الجرح والتعديل لقبول الرواية . على أنّي لم أغفل هذا الجانب في توثيق بعض المحاورات ذات الشأن في إثبات الإمامة كما سيأتي في حديث التسعة رهط وغيره .

ثم إنّ وجود بعض الأكاذيب في كتاب لا يمنع من إيمانه في غير ذلك ، مهما أثقله الغث ، على أنّه ما من كتاب إلّا وهو يؤخذ منه ويترك إلّا كتاب الله تعالى (**لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ**)^(١) .

ثم أنّا قد نجد الخبر الواحد فيه ما هو مقبول ، وفيه ما هو مردول ، فلا ملازمة بين قبول بعض أجزائه وبين ردّ بعضها ، وكثيراً ما نجد ضمّ الجواهر مع الحجر ، أو نجد استدراج الراوي لجملة منه داخل الخبر تبعاً لهواه المذهبي المقيت ، أو زلفى لسلطة الوقت التي يعيش في كنفها ، ولقد توصلت مع قناعة تامّة إلى أن المأثور عن ابن عباس لم يخل من بعض تلك الشوائب ، كما لا يمكن الإحاطة بجميع ما قاله ابن عباس رضي الله عنه في هذا المضمار . وأنّي لي ولغيري أن يحيط خبراً بجميع ذلك ، ونحن جميعاً نأخذ المعلومة من مراجع أصلية أو مصادر فرعية عنها ، وفيها نقرأ اعترافات

(١) فصلت / ٤٢ .

مؤلفيها بتغييب حقائق في عياباتهم وتحت عياباتهم ، بل وطمس بعضهم معالمها في عيابات أحقادهم ، إرضاءً لأسيادهم ، وقليل منهم من نعدده لزعمه الخوف من هياج العامة عليه ، فإن صح زعمه فلا تجريم ولا تأثيم ، ولكن هلمّ الخطب فيمن ارتكب جريمة الكتمان لغلبة هواه ، فهو قد باء بإثم عظيم.

وكشواهد على تغييب الحقائق بين العيابات والغيابات ، نقرأ اعترافات أصحاب المراجع الأساس في تسجيل الحديث والأحداث ، وهي اعترافات خطيرة لم يسلم منها حتى أئمة الحديث كمالك وأحمد والبخاري ومسلم وغيرهم ، وكذلك مدونوا السيرة كالواقدي وابن إسحاق وابن سعد وابن هشام ومن تابعهم ، وعطفاً عليهم رموز المؤرخين ورواد التاريخ كالبلاذري والطبري والمسعودي وابن الأثير وابن خلدون ، وتذيباً لهم نذكر أبا الفرج الاصفهاني ، وكم لهؤلاء من نظير.

وقد جمعت في قصاصات وعلى الهوامش جملة من (فوات المؤلفين وهفوات المحققين) قدراً لا يستهان به من جنائيات الأقلام ، واللافت للنظر أنّ أكثرها فيما يتعلق بأيام عثمان ، مما يكشف عن هيمنة الإعلام السلطوي الأموي على الرواة ، فأخذوا عنهم مدونوا الأحداث ، ودوره في تغييب بعض الحقائق ، حتى شبّ عليه الصغير وشاب عليه الكبير ، وتشربته أذهان العامة بأكاذيب بقيت تعيش على أنّها هي الحقائق دون غيرها ، حتى بعد إنقضاء أيام بني أمية وتولي بني العباس حكومة المسلمين ، بدلالة أنّ كلّ من ذكرنا أسماءهم عاشوا في أيام العباسيين وإن أدرك بعضهم كمالك وابن إسحاق آخر أيام الأمويين.

نماذج مثيرة لإعترافات خطيرة

- ١ - روى البلاذري في (أنساب الأشراف) في حديث أبي ذر مع عثمان : (وقال قتادة : تكلم أبو ذر بشيء فكذبته عثمان)^(١).
- فماذا كان ذلك الكلام الذي كرهه عثمان فكذبته؟ وكيف كذبه ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال في أبي ذر : (ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء على رجل أصدق ذي لهجة من أبي ذر)^(٢)!
- وهكذا يبقى عثمان يعدّ خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يكذبه! إنها بليّة المسلمين تكريم خليفة الأمويين على حساب كرامة رسول ربّ العالمين (!؟).
- ٢ - وروى البلاذري أيضاً في حديث عمار مع عثمان بعد موت أبي ذر بالربذة طريداً وحيداً ، فأراد تسيير عمار كما صنع بأبي ذر : (جاءت بنو مخزوم إلى عليّ فسألوه أن يكلم عثمان فيه ، فقال له عليّ : (يا عثمان اتق الله فإنك سيرت رجلاً صالحاً من المسلمين فهلك في تسييرك ، ثم أنت الآن تريد أن تنفي نظيره) ، وجرى بينهما كلام (؟) حتى قال عثمان : أنت أحق بالنفي منه ، فقال عليّ : (رم ذلك إن شئت)^(٣).

(١) أنساب الأشراف ق ٤٤ / ١ / ٥٤٤.

(٢) راجع موسوعة اطراف الحديث النبوي الشريف ٩ / ٤٠ - ٤١ تجد الحديث بألفاظ متقاربة وعن مصادر تروى على الثلاثين.

(٣) سيأتي في المحاوره الثالثه للعباس مع عثمان ما يشير إلى تصميمه أن يقوم بأمر النفي لعلي وأصحابه ، ممّا دعا العباس إلى أن يتدخل في نصح عثمان أن لا يقوم بما عزم عليه ممّا يسبب له وللمسلمين كارثة لا يعفى أثرها.

فماذا كان ذلك الكلام الذي جرى بين عليّ وعثمان؟ إنّه بقي في عيادة الصدر وغيابة الجُب.

٣. قال الطبري في تاريخه : (وأما الواقدي فإنّه ذكر في سبب مسير المصريين إلى عثمان ونزولهم ذا خشب أموراً كثيرة؟ منها ما تقدم ذكره ، ومنها ما أعرضت عن ذكره كراهة مّي لبشاعته)^(١) (٢).

٤. وقال الطبري أيضاً : (فقد ذكرنا كثيراً من الأسباب التي ذكر قاتلوه أتهم جعلوا ذريعة إلى قتله ، فأعرضنا عن ذكر كثير منها لعل دعوت إلى الإعراض عنها)^(٢) (٣).

٥. وقال الطبري أيضاً : (أنّ محمد بن أبي بكر كتب إلى معاوية بن أبي سفيان لما ولي ، فذكر مكاتبات جرت بينهما كرهت ذكرها ، لما فيه ممّا لا يحتمل سماعها العامة)^(٣) (٤).

وقد ذكر ابن الأثير في تاريخه هذا الذي ذكره الطبري فكأنّه تابعه في رأيه وروايته ، وإذا كان مثل الطبري وهو شيخ المؤرخين تكتّم على الكثير بحجة مقبولة أو مردولة ، فما الظن بمن أتى بعده ، فأخذ ما عنده؟

٦. قال المسعودي في (مروج الذهب) في حديث أبي ذر مع عثمان

(١) تاريخ الطبري ٤ / ٣٥٦.

(٢) نفس المصدر ٤ / ٥٥٧.

(٣) نفس المصدر.

(٤) لقد ذكر البلاذري في ترجمة الإمام في كتابه أنساب الأشراف / ٣٩٤ - ٣٩٦ ما امتنع الطبري عما ذكره وكذلك ذكر الرسالتين ابن أبي الحديد في شرح النهج ٣ / ٨٨ - ٩٠.

بعد أن أمر بجلبه من الشام على أصعب مركب : (ثم دخل إليه فجلس على ركبتيه ، وتكلم بأشياء؟ وذكر الخبر في ولد أبي العاص إذا بلغوا ثلاثين رجلاً اتخذوا عباد الله خولاً ، ومرّ الخبر بطوله ، وتكلم بكلام كثير)^(١) (٢).

٧ . وقال المسعودي أيضاً في ذكر من تخلف عن بيعة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بعد مقتل عثمان : (وأتاه ممن تخلف عن بيعته من بني أمية ، منهم سعيد بن العاص ، ومروان بن الحكم ، والوليد بن عقبة بن أبي معيط ، فجرى بينه وبينهم خطب طويل ... (٢) (٣) وقال سعيد بن العاص كلاماً كثيراً (٢) (٣).

٨ . وقال المسعودي أيضاً في سياق ما مرّ : (وقد ذكر أبو مخنف لوط بن يحيى : أنّ حسان بن ثابت وكعب بن مالك والنعمان بن بشير . قبل نفوذه بالقميص . أتوا عليّاً في آخرين من العثمانية ، فقال كعب بن مالك : يا أمير المؤمنين ليس مسيئاً من اعتب ، وخير كفر ما محاه عذر في كلام كثير)^(٣) (٤).

إنّما بلية التاريخ حين تكتم الحقائق وتكتم الأفواه ، أليس ممّا يثير الدهشة مدى تلاقي من ذكرت من المؤرخين على تغييب حقائق بتعمد ، فماذا كانت تلك الأشياء التي تكلم بها أبو ذر؟ وماذا كان الكلام الكثير منه؟ وماذا هو الخطب الطويل بين الإمام وبني أمية؟ وماذا كان كلام

(١) مروج الذهب ٢ / ٣٤٩ تح محمد محي الدين عبد الحميد.

(٢) مروج الذهب ٢ / ٣٦٢.

(٣) نفس المصدر.

سعيد بن العاص من الكلام الكثير؟ وماذا كان بقية كلام كعب بن مالك في كلام كثير؟ كل هذا ذكره المسعودي في كتاب مروجه ، وله غير هذا أيضاً مما يدل على مروجه (١) وخروجه .

٩ . وقال ابن كثير في (السيرة النبوية) في ذكر خطبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بغدير خم فقال : (فخطب خطبة عظيمة في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة عامئذ ، وكان اليوم الأحد بغدير خم تحت شجرة هناك فبين فيها أشياء كثيرة؟ وذكر من فضل علي وأمانته وعدله وقربه إليه ما أزاح به ما كان في نفوس كثير من الناس) (٢) (٣) .

فماذا هي تلك الأشياء الكثيرة التي غصّ ابن كثير بذكرها؟ ويكاد أن يكون هو الأكثر من غيره في تغييب الحقائق في كتبه (تفسير القرآن العظيم ، والبداية والنهاية ، والسيرة النبوية)! ولست في مقام عرض تفصيل ذلك .

١٠ . وقال أبو الفرج الأصفهاني في كتابه (الأغاني) وقد ذكر محاورة جرت بين عمر وابن عباس ، فقال : (قال . ابن عباس . ثم أنشأ يحدثني ، فقال : أن أول من راثكم (٣) عن هذا الأمر أبو بكر ، إن قومكم كرهوا أن

(١) مرج وجرح اخوان في معنى القلق والاضطراب ، ومنه مرجت العهود والامانات إذا اضطربت وفسدت ، (الفائق) للزمخشري .

(٢) السيرة النبوية ٤ / ٤١٤ .

(٣) راثكم أي أبطأ بكم فأخركم ، يقال : أرأته إرأته جعله يبطئ والريث الإبطاء والمهلة (فطر المحيط) ريث .

يجمعوا لكم الخلافة والنبوة) ثم قال أبو الفرج: (ثم ذكر قصة طويلة ليس من هذا الباب فكرهت ذكرها) ^(١) (؟).

ألا مسائل هذا الرجل: لماذا ذكره ذكر القصة الطويلة التي جرت بين عمر وبين ابن عباس؟ وكتابه (الأغاني) عيبة السفاسف، ما ضاقت سطره عن ذكر قصص الخلاعة والمجون، وضاقت عن ذكر قصة ما جرى بين عمر وبين ابن عباس!

هذه عشرة نماذج لخمسة من أعلام المؤرخين، فكم لهم من عشرات أمثالها، وكم لغيرهم ممن لم نذكرهم انطوت صدورهم على مكنون علم غيبته الأهواء، فضاعت على الباحثين دروب الإهداء، إنَّ هذا البلاء ما فوقه من بلاء.. (**وَأَنَّ فَرِيْقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**) ^(٢) ، (**وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ**) ^(٣).

أمَّا عن إستغفال القراء من قبل الرواة والمحدثين بإستعمال الكناية عن الأسماء الصريحة، والإشارة إليهم بفلان وفلان، أو رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أو، أو.. فذلك شيء كثير حتى استبشعه غير واحد، فصار يبحث عن أصحاب تلك الأسماء المغيِّبة مثل الخطيب البغدادي الذي جمع مادته فصارت كتاباً سَمَّاهُ (الأسماء المبهمة في الأنبياء المحكِّمة)، وهو كتاب جليل مفيد فخيم في علمه، ضخيم في حجمه إذ بلغ (٦٨٣

(١) الأغاني ٩ / ٣٩ ط السادسة بمصر.

(٢) البقرة / ١٤٦.

(٣) المائدة / ٦١.

صفحة ، وسأشير إلى بعض موارد ذكر فيها ابن عباس .
ودونه جمعاً وصنعاً ما كتبه ابن حجر العسقلاني في (هدي الساري مقدمة فتح
الباري) في الدفاع عن شيخ أصحاب الصحاح محمد بن إسماعيل البخاري ، فقد جعل
الفصل السابع من كتابه (هدي الساري) في تعيين الأسماء المهملة التي يكثر اشتراكها ،
وساق الأسماء على ترتيب الحروف الأبجدية ، ثم أعقبها بفصول ذكر فيها أصحاب الكنى ،
وقد استغرق من ص (٢٤٣ إلى ٣٧٥) من الجزء الأول ، ثم بدأ الجزء الثاني بذكر ما ورد
في صحيح البخاري ، بدءاً من بدء الوحي إلى آخر كتاب التوحيد ، وهو آخر كتاب
البخاري في (٢٠٥) صفحات . ولما كان لابن عباس في أحاديث البخاري المهمة نصيباً
غير منقوص ، فقد اقتصر على ذكر بعضها ، وبين ما استبهم منها ، وتيف ما ذكره منها
على ستين حديثاً ولا يجدينا ذكرها فعلاً .

فماذا عن ابن عباس في كتاب

(الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة)؟

١. في صفحة (١١٠ - ١١١) برقم (٦٠) بإسناد : (عن طاووس ، عن ابن عباس قال : بلغ عمر بن الخطاب أنّ رجلاً باع خمرًا ، قال : قاتل الله فلاناً باع الخمر! أما علم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : (قاتل الله يهود ، حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها).

قال الشيخ الخطيب أبو بكر : (الرجل الذي بلغ عنه عمر بيعه الخمر هو سمرة بن جندب بن هلال الفزاري. الحجة في ذلك : ما أخبرنا. وساق السند إلى طاووس . قال : سمعت ابن عباس يقول : قال عمر بن الخطاب : قاتل الله سمرة! باع خمرًا وقد قال رسول الله : (لعن الله اليهود ، حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها).

أقول : وحديث ابن عباس هذا رواه البخاري في صحيحه ، كتاب البيع ، باب لا يذاب شحم الميتة ولا يباع ودكه^(١) ، وذكره ابن حجر في مبهماتة في (هدي الساري) ، فقال : (حديث ابن عباس : بلغ عمر بن الخطاب أنّ فلاناً باع خمرًا. وهو سمرة بن جندب)^(٢) ، وكذلك ذكره البخاري مرة ثانية في كتاب

(١) صحيح البخاري ٣ / ٤٠ .

(٢) (هدي الساري) مقدمة فتح الباري / ٢٧٧ .

الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني اسرائيل (١) ، وهذا أيضاً ذكره ابن حجر فقال : (حديث ابن عباس : سمعت عمر يقول : (قاتل الله فلاناً) يعني سمرة بن جندب) (٢).

ولمحقق كتاب الخطيب الدكتور عز الدين علي السيد تعليقه مفيدة ، ذكر فيها أنّ الحديث في صحيح مسلم بشرح النووي (٧ / ١١) .. (عن ابن عباس : بلغ عمر أنّ سمرة باع خمراً فقال : قاتل الله سمرة ...) .

أقول : وهو كذلك في متن الصحيح طبعة محمد علي صبيح (٥ / ٤١) ، فما أبهمه البخاري رواه مسلم صريحاً! فأَيّ الصحيحين هو الأصح؟!

وأشار الدكتور المحقق إلى أنّ الحديث في (المصنف) . ويعني به مصنف عبد الرزاق . وهو كذلك فقد رواه في (٦ / ٧٥) وساقه بإسناده عن ابن عباس ، قال : (بلغ عمر أنّ سمرة باع خمراً ، فقال : قاتل الله سمرة أما علم أنّ رسول الله قال : (قاتل الله اليهود حرّمت عليهم الشحوم فجملوها . أي أذابوها . فباعوها) ، ثم أعاد الحديث مرة ثانية بسنده عن ابن عباس ، قال : (رأيت عمر يقلب كفه ويقول : قاتل الله سمرة عوبلاً لنا بالعراق خلط في فيئ المسلمين ثمناً لنا بالخمير والخنزير فهي حرام وثمنها حرام) ، وأعاد عبد الرزاق جميع ما مرّ عنه في (٨ / ١٩٥ . ١٩٦) بعين ألفاظه .

أقول : وللحديث مصادر أخرى منها : مصنف ابن أبي شيبة ، عن ابن

(١) صحيح البخاري ٤ / ١٤٥ .

(٢) (هدي الساري) مقدمة فتح الباري / ٢٩٤ .

عمر : قال : (قال عمر : لعن الله فلاناً ...)^(١) ، وفيه أيضاً عن مسروق : (قال عمر : لعن الله فلاناً ...)^(٢).

وقد أغرب ابن عبد البر ، حين لم يذكر هذا الحديث في ترجمة سمرة في إستيعابه ، وأحسبه سترأ عليه لأنه من الأصحاب المذكورين في كتاب (الإستيعاب)! وكم فيه وفي غيره من تراجم الصحابة ذكر أناس لا يؤبه بهم ، كالأشعث بن قيس وجريير اللذين قالوا في المرتدين لعبد الله بن مسعود استتبهم وكفلهم عشائهم^(٣) ، وكان عدد المرتدين فيما ذكر ابن أبي شيبة من طريق قيس بن حازم مائة وسبعين رجلاً ، فيا ترى كم فيهم من الصحابة؟ وكان الأشعث بن قيس نفسه من المرتدين أيام أبي بكر ، وقد ندم أبو بكر عند موته أن لا يكون ضرب عنقه يومئذٍ لأنه لا يرى شراً إلا أعان عليه^(٤).

ومن حثالة الصحابة في فسقه وغدره المغيرة بن شعبة ، حتى وصف بأنه أزنى ثقيف. وخلّ عنك معاوية وعمر وبن العاص وأضراهم. وربيعة ابن أمية أخو صفوان بن أمية الذي ارتد وشرب الخمر أيام عمر ولحق بالشام فذهب إلى قيصر وتنصر^(٥).

(١) المصنف ٤ / ٤١٢ رقم ١٢٠.

(٢) المصنف ٧ / ٢٧١ برقم ٣٦٠٠١.

(٣) أنظر تاريخ الطبري ٣ / ٤٢٩ - ٤٣١ ، العقد الفريد ٤ / ٢٦٧ ومصادر غيرها ، راجع كتاب (المحسن السبط مولود أم سقط / ٢٠٢ - ٢١٢).

(٤) أنظر صحيح البخاري كتاب الحوالة والكفالة الوكالة بشرح فتح الباري ٥ / ٣٧٥.

(٥) أنظر السيرة الحلبية ٣ / ٢٦٦.

وكلّ من ذكرت لا يرقى إلى مرتبة (قدامة بن مضعون) . وهو خال حفصة وعبد الله بن عمر . فقد كان من المهاجرين الأولين ، وقد شرب الخمر ، كما في ترجمته من (تاريخ البخاري الصغير) ^(١) وغيره من المصادر ، لكن للستر عليه لم يصرح باسمه كما في موطأ مالك ، ولما كان حديثه فيه لابن عباس رضي الله عنه ذكر في التشديد عليه بإقامة الحدّ ، وفيه للإمام أمير المؤمنين عليه السلام مقام في تحديد مقدار الحدّ ، فلنقرأ الحديث كما في (الموطأ) لمالك بتوسط كتاب الإستذكار لابن عبد البر :

(١٥٦١ . مالك ، عن ثور بن زيد الديلي : أنّ عمر بن الخطاب استشار في الخمر يشربها الرجل ، فقال له عليّ بن أبي طالب : نرى أن تجلده ثمانين ، فإنّه إذا شرب سكر ، وإذا سكر هذي ^(٢) وإذا هذي افتري ، أو كما قال فجلد عمر في الخمر ثمانين . قال أبو عمر : هذا حديث منقطع ، من رواية مالك ، وقد روي متصلاً من حديث ابن عباس .

ذكره الطحاوي ، في كتاب (أحكام القرآن) ، قال : حدثني بهز بن سلمان ، قال : حدثني سعيد بن كثير ، قال : حدثني محمد بن فليح ، عن ثور ابن زيد الديلي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أنّ الشُّراب كانوا يضربون في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالأيدي ، وبالنعال ، وبالعصي حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فكانوا في خلافة أبي بكر أكثر منهم في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال أبو بكر : لو

(١) تاريخ البخاري ١ / ٦٨ .

(٢) هذي : خلط وتكلم بما لا ينبغي .

فرضنا لهم حداً ، يتوخى نحو ما كان يضربون عليه في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فكان أبو بكر يجلداهم أربعين ، ثم كان عمر بعده يجلداهم كذلك أربعين ، حتى أتى برجل من المهاجرين الأولين وقد شرب ، فأمر به أن يجلد ، فقال له : لم تجلديني؟ بيني وبينك كتاب الله عزوجل ، فقال عمر : في أي كتاب الله عزوجل وجدت لا أجلك؟ فقال : إنَّ الله عزوجل يقول في كتابه : (لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)^(١) ، فأنا من الذين اتقوا ، وآمنوا ، وعملوا الصالحات ، ثم اتقوا وآمنوا ، ثم اتقوا وأحسنوا ، شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بدرأ ، وأحدأ ، والخندق ، والمشاهد ، فقال عمر : ألا تردون عليه ما يقول؟ فقال ابن عباس : إنَّ هؤلاء الآيات (نزلن) عذراً للماضين ، وحجة على الباقين ، فعذر الماضين بأنهم لقوا الله عزوجل ، قبل أن يحرم عليهم الخمر ، وحجة على الباقين ، لأنَّ الله عزوجل يقول : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)^(٢) ، فإن كان من الذين آمنوا ، وعملوا الصالحات ، ثم اتقوا وآمنوا ، ثم اتقوا واحسنوا ، إنَّ الله عزوجل قد نهى أن يشرب الخمر ، قال عمر : صدقت ، من اتقى اجتنب ما حرم الله تعالى عليه ، قال عمر : فماذا ترون؟ قال عليّ رضي الله عنه : إذا شرب سكر ، وإذا سكر هذي وإذا هذي افتري ، وعلى المفتري ثمانون جلدة ، فأمر به

(١) المائة / ٩٣ .

(٢) المائة / ٩٠ .

عمر ، فجلده ثمانين)^(١).

٢ . ما أخرجه الخطيب في كتابه (الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة) وساق الحديث بسنده : (عن محمد بن الحنفية ، عن عليّ بن أبي طالب ، قال : كان يقول لرجل يفتي بمتعة النساء : (إنّك امرء تائه فانظر ماذا تفتي به في متعة النساء ، فنشهد والله لقد نهي عنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عام خيبر وعن أكل لحوم الحمر الإنسية) .

قال الشيخ الإمام أبو بكر رضي الله عنه : الرجل الذي كان يفتي بالمتعة وقال له عليّ هذا القول هو أبو العباس عبد الله بن العباس بن عبد المطلب .

الحجة في ذلك ما أخبرنا ... وساق بإسناده عن محمد بن الحنفية عن عليّ ، قال : تكلم عليّ وابن عباس في متعة النساء ، فقال عليّ لابن عباس : (إنّك أمرؤ تائه إنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم نهي عن المتعة)^(٢).

أقول : وهذا الحديث مذكور في جملة من مصادر الحديث السني بدءاً من موطأ مالك ومصنف عبد الرزاق ، ومروراً بالصحيحين وسنن النسائي ، وغيرها .

وهو حديث مكذوب ، وقد ذكرته في فقه ابن عباس رضي الله عنه في مسألة (فتواه بالمتعة) فلا نطيل الوقوف عنده هنا .

وحسبنا بما ذكرناه مقدمة لتبصرة القارئ بما لحق ابن عباس رضي الله عنه في

(١) كتاب الاستدكار ٨ / ٦ . ٧ ط دار الكتب العلمية بيروت .

(٢) الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة / ١٧٣ برقم ٩٠ .

المأثور عنه من تهميش وتشويش. وكأنَّ حرمة الصحابة تطغى على الحق المبين ، حتى ولو كان منهم من لعنه النبيّ الصادق الأمين.

ولا ينقضي العجب! من أولئك المدافعين عن المنافقين والفاسقين ، لماذا لم تشمل عندهم بركات الصحبة أمير المؤمنين عليه السلام ، أول القوم إسلاماً ، والحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة سبطا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وابن عباس حبر الأُمّة ، حين أعلن معاوية بسبّهم بعد التحكيم في أمر صقّين. فهل كانوا دون أولئك الذين تقدمت أسماؤهم ممن لا تلتقي بدمهم الشفتان أزدراءً بهم؟ وهل ورد في واحد منهم من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كقوله لعليّ : (من سبّك فقد سبّني)؟ كما سيأتي في محاوره ابن عباس مع الذين كانوا يجاهرون بسب الإمام عليه السلام.

ولماذا لم تشملهم فتوى الإمام السرخسي الحنفي في أصوله : (فمن طعن فيهم . الصحابة . فهو ملحد منابذ للإسلام ، دواؤه السيف إن لم يتب)^(١) .
 إنّها الإزدواجية في المعايير ، وإلى الله المصير .

(١) كتاب الاصول ٢ / ١٣٤ .

الفصل الرابع

آثار الأدبية شعراً

ونثراً ومحاججات كلامية

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول

ابن عباس وما ينسب إليه من شعر وشاعرية

لقد كان حبر الأمة من أبرز حفظة الشعر العربي ، إن لم يكن أعلمهم به على الإطلاق. فعن عكرمه ، قال : (كان ابن عباس إذا سئل عن شيء من القرآن أنشد شعراً من أشعارهم)^(١). وكان هو من الدعاة إلى تعلمه وحفظه ، وهو القائل : (الشعر ديوان العرب ، هو أول علم العرب ، فعليكم بشعر الجاهلية ، شعر أهل الحجاز)^(٢). ففي هذا التفضيل ما يكشف عن خبرة تامة وإحاطة بخصائص الشعر ، ولقد كان يرجع إليه في المفاضلة بين الشعراء كما سيأتي في إحتجاجاته مع عمر. ورجوع عمر إليه في تعيين شاعر الشعراء مع كثرة المحيطين به ممن لهم إحاطة بالشعر وخبرة في المفاضلة ، كما يكشف عن تفضيله على من عنده ، يدلّ على خبرة ابن عباس بالشعر العربي خبرة مميّزة. ومن نوادر أخباره الأدبية في ألمعيته الشاعرية.

(١) المصنف لابن أبي شيبة ٦ / ١٧٧ تح اللحام.

(٢) كنز العمال ٣ / ٨٦٢ ، مؤسسة الرسالة حلب.

قال البلاذري في ترجمة ابن عباس في أنسابه : (حدثني أبو مسعود الكوفي عمر بن عيسى ، قال : سمعت ابن كناسة يقول : لما قال عمر بن أبي ربيعة قصيدته التي أولها (تشط غداً دار جيراننا) أنشدها ابن عباس . فلما قال عمر : (تشط غداً دار جيراننا) ، قال ابن عباس : (وللدار بعد غد أبعد) ، فقال عمر : كذا والله قلت جعلت فداك ، فقال ابن عباس : الكلام مشترك ، فلما أنشده : (تحمل للبين جيراننا) ، قال ابن عباس : (وقد كان قريهم يُحمد) ، فقال عمر : كذا والله قلت ، وقبّل يده)^(١).

وقد كانت شواهد معرفته بالشعر الجاهلي التي يعترف له بها عمر وغير عمر ، جعلته يستخدم تلك المعرفة في كثرة استشهاده على غرائب المسائل ، بل ربما حتى في استكشاف الخبايا مع عمر وغيره ، كما في الخبر الذي رواه عمر بن شبة في (تاريخ المدينة) ، قال : (حدثنا أحمد بن معاوية بن بكر ، قال : حدثنا الوليد بن مسلمة ، عن عمر بن قيس ، عن عطاء ، عن ابن عباس رضي الله عنه . قال كنت عند عمر رضي الله عنه . وكنت له هيوياً ، وكان لي مكرماً ، وكان يلحقني بعلية الرجال . فتنفس تنفساً ظننت أنّ أضلاعه ستفصد ، فممنعتني هييته من مسألته ، فقلت : يا أمير المؤمنين قاتل الله النابغة ما كان أشعره . قال : هيه ، قال : قلت خيراً يقول :

وإن يرجع النعمان نفرح ونتهج ويأت معداً ملكها وربيعها

(١) أنساب الأشراف برقم ٨٩ نسخته مخطوطة بقلمه .

ويرجع إلى غسان ملك وسؤدد وتلك المنى لو أننا نستطيعها
وإن يهلك النعمان تعر معية ويلق إلى جنب الفناء قطوعها
وتنحط حصان آخر الليل نخطة تقضقض منها أوتكاد ضلوعها
على إثر خير الناس إن كان هالك وإن كان في جنب الفتاة ضجيعها
فقال : لعلك ترى صاحبك لها؟

قلت : القربى في قرابته وصهره وسابقة أهلها. قال : بلى ، ولكنه أمرؤ فيه دعابة.
قلت : فطلحة بن عبيد الله؟ قال : ذو البأو بإصبعه مذ قطعت دون رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم.

قلت : فالزبير بن العوام؟ قال : وعقة لقس يلاطم في البقيع في صاع من تمر.
قلت : فعبد الرحمن بن عوف؟ فقال : رجل ضعيف لو صار الأمر إليه وضع خاتمه
في يد امرأته.

قلت : سعد بن أبي وقاص؟ قال : صاحب سلاح ورمح وفرس يجاهد في سبيل الله.
قلت : فعثمان بن عفان؟ فقال : أوه . ثلاث مرّات . والله لئن كان الأمر إليه .
ليحملن بني أبي معيط على رقاب الناس ، ووالله لئن فعل ، لينهضن إليه فيقتلنه . والله لئن
فعل ليفعلن ، والله لئن فعل ليفعلن.

يا بن عباس لا ينبغي لهذا الأمر إلاّ حصيف العقدة ، قليل الغرّة ، لا

تأخذه في الله لومة لائم ، يكون شديداً في غير عنف ، ليتنا في غير ضعف ، جواداً في غير سرف ، بخيلاً في غير وكف ... (١).

ونعود إلى ابن عباس في شعره وشاعريته.

فهو مع ما كان عليه في هذا الجانب من التميّز والمعرفة ، لكنّه لم يكن في ممارسته لنظم الشعر كذلك ، كما سنقرأ بعض ما ينسب إليه من الشعر ، وليس بالضرورة أن نقطع بصحة جميع ما نسب إليه ، كما ليس من حجة لنفي ذلك عنه ، ولعلّ التفاوت بين قوة وضعف المنسوب إليه من الشعر خاصةً نابع من قوة وضعف المزاج ، وتابع لمدى إنفعالية النفس بالحدث أيضاً ، تبعاً لمراحل المرء في حياته وحالاته ، إذ لا يكون على حالة واحدة دائماً من النشاط الفكري في جميع أوقاته.

ثم إنّ ما نسب إليه من الشعر ، منه ما يمكن معرفة زمان نظمه تقريباً ، كما في أبياته التي قالها في رثاء الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، وما قاله في زوجته فاطمة الزهراء عليها السلام ، وفي رثاء ابنه الإمام الحسن ، فتفاوت الزمان وما مرّ به من الحوادث ممّا يوهي القوى يوحى بالكآبة والحزن ، ولهما من التأثير البالغ على المرء مهما أوتي من صبر ، إلاّ أنّه حين تستشار عزمته فهو أمضى عزمًا وأقوى جناناً وسرعة بديهية ، كما في مناظرته مع ابن الزبير وهي في آخر سنيّ حياته.

(١) تاريخ المدينة للنميري ٣ / ٨٨١.

وروى هذا ابن أبي الحديد في شرح النهج ٦ / ٣٢٦ نقلاً عن أمالي ثعلب ولم أجده في المطبوع من

مجالسه.

وكذلك لا أدلّ على كماله من إكماله ما قاله قائده في وصف حال من كانوا يسبّون
الإمام عليّ عليه السلام ، فوقف عليهم ووتّجهم بأبلغ حجة ، ولما انصرف عنهم سأل قائده
عن حالهم ، فقال :

نظروا إليك بأعين محرّرة نظر التيوس إلى سفار الجازر
فاستزاده ، فقال :

خزر العيون نواكس أبصارهم نظر الذليل إلى العزيز القاهر
فاستزاده ، فقال : ما عندي غير هذا ، قال : ولكن عندي ، فقال :

سبّوا الإله وكذبوا بمحمد والمرضى ذاك الوصي الطاهر
أحيأؤهم عار على أمواتهم والميتون فضيحة للغاير
هم تسعة لعنوا جميعاً كلهم والله ملحقهم غداً بالعاشر
يوم القيامة يسكنون جهنماً بئس المصير لكلّ عبد فاجر
وكذا النبيّ خصيمهم مع حيدر نعم الخصيم غداً وخير الناصر

وستأتي المحاورة بنصها مع مصادرها وهي من محاسن المحاورات.

وشعره هذا يدلّ على صدق إيمانه وشعوره بما يحسّه في وجدانه ، وقد أتاه عفواً الخاطر
حيث دعت الحاجة إليه ، وهو مع تقدّم في السن وبعدهما كفّ بصره.
وأبلغ منها ما قالها لمن عيّره بذلك ، فإنّه قالها وقد تجاوز العقد

السادس من عمره ، وهذا ما لا شك في صحة نسبته إليه ، ولا يعني ذلك أيّ أشك في بقية ما رواه الرواة له ، كلا ، ولكنه وإن لم يكن بالمستوى الأدبي الذي أثر عنه في أسلوبه نثراً ذلك الإسلوب الأدبي الرفيع ، ومع ذلك لا يخلو من جوانب تربوية أو عقائدية وغير ذلك ، ولنقل إنّه يبقى شعره كشعر العلماء فيه الإقناع والإمتاع في المعنى ، دون الإبداع والإيقاع في السبك.

والآن إلى قراءة ما وقفت عليه منسوباً إليه ، وشعره كغيره ممّا له أو لغيره ، يبقى على ذمة الرواة :

١ . قال في ذهاب بصره :

قال ابن عبد البر في ترجمة ابن عباس في (الإستيعاب) : وهو القائل في ذلك .

العمى .

إن يأخذ الله من عيني نورهما ففني لساني وقلبي منهما نور
 قلبي ذكيّ وعقلي غير ذي دخلٍ وفي فمي صارم كالسيف مأثور^(١)
 فما روي عنه من هذا وجوه ، وبهذا اللفظ ورد الشعر في (أسد الغابة) و (سير
 أعلام النبلاء) و (نكت الهميان) و (الوافي بالوفيات) و (الحلة السبراء) لابن الأبار ،
 جميعاً في ترجمة ابن عباس وغيرها من المصادر .

(١) الإستيعاب ٣ / ٩٣٨ .

وفي بعضها إختلاف في رواية البيت الثاني من الشعر ، وهذه إشارة إلى بعضها :

ففي (كشف الخفاء) للعجلوني و (الدرجات الرفيعة) :

(وفي فمي صارم كالسيف مشهور) .

وفي (فيض القدير) للمناوي :

عقلي ذكي وقولي غير ذي خطل وفي فمي صارم كالسيف مأثور^(١)

وفي (مرآة الجنان) لليافعي و (وفيات الأعيان) :

(وفي فمي صارم كالسيف مطرور)^(٢) .

قال ابن الأبار في (الحلة السبراء) : وهذا من أحسن ما قيل في هذا المعنى ، وهو

داخل في باب تحسين ما يقبح^(٣) .

(١) فيض القدير ٤ / ٦٤٠ .

(٢) مرآة الجنان ١ / ١٤٣ .

(٣) الحلة السبراء ١ / ٢٢ - ٢٣ .

وقال ابن الأبار بعد ذكر ما تقدم أعلاه : وقد جمعت قطعة من ذلك في تأليفي للخزانة العالمية الإمامية

الموسوم بقطع الرياض في بدع الأغراض ، ومن ذلك قول بشار بن برد :

عميت جنينا والذكاء من العمى فجننت مصيب الظن للعلم موثلا
وغاض صفاء العين للعقل رافدا بقلب إذا ما ضيّع الناس حصّلا
وشعر كنور الروض لامست نظمه بقول إذا ما أحزن الشعرا سهلا

وقال آخر ويروى لأبي العلاء ، والصحيح أنه لأبي الحسن الحصري :

وقالوا قد عميت فقلت كلا وإني اليوم أبصر من بصير
سواد العين زار سواد قلبي ليجتمعا على فهم الأمور

وقال عبد الله بن سليمان القرطبي النحوي ، المعروف بدرود ، ويقال : دربود ، وكان أعمى :

تقول من للعمى بالحسن قلت لها كفى عن الله في تصديقه الخبر
القلب يدرك ما لا عين تدركه والحسن ما استحسنته النفس لا البصر
وما العيون التي تعمى إذا نظرت بل القلوب التي تعمى بما النظر
ومن جيد الشعر لولا شوبه بالهجر قول الآخر :

قالوا العمى منظر قبيح قلت بفقدي لهم يهون
تالله ما في الأنام شبيء تأسى على فقده العيون

كأنه أخذ من قول سعيد بن المسيب وقد نزل الماء في عينيه ، فقيل له : لو قدحتهما ، فقال : وعلى من
أفتحهما ، مثل هذا قول المعري وهو عندي من المنشد :

أبا العلاء بن سليمان إن العمى أولك إحسانا
لو أبصرت عيناك هذا الورى لم يبر إنسانك إنسانا

أقول : وإضافة على ما ذكره ابن الأبار فقد أقتبس معنى بيتي ابن عباس إسحاق بن حسان القوهي المعروف
بالخزيمي ، فقد قال :

فإن تك عيني خبا نورها فكم قبلها نور عين خبا
فلم يعلم قلبي ولكنهما أرى نور عيني إليه سرى
فالسراج فيه إلى ضوءه سراجا من العلم يشفي من العمى

تاريخ بغداد ٦ / ٣٢٦ ، نكت الهميان / ٧١.

٢ . وقال في ذلك أيضاً :

إن يأخذ الله من عيني نورهما فإن قلبي مضىء مابه ضرر
أرى بقلبي دنياي وآخرتي والقلب يدرك ما لا يدرك البصر^(١)
أقول : ربما كانت فكرة التعويض هي الدافع وراء أقواله في ذهاب بصره ، إذ لا شك
بأن فقدان البصر مظهر من مظاهر النقص الذي يجسد الضعف لصاحبه ، فلا مؤاخذه لو
استعان على مواجهة إحساسه بذلك النقص بقوة إحساسه بنفاذ البصيرة ، وحق له لو
أفتخر بالقدرة على تجاوز ذلك الإحساس المؤلم بما فقدته من نعمة البصر بما عوّضه الله
سبحانه من قوة البصيرة ، بنور الفؤاد والقلب .

ومن تلك القوّة كان التعويض كبيراً وعظيماً ، فالقلب ذكي ، والعقل سليم ، واللسان
طلق ذلق قوي الحجّة ، فأيّ قوّة هي أعظم من تلك القوّة التي استطاع أن يدفع بها من عيّره
بذهاب بصره ، ولم أقف على من عيّره بذلك سوى ابن الزبير في تعريضه به حين قال : (إنّ
ها هنا رجلاً قد أعمى الله قلبه كما أعمى بصره ، يزعم أنّ متعة النساء حلال من الله ورسوله
يفتى في القملة والنملة ، وقد أحتمل بيت مال البصرة بالأمس وترك المسلمين بها يرتضخون
النوى ، وكيف ألومه في ذلك وقد قاتل أم المؤمنين وحواري رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم ومن وقاه بيده .

(١) حاشية الفرائد الشنشورية للبيجوري / ١٨ ط مصر .

فقال ابن عباس لقائده سعيد بن جبير : استقبل بي وجه ابن الزبير وارفح من صدري ، فاستقبل به وأقام قامته ، فحسر عن ذراعيه ، ثم قال : يا ابن الزبير .
قد أنصف القارة من رماها إنا إذا ما فئسة نلقاها
نردّ أولاهها على آخراها حتى تصير حرضا دعواها
يا ابن الزبير ، أما العمى فإنّ الله تعالى يقول : **(فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ)**^(١).

ثم أنشأ قوله :

إن يأخذ الله من عيني نورهما ففي لساني وقلبي منهما نور
وأما فتياي في القملة والنملة : فإنّ فيهما حكماً لا تعلمه أنت ولا أصحابك .
وأما حملي المال : فإنّه كان مال جبيناه فأعطينا كلّ ذي حق حقه ، وبقيت بقية هي
دون حقنا في كتاب الله فأخذناها بحقنا .
وأما المتعة : فسل أمك عن بردي عوسجة ، فإنّ أوّل متعة سطع مجمرها لمجر سطع
بين أمك وأبيك ، فسل أمك كيف سطعت الجامر بينها وبين أبيك .

وأما قتالنا أم المؤمنين : فبنا سميت أم المؤمنين لا بك ولا بأبيك. فانطلق أبوك وخالك إلى حجاب مدّه الله عليها فهتكاه عنها ، ثم إتخذها فتنة (فقة) يقاتلان دونها ، وصانا حلالتهما في بيوتهما ، فما أنصفا الله ولا محمداً من أنفسهما أن أبرزوا زوجة نبيّه وصانا حلالتهما.

وأما قتالنا إياكم : فإننا لقيناكم زحفاً ، فإن كنا كفاراً فقد كفرتم بفراركم منا ، وإن كنا مؤمنين فقد كفرتم بقتالكم إيانا ، فقد لقيت أباك وأنا مع إمام هدى ، فإن يكن على ما أقول فقد كفر بقتالنا ، وإن يكن على ما تقول فقد كفر به بخربه منا ، وأيم الله لولا مكان صفيّة فيكم ، ومكان خديجة فينا لما تركت لبني أسد بن عبد العزى عظماً إلا كسرته.

فانقطع ابن الزبير ونزل خجلاً مغضباً ، وعاد إلى أمه فسألها عن بردي عوسجة؟ فقالت : يا بني ما ولدتك إلا في المتعة ، ألم أنك عن ابن عباس وعن بني هاشم ، فإنهم كعم الجواب إذا بدوها ، فقال : بلى ، وعصيتك.

فقالت : يا بني إحذر هذا الأعمى الذي ما أطاقته الإنس والجن ، واعلم أنّ عنده فضائح قريش ومخازيها بأسرها ، فيأيك وإياه آخر الدهر). وقد أورد هذه الحادثة ابن أبي الحديد في شرح النهج^(١) ، والراغب في محاضراته^(٢) ، والمدني في (الدرجات الرفيعة) ، وعنهم نقلنا ما تقدم.

(١) شرح النهج ٤ / ٤٤٨٩ - ٤٩١ .

(٢) محاضرات الراغب ٢ / ٩٢ .

وقد رواها غيرهم بأخصر من ذلك ، ومنهم : مسلم في صحيحه ^(١) ، والزيلعي في (نصب الراية) ^(٢) ، وابن الهمام الحنفي في شرح الفتح ^(٣) ، وابن عبد ربه في (العقد الفريد) ^(٤) ، والمسعودي في (مروج الذهب) ^(٥) ، وغير هؤلاء ، كما سيأتي ذكر المحاوره وما يتبعها في صفحه احتجاجاته على ابن الزبير .

٣ . وقال في ذلك أيضاً وتعبير قوم له بأنه ضرير :

وعيرني الأقوام والعيب فيهم ولا عيب إلا أن يقال ضرير
إذا أبصر القلب المرؤة والتقى فإن العمى بالعين ليس يضير
إذا كفرت عني ذنوبي فإثمها وإن فجعت رزء علي يسير
يقولون صبراً إثم الصبر شيمتي ألم تعلموا أنّ الكريم صبور ^(٦)
وقد نسب غلطاً البيتان الأولان من أشعاره إلى أبي العلاء المعري وإلى أبي العيناء . فقد ورد ذكرهما في (معجم أدباء ذوي العاهات أعلام

(١) صحيح مسلم ٤ / ١٣٣ .

(٢) نصب الراية ٣ / ١٣٥٧ ، ط مصر .

(٣) شرح الفتح ٢ / ٢٨٦ .

(٤) العقد الفريد ٣ / ١٥٧ .

(٥) مروج الذهب ٢ / ١٠٣ ط مصر ١٣٤٦ هـ ، ٣ / ٨٩ ط تح محمد محيي الدين .

(٦) نكت الهميان / ٧١ ، وغيره .

والبيتان الأولان في النسب الأصلي لابن الطقطقي ورقة / ١٤١ (نسخة مصورة) ، والأبيات عدا

الأول في ناسخ التواريخ ٢ / ٥١٩ .

الجبايرة) تأليف كارين صادر ونصير الجواهري نسبتهما إلى أبي العلاء المعري^(١) ، وفي موضع آخر نسبتهما إلى أبي العيلاء^(٢) ، وكلتا النسبتين غلط ، وربما إقتباسهما في بعض أشعارهما فظنّ المؤلفان أن البيتين لمن ذكراهما. والإقتباس شائع ذائع عند الشعراء.

وفي المقام نذكر إقتباس أحمد بن عبد الدايم الحنبلي المقدسي ، حيث قال :

(إن يذهب الله من عيني نورهما فإنّ قلبي بصيرٌ ما به ضرر)
(أرى بقلبي دنيائي وآخرتي والقلب يدرك ما لا يدرك البصر)
والله إنّ لكم في القلب منزلة ما نالها قبلكم أنثى ولا ذكر
وحالكم لي حياة لا نفاذ لها والهجر موت فلا عينٌ ولا أثر^(٣)

٤ . وقال في مدح سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام :

(١) معجم أدباء ذوي العاهات أعلام الجبايرة / ١١ - ١٢ و ١٤٢ ط بيروت.

(٢) نفس المصدر / ٣٢٣.

(٣) الوافي بالوفيات ٧ / ٣٤ ، نكت الهميان / ٩٩ ، شذرات الذهب ٥ / ٥ ، فوات الوفيات ١ / ٨١ ، ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ٢ / ٢٧٨ ، منتخب السلامي / ٢٩٠ . وعن ابن الأبار قال : وقد اقتبس معناها إسحاق بن حسان القوهي المعروف بالخرمي فقد قال :

فإن تك عيني خبا نورها فكم قبلها نور عين خبا
فلم يعمّ قلبي ولكنما أرى نور عيني إليه سرى
فالسراج فيه إلى ضوءه سراجا من العلم يشفي العمى

سلام على الطهر الزكية فاطمٍ سلام على أولادها الأنجم الزهر (١)

٥ . وقال يمدح الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام :

وصّى رسول الله من دون أهله وفارسه إن قيل هل من منازل

فدونكه إن كنت تبغي مهاجرا أشمّ كنصل السيف غير حلاحل (٢)

٦ . وقال بمدحه عليه السلام متمسكاً بحبّه :

ولا ينجي من الرحمن شيء ومن هول القيامة والحساب

ومن نارٍ تلهب في جحيم سوى حب الإمام أبي تراب

شفيع الخلق في يوم التلاقي هو المنعوت في أي الكتاب (٣)

٧ . وقال يرثي الإمام أمير المؤمنين عليه السلام :

وهزّ علي بالعراقين لحية مصيبتها جلّت على كلّ مسلم

وقال سيأتيها من الله نازل ويخضبها أشقى البرية بالدم

فعاجله بالسيف شلّت يمينه لشوم قطام عند ذاك ابن ملجم

فيا ضربة من خاسرٍ ضلّ سعيه تبوأ منها مقعداً في جهنم

(١) روضة الواعظين للفتال النيسابوري / ١٢٧ ط ايران.

(٢) شرح نهج البلاغة للمعتزلي / ١ / ٥٠ ط مصر الأولى. المراجعات للإمام شرف الدين / ٢٨٢.

(٣) المجموع الرائق للسيد أحمد العطار / ١ / ورقة ١٤ مخطوط بمكتبة الإمام الصادق العامة في الكاظمية.

ففاز أمير المؤمنين بحظّه وإن طرقت إحدى الليالي بمعظم
ألا انما الدنيا بلائٌ وفتنة حلاوتها شبيبت بصبر وعلقم

٨ . وقال لعثمان في محاورة جرت بينهما :

جعلت شعار جلدك قوم سوء وقد يجزى المقارن بالقيرين
فما نظروا لدنيا انت فيها بإصلاح ولا نظروا لدين^(١)

٩ . وقال يجيب معاوية في ضمن كتاب له أجاب به على كتاب معاوية إليه يخادعه

وذلك في أيام صفين :

دعوت ابن عباس إلى السلم خدعة وليس له حتى تموت بخادع^(٢)
١٠ . وقال يخاطبه أيضاً بعد ما أظهر معاوية الشماتة بموت الإمام الحسن الزكي عليه

السلام :

أصبح اليوم ابن هندٍ آمناً ظاهر النخوة إذ مات الحسن
ولقد كان عليه عمره مثل رضوى وثبير وجفن^(٣)

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور ١٦ / ٢١١ ط دار الفكر بدمشق.

(٢) مناقب آل أبي طالب للحافظ ابن شهر آشوب السروي ٣ / ١٠٢ .

(٣) رضوى : جبل بين مكة والمدينة قرب ينبع ، وثبير : أحد الأثيرة الأربعة ، ثبير الأعرج هو المشرف بمكة على حق الطارقين ، وقيل هو حراء ، وجفن بناحية الطائف (ص ١ مرصد الإطلاع).

فارتع اليوم ابن هند قامصاً إنما يقمص بالعيير السمن (١)
فاتق الله وأظهر توبته إنما كان كشيء لم يكن (٢)
١١ . وأمر له معاوية بأربعة آلاف درهم فقبضها ثم صرفها في بني عبد المطلب ، فقالوا
له : لا نقبل صدقة.

قال : إنما ليست بصدقة ، إنما هي هدية ، فلم يبق منها شيء ، فبلغ ذلك معاوية
فكتب إليه يلومه وان يقصر عن ذلك ، فكتب إليه يقول :

بجئيل يرى بالجود عارا وإتما على المرء عاراً أن يضمن ويبخلا
إذا المرء أئرى ثم لم يرج نفعه صديق فلاقتنه المنية أولاً (٣)
١٢ . وقال ابن منظور أيضاً :

وأنشد المبرد لعبد الله بن العباس كتب به إلى معاوية بن أبي سفيان . (الطويل) :
[و]إني أغضيت عن غير بغضة لراع لأسباب المودة حافظ
وما زال يدعوني إلى الصرم ما أرى فأبي وتثني عليك الحفائظ

(١) وفي المثل (ما بالعيير من قامص) وهو الحمار . يضرب لمن ذلّ بعد العزّ (الصحاح) قمص .
(٢) الحدائق الوردية للإمام حميد الشهيد ١ / ١٠٩ (مخطوط بمكتبة الإمام كاشف الغطاء) ، وأخرج الزمخشري
منها البيت الأول والثالث في كتابه ربيع الأبرار (باب الموت وما يتصل به) مخطوط كما في نسخة الرضوية
بخراسان والأوقاف ببغداد .

(٣) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ١٢ / ٣٢٤ .

وانتظر العتبي وأغضي على القذى وألبس طوراً مرّه وأغالظ
وانتظر الإقبال بالودّ منكم وأصبر حتى أوجعتني المغايظ
وجرّيت ما يسلي المحبّ عن الهوى وأقصرت والتجريب للمرء واعظ^(١)
١٣ . وقال في جواب عمرو بن العاص عن أبيات قالها حين خدع أبا موسى الأشعري
في التحكيم :

كذبت ولكن مثلك اليوم فاسق على أمركم يبغي لنا الشر والعز لا
وتزعم ان الأمر منك خديعة إليه وكل القول في شأنكم فضلا
فأنتم ورب البيت قد صار دينكم خلافاً لدين المصطفى الطيّب العدل
أعاديتهم حبّ النبيّ ونفسه فما لكم من سابقات ولا فضلا^(٢)
وأنتم ورب البيت أخبث من مشى على الأرض ذا نعلين أو حافياً رجلا
غدرتم وكان الغدر منكم سجية كأن لم يكن حرثاً وأن لم يكن نسلاً^(٣)
١٤ . وقال يخاطب أبا موسى الأشعري عند ندامته بعد التحكيم :

أبا موسى بليت وكنت شيخاً قريب القعر مخزون اللسان

(١) نفس المصدر ١٢ / ٣٢٥ .

(٢) حبّ النبيّ حبيبه ، يشير الخبر ابن عباس إلى ما في آية المباهلة الصريحة في ان الإمام عليه السلام كان نفس الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وغيرها من الآيات .

(٣) وقعة صفين لنصر بن مزاحم ٦٣٤ ط مصر .

رمى عمرو صفاتك يا بن قيس فيا لله من شيخ يماني (١)
فأمسيت العشية ذا اعتذار ضعيف الركن منكوب العنان
تعض الكف من ندمٍ وماذا يردّ عليك عضّك بالبنان (٢)
١٥ . وقال يجيب ابن الزبير في منافرة جرت بينهما :

تفاني يا ابن الزبير وقد قضى عليك رسول الله لا قول هازل
ولو غيرنا يا ابن الزبير فخرته ولكنما ساميت شمس الأصائل
وقال أيضاً في تلك المنافرة :

ألا يا قومنا ارتحلوا وسيروا فلو ترك القطا لغفا وناما
وقال أيضاً فيها :

وأدرك منها بعض ما كان يرتجي وقصّر عن جري الكرام وبلّدا
وما كان إلا كالهجين أمامه عناق فجاراه العناق فأجهدا (٣)
١٦ . وقال في تكريم الخيل وحبّه لها :

(١) الصفاة ، الصخرة الملساء ويقال في المثل (ما تندی صفاته) الصحاح صفا.

(٢) مروج الذهب ٢ / ٣٤ ط المطبعة البهية سنة ١٣٤٦ ، ٤١٠ ط الثانية ، وقد وردت في كتاب صفين لنصر بن مزاحم / ٦٣٢ أبيات لابن عم أبي موسى الأشعري تشبه هذه الأبيات ، وتتفق بعض صدور الأبيات والعجز الأخير منها مع الأبيات المذكورة ، كما نقلها ابن أبي الحديد في شرح النهج ١ / ١٩٨ ونسبها إلى بعض الأشعريين.

(٣) شرح النهج لابن أبي الحديد ٢ / ٥٠٢ ط مصر الأولى.

أحبّوا الخيل واصطبروا عليها فإنّ العزّ فيها والجمالا
إذا ما الخيل ضيّعها أناس ربطناها فأشركت العيالا
نقاسمها المعيشة كلّ يوم ونكسوها البراقع والجلالا^(١)
وقد شطرها بعضهم كما في (مختصر طبقات الحنابلة) لمحمد جميل الشطي في ترجمة
الشيخ عبد الجليل المواهي قوله مشطراً هذه الأبيات :

(أحبّوا الخيل واصطبروا عليها) فإنّ بها المسرة والكمالا
وراعوا حقها في كلّ وقت (فإنّ العزّ فيها والجمالا)
(إذا ما الخيل ضيّعها أناس) أنلناها الترفه والدلالا
فخير في نواصيها اقتضى أن (حفظناها فأشبهت العيالا)
(نقاسمها المعيشة كلّ يوم) ولا نخشى لنعمتنا زوالا
ونلبسها المحاسن من حلي (ونكسوها البراقع والجلالا)^(٢)
وقد روى الأبيات الثلاثة علي بن عبد الرحمن بن هذيل الأندلسي في (حلبة الفرسان
وأشعار الشجعان) ط دار المعارف بمصر. منسوبة إلى الأخطل ، وقال : وتنسب لعبد الله
بن عباس .

١٧ . وقال فيمن نزلت به ملمة فأتاه لكشفها :

(١) بحجة المجالس لابن عبد البر ٢ / ٦٨ ، نخبة عقد الأجياد في الصافيات الجياد للأمير محمد باشا ط بيروت
سنة ١٣٢٦ هـ .

(٢) مختصر طبقات الحنابلة / ١١٧ .

إذا طارقات الهم ضاجعت الفتى وأعمل فكر الليل والليل عاكر
وباكرني في حاجة لم يجد لها سواي ولا من نكبة الدهر ناصر
فرجت بمالي همه عن خناقه وزايله الهم الطروق المساور^(١)
وكان له فضلٌ عليّ بظنه بي الخير إني للذي ظنّ شاكر^(٢)

١٨ . وقال في مفاسدالسرف في الطعام والمنام والكلام وما يفعله الشيب بصاحبه :

إذا كثر الطعام فحدّروني فإن القلب يفسده الطعام
إذا كثر المنام فنبهوني فإن العمر ينقصه المنام
إذا كثر الكلام فسكّوني فإن الـدين يهدمه الكلام
إذا كثر المشيب فحدروني فإن الشيب يتبعه الحـمام^(٣)

(١) في رواية العمدة تفاوت يسير.

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه الاندلسي ١ / ٢٢٦ وقد أنشدها عمر بن عبد العزيز والعمدة لابن رشيق القيرواني ١ / ٢٣ ووردت الأبيات بتفاوت يسير في تهذيب تاريخ ابن عساكر ٣ / ٤٧ منسوبة إلى أسماء بن خارجة فلاحظ.

(٣) مجموعة الحاج عيسى كبة وهي بخطه في مكتبة الإمام كاشف الغطاء ، ونسب البيت الثالث إليه الأديب علي أكبر دهخدا في كتابه امثال وحكم ٢ / ٨٩٤ ط إيران.

كما وردت الأبيات في كتاب زهر الربيع للجزائري / ٣٣٤ ط الحيدرية ١٣٧٥ هـ وهي إن صحت نسبتها فإنها لم تكن بمستوى ما تقدم له من شعر صحت نسبته إليه ، ومع ذلك فإن خلت من نمط أسلوبه الأدبي الرفيع ، لكنها لم تخل من الجانب التربوي الذي نتلمس نهمجه في المأثور عنه من النثر في الوصايا والحكم ، وليس لنا أن ننفي صحة نسبتها إليه ، مجرد خلو النظم من قوة الشعر الذي تميز فيما صحت نسبته إليه ، بعد ما عرفنا بالبداية تفاوت حال المرء في مراحل حياته في نشاطه الثقافي. وتبقى صحة النسبة على ذمة الرواة.

١٩ . وقال في طلب العلم واختيار أحسنه :

ما أكثر العلم وأوسعُه من ذا الذي يقدر أن يجمعه
إن كنت لا بد له طالباً محاولاً فالتمس منه أنفعه (١)

٢٠ . وقال في طريقه من البصرة إلى الكوفة يحدو الإبل :

أوبي إلى أهلــــــــــــــــك يا رباب أوبي فقد حان لك الإياب (٢)

٢١ . روى البلاذري في (أنساب الأشراف) في ترجمته ، فقال : حدثني عمرو بن أبي

عمرو الشيباني عن أبيه قال : حدثت ان ابن عباس لما كفّ بصره قال أو تمثل :

ما زال عمري على الأيام منتقصا حتى فنيت وحبلى الدهر ممدود

أقدم العود قدامي وأتبعه وكنت أمشي وما يمشي بي العود (٣)

٢٢ . ذكر الملا علي القاري في (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح) ، قال :

وحكي عن ابن عباس أنّه قال :

جميع العلم في القرآن لكن تقاصر عنه أفهام الرجال (٤)

(١) جامع بيان العلم لابن عبد البر ١ / ١٠٦ .

(٢) العقد الفريد ٣ / ٣٩٠ .

(٣) أنساب الأشراف ترجمة ابن عباس برقم ٣٨ (مخطوط) .

(٤) مشكاة المصابيح ١١ / ٣٠٢ ط دار الكتب العلمية بيروت .

٢٣ . أخرج ابن عدي في (الكامل) بسنده عن ابن عباس ، قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (من آتاه الله وجهاً حسناً ، واسماً حسناً ، وجعله في موضع غير شائن له فهو من صفوة الله) ، ثم أنشأ ابن عباس يقول :

عند شرط النبي إذ قال يوماً (اطلبوا الخير من حسان الوجوه) (١)
وقال الأبي في (نثر الدر) : (وقال ابن عباس : لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هجاء الأعشى علقمة ، نهى أصحابه أن يرووه ، وقال : (إنَّ أبا سفيان شعث مني عند قيصر ، فرد عليه علقمة وكذب أبا سفيان) ، فشكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك) (٢).

وهذا يكشف عن متابعة ابن عباس للشعر والشعراء ، وما يروى وما لا يروى.

وأخيراً لقد ورد في كتاب (الفهرس الموجز لمخطوطات مؤسسة علال الفاسي) تأليف عبد الرحمن بن العربي الحريسي مدير المؤسسة (٣) :

القصيدة المربّعة عدد أبياتها (٤٧) بيتاً في مدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم المؤلف ابن عباس ، أوّلها :

حادي النوازل إن لاحت لك الخيم من الكثيب وبان البان والعلم

(١) الكامل ٣ / ٣٢٠ .

(٢) نثر الدر ١ / ٢٨٩ .

(٣) الفهرس الموجز لمخطوطات مؤسسة علال الفاسي ١ / ٦٥ رقم ٩٨ .

(صفحاته : ٢ ، مقاييسه : ١٥ / ١٦ ، مسطرتة : ٢٤ في مجموع ص : ٢٤٥ إلى
صفحة : ٢٤٧ ، الخط مغربي رديء).

ملاحظة لم أقف على من ذكرها. ثم أنظر من هو ابن عباس هذا؟

وتوجد أيضاً ضمن كناش عدد ع ٤١٦ بالمؤسسة.

أقول : فهل يحتمل أن تكون القصيدة المربعة لابن عباس الذي هو صاحبنا؟

احتمال قائم يخضع في إثباته ونفيه للإطلاع على القصيدة ، وأتّى لنا بها. ولكننا نشير

إليها نظراً لخلو كتب السيرة والمدائح النبوية وغيرها عن ذكرها ولو كانت له لأشير إليها.

المبحث الثاني

ابن عباس والخطابة

إنّ الخطابة التي كانت عند العرب ، يتفاضلون فيها بالعصيبيّة ، ويتفاخرون عندها بالأنساب ، ولما جاء الإسلام جمع كلمتهم على الهدى والتقوى باسم الإسلام ، وحسبنا أن نستذكر من خطبة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم التي ألقاها يوم فتح مكة عند الكعبة . فقال فيها : (يا معشر قريش إنّ الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظّمها بالآباء ، الناس من آدم وآدم خلق من تراب) (١) .

وقال في خطبة من خطب حجة الوداع : (أيّها الناس ، إنّ ربكم واحد ، وإنّ أباكم واحد ، وكلّكم لأدم وآدم من تراب ، وأكرمكم عند الله أتقاكم ، ليس لعربي على عجمي فضل إلاّ بالتقوى) (٢) .

فهو صلى الله عليه وآله وسلم لما جاء المسلمين بالقرآن الكريم فقد زاد العرب بلاغة وحكمة ، فصار خطباءؤهم يزيّنون خطبهم بآية من آيات الذكر الحكيم ، وكتب السيرة والتاريخ والأدب ملاء بالشواهد ، وأبرز الخطباء بعد

(١) تاريخ الطبري ٢ / ٣٣٧ .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي ١ / ١٢٨ .

النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أثراً في الخطابة كان هو الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، فهو الذي سنّ الفصاحة لقريش كما قال معاوية في حديثه مع محقن بن أبي محقن الضبي ، وقد كان ابن عباس يقول في وصفه للإمام عليه السلام وقد سأله عنه معاوية كما سيأتي في حديثه : (رحم الله أبا الحسن كان والله علم الهدى ... وأخطب أهل الدنيا إلا الأنبياء والنبيّ المصطفى ...)^(١) ، وهو إمام الخطباء من العرب على الإطلاق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم^(٢). ويكفي شاهداً (نهج البلاغة) معلماً حياً قائماً.

وقد روى ابن عباس من خطب الإمام عليه السلام وحكمه في كلمه كثيراً ، إذ كان له ومعه منذ رحلة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى الرفيق الأعلى حضور دائم ، وظلّ ملازم ، يحفظ عنه ما يقول ، ويعي منه ما يقصر عن فهمه غيره ، فكان ربيب علمه وهو القائل : (ما أخذت من تفسير القرآن فعن عليّ بن أبي طالب)^(٣). وقال أيضاً في جواب من سأله عن الإمام عليه السلام فأغضبه في مسأله فقال له : (ثكلتك أمك ، عليّ علمني ، وكان علمه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ورسول الله علمه الله من فوق عرشه ، فعلم النبيّ من الله ، وعلم عليّ من النبيّ ، وعلمي من علم عليّ ، وعلم أصحاب محمد كلّهم في علم عليّ كالقطرة الواحدة في سبعة أبحر)^(٤).

(١) المعجم الكبير للطبراني ١٠ / ٤٣٩ / ١٠٥٨٩ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ / ٢٤ - ٢٥.

(٢) جواهر الأدب للسيد أحمد الهاشمي ٢ / ١٣٤ ط / ١٥ مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر.

(٣) مقدمتان في علوم القرآن / ٢٦٤.

(٤) أنظر أمالي الطوسي ١ / ١١ ط النعمان ، ص ٧ ط حجرية ١٣١٣ هـ ، بحار الأنوار ٨ / ٤٦٥ ط حجرية. وقدم في هذه الحلقة من موسوعة عبد الله بن عباس ج ١.

فمن كان بهذه المثابة في المصدر في علومه ، هل تخفى عليه بلاغة عليّ عليه السلام وفصاحته في خطبه ومنتور حكمه في كلامه ، وهو يعيش معه جنباً إلى جنب ، ثم لا يتعلم منه! لقد كان ابن عباس الوحيد من بين شيعة الإمام عليه السلام الذي روى الخطبة الشقشقية التي كشفت عن مكنون الضمير عند الأمير عليه السلام ، مع ما روى عنه ما خصّه به من حديث على نهج ما مرّ ، ودع عنك طبيعة البيت الهاشمي من امتياز في الفصاحة.

فمن هذا وذاك كان ابن عباس رضي الله عنه خطيباً بارعاً يأخذ بالألباب من سامعيه ، حتى كان بعضهم يرى على كلامه نوراً ، وآخر يودّ لو أذن له يقبل رأسه ، وثالث يقول : لو سمعته الترك أو الديلم لأسلمت ، وكلّ هذا قد تقدم ذكره في الحلقة الأولى ، فلا نعيده ، ولنقرأ :

نماذج من بعض خطبه

١ - حدث عن يونس بن عبد الوارث ، عن أبيه ، قال : بينا ابن عباس رحمه الله يخطب عندنا على منبر البصرة إذ أقبل على الناس بوجهه ، ثم قال : (أيتها الأمة المتحيرة في دينها ، أما والله لو قدّمتم من قدّم الله ، وأخرتم من آخر الله وجعلتم الوراثة والولاية حيث جعلها الله ، ما عال سهم من فرائض الله ، ولا عال وليّ الله ، ولا اختلف اثنان في حكم الله ، فذوقوا وبال ما فرّطتم فيه ، بما قدّمت أيديكم ، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلبٍ ينقلبون)^(١).

(١) أنظر أمالي الشيخ المفيد / ٢٧ و ١٥٢ ، بشارة المصطفى للطبري / ١٣٢ ، أمالي الشيخ الطوسي / ٣٩ و ٦١ ط إيران ، الدرجات الرفيعة / ١٣٤ مخطوط بمكتبة الشيخ السماوي.

ولا بد لنا من وقفة قصيرة عند مقدمة هذه الخطبة إذ يقول الراوي : (بينا ابن عباس رحمه الله يخطب عندنا على منبر البصرة إذ أقبل على الناس بوجهه ، ثم قال ...).

فنقول :

بماذا كان يخطب ابن عباس؟

وما هي خطبته تلك التي أعرض عنها الراوي فلم ينقل لنا ألفاظها؟
وإذا كان يخطب في أيّ جهة كان وجهه؟ حتى يقول الراوي : (ثم أقبل على الناس بوجهه). فهل كان مطرقاً برأسه إلى الأرض ، أو رافعاً رأسه إلى السماء ، وأراد الراوي أن يلفت نظر السامع والقارئ فقال ذلك كناية للتعبير عن مزيد الإهتمام بما بعده ، وربما كان ذلك وربما كان غير ذلك.

وعلينا أن نكون صريحين في تعبيرنا وأحراراً في تفكيرنا ، ونقول : إنّ هذه الخطبة هي سياسية أكثر من أن تكون وعظية ، بما قدّم لها الراوي ما يشعر بفيض جوهها حمماً ، وتطفح ألفاظها ألماً وبرماً ، وذلك بما جنته الأمة على نفسها وبسوء اختيارها ، حتى أضحت متحيرة في دينها ، تتقاذفها الأهواء والآراء ، وتتنازعها المطامع والمطامح. ولماذا صارت كذلك؟ وهذا ما نقرأه في بيان الخبر ابن عباس رضي الله عنه حين يقسم قسماً برأ لا يحنث فيه ، فيقول :
(أما والله لو قدمتم من قدم الله الخ ...).

ولكنها الأمة هي التي ضيّعت حظها ، فأخطأت في سلوكها الطريق

التي أرادها الله لها ، وذلك في قوله تعالى : (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ)^(١) ، وقد قضى الله تعالى بتعيين ولي الأمر بقوله تعالى : (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ)^(٢) .

وقد عين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لهم شخصية ذلك الولي فعلاً وقولاً في أكثر من موقف منذ حديث بدء الدعوة وحتى يوم غدير خم حيث قام آخذاً بيد عليّ عليه السلام رافعاً له حتى بان بياض إبطيهما وقال : (من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه) . ولعل آخر مشهد كان في يوم الخميس قبل وفاته صلى الله عليه وآله وسلم بأربعة أيام حين دعا بدواة وكتف ليكتب للأمة كتاباً لن يضلوا بعده أبداً ، فمنع من ذلك ، وقد مرّ الحديث عنه مفصلاً ، كما مرّ أنّ ابن عباس وهو أحد شهود ذلك المشهد وأوحد الرواة له ، كان إذا ذكر يوم الخميس بكى حتى يبيل دمه الحصى^(٣) .

فهذا هو الحظ الذي ضيعته الأمة حين أخرجت من قدم الله ، ولم تجعل الوراثة والولاية حيث جعلها الله كما قال لهم ابن عباس . وقد خلف في نفسه من تباريح الأسى ما كان يطفح به كلامه ، سواء في خطبه أو إحتجاجاته ، وحتى أحاديثه الخاصة ، ولم يكتف حبر الأمة بمجرد التويخ المحض والتقريع الممض ، بل أنذرهم بسوء المنقلب وبئس المصير ،

(١) سورة الأحزاب / ٣٦ .

(٢) المائدة / ٥٥ .

(٣) لقد مرت الإشارة إلى ذلك في الحديث عن حياة ابن عباس رضي الله عنه في عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، فراجع .

وذلك بقوله في ختام خطبته : (فذوقوا وبال ما فرطتم فيه بما قدمت أيديكم ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون).

٢ . ومن خطبة له أيضاً بالبصرة وذلك في يوم عيد الفطر ، فقال : (أدوا زكاة صومكم) ، فجعل الناس ينظر بعضهم إلى بعض ، فقال : (من ههنا من أهل المدينة قوموا إلى إخوانكم فعلموهم فيأثم لا يعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرض صدقة الفطر على الصغير والكبير ، والحزّ والعبد ، والذكر والأنثى نصف صاع من بر أو صاعاً من تمر أو شعير) (١).

وهذه الفقرات تعكس لنا تردّي الحالة الإجتماعية من الناحية الدينية ، وجهل الناس بأحكام الشريعة وواجباتها المفروضة. ولولا جهل الناس وبُعدهم عن الدين وتعاليمه ، لما جعل بعضهم ينظر إلى بعض حين دعاهم ابن عباس إلى أداء زكاة الفطر ، ولعلّ مردّ ذلك إلى تحاوان الولاة الذين كانوا يحكمونهم قبله في عدم تعليمهم ذلك الحكم الشرعي والفريضة الواجبة.

٣ . ومن خطبة له بالبصرة في شأن القدر والولدان ، فقال : (إنّ هذه الأمة لا يزال أمرها مؤاماً . متقارباً . ما لم يتكلم في القدر والولدان) (٢).

٤ . لما أراد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام المسير إلى أهل الشام ثانياً ، كتب إلى ابن عباس رضي الله عنه يدعوه إلى الشخوص معه فيمن قبله ، فأثاه الكتاب ، فجمع الناس وقرأه عليهم وأمرهم بالشخوص مع الأحنف ابن قيس

(١) سنن النسائي ٣ / ١٩٠ ط مصر.

(٢) الكنى والأسماء للدولابي ١ / ٧ ، و ١٧٤ ط حيدر آباد.

كمقدمة له ، فلم ينفر مع الأحنف إلا ألف وخمسمائة رجل ، فاستقلهم ابن عباس رضي الله عنه قام في الناس خطيباً فقال بعد الحمد والثناء : (أما بعد فقد جاءني كتاب أمير المؤمنين يأمرني بإشخاصكم ، فأمرتكم بالنفير إليه مع الأحنف ابن قيس فلم يشخص معه إلا ألف وخمسمائة ، وأنتم في الديوان ستون ألفاً سوى أبنائكم وعبدانكم ومواليكم ، ألا فانفروا مع جارية بن قدامة السعدي ، ولا يجعل أمرؤ على نفسه سبيلاً ، فإني موقع بكل من وجدته تخلف عن دعوته ، عاصياً لإمامه حزناً يعقب نداماً ، وقد أمرت أبا الأسود بحشدكم ، فلا يلم أمرؤ جعل السبيل على نفسه إلا نفسه)^(١).

٥ . ومن خطبة له : (يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب ، وكتابكم الذي أنزل على نبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أحدث الأخبار بالله تقرأونه لم يشب ، وقد حدّثكم الله أنّ أهل الكتاب بدّلوا ما كتب الله وغيروا بأيديهم الكتاب ، فقالوا : هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً ، أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساءلتهم ، ولا والله ما رأينا منهم رجلاً قط يسألكم عن الذي أنزل عليكم)^(٢).

وهذه الخطبة تصف لنا جانباً اجتماعياً مهماً ، وهو إتهام الشخصية الإسلامية عند بعض المسلمين ممن بمرهم ما كان عليه أهل الكتاب من الحديث المزيف ، خصوصاً أولئك الذين دخلوا في الإسلام ظاهراً ، فكانوا يسألونهم يأخذون عنهم ، غافلين عما كان يدسه أولئك الدخلاء الذين

(١) الإمامة والسياسة ١ / ١٢١ ، تاريخ الطبري ٥ / ٧٨ .

(٢) صحيح البخاري ٣ / ١٨١ .

استغلهم النظام الحاكم حيث وجدوا فيهم أدوات صماء لا يعقلون ، فكانوا يحشون آذانهم بكل ما هبّ ودبّ من الإسرائيليات التي ما أنزل الله بها من سلطان ، وما كان الحاكمون في غفلة بل يتغافلون . على أحسن الظن . عن نوايا أولئك الشريرين حتى اتسع الرتق ، وفشا حديثهم في جوامع المسلمين ، فكان كعب الأحبار ووهب بن منبه وقيم الداري وأضرابهم هم المحدّثون والمسلمون سمّاعون للكذب ولا يستنكرون ، فخشى ابن عباس رضي الله عنه من النتائج السيئة لتلك الفتنة أن يعمّ شرّها المسلمين ، فخطب الناس محذراً لهم من كيد أولئك الدخلاء ونواياهم السيئة.

٦ . وخطب الناس في يوم من أيام صفين ، فقال : (الحمد لله رب العالمين الذي دحا تحتنا سبعا ، وسمك فوقنا سبعا ، وخلق فيما بينهن خلقاً ، وأنزل لهم فيها رزقاً ، ثم جعل كلّ شيء يبلى ويفنى غير وجهه الحيّ القيوم الذي يحيى ويبقى . إنّ الله بعث أنبياء ورسلاً ، فجعلهم حججاً على عباده عذراً ونذراً ، لا يطاع إلاّ بعلمه وإذنه ، يمتنّ بالطاعة على من يشاء من عباده ، ثم يثيب عليها ، ويعصى فيعفو ويغفر بحلمه ، لا يقدر قدره ، ولا يبلغ شيء مكانه ، أحصى كلّ شيء عدداً ، وأحاط بكلّ شيء علماً .

ثم أنّي أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، إمام الهدى والنبيّ المصطفى . وقد ساقنا قدر الله إلى ما قد ترون حتى كان فيما اضطرب من حبل هذه الأمة ، وانتشر من أمرها ، أن ابن آكلة الأكباد قد وجد من طعام أهل الشام أعواناً على عليّ بن أبي

طالب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصهره ، وأول ذكر صلى معه ، بدري قد شهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلّ مشاهدته التي فيها الفضل ، ومعاوية مشرك كان يعبد الأصنام ، والذي ملك الملك وحده ، وبان به وكان أهله ، لقد قاتل عليّ بن أبي طالب عليه السلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول : صدق الله ورسوله ، ومعاوية وأبو سفيان يقولان : كذب الله ورسوله ، فما معاوية في هذه بأبرّ ولا أتقى ولا أرشد ولا أصوب منه في تلكم .

فعليكم بتقوى الله والجدّ والحزم والصبر ، والله إنّنا لنعلم إنّكم لعلى الحق ، وأن القوم لعلى الباطل ، فلا يكوئُنّ أولى بالجدّ في باطلهم منكم في حقكم ، أما والله إنّنا لنعلم إنّ الله سيعذبهم بأيديكم أو بأيدي غيركم .

اللهم ربّنا أعنّا ولا تحذلنا ، وانصرنا على عدّونا ، ولا تخلّ عنا ، وافتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أقول قولي واستغفر الله لي ولكم (١) .

٧ . وخطب ابن عباس رضي الله عنه أهل العراق في الكوفة بعد ما كثر خوض الناس في أمر الحكمين ، وكان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قد أمر ولده الحسن عليه السلام وابن عمه عبد الله بن عباس رضي الله عنه وابن أخيه عبد الله بن جعفر رضي الله عنه أن يخطب كلّ منهم في شأن الحكمين وأمرهما ، فتقدم الحسن عليه السلام فخطب خطبة بليغة ، ثم جاء دور ابن عباس رضي الله عنه فخطب الناس ، وقال بعد الحمد والثناء : (أيّها الناس إنّ للحق أهلاً أصابوه بالتوفيق ، والناس بين

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٥ / ٢٥٠ ، وقعة صفين لنصر بن مزاحم المنقري / ٣٥٩ ط مصر .

راضٍ به وراغبٍ عنه ، وإثماً بعث عبد الله بن قيس . حكم أهل العراق . لهدى إلى ضلالة ،
وبعث عمرو بن العاص . حكم أهل الشام . لضلالة إلى الهدى ، فلما التقيا رجع عبد الله عن
هداه ، وثبت عمرو على ضلالته ، والله لئن حُكِّم بالكتاب لقد حكما عليه ، وإن حُكِّم
بما اجتمعوا عليه معاً ما اجتمعوا على شيء ، وإن كان حُكِّم على ما سارا إليه ، لقد سار
عبد الله وإمامه عليّ عليه السلام ، وسار عمرو وإمامه معاوية ، فما بعد هذا من غيب
ينتظر ، ولكن سئموا الحرب ، وأحبوا البقاء ، ودفعوا البلاء ، ورجا كل قوم صاحبهم (١).

٨ . أخرج أبو داود الطيالسي في مسنده ، بسنده عن أبي نضرة ، قال : خطبنا ابن

عباس على منبر البصرة ، فحمد الله عزوجل وأثنى عليه ، ثم قال :

(قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ما من نبيّ إلا وله دعوة كلهم قد تنجزها
في الدنيا ، وإني أدخرت دعوتي شفاعاً لأمتي يوم القيامة ، ألا وأني سيد ولد آدم يوم القيامة
ولا فخر ، وأول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ولا فخر ، وييدي لواء الحمد تحته آدم من
دونه ولا فخر ، ويشتد كرب ذلك اليوم على الناس ، فيقولون : انطلقوا بنا إلى آدم أبي
البشر فليشفع لنا إلى ربنا حتى يقضي بيننا ، فيأتون آدم عليه السلام فيقولون : أنت الذي
خلقك الله بيده وأسكنك جنته وأسجد لك ملائكته ، فاشفع لنا إلى ربنا حتى يقضي ديننا
، فيقول : إني لست هناكم ، إني أخرجت من الجنة بخطيئتي ، وأنه لا يهمني اليوم إلا

(١) جمهرة خطب العرب ١ / ١٧٤ .

نفسى ، ولكن أتتوا نوحاً أول النبيين ، فيأتون نوحاً فيقولون : أشفع لنا إلى ربنا حتى يقضي بيننا ، فيقول : لست هناكم ، إني دعوت دعوة غرقت أهل الأرض ، وأنه لا يهمني اليوم إلا نفسي ، ولكن أتتوا إبراهيم خليل الله ، فيأتون إبراهيم صلى الله عليه وسلم ، فيقولون : أشفع لنا إلى ربنا حتى يقضي بيننا ، فيقول : لست هناكم ، إني كذبت في الإسلام ثلاث كذبات ، وأنه لا يهمني اليوم إلا نفسي ، . قال . ابن عباس . قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : والله ما حاول بجن إلا عن دين الله ، قوله (**إِنِّي سَقِيمٌ**)^(١) ، وقوله : (**بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ**)^(٢) ، وقوله لسارة : قولي أنه أخي .. ولكن أتتوا موسى عبداً إصطفاه الله برسالاته وبكلامه ، فيأتون موسى فيقولون : أشفع لنا إلى ربنا حتى يقضي بيننا ، فيقول : إني لست هناكم إني قتلت نفساً بغير نفس ، وأنه لا يهمني اليوم إلا نفسي ، ولكن إئتوا عيسى روح الله وكلمته ، فيأتون عيسى فيقولون : أشفع لنا إلى ربنا حتى يقضي بيننا ، فيقول : إني لست هناكم ، إني أنخذت وأمي الهين من دون الله ، ولكن رأيتم لو أن متاعاً في وعاء قد ختم عليه أكان يوصل . إلى ما في الوعاء . حتى يفيض الخاتم؟ فيقولون : لا ، فيقول : فإنّ محمداً صلى الله عليه وآله وسلم قد حضر اليوم وقد عُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : فيأتيني الناس فيقولون : أشفع لنا إلى ربنا حتى يقضي بيننا ، فأقول : أنا لها أنا لها ، حتى يأذن الله عزوجل لمن يشاء ويرضى ، فإذا

(١) الصفات / ٨٩ .

(٢) الأنبياء / ٦٣ .

أرد الله عزوجل أن يقضي بين خلقه نادى منادٍ : أين أحمد وأمته؟ فأقوم وتتبعني أمتي غرّ
مُحجلون من أثر الوضوء والطهور.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : فنحن الآخرون الأولون ، أول من يحاسب
وتفرج لنا الأمم عن طريقنا وتقوم الأمم كادت هذه الأمة أن تكون أنبياء كلّها ، قال رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم : فأنتهي إلى باب الجنة فاستفتح ، فيقال : من هذا؟ فأقول :
أحمد يفتح لي ، فأنتهي إلى ربّي وهو على كرسيه فأخر ساجداً ، فأحمد ربي بمحامد لم يحمد
أحد بما قبلي ولا يحمد به أحد بعدي ، فيقال لي : ارفع رأسك وقل تُسمع ، وسل تُعطى
، وأشفع تشفع ، فأشفع ، فيقال : فأذهب فأخرج من النار من كان في قلبه من الخير كذا
وكذا ، فأنتقل إلى جهنم ثم أرجع إلى ربّي فأخرّ ساجداً ، فيقال لي : ارفع رأسك ، وقل
تُسمع ، وأشفع تشفع ، وسل تعطه ، قال : فيحدي لي حداً فأخرجهم من النار).

فهذا ما أخرجه الطيالسي في مسنده (١) ، ولا يخلو ما في بعض الخبر في صحته من

نظر!

(١) مسند أبي داود / ٣٥٣ ط حيدر آباد.

المبحث الثالث

ابن عباس والإحتجاج

لقد كان بارعاً في إدلاء الحجة وإلزام الخصم ، مع أدب جم ، وعلم وفهم ، وحسبنا على هذا إختيار الإمام أمير المؤمنين عليه السلام له ليكون الحَكَم الذي يمثل أهل العراق ، ولكن الأشعث والخوارج أبوا عليه ذلك ، وقد مرّ خبره في الحلقة الأولى ، وكذلك إختاره مفاوضاً عنه حين أرسله إلى الخوارج في حروراء ، وقد مرّ حديثه كذلك في الحلقة الأولى ، وسيأتي أيضاً برواية أخرى.

وقد قرأنا في الحلقة الأولى (سيرة وتاريخ) ، أنّه كان منذ صباه يتمتع بجرأة نادرة تدفعه لأن يقول كلمه ويدي برأيه أمام شيوخ المهاجرين والأنصار ، كما مرّ في أيام عمر .
وسنقرأ نماذج من إحتجاجاته التي تغلب فيها على محاوريه ، فاعترفوا له بفضيلة السبق في مضمار الحجاج ، وأنّه ما لاحى أحداً إلاّ خصمه . وسنجد الطابع العام في جُلّ تلك المحاورات يدور حول إمامة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، ولا بدع ولا غرابة فهو بحكم قرباه النسبية ، وقربته السببية من حيث التلمذة عليه ، مع إيمانه الصادق ووعيه المميز أن كان معدوداً

في طليعة المتكلمين في العقيدة ، يمتاز بقدرة فائقة من فصاحة لسان ، وحسن بيان ، وقوة حجة ، وفطنته تسد على محاوره منافذ الغلبة ، وهذا ما أعرب عنه عمر بن الخطاب بقوله : (واهاً لابن عباس ما لاحى أحداً إلا خصمه) ، وما ذلك إلا من قوة إيمانه ، وكثرة علمه ، وحفظه لأحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فيما يحتاج إليه عند الاستدلال ، وأحاديثه في هذا الباب . وقد مرّ الكلام فيها . لا يتطرق الريب في صحتها ، لبراءة من قد يُتهم بوضعها .

فإن كانوا من أبنائه أو المتزلفين إليهم من شيعة بني العباس ، فهي على خلاف مذاهبهم ومشاربهم ، بل هي حجة لخصومهم عليهم ، فلا يعقل أنّهم وضعوها لتحطيم دعاوهم في استحقاقهم الخلافة!

وأما إن كان المتهمون بوضعها هم شيعة الإمام عليّ عليه السلام ، فهي مروية في مصادر أخصامهم من بقية المذاهب الأخرى ، فكيف تسنى لهم اختراق جميع تلك المصادر وتثبيت بصماتهم فيها؟!

بل الصحيح أنّ ابن عباس رضي الله عنه كان معلناً بولائه ، ومجاهداً بلسانه قبل سنانه ، يدلي بما وعاه ورواه في كلّ مجمع يرى فيه نصرته وإمامه عليه السلام واجبة عليه ، بعد أن كانت السلطات تعمل على تغييب ذكره وأمره عن أذهان الأمة ، فجهله كثير من الناس نتيجة الضغط الحاكم ، ورواج أكاذيب مرتزقة السلطان ، فكان ابن عباس الوحيد الذي روي عنه في فضائل الإمام عليه السلام أكثر ممّا روي عن غيره من الصحابة ، لشهرته العلمية ، ومكانته الاجتماعية ، وكثرة الرواة عنه . وفي يقيني أنّ جميع ما وصل إلينا في هذا

الباب إن هو إلا غيظ من فيض ، لأته كان يقول : (إنَّ لعليَّ عليه السلام في كتاب الله أسماء لا يعرفها الناس ، قوله تعالى : (**فَأَذِّنْ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ**) فهو المؤذن بينهم يقول : ألا لعنة الله على الذين كذبوا بولايتي واستخفوا بحقي) (١) ، وكان يقول : (ما نزل في أحد من كتاب الله تعالى ما نزل في عليّ) (٢). ونحن إذا رجعنا إلى ما وصل إلينا من كتب التفسير والحديث لا نجد إلا النزر اليسير ممَّا أشار إليه ابن عباس في قوله السابق.

ولا يفوتني التنبيه على أمر هام وبشرى سارة لمن يحبَّ عليّاً عليه السلام ، وذلك إتي وقفتم على رسالة لأحد أعلام المحدثين من شيوخ العامة لم تنشر من قبل ، جمع فيها (ما نزل في عليّ عليه السلام من آيات القرآن المجيد) برواية ابن عباس رضي الله عنه ، وغيره ولعلي أنشرها إن شاء الله تعالى ضمن الحلقة الثالثة من هذه الموسوعة مع لدات أمثالها ، أسأل الله التوفيق لتحقيق الآمال ، وصالح الأعمال ، أنه الكبير المتعال.

ولنقرأ من إحتجاجه مع الأفراد مسلسلاً حسب تاريخ الصدور ، بدءاً من أيام أبي بكر ، ثم من بعده أيام عمر ، ومن بعده مع عثمان ، وعائشة ، وطلحة والزبير ، ومعاوية وعمرو بن العاص ، وزياد ، وعتبة ، ومروان ، وابن الزبير ، والأشعث بن قيس ، ومن سبَّ عليّاً عليه السلام. ثم نقرأ من إحتجاجه مع الجماعات ، وبدءاً من الخوارج أفراداً وجماعات ، ثم مع تسعة رهط مفسدون في الأرض ، ومع المجبّرة والقدرية ، وغيرهم.

(١) مجمع البيان ٤ / ٢٥٩ .

(٢) شواهد التنزيل ١ / ٣٩ .

ولا نستغفل القارئ بأنّ ما يقرأه في هذا الجزء ليس ممّا لم يكن قد قرأ بعضه فيما مضى من أجزاء الحلقة الأولى ، بل رأيت جمع ما مرّ وما حضر ، يشكّل في موضوعه وحدة متكاملة تعلّمنا آداب الحوار والجدل مع الخصم في أصول العقيدة ، وفيها إثبات الإمامة ، وهذا في جمعه نفع كبير. ولنذكر للقارئ خلاصة نهج ابن عباس رضي الله عنه في المحاجة في قوله : (عجباً لمن يطلب أمراً بالغلبة وهو يقدر عليه بالحجة ، فالحجة دين يعتمد به الطاعة ، وسلطان الغلبة يزول بزوال القدرة) (١).

(١) محاضرات الراغب ٣ / ٣٣ ط الشرفية.

مواقف إحتجاجاته في أيام أبي بكر

لقد مرّت بنا في الجزء الثاني من الحلقة الأولى مواقف مشهودة لابن عباس وإن كانت محدودة ، دلّت على قوّة شخصيته مع صغر سنه ، فقرأنا المروي عنه في مصادر الفريقين من خبر اليهودي مع أبي بكر ، وهو خبر شائق نستعيده في المقام وما يستتبعه من مماثل له ، يصلح أن يكون شاهداً على بدايات نبوغ ابن عباس ، ذلك الفتى اليافع أمام الناس داعياً واعياً.

فقد روى ابن دريد ^(١) ، والمقري الكبير ^(٢) ، والفتوني العاملي ^(٣) ، وابن شاذان ^(٤) ، والديلمي ^(٥) ، وابن بابويه ^(٦) ، والبياضى ^(٧) ، والعاصمي ^(٨) ، والمجلسي ^(٩) ، (واللفظ للأوّل) برواية أنس بن مالك ، قال :

-
- (١) المجتنى / ٣٥ ط حيدر آباد.
 (٢) نفع الطيب / ٧ / ٢١٢ ط مصر نقلاً عن محاضرات المقري الكبير.
 (٣) ضياء العاملين (نسخة مصورة) بمكتبي.
 (٤) الفضائل / ١٢٢ ط حجرية.
 (٥) ارشاد القلوب / ٢ / ١١٨ ط النجف.
 (٦) التوحيد / ٣٨٥ ط حجرية ١٣٢١ بسنده عن الإمام الحسين عليه السلام.
 (٧) الصراط المستقيم / ٢ / ١٤ ط الحيدري بايران.
 (٨) زين الفتى (مخطوط) بمكتبة المرحوم الشيخ الأمينى (قدس سره).
 (٩) بحار الأنوار / ٨ / ١٩١ ط الكمباني حجرية.

(أقبل يهودي بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى دخل المسجد ، فقال : أين وصي رسول الله؟ فأشار القوم إلى أبي بكر ، فوقف عليه ، فقال له : أريد أن أسألك عن أشياء لا يعلمها إلا نبيّ أو وصي نبيّ؟

قال أبو بكر : سل عما بدا لك .

قال اليهودي : أخبرني عمّا ليس لله ، وعمّا ليس عند الله ، وعمّا لا يعلمه الله .

فقال أبو بكر : هذه مسائل الزنادقة يا يهودي ، وهمّ أبو بكر والمسلمون رضي الله عنهم باليهودي .

فقال ابن عباس رضي الله عنهما : ما أنصفتم الرجل .

فقال أبو بكر : أما سمعت ما تكلم به؟

فقال ابن عباس : إن كان عندكم جوابه وإلاّ فاذهبوا به إلى عليّ رضي الله عنه يجيبه ، فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لعليّ بن أبي طالب : (اللهم اهد قلبه ، وثبّت لسانه) .

قال : فقام أبو بكر ومن حضره حتى أتوا عليّ بن أبي طالب فاستأذنوا عليه . فقال

أبو بكر : يا أبا الحسن إنّ هذا اليهودي سألني مسائل الزنادقة .

فقال عليّ : ما تقول يا يهودي؟

قال : أسألك عن أشياء لا يعلمها إلا نبيّ أو وصي نبيّ .

فقال له : قل . فردّ اليهودي المسائل .

فقال عليّ رضي الله عنه : أمّا ما لا يعلمه الله ، فذلك قولكم يا معشر اليهود : إنّ

العزير ابن الله ، والله لا يعلم أنّ له ولدًا . وأمّا قولك : أخبرني بما ليس عند الله ، فليس عنده

ظلم للعباد . وأمّا قولك : أخبرني بما ليس لله ، فليس له شريك .

فقال اليهودي : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنّ محمداً رسول الله ، وأنك وصي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فقال أبو بكر والمسلمون لعلّي عليه السلام : يا مفرّج الكرب .

ومّا يدل على نحو ما سبق أيضاً ، ما أخرجه الشيخ ابن بابويه الصدوق في كتابه (الخصال) (١) ، والديلمى في (الإرشاد) (٢) ، واللفظ لهما معاً ، وبإسناد الأوّل عن ابن عباس ، قال :

(قدم يهوديان أخوان من رؤساء اليهود بالمدينة ، فقالا : يا قوم إنّ نبينا حُذثنا عنه أنّه يظهر نبيّ بتهمته يسفّه أحلام اليهود ، ويطعن في دينهم ، ونحن نخاف أن يزيلنا عما كان عليه آباؤنا ، فأيتكم هذا النبيّ؟ فإن يكن الذي بشر به داود آمنّا به واتبعناه ، وإن لم يكن وكان يورد الكلام على ائتلافه ويقول الشعر ، ويقهرنا بلسانه ، جاهدناه بأنفسنا وأموالنا ، فأيتكم هذا النبيّ؟

فقال المهاجرون والأنصار : إنّ نبينا صلى الله عليه وآله وسلم قد قبض .

فقالا : الحمد لله ، فأيتكم وصيّه؟ فما بعث عزوجل نبياً إلى قوم إلاّ وله وصيّ يؤدي عنه من بعده ، ويحكي عنه ما أمره ربّه .

فأوماً المهاجرون والأنصار إلى أبي بكر ، فقالوا : هو وصيّه .

فقالا لأبي بكر : إنّنا نلقي عليك من المسائل ما يلقي على الأوصياء ،

(١) الخصال / ٥٦٠ باب الواحد إلى المائة ط الحيدرية .

(٢) ارشاد القلوب ٢ / ١١٩ ط الحيدرية ط الاولى .

ونسألك عما تسأل الأوصياء عنه.

فقال لهما أبو بكر : ألقيا ما شئتما أخبركما بجوابه إن شاء الله.

فقال أحدهما : ما أنا وأنت عند الله عزوجل؟ وما نفس في نفس ليس بينهما رحم ولا قرابة؟ وما قبر سار بصاحبه؟ ومن أين تطلع الشمس وفي أين تغرب؟ وأين طلعت الشمس ثم لم تطلع فيه بعد ذلك؟ وأين تكون الجنة؟ وأين تكون النار؟ وربك يحمل أو يُحمل؟ وأين يكون وجه ربك؟ وما اثنان شاهدان؟ وما اثنان غائبان؟ وما اثنان متباغضان؟ وما الواحد؟ وما الاثنان؟ وما الثلاثة؟ وما الأربعة؟ وما الخمسة؟ وما الستة؟ وما السبعة؟ وما الثمانية؟ وما التسعة؟ وما العشرة؟ وما الأحد عشر؟ وما الاثنا عشر؟ وما العشرون؟ وما الثلاثون؟ وما الأربعون؟ وما الخمسون؟ وما الستون؟ وما السبعون؟ وما الثمانون؟ وما التسعون؟ وما المائة؟ قال ابن عباس : فبقي أبو بكر لا يردّ جواباً ، فتخوّفنا أن يرتدّ القوم عن الإسلام ، فأتيت منزل عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، فقلت له : يا عليّ أنّ رؤساء اليهود قد قدموا المدينة وألقوا على أبي بكر مسائل فبقي أبو بكر لا يردّ جواباً.

فتبسم عليّ عليه السلام ضاحكاً ، ثم قال : هو اليوم الذي وعدني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فأقبل يمشي أمامي وما أخطأت مشيئته من مشية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً حتى قعد في الموضع الذي كان يقعد فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم التفت إلى اليهوديين ، فقال : يا يهوديان أدنوا مني وألقيا عليّ ما ألقيتماه على الشيخ.

فقالا : ومن أنت؟

فقال لهما : أنا عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب ، أخو النبيّ ، وزوج ابنته فاطمة ، وأبو الحسن والحسين ، ووصيّته في حالاته كلّها ، وصاحب كلّ منقبة وعز ، وموضع سر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

فقال له أحد اليهوديين : ما أنا وأنت عند الله؟

قال : أنا مؤمن منذ عرفت نفسي ، وأنت كافر منذ عرفت نفسك ، فما أدري ما يحدث الله فيك يا يهودي بعد ذلك.

فقال اليهودي : فما نفس في نفس ليس بينهما رحم ولا قرابة؟

قال : ذاك يونس عليه السلام في بطن الحوت.

قال : فما قبر سار بصاحبه؟

قال : يونس حين طاف به الحوت في سبعة أبحر.

قال له : فالشمس من أين تطلع؟

قال : من بين قرني الشيطان.

قال : فأين تغرب؟

قال : في عين حمئة ، وقال لي حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (لا تصل

في إقبالها ولا في إدبارها حتى تصير مقدار رمح أو رمحين).

قال : فأين طلعت الشمس ثم لم تطلع في ذلك الموضع؟

قال : في البحر حين فلقه الله تعالى لبني اسرائيل لقوم موسى عليه السلام.

قال : فربك يحمل ، أو يُحمل؟

قال : إنّ ربي عزوجل يحمل كلّ شيء بقدرته ولا يحمله شيء.

قال : فكيف قوله عزوجل : (**وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةَ**)^(١)؟

قال : يا يهودي ألم تعلم أنّ الله (**مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ**

الْثَرَى)^(٢) ، فكُلّ شيء على الثرى ، والثرى على القدرة ، والقدرة تحمل كلّ شيء.

قال : فأين تكون الجنة؟ وأين تكون النار؟

قال : أمّا الجنة ففي السماء ، وأمّا النار ففي الأرض.

قال : فأين يكون وجه ربك؟

فقال عليّ بن أبي طالب عليه السلام لي : يا بن عباس إئتني بنار وخطب ، فأتيته

بنار وخطب فأضرمهما ، ثم قال : يا يهودي أين يكون وجه هذه النار؟

قال : لا أقف لها على وجه.

قال : فإنّ ربي عزّ وجلّ عن هذا المثل ، وله المشرق والمغرب ، (**فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَثَمَّ**

وَجْهَ اللَّهِ)^(٣).

فقال له : ما اثنان شاهدان؟

قال : السماوات والأرض لا يغيبان ساعة.

قال : فما اثنان غائبان؟

(١) الحاقة / ١٧ .

(٢) طه / ٦ .

(٣) البقرة / ١١٥ .

قال : الموت والحياة لا يوقف عليهما.

قال : فما اثنان متباغضان؟

قال : الليل والنهار.

قال : فما الواحد؟

قال : الله عزوجل.

قال : فما الاثنان؟

قال : آدم وحواء.

قال : فما الثلاثة؟

قال : كذبت النصارى على الله عزوجل فقالوا : [ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ] ^(١) عيسى ابن مريم ابن

الله ، والله لم يتخذ صاحبة ولا ولداً.

قال : فما الأربعة؟

قال : التوراة والإنجيل والزيور والفرقان العظيم.

قال : فما الخمسة؟

قال : خمس صلوات مفترضات.

قال : فما الستة؟

قال : خلق الله السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش.

قال : فما السبعة؟

(١) المائة / ٧٣.

قال : سبعة أبواب النار متطابقات.

قال : فما الثمانية؟

قال : ثمانية أبواب الجنة.

قال : فما التسعة؟

قال : تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون.

قال : فما العشرة؟

قال : عشرة أيام العشر.

قال : فما الأحد عشر؟

قال : قول يوسف لأبيه : (يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ

رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ)^(١).

قال : فما الاثنا عشر؟

قال : شهور السنة.

قال : فما العشرون؟

قال : بيع يوسف بعشرين درهماً.

قال : فما الثلاثون؟

قال : ثلاثون يوماً شهر رمضان ، وصيامه فرض واجب على كل مؤمن إلا من كان

مريضاً أو على سفر.

قال : فما الأربعون؟

(١) يوسف / ٤ .

قال : كان ميقات موسى عليه السلام ثلاثون ليلة فأتمها الله عزوجل بعشرٍ ، فتمّ ميقات ربه أربعين ليلة.

قال : فما الخمسون؟

قال : دعا نوح قومه لبث ألف سنة إلاّ خمسين عاماً.

قال : فما الستون؟

قال : قول الله عزوجل في كفارة الظهار (فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكيناً إذا لم يقدر على صيام شهرين متتابعين).

قال : فما السبعون؟

قال : اختار موسى من قومه سبعين رجلاً لميقات ربّه عزوجل.

قال : فما الثمانون؟

قال : قرية بالجزيرة يقال لها : ثمانون ، منها قعد نوح عليه السلام في السفينة واستوت على الجودي ، وأغرق الله القوم.

قال : فما التسعون؟

قال : الفلك المشحون ، اتخذ نوح عليه السلام تسعين بيتاً للبهائم.

قال : فما المائة؟

قال : كان أجل داود عليه السلام ستين سنة فوهب له آدم عليه السلام أربعين عاماً سنة من عمره ، فلما حضرت آدم عليه السلام الوفاة جحد ، فجحد ذريته.

فقال له : يا شاب صف لي محمداً كأيّ أنظر إليه ، حتى أومن به الساعة.

فبكى أمير المؤمنين عليه السلام ثم قال : يا يهودي هيّجت أحزاني ، كان حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلت الجبين ، مقرون الحاجبين ، أدعج العينين ، سهل الخدين ، أقنى الأنف ، دقيق المسربة ، كث اللحية ، براق الثنايا ، كأنّ عنقه أربيق فضة ، كان له شعيرات من لبّته إلى سرّته ملفوفة كأنّها قضيب كافور ، لم يكن في بدنه شعيرات غيرها ، لم يكن بالطويل الذاهب ولا بالقصير النزر ، كان إذا مشى مع الناس غمرهم بنوره ، وكان إذا مشى كأنّه يتقلع من صخر أو ينحدر من صيب ، كان مدور الكعبين ، لطيف القدمين ، دقيق الخصر ، عمامته السحاب ، وسيفه ذو الفقار ، وبغلته دلدل ، وحماره اليعفور ، وناقته العضباء ، وفرسه لزاز ، وقضيبه الممشوق ، وكان عليه السلام أشفق الناس على الناس ، وأرأف الناس بالناس ، كان بين كتفيه خاتم النبوة ، مكتوب على الخاتم سطران ، أمّا أول سطر : فلا إله إلاّ الله ، وأمّا الثاني : فمحمد رسول الله. هذه صفته يا يهودي. فقال اليهوديان : نشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله ، وأنك وصي محمد حقاً.

فأسلما وحسن إسلامهما ولزما أمير المؤمنين عليه السلام ، فكانا معه حتى كان من أمر الجمل ما كان فخرجا معه إلى البصرة ، فقتل أحدهما في وقعة الجمل وبقي الآخر حتى خرج معه إلى صفين فقتل بصفين ... أه).

مقام رجلين من علماء اليهود بين يدي أبي بكر

ذكر ذلك الغزالي في كتابه (مقام العلماء بين يدي الخلفاء والأمرء) ، قال :
(روى علي بن إسحاق ، عن محمد بن مروان ، عن ابن الكلبي ، عن عكرمة ، عن
ابن عباس ، قال :

قدم يهوديان المدينة بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام بشهرين ، فسألا عن الخليفة
بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فدلا على أبي بكر رضي الله عنه . فأتياه فقالا :
إنّا وجدنا صفة محمد صلى الله عليه وآله وسلم في التوراة ، فجئنا لنسلم على يده .

فقال أبو بكر رضي الله عنه : قد مات منذ شهرين ، فما حاجتكما؟

فقالا : نريد أن نسألك عن أشياء ثلاثة ، فإن أخبرتنا بما آمنا وصدقنا .

فقال أبو بكر رضي الله عنه : سلا عما شئتما .

قالا : أخبرنا ما الذي فرّق بين الحبّ والبغض ومعدنهما في القلب واحد؟ وما الذي

فرّق بين الحفظ والنسيان ومعدنهما في القلب واحد؟ وما الذي فرّق بين الأحلام الصادقة
والأحلام الكاذبة؟

قال : فاطرق أبو بكر ساعة عاضاً على إبهامه ، ثم قال : الله ورسوله أعلم إئتيا عمر

بن الخطاب فإنه سيخبركما إن شاء الله تعالى .

فأتيا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فسألاه ، قال : الله ورسوله أعلم ، إئتيا علي بن

أبي طالب فاسألاه فإنه سيخبركما إن شاء الله .

قالا : أين هو؟

قال : هو في سفح الجبل يثير أرضاً له .
فأتياه ثم سألاه .

فقال : أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : (أخبرني جبريل عليه السلام أنّ الله تعالى خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام ، فما تعارف منها أئتلف وما تناكر منها اختلف ، الحبّ والبغض من هاهنا نشأ .

قالا : صدقت والذي أنزل التوراة على موسى بن عمران .

قال عليّ رضي الله عنه : وأمّا الحفظ والنسيان ، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخبرني عن جبريل عليه السلام ، أنّ الله تعالى ، لما خلق آدم عليه السلام ، جعل له قلباً ، وجعل لقلبه غاشية تفتح وتنطبق ، فما مرّ بالقلب والغاشية منطبقاً ، فذلك الذي لا يعيه ابن آدم ، ولا يحفظه .

قالا : صدقت والذي أنزل التوراة على موسى بن عمران .

قال عليّ رضي الله عنه ، وأمّا الذي بين الأحلام الصادقة والكاذبة ، أخبرني رسول الله ، صل الله عليه وسلم ، أنّ جبريل عليه السلام ، أخبره أنّ ابن آدم إذا نام عرج بروحه إلى السماء ، فيرى هناك ما يرى وهو الحق ، فإذا ردت تلقتها الشياطين فلبّست عليها ، فما كان منها الصادقة فهي من السماء ، وما كان من الأرض فهي الكاذبة من الشياطين .

قالا : صدقت والذي أنزل التوراة على موسى بن عمران ، ونحن نشهد أن لا إله إلاّ

الله وأنّ محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

فقال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام : الحمد لله الذي هداكما والله ولي التوفيق (١) .

(١) مقام العلماء بين يدي الخلفاء والأمراء / ١٨٩ - ١٩١ ، بتحقيق محمد جاسم الحديشي .

ابن عباس مع عمر بن الخطاب في أيام خلافته

قال ابن عباس : (عجباً لمن يطلب أمراً بالغلبة وهو يقدر عليه بالحجة ، فالحجة دين يعتقد به الطاعة ، وسلطان الغلبة يزول بزوال القدرة)^(١).

هكذا كانت فلسفة ابن عباس في مبدئه الحوارية مع الآخرين من الحكام وغيرهم ، وهي فلسفة صحيحة لمن ملك مقوماتها وأحسن استعمالها ، ولقد قرأنا في سيرة ابن عباس وتاريخه في عهد عمر معاشرتهما ، كما في الحلقة الأولى في الجزء الثاني قرأنا بعض المؤشرات على قوّة نشاط ابن عباس في ذلك العهد ، فقلت في مقدمة ذلك :

(لا بد لنا من مقدمة نستوحي منها بعض المؤشرات على قوّة نشاط الخبر في ذلك العهد. وتتعرف من خلالها أسباب ذلك التمازج العملي . إن صح التعبير . مع شدّة التنافر الفكري بين الشخصين ، خصوصاً في أمر الخلافة التي هي بداية الخلاف في الأمة ، والتي كان ابن عباس يقول فيها بالنص ، وكان عمر يقول فيها بالإختيار. فهما على طرفي نقيض في تلك النقطة المهمة ، ومن ذلك نعرف مدى التباعد بين الرؤى في العقيدة عند الرجلين مع شدّة التقارب بين الشخصين في الحضر والسفر ، بينما يرى

(١) محاضرات الراغب ١ / ٣٣ ط الشارقة.

عمر ما رآه أبو بكر ، ورأيهما رأي المخالفين التابعين لهما والقائلين بالإختيار) ، ويرى ابن عباس ما يراه عليّ عليه السلام من الحق له في الخلافة.

وهذا هو الرأي النظري الذي نجده ماثلاً في الكتب الكلامية لأصحابهم ، لكن الرأي غير العمل ، فقد تبدّل منذ عهد معاوية الذي جعل الخلافة ملكاً عضوضاً ، كما سيأتي إلى ما يشير إلى هذا.

أقول : بينما يرى ابن عباس ما يراه أهل البيت جميعاً من قبل ومن بعد ، وهم القائلون بالنص ، وتبعهم على ذلك من شايعهم يومئذ وحتى الساعة.

وقد بحثت العوامل التي أدت إلى التناغم وتبادل الثقة بين ابن عباس وبين عمر حتى صارت صداقة ، ممّا أثارت حسد بعض شيوخ الصحابة على ذلك التقريب ، مع أنّ كلاً منهما لا يزال على رأيه وعند موقفه في مسألة الخلافة ، لأنّ إختلاف الرأي لا يفسد في الودّ قضية؟ كما يقول أحمد شوقي.

وقد بحثت ثلاث مسائل ذات أهمية بالغة وأجبت عنها تعرّفنا من خلالها الجواب على تلك المسائل ، فسأعيد في المقام تلخيصاً لها. فأقول :

إنّ المسألة الأولى : كانت حول تفضيل ابن عباس لإمرة أبي بكر على إمرة عمر ، فقال لمن سأله عنهما ، فضّل إمرة المطيبي . وهو أبو بكر . على إمرة الأحلافي . وهو عمر . ، وبالمقارنة بين العهدين ، وجدناه في عهد أبي

بكر فرداً كسائر بني هاشم منضوياً تحت لواء أبيه العباس كسائر أخوته وجميع بني هاشم يضمهم جميعاً كنف الإمام عليّ أمير المؤمنين عليه السلام الرحب ، فكانوا جميعاً تبعاً له ، فعن رأيه يصدرن وبأمره يعملون ، وهم جميعاً يمثلون الجبهة المعارضة للحكم يومئذ ، فيرون الحق لعليّ عليه السلام دون غيره ، ومرت أقوالهم شعراً ونثراً في ذلك .

بينما كان ابن عباس في عهد عمر له حضور منظور ، فهو في مجلس شورى عمر مفتياً ومشيراً وناصحاً ، وصاحباً في الحضر والسفر ، فكان يجرأ على المخاصمة ويقوى على المحاججة ، ويحتمل عمر منه ما لم يحتمله من غيره .

فكان مختصر الجواب عن هذه المسألة : أنّ مسألة التحالف التي كانت قبل الإسلام حسب الأعراف القبلية ، فبقيت آثارها تثيرها الخصومات كلّ ما دعت الحاجة إليها . وقد ذكرت شاهداً على ذلك في قصة تنازع أسامة بن زيد مع عمرو بن عثمان ، وانتصار الإمام الحسن عليه السلام وعبد الله بن جعفر لأسامة ، حين رأيا نصره مروان وسعيد بن العاص وعمرو ابن عثمان ، وحسم معاوية ذلك النزاع لصالح أسامة خشية من بني هاشم أن يتفاقم الخطب ، ولم يكن في رأبي في ذلك سبباً تاماً بقدر ما هو كجواب إقناعي ، ورأيت أنّ قصر المدّة بين الحكمين كان عاملاً من عوامل تفضيل إمرة المطيبي وهو أبو بكر ، لأنّها لقصر مدتها لم تقع فيها كثير مفارقات وتناقضات في الأحكام ، كما هي الحال في إمرة الأحلاف

وهو عمر بن الخطاب ، (فمني فيها . الناس بخرط وشماس وتلون واعتراض) كما قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، فكان عمر يغيّر ويبدّل بما جرى على لسانه ، حتى حفظ عبيدة السلماني ، وهو غير متهم عليه بمائة أفضية في الجد ، كلّها ينقض بعضها بعضاً^(١) ، ومع ذلك يعترف عمر ويقول : (قضيت في قضية الجد قضايا مختلفة كلّها لا آلو فيه عن الحق؟ ولئن عشت إن شاء الله إلى الصيف لأقضين فيها قضية تقضي به المرأة وهي على ذيلها) . فكان ابن عباس يرى في قلة المفارقات في إمرة المطيبي مع كثرتها في إمرة الأحلاف سبباً في تفضيل الأوّل على الثاني .

أما المسألة الثانية : في معرفة الدواعي التي توفرت لدى كلّ من ابن عباس وعمر ، حتى بدأ التآلف يزداد يوماً بعد يوم ، مع الفارق الكبير الكثير بينهما في السن ، فإنّ عمر تولى الحكم وعمره يزيد على الأربعين ببضع سنين ، بينما كانت سنّ ابن عباس يومئذ لم تبلغ العشرين ، مضافاً إلى الشعور بين التفاضل بين البيتين ، فهو من بني هاشم صفوة الخلائق ، وعمر من بني عديّ ، كما أنّ الخلاف بينهما في مسألة إستحقاق الخلافة يوسع شقة التباعد عادة . لكن قراءة عابرة لما مرّ في الجزء الثاني في الحلقة الأولى (في عهد

(١) قال عبيدة السلماني : لقد حفظت من عمر بن الخطاب فيها . مسألة الجد . مائة أفضية مختلفة . المصنف لعبد الرزاق ١٠ / ٢٦٢ ، فقال لابن سيرين متعجباً : عن عمر؟ قال : عن عمر . أخرجه الدارمي في سننه / ٣٨٩ ، البهقي في السنن الكبرى ٦ / ٢٤٢ ، حتى قال السيوطي في الأشباه والنظائر / ١٠١ : وعلته أنه ليس الاجتهاد الثاني بأقوى من الأوّل ، فإنه يؤدي إلى أنه لا يشقى حكم ، وفي ذلك مشقة شديدة ، فإنه إذا نقض هذا الحكم نقض ذلك النقض وهلمّ جزاً .

عمر) رأينا تبادل المصالح تجمع بين المتضادين ، ما دام على إتفاق في بلوغ الهدف المنشود لهما وهو خدمة الإسلام ، مع أنّ لكلّ وجهة هو موليتها ، مع تفصيل مرّت شواهدة ، تستدعي الإتفاق ، فراجع. فكانت حاجة عمر إلى ابن عباس لكفاءته العلمية ، حتى اعترف له بذلك ، فيقول له إذا أعضله أمر : (غص يا غواص) ، وقد أخذ ذلك الجاحظ فقال في رسالته نفي التشبيه : (ولو لم يعرف . عمر . ذلك . نفي التشبيه . إلاّ بعبد الله بن العباس وحده كان ذلك كافياً وبرهاناً شافياً ، فإنّ الأعجوبة فيه أربت على كلّ عجب ، وقطعت كلّ سبب ، وقد رأيتم حاجة عمر إليه ، واستشارته إياه ، وتقويمه لعثمان وتغييره عليه ...)^(١).

ولا يبعد أن يكون ابن عباس رأى في تقريب عمر له وأخذ الحكم منه وسيلة تنفيس عن هموم شملت بني هاشم على العموم ، حين رأوه ومن قبله غاصبين لحقوقهم ، بدءاً من الخلافة وإنهاءً بسهم ذوي القرى وما بينهما من الحقوق المغتصبة ، فكان يسمعه أحياناً ما يغضبه في هذا الشأن كما ستأتي في صفحات إحتجاجة ما يثير العجب ، وكيف قال ابن عباس لعمر : (فأردد إليه ظلامته) ولم يردّ عليه عمر إلاّ بمعاذير غير مقنعة ، فدحضها ابن عباس ، كما سنقرأ ذلك.

وأما المسألة الثالثة : في معرفة موقف بني هاشم وعلى رأسهم الإمام عليّ عليه السلام من تقريب عمر لابن عباس ، وقبول الثاني بذلك التقريب ، وحضوره عند عمر يعني حضور بني هاشم على أضعف تقدير ، وهو مظهر ينتفع به عمر

(١) رسالة الجاحظ ١ / ٣٠٠ تحقيق هارون.

أكثر مما ينتفع به بنو هاشم عند الناس ، وكم قرأنا شواهد على أنّ الإمام عليّ عليه السلام كان يرى مصلحة الإسلام فوق كلّ شيء وكذلك كان بنو هاشم ، وسيدهم يقول : (سلامة الدين أحبّ إلينا).

فكان وجود ابن عباس عند عمر في غالب أوقاته تسديداً لبعض ما ينقصه من علم في غفلاته ، وقرأنا فيما مرّ في الجزء الثاني من الحلقة الأولى عشرة شواهد على قوّة إتصال وثيق وحضور فاعل على الصعيدين العلمي والسياسي ، بحيث كان غيابه يؤثر على المؤسسة الحاكمة ، فلتراجع وتقرأ بإمعان ، لنعرف أنّ تبادل مصالح عامّة ومصالح خاصة هي التي قربت بين الرجلين ، فحصل بعض التناغم وإن لم يحصل تمام التفاهم ، وكان كلّ منهما مغبوطاً على صحبة الآخر ، صحبة الصديق للصديق.

فإلى قراءة نماذج من محاورات احتجاجية جرت بينهما من دون تعليق.

نماذج من احتجاجاته على عمر بن الخطاب

١ . (لقد كان من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أمره ذرواً من قول) .

أخرج أحمد بن أبي طاهر صاحب (تاريخ بغداد) في كتابه مسنداً عن ابن عباس ، قال : (دخلت على عمر في أوّل خلافته وقد ألقى له صاع من تمر على خصفة ^(١) ، فدعاني إلى الأكل ، فأكلت ثمرة واحدة ، وأقبل يأكل حتى أتى عليه ، ثم شرب من جرّ كان عنده ، واستلقى على مرفقة له ،

(١) الخصفة : الجلة تعمل من الخوص يوضع فيها التمر.

وظفق يحمد الله ، يكرر ذلك.

ثم قال : من أين جئت يا عبد الله؟ قلت : من المسجد.

قال : كيف خلفت ابن عمك؟ فظننته يعني عبد الله بن جعفر ، قلت : خلفته يلعب

مع أترابه.

قال : لم أعن ذلك ، إنما عنيت عظيمكم أهل البيت؟

قلت : خلفته يمتح بالغرب ^(١) على نحيلات من فلان وهو يقرأ القرآن.

قال : يا عبد الله عليك دماء البُدن إن كتمتنيها ، هل بقي في نفسه شيء من أمر

الخلافة؟

قلت : نعم.

قال : أيزعم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نصّ عليه؟

قلت : نعم ، وأزيدك سألت أبي عما يدّعيه؟ فقال : صدق.

فقال عمر : لقد كان من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أمره ذرواً من قول ،

لا يثبت حجة ، ولا يقطع عذراً ، ولقد كان يربع في أمره وقتاً ما ، ولقد أراد في مرضه أن

يصرّح باسمه ^(٢) فمنعت من ذلك إشفافاً وحيطة على الإسلام ، لا وربّ هذه البنية لا تجتمع

عليه قريش أبداً ، ولو وليها لانتفضت عليه العرب من أقطارها ، فعلم رسول الله صلى الله

عليه وآله وسلم أيّ علمت ما في نفسه فأمسك ، وأبى الله إلا إمضاء ما حتم ^(٣).

(١) يمتح بالغرب : أي بالدلو.

(٢) إشارة إلى حديث الكتف والدواة وقد مرّ مفصلاً.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣ / ٩٧ ط مصر الأولى ، كشف اليقين للعلامة الحلي / ٩٤ ط حجرية

٤٦٢ ط محققة ، كشف الغمة ٢ / ٤٦ ، بحار الأنوار ٣٨ / ١٥٦.

٢ . (أنت والله أحق أن تتبع) .

روى الزبير بن بكار في (الموفقيات)^(١) عن عبد الله بن عباس ، قال : (خرجت أريد عمر بن الخطاب ، فلقيته راكباً حماراً قد أرتسنه^(٢) بجبل أسود ، في رجليه نعلان مخصوفتان ، وعليه أزار وقميص صغير ، وقد أنكشفت منه رجلاه إلى ركبتيه ، فمشيت إلى جانبه وجعلت أجذب الأزار وأسوي عليه ، كلما سترت جانباً انكشف جانب ، فيضحك ويقول : إنّه لا يطيعك ، حتى جئنا العالية^(٣) فصلينا ، ثم قدم بعض القوم إلينا طعاماً من خبز ولحم ، وإذا عمر صائم ، فجعل ينبذ إليّ طيب اللحم ويقول : كل لي ولك ، ثم دخلنا حائطاً فألقي إليّ رداءه وقال أكفنيه ، وألقى قميصه بين يديه وجلس يغسله وأنا أغسل رداءه ، ثم جففناهما وصلينا العصر ، فركب ومشيت إلى جانبه ولا ثالث لنا ، فقلت : يا أمير المؤمنين إني في خطبة فأشر عليّ .

قال : ومن خطبت؟

قلت : فلانة ابنة فلان .

قال : النسب كما تحبّ وكما قد علمت ، ولكن في أخلاق أهلها دقة

(١) لم يذكر في المطبوع فعلا من الموفقيات وقد استدركت على المحقق لها عدة نصوص ضائعة فاتته الإشارة إليها ،

كان منها هذا مع ان المتقي الهندي في كنز العمال أخرجها عن الموفقيات .

(٢) أرتسنه : جعل له رسنا ، وهو ما يوضع في رأس الدابة .

(٣) ناحية من نواحي المدينة وتسمى اليوم بالعوالي .

لا تعدمك أن تجدها في ولدك.

قلت : فلا حاجة لي إذن فيها.

قال : فلم لا تخطب إلى ابن عمك؟ . يعني علياً ..

قلت : ألم تسبقني إليه؟

قال : فالأخرى.

قلت : هي لابن أخيه.

قال : يا ابن عباس إن صاحبكم إذا ولي هذا الأمر زهد ، ولكن أخشى عجبه بنفسه

أن يذهب به فليتني أراكم بعدي.

قلت : يا أمير المؤمنين إن صاحبنا من قد علمت والله ، ما تقول ، إنه ما غير ولا

بدل ولا أسخط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أيام صحبته له.

قال : فقطع عليّ الكلام ، فقال : ولا في ابنة أبي جهل لما أراد أن يخطبها على

فاطمة؟

قلت : قال الله تعالى في معصية آدم عليه السلام : **(وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً)** ^(١) ، وصاحبنا

لم يعزم على سخط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولكن الخواطر التي لا يقدر أحد

على دفعها عن نفسه ، وربما كانت من الفقيه في دين الله ، العالم العامل بأمر الله.

فقال : يا ابن عباس من ظنّ أنه يرد بحوركم فيغوص فيها معكم حتى

(١) طه / ١١٥ .

يبلغ قعرها فقد ظنَّ عجزاً ، استغفر الله لي ولك ، خذ في غيرها .
ثم أنشأ يسألني عن شيء من أمور الفتيا وأجيبه ، فيقول : أصبت أصاب الله بك ،
أنت والله أحق أن تتبّع (١) .

٣ . (أمسك عليّ وأكتم) .

عن نبيط بن شريط (٢) ، قال : (خرجت مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام ومعنا
عبد الله بن عباس رضي الله عنه ، فلما صرنا إلى بعض حيطان الأنصار فوجدنا عمر بن
الخطاب جالساً ينكت في الأرض ، فقال له عليّ بن أبي طالب : يا أمير المؤمنين ما الذي
أجلسك وحدك ههنا؟

قال : لأمر همني .

فقال عليّ : أفتريد أحدنا . يعني نفسه وابن عباس ؟ .

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣ / ١٠٦ ط مصر الأولى ، تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٤ حوادث سن / ٢٣ ،
كنز العمال ٧ / ٥٣ منتخب كنز العمال بمامش مسند أحمد ٥ / ٢٢٩ ، المراجعات لشرف الدين / ٢٧٧ .
(٢) نبيط بن شريط الأشجعي من قيس عيلان قاله ابن سعد في الطبقات الكبير ٨ / ١٥٢ تح الدكتور علي
أحمد عمر نشر الخانجي بمصر ١٤٢١ هـ وقال : وهو أبو سلمة بن نبيط روى عن ليبيد فذكر عنه قال : حججت
مع أبي وعمتي فقال لي أبي : أترى ذلك صاحب الجمل الأحمر الذي يخطب ، ذاك رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم يخطب عند الجمرة . وذكر بعض الخطبة . ثم ذكر ابن سعد عن سلمة بن نبيط قال : قلت لأبي وكان قد
شهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورواه وسمع منه ، يا أبة لو غشيت هذا السلطان فأصبت منهم وأصاب
قومك في جناحك . قال : أي بني إني أخاف ان اجلس منهم مجلساً يدخلني النار .

قال عمر : إن كان عبد الله . فتخلف معه عبد الله بن عباس ، ومضيت مع عليّ عليه السلام ، وأبطأ علينا ابن عباس ثم لحق بنا ، فقال له عليّ : ما وراءك؟
قال : يا أبا الحسن أعجوبة من عجائب أمير المؤمنين ، أخبرك بها وأكتم عليّ .
قال : فهلم .
قال : لما أن وليت عنه وهو ينظر إليك وإلى أترك ، قال : آه آه آه .
فقلت : مم تتأوه يا أمير المؤمنين؟
فقال : من أجل صاحبك يا ابن عباس وقد أعطي ما لم يعط أحدٌ من آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولولا ثلاث هنّ فيه ما كان لهذا الأمر . يعني الخلافة . من أحد سواه .

قلت : ماهنّ يا أمير المؤمنين؟
قال : كثرة دعابته ، وبغض قريش له ، وصغر سنّه .
قال عليّ صلى الله عليه وآله وسلم : فما رددت عليه؟
قال ابن عباس رضي الله عنه : تداخلني ما يداخل ابن العم لابن عمه ، فقلت له : يا أمير المؤمنين أمّا كثرة دعابته فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يداعب ولا يقول إلّا حقاً ، وأين أنت حيث كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ونحن صبيان وكهول وشيوخ وشبان يقول للصبي : (سناً سناً)^(١) ولكلّ ما يعلمه الله يشتمل على قلبه . وأمّا بغض قريش له ،

(١) ما سنا سنا : في نظم درر السمطين / ١٣٣ : ويقول الصبي ما يعلم أنه يستميل به قلبه (أو يسول على قلبه) .

فو الله ما يبالي بغيضهم له بعد أن جاهدتم في الله حتى أظهر الله دينه ، فقصم أقرانها ، وكسر آهتها ، وأثكل نساءها في الله لأمه من لأمه . وأما صغر سنّه ، فقد علمت أنّ الله تعالى حيث أنزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (**بِرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ**)^(١) ، فوجّه النبيّ صاحبك ليبلغّ عنه ، فأمره الله أن لا يبلغ عنه إلاّ رجل من أهله ، فوجهه في أثره وأمره أن يؤذن ببراءة ، فهل لا استصغر الله سنّه!؟

قال : فقال عمر لابن عباس : أمسك عليّ وأكتم فإن سمعتها من غيرك لم أتم بين لابتيتها)^(٢).

٤ . (إنّ عليّاً لأحقّ الناس) .

روي أحمد بن أبي واضح اليعقوبي الكاتب في تاريخه ، قال : روى ابن عباس رضي الله عنه : (قال طريقي عمر بن الخطاب بعد هداة من الليل ، فقال : أخرج بنا نحرس نواحي المدينة ، فخرج وعلى عنقه درّته^(٣) حافياً حتى أتى بقيع الغرقد^(٤) فاستلقى على ظهره ، وجعل يضرب أخص قدميه بدرّته

(١) التوبة / ١ .

(٢) نظم درر السمطين للزرندي الحنفي / ١٣٣ ، فرائد السمطين ١ / ٣٣٤ ط بيروت للحافظ الحمويّ تح المحمودي حديث ٢٦٧ / ١٧٣ ونسخة منه مخطوطة بمكتبة آية الله السيد اليزدي في مدرسته الكبيرة في النجف الأشرف .

(٣) الدرّة : بالكسر السوط أو العصا التي يُضرب بها .

(٤) بقيع الغرقد : مقبرة أهل المدينة .

وتأوّه صعدهاء^(١).

فقلت له : يا أمير المؤمنين ما أخرجك إلى هذا إلا أمر؟

فقال : أمر الله يا بن عباس.

قال : قلت : إن شئت أخبرتك بما في نفسك؟

فقال : غص يا غواص ، إن كنت لتقول فتحسن.

قال : قلت : ذكرت هذا الأمر بعينه وإلى من تصيّرته؟

قال : صدقت.

قال : فقلت له : أين أنت عن عبد الرحمن بن عوف؟

فقال : ذلك رجل ممسك ، وهذا الأمر لا يصلح إلا للمعطي في غير سرف ، ومانع في

غير إقتار.

قال : قلت : فسعد بن أبي وقاص؟

قال : مؤمن ضعيف.

قال : فقلت : طلحة بن عبيد الله؟

قال : ذاك رجل يناول للشرف والمديح ، يعطي ماله حتى يصل إلى مال غيره ، وفيه

بأو^(٢) وكبر.

قال : فقلت : فالزبير بن العوام ، فهو فارس الإسلام؟

(١) الصعداء : المشقة وتنفس طويل.

(٢) البأؤ : الفخر والكبر ، من بأى عليهم بأواص فخر وتكبر.

قال : ذاك يوماً إنساناً ويوماً شيطاناً ، وعقبة لقس (١) إن كان ليكادح على المكيلة من بكرة إلى الظهر حتى تفوته الصلاة.

قال : فقلت : عثمان بن عفان؟ قال : إن ولي حمل بني أبي معيط وبني أمية على رقاب الناس ، وأعطاهم مال الله ، ولئن ولي ليفعلن ، والله لئن فعل لتسيرن العرب إليه حتى تقتله في بيته.

ثم سكت. قال : فقال : أمضها يا بن عباس أترى صاحبكم لها موضعاً؟

قال : فقلت : وأين يبتعد من ذلك مع فضله وسابقته وقرابته وعلمه.

قال : هو والله كما ذكرت ، ولو وليهم لحملهم على منهج الطريق ، فأخذ المحجة الواضحة ، إلا أن فيه خصالاً : الدعابة في المجلس ، وإستبداد الرأي ، والتبكيك للناس مع حداثة السن.

قال قلت : يا أمير المؤمنين هلاً استحدثتم سنّه يوم الخندق ، إذ خرج عمرو بن عبد ود وقد كعم (٢) عنه الأبطال ، وتأخرت عنه الأشياخ ، ويوم بدر إذ كان يقط الأقران قطعاً (٣) ، وهلا سبقتموه بالإسلام (إذ كان جعلته السعب وقريش يستوفيكم) (٤).

فقال : إليك يا بن عباس ، أتريد أن تفعل بي كما فعل أبوك وعلىّ بأبي

(١) الوعقة : الشراسة ، وشدة الخلق يقال به وعقة ، فهو وعقةٌ واللقيس : الشره النفس الحريص على كل شرح.

(٢) كعم عنه : من كعم الخوف فلاناً فلا يرجع.

(٣) قطه قطعاً : القطع عامة أو عرضاً.

(٤) كذا في النسخة.

بكر يوم دخلا عليه (١).

قال : فكرهت أن أغضبه فسكت.

فقال : والله يا ابن عباس إن علياً ابن عمك لأحق الناس بها ، ولكن قريشاً لا تحتمله ، ولئن وليهم ليأخذهم بمّر الحق ، لا يجدون عنده رخصة ، ولئن فعل لتنكثن بيعته ، ثم ليحاربن (٢).

٥ . (فأردد إليه ظلامته) .

روى الزبير بن بكار في كتاب (الموفقيات) وغيره ، عن عبد الله بن عباس ، قال : (إيّ لأماشني عمر بن الخطاب في سكة من سكة المدينة ،

(١) يشير إلى يوم دخلا على أبي بكر يطالبانه بما لهما من حق ، كسهم ذوي القربى وميراث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وحديثهما رواه البخاري ومسلم في صحيحهما وغيرهما ، حيث كان الإمام عليه السلام يطالب بميراث زوجته فاطمة عليها السلام والعباس كذلك بما له من حق في سهم ذوي القربى ، وبالإرث على القول بالتعصيب إلزاماً لأبي بكر بما ألزم به نفسه ، وإلا فأهل البيت لا يقولون به ، وقتيا ابن عباس في ذلك معروفة ، وقد مرت الإشارة إليها مكرراً . وكانا . علي والعباس . يريان أبا بكر كان آثماً غادراً خائناً كما في صحيح مسلم ، ورأيا ذلك في عمر أيضاً ، وإلى القارئ الرواية بعين لفظه : فقد أخرج في ٥ / ١٥١ . ١٥٢ كتاب الجهاد والسير باب الفيء بسنده إلى مالك بن أوس ، وساق الحديث إلى قول عمر لعلي والعباس : فرأيتهما كاذباً آثماً غادراً خائناً ... وفيه قال عمر : فرأيتهما كاذباً آثماً غادراً خائناً ، وقد ذكر البخاري هذا الخبر وحذف منه هذه الكلمات ، ولشرح الصحيحين حول هذا الخبر تشريق وتغريب فمن أراد الاطلاع على بعض ما عندهم فليراجع كتابي (المحسن السبط مولود أم سقط / ٢٦٧ . ٢٦٩) .

(٢) تاريخ يعقوبي ٢ / ١٣٥ ط النجف ، وفي شرح النهج للمعتزلي ١٢ / ٥١ . ٥٢ صورة أخرى عن هذه المحاوره ، فليراجع .

إذ قال لي : يا ابن عباس ما أرى صاحبك إلاّ مظلوماً.
فقلت في نفسي : والله لا يسبقني بها ، فقلت : يا أمير المؤمنين فأردد إليه ظلامته.
فانتزع يده من يدي ، ومضى وهو يهمهم ساعة ، ثم وقف فلحقته.
فقال : يا ابن عباس ما أظن القوم منعهم عنه إلاّ أنّه استصغره قومه.
فقلت في نفسي : هذه والله شر من الأولى ، فقلت : والله ما استصغره الله ورسوله
حين أمره أن يأخذ سورة براءة من صاحبك أبي بكر.
قال : فأعرض عني وأسرع ، فرجعت عنه (١).

٦ . (أول من راثكم عن هذا الأمر . أبو بكر).

قال عمرو بن عبد الله الليثي : (قال عمر بن الخطاب ليلة في مسيره إلى الجابية (٢) :
أين عبد الله بن عباس؟ فأتي به . فشكا إليه تخلف عليّ بن أبي طالب عليه السلام عنه.
قال ابن عباس : فقلت له : أو لم يعتذر إليك؟
قال : بلى .

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢ / ١٨ و ٣ / ١٠٥ ط مصر الأولى ، كشف اليقين للعلامة الحلبي /
٤٦١ والمحققة / ٤٠ و ٩٢ ، كشف الغمة للأردبيلي ٢ / ٤٥ ، السقيفة للجوهري / ٧٠ .
وهذا الخبر ما لم يوجد في النسخة المطبوعة من الموقفيات بتوثيق الدكتور سامي مكّي العاني ط الأوقاف ببغداد
وقد أشرت في ص ٥٧ إلى ما أستدركته عليه ممّا فاتته الإشارة إليه .
(٢) الجابية : بكسر الباء وياء خفيفة قرية من أعمال دمشق .

قلت : فهو ما اعتذر به .

قال : ثم أنشأ يحدثني ، فقال : إنّ أوّل من راثكم ^(١) عن هذا . الأمر . أبو بكر ، إنّ قومكم كرهوا أن يجمعوا لكم الخلافة والنبوة ...

. قال أبو الفرج الاصفهاني : (ثم ذكر قصة طويلة ليست من هذا الباب ، فكرهت

ذكرها) ^(٢) ..

ثم قال : يا ابن عباس هل تروي لشاعر الشعراء؟

قلت : ومن هو؟

قال : ويحك ، شاعر الشعراء الذي يقول :

فلو أنّ حمداً يخلد الناس خلدوا ولكن حمد الناس ليس بمخلد

قلت : ذاك زهير .

فقال : ذاك شاعر الشعراء .

قلت : وبم كان شاعر الشعراء؟

قال : إنّّه كان لا يعاقل ^(٣) الكلام ، ويتجنب وحشيّه ، ولا يمدح أحداً

(١) راثكم : من الريث وهو الإبطاء كالريث للقاموس (ريث) .

(٢) أقول : لماذا كره أبو الفرج الأموي الهوى والنسب أن يذكر القصة الطويلة وهو الذي حشا كتابه بكل غث وسمين؟! وأيم الله ما ضاقت صفحات كتابه عنها ، ولكن ضاق صدره أن يثبتها لما فيها من بليغ الجواب ، وناجح الخطاب ومّرّ العتاب ، فالى الله المرجع والمآب ، وسيجد الذين يكتمون العلم شر الحساب ، ومن ورائهم أشد العذاب .

(٣) يعاقل : من العضال في القوافي ، بمعنى التضمين ، يقال : فلان لا يعاقل بين القوافي (الصحاح عطل) .

إلا بما فيه (١).

٧. (إي بابٍ وعليّ مفتاحه).

عن ابن عباس رضي الله عنه قال : (سمّرت عند عمر ذات ليلة ، فجعل لا يسألني عن شيء إلا أخبرته ، فأعجب بذلك ، ثم قال : لو قلت إنك سيد بني هاشم لصدقت .

قال ابن عباس : فقلت له كلا ، فأين أنت عن سيدي وسيديك ، وسيدي شباب

أهل الجنة من الأولين والآخرين؟!

فقال : ومن هذان ويحك؟

قلت : الحسن والحسين ابنا فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

قال عمر : فأبوهما؟

قلت : هيهات ، ذلك بحيث لا تحس به الظنون كرمًا ، ولا تدركه الصفات فضلاً ،

أبانه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أهل بيته بفضله كما أبان أهل الفضل بفضلهم من غيرهم .

فقال عمر : أبيت إلا وجدًا به كوجد النصارى ، قالت في عيسى فكذبت .

قال ابن عباس : فإنّا نقول في صاحبنا ولسنا مبطلين ولا كذابين ، وما عسى أن نبلغ

بقولنا ما قاله محمد نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم ، والله لعن قلت ذلك : لقد سمعت

(١) الأغاني ٩ / ٣٩ ط الساسي ، شرح نهج البلاغة ٤ / ٤٩٧ .

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : (من أحببك يا عليّ فقد أحببني ، ومن أحببني فقد أحب الله ، ومن أبغضك فقد أبغضني ، ومن أبغضني فقد أبغض الله) ، وقال : (إليّ باب وعلي مفتاحه ، فمن أرادني فليأتته)^(١).

٨ . (ولو سكت سكتنا) .

روى الحافظ ابن مردويه ، والراغب الاصفهاني ، والسيد ابن طاووس ، والشيخ المجلسي ، عن ابن عباس رضي الله عنه ، قال : (كنت أسير مع عمر بن الخطاب في ليلة وعمر على بغل ، وأنا على فرس ، فقرأ آية فيها ذكر عليّ بن أبي طالب عليه السلام . فقال : أما والله يا بني عبد المطلب لقد كان عليّ فيكم أولى بهذا الأمر مني ومن أبي بكر .

فقلت في نفسي : لا أقالني الله إن أقلتته ، فقلت : أنت تقول ذلك يا أمير المؤمنين ! وأنت وصاحبك اللذان وثبتما وانتزعتما وأفرغتما الأمر من ادون الناس؟! فقال : إليكم يا بني عبد المطلب ، أمّا إنكم أصحاب عمر بن الخطاب . فتأخرت وتقدم هنيهة ، فقال : سر لا سرت ، وقال : أعد عليّ كلامك . فقلت : إنّما ذكرت شيئاً فرددت عليه جوابه ، ولو سكت سكتنا . فقال : إنّنا والله ما فعلنا الذي فعلنا عن عداوة ، ولكن استصغرناه وخشينا أن لا يجتمع عليه العرب وقريش لما قد وترها .

(١) مصباح الأنوار لمحمد بن هاشم ٢ / باب ٤٨ مخطوط من موقوفات مكتبة المرحوم العلامة الجليل السيد عباس الخرسان (قدس سره) .

قال : فأردت أن أقول : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يبعثه فينطح كبشها فلم يستصغره ، أفستصغره أنت وصاحبك؟
فقال : لا جرم فكيف ترى؟ والله ما نقطع أمراً دونه ، ولا نعمل شيئاً حتى نستأذنه (١).

٩ . (إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أراد الأمر له) .

عن ابن عباس رضي الله عنه ، قال : (خرجت مع عمر إلى الشام في إحدى خرجاته ، فانفرد يوماً يسير على بعيره ، فاتبعته .
فقال لي : يا ابن عباس أشكو إليك ابن عمك ، سألته أن يخرج معي فلم يفعل ، ولم أزل أراه واجداً . فيم تظن موجدته؟
قلت : يا أمير المؤمنين إنك لتعلم .
قال : أظنه لا يزال كثيباً لفوت الخلافة .
قلت : هو ذاك ، إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أراد الأمر له .
فقال : يا ابن عباس وأراد رسول الله الأمر له ، فكان ماذا إذا لم يرد الله تعالى؟ إن رسول الله أراد ذلك وأراد الله غيره ، فنفذ مراد رسوله ، أوكل ما أراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان؟ إنّه أراد إسلام عمه ولم يرده الله فلم يسلم .
قال ابن أبي الحديد : وقد روي معنى هذا الخبر بغير هذا اللفظ ، وهو

(١) مناقب علي بن أبي طالب لابن مردويه / ١٢٧ ، اليقين لابن طاووس / ٢٠٥ ، محاضرات الراغب الاصفهاني ٢ / ٢١٣ ، بحار الأنوار ٨ / ٢٠٩ ط الكمباني .

قوله : إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أراد أن يذكره للأمر في مرضه فصددت عنه خوفاً من الفتنة ، وانتشار أمر الإسلام ، فعلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما بنفسه وأمسك ، وأبى الله إلا إمضاء ما حتم .^(١)

أقول : يبدو أنّ هذه المحاورة مبتورة الآخر! إذ لم يذكر الراوي للخبر عن ابن عباس رضي الله عنه جوابه على مقالة عمر في تفريقه بين مراد الله ومراد رسوله ، كما لم يذكر جوابه على مسألة إسلام عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمراد به هو أبو طالب. وليس من المعقول ولا من المقبول منطقياً أن يسكت ابن عباس عن جوابه ، وهو الذي قد ورد عنه الجواب الشافي في بقية إحتجاجاته عن إرادة الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم الأمر لعلي عليه السلام ، ومن غير المعقول أيضاً أنه يتجاهل إسلام عمه أبي طالب رضي الله عنه وأبوه العباس هو أحد الشهود بإسلام أبي طالب ، وهو الذي كان عنده ساعة إحتضاره وكان عنده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً ، وهو الذي روى عن أبيه قوله : (أنّ أبا طالب ما مات حتى قال : لا إله إلا الله محمد رسول الله)^(٢). وهو الذي أجاب من سأله : يا بن عم رسول الله إخباري عن أبي طالب هل كان مسلماً؟

فقال له : (وكيف لم يكن مسلماً وهو القائل :

وقد علموا أنّ ابننا لا مكذبٌ لدينا ولا يعبأ بقول الأباطل

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣ / ١١٤ .

(٢) أعيان الشيعة ٣٩ / ١٣٦ ، والغدير ٧ / ٣٩ نقلاً عن ضياء العالمين للفتوني .

أنّ أبا طالب كان مثله كمثل أصحاب الكهف ، حين أسروا الإيمان وأظهروا الشرك ، فأتاهم الله أجرهم مرتين (١).

فيا هل ترى أنّ ابن عباس رضي الله عنه عجز عن الجواب؟ وهو الذي كان على حدّ تعبير عمر كما في المحاججة الآتية : (واهماً لابن عباس ما رأيت له لا حتى أحداً قط إلاّ خصمه)!!؟

أم أنّ يداً أثيمة امتدّت إلى المحاورة فحذفت منها ما لم يرق لها من بليغ الحجة وفصل الخطاب! كما صنع أبو الفرج في حذفه كلاماً كثيراً ذكره ، وقد مرّ اعترافه بذلك في إحتجاج (٢) تحت عنوان (أول من راثكم عن هذا أبو بكر) ، فراجع.

١٠ . (واهماً لابن عباس ما رأيت له لا حتى أحداً قط إلاّ خصمه).

بين يدي المحاججة :

لقد أخرج هذه المحاججة جمع من المصنفين في كتبهم ، منهم :

١ . أبو محمد الفضل بن شاذان في كتابه (الإيضاح) (٢).

٢ . أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني المعروف بـ (ثعلب)

(١) الأمالي للصدوق / ٣٦٦ ، الحجة على المذاهب / ٩٤ - ١١٥ ، الغدير ٧ / ٣٩٦ ، وقد روى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه أجاب أيضاً من سأله عن ذلك مستشهداً بالبيت المذكور ومعه قوله :
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمّ اليتامى عصمة للأرامل
وفي رسالة (بغية الطالب في إيمان أبي طالب) ما يغني عن الإطالة.
(٢) كتاب الإيضاح لابن شاذان / ٨٧ ط الأعلمي بيروت.

المتوفى ٢٩١ هـ ، وستأتي روايته لها ، لأنها أوفى من روايات الآخرين أولاً ، ولكونه أقدمهم زماناً ثانياً.

٣ . شيخ المفسرين وإمام المؤرخين أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى ٣١٠ هـ ، أخرجها في تاريخه ، قال :

(حدثني سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن رجل ، عن عكرمة ، عن ابن عباس رضي الله عنه قال : بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبعض أصحابه يتذكرون الشعر ، فقال بعضهم : فلان أشعر ، وقال بعضهم : بل فلان أشعر ، قال : فأقبلت ، فقال عمر : قد جاءكم أعلم الناس بها .

فقال عمر : من شاعر الشعراء يا ابن عباس؟

قال : فقلت : زهير بن أبي سلمى .

فقال عمر : هلّم من شعره ما نستدل به على ما ذكرت؟

فقلت : أمتدح قوماً من بني عبد الله بن غطفان ، فقال : (لو كان يقعد فوق الشمس من كرم) ... الأبيات الآتية)^(١).

٤ . المحدث الكبير أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري . معاصر السابق . والمتوفى في أوائل الأربعمئة أيضاً ، ويشاركه إسماعيلاً ونسباً وكنية ونسبة ، أخرجها في كتابه (المسترشد في الإمامة) ، قال :

(رواه . الحديث . سفيان بن عيينة ، عن النهدي ، عن سالم بن عبد الله ، عن أبيه عبد الله بن عمر ، قال : كنا عند أبي عمر ذات يوم إذ قال : من أشعر

(١) تاريخ الطبري ٤ / ٢٢٢ تح محمد أبو الفضل إبراهيم .

الناس؟ قلنا : فلان وفلان. فبينما نحن كذلك ، إذ طلع عبد الله بن عباس فسلم فأجلسه إلى جنبه وقال : قد جاءكم ابن بجدتها ، من أشعر الناس يا بن عباس؟
قال : ذاك زهير بن أبي سلمى.

قال : فأنشدني شيئاً من شعره أستدل به على ما تقول؟
قال : امتدح قوماً من بني غطفان يقال لهم بنو سنان ، فقال : (لو كان يقعد فوق الشمس من كرم) .. الأبيات (١).

٥ . المؤرخ الشهير أبو الحسن ابن الأثير المتوفى ٦٣٠ هـ في كتابه (الكامل في التاريخ)
(أخرجها في حوادث سنة ٢٣ ط بمصر بنحو ما تقدم عن ابن جرير المؤرخ.

٦ . عز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد المعتزلي في (شرح النهج) ، قال :
(وروى عبد الله بن عمر ، قال : من أشعر العرب؟ فقالوا : فلان وفلان ، فاطلع عبد الله ابن عباس فسلم وجلس ، فقال عمر : قد جاءكم الخبير ، من أشعر الناس يا عبد الله؟

قال : زهير بن أبي سلمى.
قال : فأنشدني مما تستجيده له؟
فقال : يا أمير المؤمنين إنّه مدح قوماً من غطفان يقال لهم بنو سنان فقال : (لو كان يقعد فوق الشمس من كرم) .. الأبيات (٢).

(١) المسترشد في الإمامة / ٢٨٠.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣ / ١٠٧.

٧ . صاحب (أخبار الدولة العباسية) من القرن الثالث ، جاء فيه :
(أخبرنا علي بن إبراهيم بن هاشم القمي ، عن أبيه ، عن الزبيري بإسناد له يرفعه
قال : بينما عمر جالس في جماعة من أصحابه فتذكروا الشعر .
فقال : من أشعر الناس؟ فاختلفوا . فدخل عبد الله بن عباس .
فقال عمر : قد جاءكم ابن بجدتها وأعلم الناس . من أشعر الناس يا ابن عباس؟
قال : زهير بن أبي سلمى المزني .
قال : أنشدني من شعره .
فأنشدته : (لو كان يقعد فوق الشمس من كرم) ... الخ)^(١) .
٨ . الأمير أسامة بن منقذ المتوفى ٥٤٨ هـ في كتابه (المنازل والديار) ، قال :
(روي أنّ قوماً تشاجروا بين يدي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ... من أشعر
الناس؟

فقال عمر : سأرسل إلى سيد الناس فأسأله . فقال الناس : تشاجرنا في سيد الشعراء
فنريد الآن نظير إلى سيد الناس ، فأرسل إلى عبد الله بن العباس ، فجاءه رضي الله عنه .
فقال له : يا أبا العباس أنشدنا ما تستحسن من الشعر .
فقال : سأنشدكم لسيد الشعراء ، فأنشدهم لزهير ...)^(٢) .

(١) أخبار الدولة العباسية / ٣٢ تحقيق الدكتور عبد العزيز الدوري والدكتور عبد الجبار المطلبي ط دار الطليعة
بيروت ١٩٧١ هـ .

(٢) المنازل والديار / ١٥٥ ط موسكو ١٩٦١ نشر آثار الآداب الشرقية السلسلة الكبرى نصوص ١٢ .

هذه جملة من المصادر التي اطلعت عليها ولعلّ ما فاتني الإطلاع عليه أكثر ،
ولنقتصر على هذا فحسب.

والآن إلى القارئ المحاجة بلفظ أبي العباس ثعلب في شرح ديوان زهير مع إضافة ما
تنفرد به روايته عن الآخرين :

(قال ^(١) عبد الله بن محمد البصري ، حدثنا إبراهيم بن عبد الله السدوسي ، عن
محمد بن خدّاش الأسلمي ، عن نوح بن دراج ، عن حبيب ابن زاذان ، عن أبيه ، قال :
دخلت على عمر بن الخطاب رحمه الله وعنده نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم ، فذكروا الشعر ، فقال لهم عمر : من كان أشعر العرب؟ فاختلفوا ، فبينما هم
كذلك إذ طلع عليهم عبد الله بن عباس ، فقال عمر لجلسائه : قد جاءكم ابن بجدتها ^(٢) ،
وأعلم الناس بأيامها.

ثم قال عمر : من كان أشعر العرب يا ابن عباس؟

قال : ذاك زهير بن أبي سلمى المزني.

(١) قال أبو أحمد عبد السلام البصري : ممّا قرأت على شيخنا أبي رياش أحمد بن أبي هاشم قال تشاجروا في
الشعر بين يدي عمر بن الخطاب رحمه الله عليه في أشعر الناس قال : سأرسل إلى سيد الناس فأسأله. فقال الناس
: قد تشاجرنا في سيد الشعراء فنريد الآن ننظر من سيد الناس؟! فأرسل إلى عبد الله بن عباس فجاءه فقال له يا
أبا العباس أنشدنا ما تستحسن من الشعر؟. فقال : سأنشدكم لسيد الشعراء فأنشدهم لزهير بن أبي سلمى : هل
في تذكر أيام الصبا فند . القصيدة.

(٢) البجدة : دخلة الأمر وباطنه يقال : هو عالم بجدة أمرك ، ومنه يقال : هو ابن بجدتها للعالم بالشيء المتقن له
المميّز له ، وكذلك يقال : للدليل الهادي الخريت.

فقال عمر : هلا تنشدين من شعره أبياتاً نستدل بها على قولك فيه؟

قال : نعم ، مدح قوماً من غطفان يقال لهم بنو سنان ، فقال :

هل في تذكر أيام الصبا فند^(١) أم هل لمافات من أيامه ردُّ
 أم هل يلامن بكِ هاج عبرته بالحجر إذ شقّه الوجد الذي يجد^(٢)
 أوفى على شرفٍ نشزٍ فأزعجه قلبٌ إلى آل سلمى تائقٌ كمدُّ^(٣)
 متى ترى دار حيّ عهدنا بهم حيثُ التقى الغور من نعمان والنجد^(٤)
 لهم هوى من هوانا ما يقربنا ماتت على قربه الأحشاء والكبد
 إني لما استودعتني يوم ذي غُدْمٍ راعٍ إذا طال بالمستودع الأمد^(٥)
 إن تمس دارهم عنا مباعدة فما الأحبة إلا هم وإن بعدوا
 يا صاحبي انظرا والغور دونكما هل ييدون لنا فيما نرى الجمد^(٦)
 هيهات هيهات من نجد وساكنه من قد أتى دونه البغشاء والتمدُّ^(٧)

(١) فند : الخطأ في القول والرأي.

(٢) شقّه : براه وأسقمه ، الوجد : الحبّ الشديد.

(٣) شرف : المكان العالي ، النشر : المرتفع.

(٤) الغور : ما انهبط من الأرض ، ضد النجد وهو ما ارتفع ، جمعه أنجد وأتجاه ونجاد ونجود ونجد.

(٥) ذوغدم بضمّتين موضع من نواحي المدينة.

(٦) الجمد : بضمّتين جبل لبني نصر بنجد.

(٧) البغشاء : أخلاها الناس ، ولعل الأبعث موضع ذو رمل وحجارة كما في تاج العروس وقد أهمله ياقوت ، والمد

: الماس القليل الذي لا مادة له ، ولعل البغشاء والتمد موضعان بعينهما.

- إلى ابن سلمى سنان وابنه هرم
 في مسبطر تباري في أزمتها
 معصوصبات ببادرن النجاءبنا
 عوم القوادس ققى الأردمون بها
 بفتية كسيوف الهند يبعثهم
 منهم السير فائتآت سوالفهم
 إني لأبعثهم والليل مطرق
 إلى مطايا لهم حدب عرائكها
- تخبو باقتادها عييدة تحد^(١)
 فتل المرافق في اعناقها قود^(٢)
 إذا ترامت بها الديمومة الجدد^(٣)
 إذا ترامى بها المغلوب الزيد^(٤)
 هم فكلهم ذوحاجة يقد^(٥)
 وما بأعناقهم إلا الكرى أود^(٦)
 ولم يناموا سوى إن قلت قد هجدوا^(٧)
 وقد تحلل من أصلابها القحد^(٨)

- (١) تخبو : تسرع ، والافتاد : خشب الرجل أو جميع أدواته ، وعييدة : منسوبة إلى فحل منجب يقال له عيد ، تنسب إليه كرام النجائب ، وتحد : تسرع ، والوخد : سعة الخطو .
- (٢) المسبطر : الممتد ، واسبطرت الأبل : أسرعت ، وفتل المرافق ذو الفتل وهو الاندماج والقود في العنق : الطول .
- (٣) اعصوصبت الأبل جدت في السير ، والنجا : السرعة ، والديمومة : الفلاة الواسعة أو المغازة التي لاماء فيها لبعدها ، والجدد : الأرض الغليظة المستوية .
- (٤) عوم : سبح ، والقوادس ح قادس : السفينة العظيمة ، الأردمون ح أردم : وهو الملاح الحاذق ، الغلوب : العشب المتكاثر : ولعل المراد البحر المتلاطم بالزبد الكثير .
- (٥) يقد : يشتعل كناية عن بعد المهمة في طلب الحاجة .
- (٦) منهم السير : قطعهم وأعيامهم ، انتادت انعطفت ، وسوالفهم : صفحة أعناقهم ، والأود لإعوجاج .
- (٧) الهجود : من الأضداد : نام بالليل وسهر بالليل ومنه المنهج بالعبادة .
- (٨) الحدب من الأبل : البارزة الهزال ، والعرائك : الأسنمة ، تحلل : ذاب ، أصلابها : ظهورها والمقعدة : أصلا السنام . ولعل القحد هنا جمع المقعدة بحذف التاء .

أقول للقوم والأنفاس قد بلغت
 سيروا إلى خير قيس كلها حسبا
 فاستمطروا الخير من كفيه إنهما
 مبارك البيت ميمون نقييته
 فالناس فوجان في معرفه شرع
 رحب الفناء لو أنّ الناس كلّهم
 في الناس للناس أندادٌ وليس له
 إني لمرتحلٌ بالفجر ينصبني
 لو كان يخلد أقوامٌ بمجدهم

دون اللّها غير أن لم ينقص العدُدُ (١)
 ومنتهى من يريد الجد أو يفد
 بسية يتردى منهما البُعد (٢)
 جزل المواهب من يعطي كمن يعد (٣)
 فمنهم صادراً أوقاربُ يرد (٤)
 حلّو إليه إلى أن ينقضي الأبد
 فيهم شبيهة ولا عدلٌ ولا ندد (٦)
 حتى يفرج عني همّ ما أجد (٧)
 أو ما تقدّم من أيامهم خلدوا (٨)

(١) اللها : جمع لهاة وهي اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم.

(٢) السيب : العطاء ، والبُعد : أي البعيد.

(٣) ميمون النقيية : محمود المختبر ، مبارك النفس ، ميمون المشورة ، ميمون الأمر ينجح فيما يحاول وجزل المواهب : الكرم المعطاء.

(٤) شرعٌ : أي سواء ، والصادر : الذي ورد ورجع ، والقارب : طالب الماء.

(٥) السيب : العطاء والمال والنافلة ، والسجل : الدلو العظيمة فيها الماء ، والعطاء.

(٦) العدلُ : الشبيه والنظير ، والندد مأخوذ من الندّ ، وهو بمعنى المثل والشبيه. وان لم يرد في المصادر اللغوية (ندد) كما ورد في الشعر.

(٧) أنصبه المهم : أتعبه من النصب.

٨ . في الهامش نسخة :

أو كان يخلد أقوام بمكرمة أو ما تسلّف من أيامهم خلدوا

أو كان يقعد فوق الشمس من كرم
 قومٌ أبوهم سنان حين تنسبهم
 قومٌ بأولهم أو مجدهم قعدوا
 طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا
 إنسٌ إذا أمنوا جنٌ إذا غضبوا
 مرزءون بجاليلٍ إذا جهدوا^(١)
 محسدون على ما كان من نعم
 لا ينزع الله منهم ما له حُسدوا
 لو يوزنون عياراً أو مكايلة
 مالوا برضوى ولم يعدلهم أحد^(٢)
 فجثا عمر على ركبتيه ، قال : ما لهذا الشاعر قاتله الله : لقد قال كلاماً (حسناً)

^(٣) ما كان ينبغي أن يقال إلا في أهل رسول الله لما خصهم الله به من النبوة والكرامة.

فقال ابن عباس : وفقك الله يا أمير المؤمنين ، فلم تزل موقفاً عارفاً بحقنا!

قال عمر : أي والله إنِّي لأعرف حقكم ، وأعجب كيف عدل الناس بهذا الأمر

عنكم!؟

فقال ابن عباس : لا أدري.

قال عمر : لكن عمر يدري.

قال ابن عباس : فلم لا تخبرنا كيف كان ذلك؟

(١) جُهد الرجل فهو مجهود ، من التعب والمشقة.

(٢) رضوى : اسم جبل بالمدينة وأحد : كذلك جبل بالمدينة.

(٣) ما بين القوسين من أخبار الدولة العباسية / ٣٢.

قال عمر : إنّ قريشاً كرهت أن تجتمع لكم النبوة والخلافة ، فتجتمخون عليها جمخا (١) فنظرت قريش لأنفسها واختارت أبا بكر ذا سنّها وفضلها ، وأصابت قريش ووفقت ... وذكر حديثاً طويلاً موضعه غير هذا. إهد) (٢).

إلى هنا أنتهى ما رواه ثعلب ، وبتر الحديث الطويل ، لأنّه ليس من موضوع كتابه ، أو لغرض آخر في نفسه! ومهما يكن فإنّ في المصادر الأخرى بقية ذلك الحديث الطويل ، وإلى القارئ ذلك بروايتها مجتمعة :

(إنّ عمر قال بعد سماعه الآيات : قاتله الله يا بن عباس لقد قال كلاماً حسناً ، والله لقد أحسن ، وما أرى هذا المدح يصلح إلّا لهذا البيت من بني هاشم ، لفضل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقرابتهم منه .

فقال ابن عباس : وفقك الله يا أمير المؤمنين فلم تزل موفقاً .

فقال يا بن عباس : أتدري ما منع قومكم . الناس . منكم بعد محمد؟

فقال ابن عباس : فكرهت أن أجيبه ، فقلت : إن لم أكن أدري فأمرير المؤمنين

يدريني؟

قال : كرهت قريش أن تجتمع لكم النبوة والخلافة فتجحفوا الناس جحفاً ، فنظرت قريش لأنفسها فاختارت فأصابت ووفقت .

(١) جمع جمخاً : فخر وتكبر . ووردت الجملة أيضاً : فتجحفوا على قومكم تبجحاً كما في الطبري ، وبجح بالشيء أيضاً بمعنى افتخر به ، كما وردت : فتجحفوا الناس جحفاً كما في شرح النهج ومعنى ذلك قولهم أجحف الدهر بالناس استأصلهم وأهلكهم . كما وردت : فتجحفوا الناس جحفاً ، جحف افتخر باكثر ممّا عنده (اللسان) .

(٢) ديوان زهير / ٢٧٨ ط دار الكتب المصرية .

فأطرق ابن عباس طويلاً ، ثم رفع رأسه ، وقال : إن يأذن لي أمير المؤمنين ويميط عني غضبه فيسمع كلامي؟

قال : هات قل ما تشاء.

قال ابن عباس : أما قولك : إن قريشاً كرهت ، فإن الله تعالى قال لقوم : (**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرَهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ**)^(١).

وأما قولك : إننا كنا نجحف جحفاً ، فلو جحفنا بالخلافة جحفنا بالقرابة ، ولكننا قوم أخلاقنا مشتقة من أخلاق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي قال الله تعالى : (**وَأَنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**)^(٢) ، وقال له : (**وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**)^(٣).

وأما قولك : إن قريشاً إختارت فأصابت ووفقت ، فإن الله تعالى يقول : (**وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ**)^(٤) ، وقد علمت يا أمير المؤمنين إن الله تعالى إختار من خلقه لذلك من أختار ، فلو نظرت قريش من حيث نظر الله لها وإختارت لأنفسها من حيث إختار الله لها ، لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود ولو فقت وأصابت.

فقال عمر : على رسلك يا بن عباس ، أبت قلوبكم يا بني هاشم إلا ضغنأ وغشأ في أمر قريش لا يزول وحقداً عليها لا يحول.

(١) محمد / ٩ .

(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا) الأحزاب / ٩ .

(٢) سورة القلم / ٤ .

(٣) سورة الشعراء / ٢١٥ .

(٤) القصص / ٦٨ .

فقال ابن عباس : مهلاً يا أمير المؤمنين لا تنسب قلوب بني هاشم إلى الغشّ ، فإنّ قلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قلوب بني هاشم ، الذي طهره الله تعالى وزكاه ، وهم أهل البيت الذين قال الله تعالى لهم : (**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**)^(١).

وأما قولك : حقداً ، فكيف لا يحقد من عُصب شيئه ويراها في يد غيره؟! فقال عمر : أما أنت يا ابن عباس فقد بلغني عنك كلام أكره أن أخبرك به فتزول منزلتك عندي.

قال : وما هو يا أمير المؤمنين إخباري به؟ فإن يك باطلاً فمثلي أماط الباطل عن نفسه ، وإن يك حقاً فإنّ منزلتي عندك لا تزول به.

قال : بلغني إنك لا تزال تقول : أخذ هذا الأمر منّا حسداً وبغياً وظلماً. قال ابن عباس : أما قولك حسداً ، فقد حسد إبليس آدم فأخرجه من الجنة ، فنحن ولده المحسودون.

وأما قولك : ظلماً ، فأمر المؤمنين يعلم صاحب الحق من هو؟ فقد ثبت للجاهل والحليم.

ثم قال : يا أمير المؤمنين ألم تحتج العرب على العجم بحق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ واحتجت قريش على سائر العرب بحق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ واحتجت قريش على سائر العرب بحق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فنحن أحق برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من

(١) الأحزاب / ٣٣.

سائر قريش.

فقال عمر : إليك عني يا بن عباس ، قم الآن فارجع إلى منزلك.

فقال ابن عباس : فقلت أفعل ، فلما ذهبت لأقوم استحيي مني ، فقال : يا ابن عباس مكانك أيها المنصرف إني على ما كان منك ، فوالله إنني لراع لحقك ، محب لما سرك .
فقال ابن عباس : يا أمير المؤمنين إن لي عليك وعلى كل مسلم (مؤمن) حقاً برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فمن حفظه فحق نفسه حفظ ، وحظّه أصاب ، ومن أضاعه فحق نفسه أضاع ، وحظّه أخطأ. ثم قام ابن عباس فمضى .
فقال عمر لجلسائه : (لله درّ ابن عباس)^(١) وهاهنا لابن عباس والله ما رأيت له لاحي أحداً قط إلا خصمه).

١١ . (إنّا أنزل علينا القرآن) .

ذكر الغزالي في كتابه (مقامات العلماء بين يدي الخلفاء) :

(روى إبراهيم التيمي ، عن عبد الله بن عمر ، قال : خلا عمر ذات يوم فجعل يحدث نفسه ، اختلف هذه الأمة ونبئها واحد وقبلتها واحدة؟
فقال ابن عباس : يا أمير المؤمنين إنّا أنزل علينا القرآن ، وعلمنا فيمن نزل ، فإنّته سيكون بعدنا أقوام يقرؤون القرآن ولا يدرون فيمن نزل ، فيكون فيه رأي ، وإذا كان لهم فيه رأي اختلفوا فإذا اختلفوا اقتتلوا.

(١) ما بين القوسين من أخبار الدولة العباسية / ٣٢ .

قال : فزبره عمر وانتهره ، فانصرف ابن عباس . فنظر فيما قال فعرفه ، فأرسل إليه ، وقال : أعد علي ما قلت ، قال : فأعاده عليه ، فعرف عمر قوله ، وعلم أنه الحق فأعجبه ذلك القول (١).

١٢ . (قد رشحه لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فصُرِّفت عنه) .

أخرج محمد بن حبيب في (أماليه) ، قال : وقد روي عن ابن عباس أيضاً ، قال : (دخلت على عمر يوماً ، فقال : يا بن العباس لقد أجهد هذا الرجل نفسه في العبادة حتى نخلته رياءً؟!)

قلت : من هو؟

فقال : هذا ابن عمك . يعني علياً ..

قلت : وما يقصد بالرياء يا أمير المؤمنين؟

قال : يرشح نفسه بين الناس بالخلافة .

قلت : وما يصنع بالترشيح ، قد رشَّحه لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فصُرِّفت عنه .

قال : أنه كان شاباً حدثاً فاستصغرت العرب سنّه ، وقد كُمل الآن ، ألم تعلم أنّ الله

تعالى لم يبعث نبياً إلا بعد الأربعين؟

قلت : يا أمير المؤمنين أمّا أهل الحجى والنهى فإنهم ما زالوا يعدّونه كاملاً منذ رفع الله

منار الإسلام ، ولكنهم يعدّونه محروماً مجدوداً (٢).

(١) مقامات العلماء بين يدي الخلفاء والأمراء / ١٧٥ تح محمد جاسم الحديثي .

(٢) المجدد : أي كان ذا جدّ وحظ فهو محظوظ .

فقال : أما أنّه سيليها بعد هياط ومياط ^(١) ، ثم تزلّ فيها قدمه ، ولا يقضي منها إريه ، ولتكونن شاهداً ذلك يا عبد الله ، ثم يتبيّن الصبح لذي عينين ، وتعلم العرب صحة رأي المهاجرين الأولين الذين صرفوها عنه بادئ بدء ، فليتنى أراكم بعدي يا عبد الله ، إنّ الحرص محرمة ، وإنّ دنياك كظلك كلّما هممت به إزداد عنك بعداً ^(٢).

أقول : من الغريب أن يقول عمر : (إنّ الله لم يبعث نبياً إلا بعد الأربعين)! فكيف يقول في عيسى بن مريم ، ويحيى إبني الخالة عليهما السلام؟ وأغرب من ذلك عدم ردّ ابن عباس عليه!! ولعلّ رواة السوء حذفوا ما لم يوافق هواهم كما مرّ عن أبي الفرج الأصفهاني ، فراجع الإحتجاج رقم (٦) لها ، وعن ثعلب في المحاورة رقم (١٠).

١٣ . (يكرهون ولا يتكم لهم!) .

أخرج ابن جرير الطبري في تاريخه ، قال :

(حدثني عمر ، قال : حدثنا علي ، قال حدثنا أبو الوليد المكي ، عن رجل من ولد طلحة ، عن ابن عباس ، قال : خرجت مع عمر في بعض أسفاره ، فإتاً لنسير ليلة ، وقد دنوت منه ، إذ ضرب مقدم رحله بسوطه ، وقال :

كذبتم وبيت الله يقتلُ أحمدُ ولما نطاعن دونه وناضل

(١) يقال هم في هياط ومياط : أي في اضطراب ومجئ ذهابه.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣ / ١١٥ ط مصر الأولى.

ونسلمه حتى نُصَّرع حوله ونذهل عن ابنائنا والحلائل (١)
 ثم قال : استغفر الله ، ثم سار فلم يتكلم قليلاً ، ثم قال :
 وما حملت من ناقة فوق رحلها أبرّ وأوفى ذمّةً من محمد
 وأكسى لبرد الخال قبل ابتداله وأعطى لرأس السابق المتجرّد (٢)

(١) البيتان من قصيدة أبي طالب اللامية المشهورة التي فضلها ابن كثير في تاريخه على المعلقات ، ولها شروح خاصة بما كثره الأدباء في شرح لامية شيخ البطحاء للمرحوم الشيخ جعفر النقدي طبع مع ديوان أبي طالب في النجف .

٢ . نسب البيتان إلى حسان بن ثابت في المغني لابن قدامة ٨ / ٣٦٩ ط دار الكتاب العربي بيروت ، والشرح الكبير لعبد الرحمن بن قدامة ٨ / ٢٩٣ ط دار الكتاب العربي ، وأمالى الشيخ المفيد / ٣٠٤ ، وأمالى الشيخ الطوسي / ٧٦ ، ومناقب ابن شهر آشوب ١ / ١٩٩ ، ولم يوجد في ديوانه بشرح البرقوقي ، ونسباً مع أبيات أخر إلى هاتف يهتف على أبي قبيس كما في مجمع الزوائد للهيثمي ٨ / ٢٧٩ نقلاً عن الطبراني وهو في الكبير ٧ / ١٠٦ ، وفي تصحيفات المحدثين للعسكري ٣ / ٩٣١ ط القاهرة تحقيق محمود أحمد ميرة ط ١٤٠٢ هـ نسبه مع أبيات أخرى إلى اسيد بن زعيم وهو ممن اهدر النبي صلى الله عليه وآله وسلم دمه يوم الفتح فجاء حتى قعد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فوضع يده في يده ثم قال : أنا أسيد بن زعيم العائذ بك ثم أنشأ يقول :

لأنت الذي تهدي معداً لدينها بل الله يهديها وقال لك أشهد
 وما حملت من ناقة فوقها رحلها أبرّ وأوفى ذمّة من محمد
 وأكسى لبرد الخال قد تعلمونه وأعطي لرأس السابح المتجرّد
 تعلّم رسول الله أنك قادر على كل حال من تمام ومنجد
 تعلّم بأن الركب ركب عومر هم الكاذبوك المخلفوا كل موعّد
 ونبوّ رسول الله إني هجوته فلا رفعت سوطي إلى أذن يدي
 سوى أنني قد قلت يا ويح فتية اصيبيوا بنحس أم اصيبيوا بأسعد

وفي شرح نهج البلاغة ١٧ / ٢٨٢ ذكر ان قائل الأبيات انس بن زعيم وذكرها بأكثر ممّا مرّ ،

ثم قال : استغفر الله ، يا بن عباس ما منع علياً من الخروج معنا؟

قلت : لا أدري.

قال : يا بن عباس أبوك عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأنت ابن عمه ،

فما منع قومكم منكم؟

قلت : لا أدري.

قال : لكنني أدري ، يكرهون ولا يتكلم لهم!

قلت : لمّ ، ونحن لهم كالخير؟

قال : اللهم غفراً يكرهون أن تجتمع فيكم النبوة والخلافة ، فيكون بجحاً بجحاً^(١).

لعلكم تقولون : إنّ أبا بكر فعل ذلك ، لا والله ، ولكن أبا بكر أتى أحزم ما

وكذلك في كنز العمال ٢٣ / ٢٨٢ ، وقال ابن عبد البر في الاستذكار ٨ / ٦٢٢ : قد قيل إن اصدق بيت قاله شاعر :

فما حملت من ناقة فوق رحلها أبيض وأوفى ذممة من محمد
وهذا البيت في عشر لأبي إياس الديلمي بمدح به النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد ذكرت أبا إياس في كتاب الصحابة والحمد لله.

أقول : ذكره في الإستيعاب ٤ / ١٦٠٥ البجاوي ، ولابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٠ / ٢١ تحقيق حول قائل البيت فقال : يقال : الشعر الذي يروي لابن أبي اناس بن زعيم أو لسارية :

وما حملت من ناقة فوق كورها أبيض وأوفى ذممة من محمد
إنما قاله أسيد بن أبي إياس ، وقال : ثم ذكر باقي الشعر ، وفي الإصابة في ترجمة أنس بن زعيم نسب البيت له ، وفي ترجمة سارية نسبه له ، وكذا في اسد الغابة وغيرها ، وحسبنا بهذا فلقد طال الكلام في المقام.
(١) البجح : التعاضم والفخر.

حضره ، ولو جعلها لكم ، ما نفعكم مع قريبكم. أنشدني لشاعر الشعراء زهير قوله :
إذا ابتدرت قيس بن عيلان غاية من المجد من يسبق إليها يسود^(١)
فأنشدته وطلع الفجر ، فقال : أقرأ (الواقعة) ، فقرأتها ، ثم نزل فصلى وقرأ بالواقعة
(^٢) .

١٤ . (إنكم فضلتموهم بالنبوة) .

ذكر أحمد التابعي في كتابه (الإعتصام بحبل الإسلام) :
(قال عبد الله بن عباس : ما شئت عمر بن الخطاب يوماً ، فقال : يا ابن عباس ما
يمنع قومكم منكم وأنتم أهل البيت خاصة؟
قلت : لا أدري.
قال : لكنني أدري ، إنكم فضلتموهم بالنبوة ، فقالوا : إن فضلوا بالخلافة مع النبوة لم
يقولوا لنا شيئاً ، وأن أفضل النصيبين بأيديكم ، بل ما أخاها إلا مجتمعة لكم وإن نزلت على
رغم أنف قريش) (^٣) .

١٥ . (لئن وليهم ليحملنهم على المحجة البيضاء) .

لقد روى الفضل بن شاذان في كتابه (الإيضاح) محاورة تقرب مما مرّ

(١) ديوان زهير بشرح ثعلب / ٢٣٤ من قصيدة يمدح بها هرم بن سنان بن أبي حارثة المريّ.

(٢) تاريخ الطبري ٤ / ٢٢٢ ط محققة.

(٣) الإعتصام / ١٤٠ ط ١ مطبعة السعادة ١٣٢٧ هـ ، أنظر الطرائف لابن طاووس / ٤٢٣ عن العقد الفريد

لابن عبد ربه ٤ / ٢٨٠ .

في أول هذا الجزء من معرفة ابن عباس بالشعر الجاهلي وكثرة إستشهاده به. قال :
(كان عبد الله بن عباس عند عمر ، فتنفس عمر نفساً عالياً ، قال ابن عباس : حتى
ظننت أن أضلاعه قد انفرجت.

فقلت له : ما أخرج هذا النفس منك إلا همّ شديد.

قال : أي والله يا بن عباس ، إني فكرت فلم أدر فيمن أجعل هذا الأمر بعدي. ثم
قال : لعلك ترى صاحبك لها أهلاً؟

قلت : وما يمنعه من ذلك مع جهاده وسابقته وقرابته وعلمه.

قال : صدقت ، ولكنه أمرؤ فيه دعاية.

قلت : فأين أنت من طلحة؟

قال : هو ذو البأو بإصبعه المقطوعة.

قلت : فعبد الرحمن بن عوف؟

قال : رجل ضعيف لو صار الأمر إليه لوضع خاتمه في يد امرأته.

قلت : فالزبير؟

قال : شكس لقس يلاطم في البقيع في صاع من بُرّ.

قلت : فسعد بن أبي وقاص؟

قال : صاحب مقنب وسلاح.

قلت : فعثمان؟

قال : أوه أوه . مراراً ..

ثم قال : والله لئن وليها ليحملنّ بني أبي معيط على رقاب الناس ، ثم لتنهضنّ إليه العرب فتقتله .

ثم قال : يا بن عباس إنّه لا يصلح لهذا الأمر إلاّ حصيف العقدة قليل الغرّة ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، يكون شديداً من غير عنف ، ليناً من غير ضعف ، جواد من غير سرف ، ممسكاً من غير وكف .

ثم أقبل على ابن عباس ، فقال : وإنّ أحرهم أن يحملهم على كتاب ربهم وسنة نبيهم لصاحبك ، والله لئن وليها ليحملنّهم على المحجة البيضاء والصرط المستقيم (١) .

١٦ . (نشنشة من أحسن) .

روى الزمخشري في (الفائق) (نشنش) عن ابن عباس رضي الله عنه :
(كان عمر إذا صلى جلس للناس . فمن كانت له حاجة كلمه ، وإن لم يكن لأحد حاجة قام فدخل ، فصلّى صلوات لا يجلس للناس فيهنّ .
قال : فحضرت الباب ، فقلت : يا يرفأ بأمر المؤمنين شكاة؟
فقال : ما بأمر المؤمنين من شكوى .

فجلست فجاء عثمان بن عفان ، فجاء يرفأ ، فقال : قم يا بن عفان ، قم يا بن عباس ، فدخلنا على عمر فإذا بين يديه صُبرٌ من مال ، على كلّ صبرة منها كتف .

(١) الإيضاح / ١٦٣ .

فقال عمر : إني نظرت في أهل المدينة فوجدتكما من أكثر أهلها عشيرة ، فخذنا هذا المال فاققسماه ، فما كان من فضل فردّا ، فأما عثمان فحتاً ، وأما أنا فجتوت لركبتي قلت : وإن كان نقصان رددت علينا؟

فقال عمر : نشنشة من أخشن . يعني حجر من جبل . أما كان هذا عند الله إذ محمد وأصحابه يأكلون القدّ؟

قلت : بلى ، لقد كان عند الله ومحمد حيّ ، ولو عليه كان فتح لصنع فيه غير الذي تصنع .

قال : فغضب عمر ، وقال : إذا صنع ماذا؟

قلت : إذن لأكل وأطعمنا .

قال : فنشج عمر حتى اختلفت أضلاعه . ثم قال : وددت أن خرجت منها كفافاً لا لي ولا عليّ .

ثم قال الزمخشري : (هكذا جاء في الحديث مع التفسير ، وكأنّ الحجر سمي نشنشة من نشنشه ونصنصه إذا حرّكه .

والأخشن : الجبل الغليظ كالأخشب ، والخشونة والخشوبة اختان .

وفيه معنيان : أحدهما أن يشبهه بأبيه العباس في شهامته ورميه بالجوابات المصيبة ، ولم يكن لقريش مثل رأي العباس .

والثاني : إن يريد أن كلمته هذه منه حجر من جبل ، يعني أن مثلها

يجيء من مثله ، وأنه كالجبل في الرأي والعلم وهذه قطعة منه (١).

(١) الفائق في غريب الحديث ٣ / ٣٩٦ مادة (نشنش).

ومن الغريب أن يروي الزمخشري هذا في كتابه الفائق في مادة (نشنش) بينما ذكر هو في كتابه المستقصى في أمثال العرب ٢ / ١٣٤ برقم ٤٦٣ بلفظ (شنشنة أعرفها من أحزم) وهو المذكور في جملة من كتب الأمثال واللغة ، راجع جمهرة الأمثال لأبي هلال ١ / ٤٤٣ برقم ٩٩٨ ، ومجمع الامثال للميداني ٢ / ١٥٥ ، ونهاية ابن الأثير ١ / ٥٤١ ، وقد ذكروا أن عمر بن الخطاب قاله في ابن عباس يشبهه في رأيه بأبيه ، ويقال إنه لم يكن لقريش مثل رأي العباس ابن عبد المطلب.

إحتجاجه على أهل الشورى

(كم تمنعون حقوقنا!؟).

كان ابن عباس في عهد عمر غالباً عليه كما مرّ عن مصادره في الجزء الثاني من الحلقة الأولى ، وقد قرأنا هناك ما به الإتفاق بينهما وما عليه الإختلاف بينهما ، وكان بالرغم من شدة عمر وفضاظة خلقه يسمع من ابن عباس ما يثيره فلا ينقطع حبل الإتصال بينهما ؛ وقرأنا في إحتجاجه في بعض محاوراته ما أسمع عمراً كلاماً شديداً فتركه مخصوماً ؛ كما قرأنا عن مظاهر الغضبات العمرية لكنّها سرعان ما تزول ، كسحابة صيف عن قليل تقشع ، وعند قراءتنا لتلك المحاورات وقفنا على أسباب إستبعاد عمر لابن عباس عن ساحة الترشيح للخلافة ، لأنّه يخشى أن يأتي عليه الذي هو آت . يعني الموت . فيقول ابن عباس هلّم إلينا لا إليكم . يعني استرجاع الحق المغصوب لبني هاشم . وهذا ما كرهته قريش وما زالت تكرهه لأن تجتمع النبوة والخلافة في بني هاشم ، وكان عمر يجهر بذلك في حوارته مع ابن عباس . ولما طعن عمر كانت أحاديث تجري بينهما حول النفر المرشحين ، وقد أزرى عمر بمن سمّاهم بما يحدش المقام منهم أعظم الذم ، فقال في عليّ وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف وعثمان ما ينبغي له أن

لا يرشحهم ، حيث قال : (يا بن عباس : إنّه لا يصلح لهذا الأمر إلاّ حصيف العقدة ، قليل الغرة ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، يكون شديداً من غير عنف ، ليئناً من غير ضعف ، سخياً من غير سرف ، ممسكاً من غير وكف ...

قال - ابن عباس - : ثم أقبل عليّ بعد أن سكت هنيهة ، وقال : أجرؤهم والله أن يحملهم على كتاب ربّهم وسنة نبيّه لصاحبك ، أما إن ولي أمرهم حملهم على المحجة البيضاء والصراط المستقيم).

وقرأنا عن عملية الشورى وما أورثت الأئمة من ويالات ، وأنّه لم يشئت بين المسلمين ولا فرّق أهواءهم إلاّ الشورى كما رآها معاوية ، ومرّ خبره نقلاً عن ابن عبد ربه في (العقد الفريد)^(١) ، فراجع. ومرّت آراء آخرين في هذا.

وخدعة الشورى ما زالت نقطة مؤاخذه على من ابتدعها ، مهما تكلف من حاول تبرير ما وقع فيها من الخطأ ، ولم يسع المؤرخون العمريون أن يتجاهلوا مواقف بني هاشم المستريية منها والناقذة لما جرى فيها.

وقد قرأنا عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بعض ما جرى له مع النفر المرشحين ، وقرأنا عن العباس ما رأى وما قال ، وقرأنا عن ابن عباس بعض ما قاله ، فكان الولد سر أبيه كما في المثل ، وعلى حدّ قول الشاعر : (ومن يشابه أبه فما ظلم).

لقد كان ابن عباس في رأيه كأبيه العباس داهياً ، ثم فاق أباه بعلمه

(١) موسوعة عبد الله بن عباس / الحلقة الأولى / ٢ / ١٣٢.

فكان عالماً ومتكلماً جريئاً يقول الحق ، ولم تخدعه أسارير مفتوحة على قلوب مضطغنة ، وقد مرّت بنا في الحلقة الأولى (سيرة وتاريخ) بعض أخباره في الجزء الثاني وما كان منه مع عمر بن الخطاب كما تقدم.

ومرّت بنا عن قريب ما كان يدور بينهما من كلام يصح وصفه بأنّه محاورات إحتجاجية ، وابن عباس لم يكن يخفي ما في نفسه من شعور بالمرارة التي يعانيتها هو وسائر أقربائه من بني هاشم من فوت الخلافة منهم ، وإستبعادهم عن مراكز القيادة في الدولة الإسلامية الفتيّة ، لولا أنّهم قوم صبروا على اللأواء ، كما قال سيدهم ومعلمهم : (فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجى)^(١).

ولما دالت الأيام . والأيام دول . لصالح عثمان بخدعة الشورى . وهي (خدعة وأيّما خدعة) كذا سماها الإمام عليه السلام كما في تاريخ الطبري وسير أعلام النبلاء^(٢) . وكانت محسوبة النتائج محسومة العواقب ، فكان ابن عباس يعلمها مثل إمامه عليه السلام وهي في رأيهما أنّها هي الخدعة.

وقد مرّ بنا ما رواه عبد الرزاق في (المصنف) ، والزحشري في (مختصر كتاب الموافقة بين أهل البيت والصحابة) ، واللفظ له في حديث الشورى : (وثب علي وعبد الله بن عباس ، فقال له عبد الله بن عباس :

خُدعت يا عليّ؟ فقال : وأيّ خدعة!! فسمعتها فاطمة بنت قيس ، فقالت : إنّ عبد الرحمن طلب الوثيقة لنفسه فأعطاه عثمان الثقة ، وأخذ عبد

(١) نهج البلاغة / الخطبة الشقشقية.

(٢) تاريخ الطبري ٤ / ٢٣٨ . ٢٣٩ ط محققة ، سير أعلام النبلاء ٢ / ٥٧٩ ط دار الفكر .

الرحمن لنفسه بالوثيقة ، فتكلمت بثلاث لغات في لغة واحدة ... (١). وما كانت الخدعة التي أرادها ابن عباس إلا التي ذكرتها فاطمة بنت قيس والتي كان إجتماع أصحاب الشورى في بيتها (٢) ، فتلك هي المناورة من عبد الرحمن بن عوف في صرف الأمر عن أهل البيت عليهم السلام ، فإنّ في طلبه من الإمام أن يتعهد بأن يسير بسيرة الخليفتين . أبي بكر وعمر . وهو يعلم أنّ عليّاً لا يرضى أن يتقيّد بسياستهما ، إنّما أراد أن يخرجه بل ويخرجه ليفسح المجال لاختيار عثمان ، وسرعان ما تحقق غرضه (٣).

وقد مرّت أقوال وآراء قدامى ومحدثين حولبيعة عثمان ، فكان من أبرع كتاب العصر في صراحته وصرامته هو الدكتور علي سامي النشار في كتابه (نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام) حيث قال : (وقد أحس قلّة من خلص الصحابة أنّ الأمر نزع من علي للمرة الثالثة ، وأنّه إذا كان الأمر قد سلب منه أولاً لكي يُعطى للصاحب الأوّل ، ثم أخذ منه ثانياً لكي يعطى للصاحب الثاني ، فقد أخذ منه ثالثاً لكي يُعطى لشيخ متهاو متهالك ، لا يحسن الأمر ولا يقيم العدل ، ترك الأمر لبقايا قريش الضالة ...) (٤).

ومن خلّص الصحابة ما رواه التاريخ من كلام عمار والمقداد وابن

(١) أنظر الحلقة الأولى من هذه الموسوعة ٢ / ١٤٨ ، نقلاً عن مختصر كتاب الموافقة بين أهل البيت والصحابة للزمخشري ، المصنف ٥ / ٤٠٧ .

(٢) أنظر الحلقة الأولى من هذه الموسوعة ٢ / ١٤٨ .

(٣) أنظر الحلقة الأولى من هذه الموسوعة ٢ / ١٣٢ - ١٣٣ .

(٤) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ١ / ٢٥٣ ط الرابعة دار المعارف بمصر ١٩٦٦ .

عباس ، والذي يعيننا فعلاً نقله ، هو ما قاله ابن عباس فيما رواه البياضي في كتابه (الصراط المستقيم) ، قال : (وأسند الحاجب إلى ابن عباس أنه قال يوم الشورى : كم تمنعون حقنا؟ وربّ البيت إنّ عليّاً هو الإمام والخليفة ، وليملكنّ من ولده أئمة أحد عشر يقضون بالحق ، أولهم الحسن بوصية أبيه إليه ، ثم الحسين بوصية أخيه إليه ، ثم ابنه عليّ بوصية أبيه إليه ، ثم ابنه محمد بوصية أبيه إليه ، ثم ابنه جعفر بوصية أبيه إليه ، ثم ابنه موسى بوصية أبيه إليه ، ثم ابنه علي بوصية أبيه إليه ، ثم ابنه الحسن بوصية أبيه ، فإذا مضى فالمنتظر صاحب الغيبة ^(١) .

قال . الراوي . لابن عباس : من أين لك هذا؟ قال : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علّم عليّاً ألف باب ، فتح له من كلّ باب ألف باب ، وأنّ هذا من ثمّ ^(٢) .

(١) يشير إلى حديث اثني عشر خليفة ، من حديث جابر بن سمرة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : (لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفة) فقال كلمة صمّنيها الناس فقلت لأبي ما قال؟ قال : (كلهم من قريش) كما أخرج الحديث مسلم واحمد وغيرهما ، وقد ذكرت في كتاب (علي إمام البررة ٣ / ٣٠٥ - ٣٣١) ما يتعلق بالحديث المذكور ، وإن الكلمة التي قالها صلى الله عليه وآله وسلم فضجّت الناس منها قال (كلهم من بني هاشم) كما في رواية ينابيع المودة ، ولابن عباس روايات في الأئمة الإثنا عشر ذكرت فيها اثني عشر حديثاً مع مصادرها موثقة تحسن مراجعة ذلك في الكتاب المذكور .

(٢) الصراط المستقيم ٢ / ١٥١ .

بين يدي محاوراته مع عثمان

لقد قرأنا في الجزء الثاني من الحلقة الأولى من هذه الموسوعة كثيراً من أخبار ابن عباس في أيام عثمان ، ولما كان حال عثمان غير خفي في التاريخ ، بالرغم من موضوعات زادت في تشويبه بأكاذيب أموية ، لكنها لم تصنع شيئاً ، فبقيت حال عثمان كما هي معلومة نسباً وحسباً وصحبةً ومصاهرةً وحكومةً وممارسةً وضلوغاً وإنصياعاً لبني أمية ، ما سببت نقمة الناس عليه ، لأمر صدرت منه ومنهم ما كان ينبغي لمثله في سنّه وشأنه أن تنسب إليه فيؤاخذ عليها حتى أودت بحياته ، فكان كما قال عنه الدكتور طه حسين في كتابه (الفتنة الكبرى) :

(فأما عثمان فمهما يكن إعتذار أهل السنة والمعتزلة عنه ، فإنه قد أسرف وترك عماله يسرفون في العُنف بالرعية ، ضرباً ونفياً وحسباً ، وهو نفسه قد ضرب أو أمر بضرب رجلين من أعلام أصحاب النبيّ ، فضرب عمار بن ياسر حتى أصابه الفتق ، وأمر من أخرج عبد الله بن مسعود من مسجد النبيّ إخراجاً عنيفاً ، حتى كسر بعض أضلاعه ...) .
وقال أيضاً : (فهذه السياسة العنيفة التي تسلط الخليفة وعماله على أبشار الناس وأشعارهم وعلى أمنهم وحریتهم ليست من سيرة النبيّ ولا من سيرة الشيخين في شيء ...) .

وقال أيضاً : (والسياسة المالية التي أصطنعها عثمان منذ نهض بالخلافة كلّها موضوع النعمة والإنكار من أكثر الذين عاصروا عثمان ، ومن أكثر الرواة والمؤرخين ...) .
 وقال أيضاً : (ولو سار عثمان في الأموال العائمة سيرة عمر فلم ينفق المال إلاّ بحقه ، لجتّب نفسه وجتّب المسلمين شراً عظيماً ، ولكان من الممكن أن ينشئ الإسلام للإنسانية نظاماً سياسياً وإجتماعياً صالحاً يجنبها كثيراً من الإضطراب الذي اضطرت إليه ، والفساد الذي تورطت فيه ...) (١) .

أقول : وعلى نحو ما مرّ من أقوال طه حسين نجد أقوال آخرين من الباحثين المحدثين ، ولا بدع لو التقت آراؤهم في نقد أفعاله وأختلفت أقوالهم في توجيه سياسته والتي رأوها جميعاً سياسية أموية رعناء جلبت له وللأمة كثيراً من الشر ، وكثرت عليه أسباب النعمة ، بداية من المسلمين الصحابة في المدينة ، وسرعان ما أستطار شررها إلى بقية الأمصار ، فكثرت وفود الساخطين من العراق ومصر وغيرها والتقوا بالصحابة فتفاقم الخطب .
 وكانت شدة المحنة والمعاناة عندما فزع الثوار إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يشكون حالهم ، فيسارع هو إلى عثمان ناصحاً في محاولات إصلاح بين الطرفين ، لكن عثمان لم يستجب للنصح ، بل وزاد في تعقيد الأمور إتهامه الإمام عليه السلام ما دام كثير من الثوار اتخذوه لجأً ، يرجون إغاثتهم

(١) الفتنة الكبرى ١ / ١٩٠ - ١٩٨ .

من سوء أفعال عثمان وبطانته ، وكلّما دافع الإمام عليه السلام عن عثمان بالحسنى إزداد تصلّب الساخطين ، فأثر الإعتزال ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ، غير أنّ عثمان وبتحريض من بني أمية كان يزداد غضباً وحنقاً عليه ، ممّا أضطر العباس بن عبد المطلب ومن بعده ابنه عبد الله حبر الأمة القيام بمحاولات إصلاحية أيضاً ولتهدئة الخواطر ، عسى أن تهدأ الفورة وتسكن الثورة ، ولم تنجح تلك المساعي ، لأنّ عثمان كان إذن شرّ يسمع لما يقوله له مروان وبني أمية.

ومع كثرة الشواهد على المساعي الإصلاحية التي بذلها الإمام عليه السلام وعمه العباس وابنه عبد الله ، كان عثمان يتهمهم في النصح ، مع أنّه لو أنصفهم لوجدتهم أحرص الناس عليه وأرعى ذماماً له للقرابة النسبية منه ، وهذا ما سنقرأ بعضاً منه في مواقف العباس وابنه عبد الله بن عباس في إصلاح ذات البين ، لكن عثمان . كما قلنا . كان مغلوباً على أمره من قبل بني أمية ، وفي قلوبهم جميعاً من الحقد والشنآن على بني هاشم عموماً وعلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام خصوصاً ، ممّا طغى على لسان عثمان ، فأظهرته فلتات اللسان عن بعض ما يضمّره الجنان من الحقد والشنآن ، فيقول للإمام عليه السلام مغاضباً وعاتباً : (ما ذنبي إليك إذا لم تحبّك قريش وقد قتلت منهم سبعين ترد آناقهم الماء قبل شفاهم) ، وفي لفظ آخر : (كأن أعناقهم أباريق فضة) ، ونحو هذا . ولقد همّ مرّة . وربما أكثر . بأن ينفي الإمام عليه السلام من المدينة كما صنع مع أبي ذر ، كما ستأتي الإشارة إليه في مواقف العباس الإصلاحية والإستصلاحية.

وإلآن إلى قراءة بعضها ، ولنبدأ بما رواه الطبري في تاريخه :

(بسند عن حمران بن أبان ، قال : أرسلني عثمان إلى العباس بعدما بويع فدعوته له ، فقال : مالك تعبدتني . (تبعّدتني ظ) ؟ قال : لم أكن قط أحوج إليك مني اليوم . قال . العباس . : الزم خمساً لا تنازعك الأمة خزائمها ما لزمتهما . قال : وما هي ؟ قال : الصبر عن القتل ، والتحبب ، والصفح ، والمدارات ، وكتمان السر)^(١) .

ولكن عثمان لم يلتزم بنصيحة العباس ، بل استمر على حاله ، فاتسع الخرق على الرافع ، حتى عجز العباس من رأب الصدع ، مع ما كان فيه من حنكة رأي وجودة تدبير ، حتى قيل له داهية قريش ، ولما رأى تسافل الحال ونذر الشر بدت تلوح في الأفق ، فصار يدعو ربّه أن يسبق به أجله قبل وقوع الكارثة التي بدت بوادرها تنذر بشر مستطير فإستجاب له ربّه ، فما كانت إلاّ جمعة حتى لقي ربّه .

أمّا عن موافقه في نصيحة عثمان في كفّ أذاه عن الإمام عليه السلام وعن الأمة فهي متعددة ، أذكر بعضها :

فمنها ما ذكر ابن أبي الحديد في شرح النهج ، قال :

(روى الزبير بن بكار في كتابه الموفقيات ، عن عبد الله بن عباس ، قال : ما سمعت من أبي شيثاً قط في أمر عثمان يلومه فيه ولا يعذره ، ولا سألته عن شيء من ذلك مخافة أن أهجم منه على ما لا يوافق ، فأنا عنده

(١) تاريخ الطبري ٤ / ٤٠٠ ط دار المعارف بمصر .

ليلة ونحن نتعشى إذ قيل هذا أمير المؤمنين عثمان بالباب ، فقال : أئذنوا له ، فدخل فأوسع له على فراشه وأصاب من العشاء معه ، فلما رفع قام من كان هناك وثبتت أنا.

فحمد الله عثمان وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد يا خال فيأيّ قد جئتك أستعذر من ابن أخيك عليّ سبني ، وشهر أمري ، وقطع رحمي ، وطعن في ديني ، وإيّ أعوذ بالله منكم يا بني عبد المطلب ، إن كان لكم حقّ ترعمون أنكم غلبتم عليه فقد تركتموه في يدي من فعل ذلك بكم ، وأنا أقرب إليكم رحماً منه ، وما لمت منكم أحداً إلاّ عليّاً ، ولقد دعيت أن أبسط عليه فتركته الله والرحم وأنا أخاف أن لا يتركني فلا أتركه.

قال ابن عباس : فحمد أبي الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد يا بن أخي فإن كنت لا تحمد عليّاً لنفسك فيأيّ لا أحمدك لعلّي ، وما عليّ وحده قال فيك ، بل غيره ، فلو أنك اتهمت نفسك للناس اتهم الناس أنفسهم لك ، ولو أنك نزلت ممّا رقيت وأرتقوا ممّا نزلوا فأخذت منهم وأخذوا منك ما كان بذلك بأس.

قال عثمان : فذلك إليك يا خال وأنت بيني وبينهم.

قال : أفأذكر لهم ذلك عنك؟

قال : نعم ، وأنصرف.

فما لبثنا أن قيل : هذا أمير المؤمنين قد رجع بالباب ، قال أبي : أئذنوا له ، فدخل فقام قائماً ولم يجلس وقال : لا تعجل يا خال حتى أؤذنك. فنظرنا فإذا مروان بن الحكم كان جالساً بالباب ينتظره حتى خرج فهو

الذي ثناه عن رأيه الأوّل.

فأقبل عليّ أبي وقال : يا بني ما إلى هذا من أمره شيء. ثمّ قال : يا بني أملك عليك لسانك حتى ترى ما لا بدّ منه. ثمّ رفع يديه فقال : اللهمّ اسبق بي ما لا خير لي في إدراكه ، فما مرّت جمعة حتى مات رحمه الله (١).

ومنها ما رواه البلاذري في (أنساب الأشراف) ، بإسناده عن صهيب مولى العباس ،

قال :

(إنّ العباس قال لعثمان : أذكرك الله في أمر ابن عمك وابن خالك وصهرك ، وصاحبك مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقد بلغني أنّك تريد أن تقوم به وبأصحابه.

فقال : أوّل ما أجيبك به أيّ قد شفعتك ، إنّ عليّاً لو شاء لم يكن أحد عندي إلّا دونه ، ولكن أبي إلّا رأيه. ثمّ قال لعليّ مثل قوله لعثمان.

فقال عليّ : لو أمرني عثمان أن أخرج من داري لخرجت (٢).

وهذا رواه ابن عساكر أيضاً في (تاريخ مدينة دمشق) ، بسنده عن صهيب مولى

العباس ، وجاء في آخر قول الإمام عليه السلام : (فأما أداهن أن لا

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ٢ / ٣٩٧.

وهذه الواقعة غير التي سبقتها وان عاصرتها زماناً ففي الأولى كانت الشكوى في دار عثمان والعباس حاضر عنده. أمّا هذه فهي في دار العباس وعثمان حاضر عنده ، ولا مانع من تعدّدهما إذا عرفنا تحبّط السياسة يومئذ في معالجة مشاكل الناس وأستحواذ مروان على عثمان في تدبير أموره.

(٢) أنساب الأشراف ١ / ٤٩٨ . ٤٩٩ .

يقام بكتاب الله فلم أكن لأفعل (١).

وجاء الخبر في (التعديل والتجريح) مسنداً عن سهيل مولى العباس يقول : (أرسلني العباس إلى عثمان أدعوه ، فأتاه فقال : أفلح الوجه أبا الفضل ، قال : ووجهك يا أمير المؤمنين. قال : عليّ ابن عمك وابن عمتك وصهرك وأخوك في دينك وصاحبك مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبلغني أنك تريد أن تقوم به وبأصحابه. فقال : لو شاء عليّ ما كان دونه أحد ، ثم أرسلني إلى عليّ ، فقال : إنّ عثمان ابن عمك وابن عمتك وأخوك في دينك وصاحبك مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وولي بيعتك ، فقال : لو أمرتني أن أخرج من داري لفعلت (٢).

ومنها ما رواه البلاذري وغيره ، واللفظ له قال :

(حدثني عباس بن هشام ، عن أبيه ، عن عمّن حدثه ، عن حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عباس : إنّ عثمان شكاً عليّاً إلى العباس فقال له : يا خال إنّ عليّاً قد قطع رحمي ، وألب الناس عليّ ، والله لئن كنتم يا بني عبد المطلب أقررتم هذا الأمر في أيدي بني تميم وعدي ، فبنو عبد مناف أحق أن لا تنازعوهم فيه ولا تحسدوهم عليه.

قال عبد الله بن العباس : فأطرق أبي طويلاً ، ثم قال : يا بن أخت لئن كنت لا تحمد عليّاً فما نحمدك له ، وأن حقتك في القرابة والإمامة للحق الذي لا يُدفع ولا يجحد ، فلو رقيت فيما تطأطأ ، أو تطأطأت فيما رقي ،

(١) تاريخ مدينة دمشق ٣٩ / ٢٦٤ ط دار الفكر بيروت.

(٢) التعديل والتجريح ٣ / ١٠٠٧.

تقاربتهما ، وكان ذلك أوصل وأجمل.

قال : قد صيرت الأمر عن ذلك إليك ، فقرب الأمر بيننا.

قال : فلما خرجنا من عنده دخل عليه مروان فأزاله عن رأيه ، فما لبثنا أن جاء أبي رسول عثمان بالرجوع إليه ، فلما رجع ، قال : يا خال أحب أن تؤخر النظر في الأمر الذي ألقيت إليك حتى أرى من رأي.

فخرج أبي من عنده ثم التفت إلى فقال : يا بني ليس إلى هذا الرجل من أمره شيء ، ثم قال : اللهم أسبق بي الفتن ، ولا تبقيني إلى ما لا خير لي في البقاء إليه ، فما كانت جمعة حتى هلك (١).

ويبدو لي تعدد الوقائع مع تقارب الزمان بينهما ، ففي الرواية الأولى كانت الشكاة في دار العباس وقد أتاها عثمان بنفسه ليلة وأصاب معه من عشائه ثم نفث شكاته ، وفي الرواية الثانية التي رواها البلاذري بسنده عن ابن عباس أنّ التشاكي كان في دار عثمان ، وفي خبر التعديل والتجريح أنّ العباس أرسل مولاه سهيل فاستدعى عثمان إلى بيته ونصحه باستعمال الرفق واللين مع عليّ عليه السلام ، وفي كلّ الروايات قرأنا طرحاً إستصلاحيّاً يكاد النجاح حليفه ، لكن صراحة استحواذ مروان على عثمان في تخبطه السياسي فلم يدع مجالاً للعباس ولا لغيره أن يصلح بينه وبين الناس لمعالجة المشاكل العالقة يومئذ.

ويبدو لي أنّ العباس يأس من إصلاح ما أفسده بنو أمية من أمر

(١) أنساب الأشراف ١ / ٤ ق / ٤٩٨ - ٤٩٩.

عثمان ، وتوقع المزيد من طوارق الحدثان تجتاح المجتمع الإسلامي في المدينة وغيرها ، ولذلك دعا أن يسبقها أجله ، فمرض فكان العوادم يعودونه ، فكان آخر نصائحه لعثمان حين دخل عليه في مرضه الذي مات فيه :

(فقال . عثمان . : أوصني بما ينفعني (الله) به .

فقال : إلزم ثلاث خصال خواص تصيب بها ثلاث عوام ، فالخواص : ترك مصانعة الناس في الحق ، وسلامة القلب ، وحفظ اللسان ، تُصب بها سُور الرعية ، وسلامة الدين ، ورضا الرب) (١).

ولشدة اهتمامه بوحدة كلمة المسلمين وصلاح ذات البين كانت وصاياه لعثمان ، وكذلك كانت وصيته للإمام أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً ، وهي آخر وصية صدرت منه ، تكشف عن بُعد نظر في قراءة المستقبل المظلم الذي ستنتصر فيه قوى الشر على وحدة الخير ، ويكون عليّ عليه السلام ضحيتها ، لذلك كانت نظرة العباس تفيض بالألم على ما أصاب بني هاشم من تحديات وإحباطات سابقاً ، مضافاً إلى ما سيلاقونه لاحقاً من عقبات ومعاداة من أعدائهم مع خذلان من أنصارهم ، إلا من رحم الله فحفظ فيهم وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقليل ما هم .

كلّ هذا كان عند العباس بثاقب نظره رؤيا العين ، فهو إذ يوصي الإمام عليه السلام بتجنب المواجهة مع عثمان خشية عليه من أن يعصب به كلّ

(١) أخبار الدولة العباسية / ٢١ .

الإضطغان القرشي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للدماء التي أريقَت في سبيل الإسلام ، من قریش وغيرهم ، والعباس كان يعرف كراهية قریش لبني هاشم منذ عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد مرّت بنا شواهد على ذلك .

والآن إلى قراءة وصيته لابن أخيه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام :

وصية العباس للإمام عليه السلام :

لقد سبق ذكر الوصية عند ذكر وفاة العباس ، إلا أنّ ثمة تفاوت وتعقيب وتذنيب اقتضى ذكرها ثانياً .

قال ابن أبي الحديد : (قرأت في كتاب صنفه أبو حيان التوحيدي في تقرّيب الجاحظ ، قال : نقلت من خط الصولي : قال الجاحظ : إنّ العباس بن عبد المطلب أوصى عليّ بن أبي طالب عليه السلام في علته التي مات فيها ، فقال : أي بُنيّ إيّ مشفٍ على الظعن عن الدنيا إلى الله الذي فاقتي إلى عفوه وتجاوزته أكثر من حاجتي إلى ما أنصحك فيه وأشير عليك به ، ولكن العرق نبوض ، والرحم عروض ، وإذا قضيت حق العمومة فلا أبالي بعد ، إنّ هذا الرجل - يعني عثمان - قد جاءني مراراً بحدِيثك ، وناظرني ملايناً ومخاشناً في أمرك ، ولم أجد عليك إلاّ مثل ما أجد منك عليه ، ولا رأيت منه لك إلاّ مثل ما أجد منك له ، ولست تؤتني من قلة علم ولكن من قلة قبول ، ومع هذا كلّه فالرأي الذي أودّعك به أن تمسك عنه لسانك ويدك ، وهمزك وغمزك ، فإنّه لا يبدؤك ما لم تبدؤه ، ولا يجيبك عما لم يبلغه ،

وأنت المتجني وهو المتأني ، وأنت العائب وهو الصامت ، فإن قلت : كيف هذا وقد جلس مجلساً أنا به أحق ، فقد قاربت ولكن ذاك بما كسبت يداك ، ونكص عنه عقباك ، لأنك بالأمس الأدينى هرولت إليهم ، تظن أنهم يُحلّون جيدك ويُتَمِّمون أصبعك ، ويطأون عقبك ، ويرون الرشد بك ، ويقولون لا بد لنا منك ، ولا معدل لنا عنك ، وكان هذا من هفواتك الكُبر ، وهناتك التي ليس لك منها عذر ، والآن بعد ما ثللت عرشك بيدك ، ونبذت رأي عمك في البيداء ، يتدهده (١) في السافياء (٢) ، خذ بأحزم ممّا يتوضح به وجه الأمر ، لا تشارّ هذا الرجل ولا تمّاره ، ولا يبلغه عنك ما يحنقه عليك ، فإنّه إن كاشفك أصاب أنصاراً ، وإن كاشفته لم تر إلا ضراراً ، ولم تستلج إلا عثاراً ، واعرف من هو بالشام له ، ومن ههنا حوله ، ومن يطيع أمره ويمثّل قوله ، ولا تغتر بناس يطيفون بك ، ويدعون الحنو عليك والحب لك ، فإنهم بين مولى جاهل ، وصاحب متمنّ ، وجليس يرعى العين ويتندر المحضر ، ولو ظن الناس بك ما تظن بنفسك لكان الأمر لك والزمّام في يدك ، ولكن هذا حديث يوم مرض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فات ، ثم حرم الكلام فيه حين مات ، فعليك الآن بالعزوف عن شيء عرضك له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم يتم ، وتصديت له مرّة بعد مرّة فلم يستقم ، ومن ساور الدهر غُلب ، ومن حرص على ممنوع تعب ، فعلى ذلك فقد أوصيت عبد الله بطاعتك ، وبعثته على متابعتك ، وأوجرتة محبتك ، ووجدت عنده من ذلك ظني به لك ، لا

(١) يتدهده : يتدحرج.

(٢) السافياء : الريح التي تحمل التراب.

توتر قوسك إلا بعد الثقة بها ، وإذا أعجبتك فأنظر إلى سيئها ، ثم لا تفوق إلا بعد العلم ، ولا تغرق في النزاع إلا لتصيب ، وأنظر لا تطرف يمينك عينك ، ولا تجن شمالك شينك ، ودّعني بآيات من آخر سورة الكهف ^(١) ، وقم إذا بدا لك ^(٢).

تعقيب ابن أبي الحديد على الوصية :

قال ابن أبي الحديد بعد ذكره الوصية المتقدمة : (قلت : الناس يستحسنون رأي العباس لعلّي عليه السلام في أن لا يدخل في أصحاب الشورى ، وأما أنا فإني أستحسنه إن قصد به معنى ، ولا أستحسنه إن قصد به معنى آخر ، وذلك لأنه إن أجري بهذا الرأي إلى ترقّعه عليهم وعلوّ قدره عن أن يكون مماثلاً لهم ، أو أجري به إلى زهده في الإمارة ورغبته عن الولاية ، فكلّ هذا رأي حسن وصوابه ، وإن كان منزعه في ذلك إلى أنك إن تركت الدخول معهم وانفردت بنفسك في دارك أو خرجت عن المدينة إلى بعض أموالك فإنهم يطلبونك ويضربون إليك آباط الإبل حتى يولّوك الخلافة ، وهذا هو الظاهر من كلامه ، فليس هذا الرأي عندي بمستحسن ،

(١) هي قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا _ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا _ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَخْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا _ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) الكهف / ١٠٧ - ١١٠ .

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ٣ / ٢٨٢ ط مصر الأولى .

لأنه لو فعل لولوا عثمان أو واحداً منهم غيره ، ولم يكن عندهم من الرغبة إليه عليه السلام ما يبعثهم على طلبه ، بل كان تأخره عنهم قرّة أعينهم ، وواقعاً بإيثارهم ، فإنّ قريشاً كلّها كانت تبغضه أشد البغض ، ولو عمّر عمر نوح وتوصل إلى الخلافة بجميع أنواع التوصل كالزهد فيها تارة ، والمناشدة بفضائله تارة ، وبما فعله في ابتداء الأمر من إخراج زوجته وأطفاله ليلاً إلى بيوت الأنصار ، وبما اعتمده إذ ذاك من تخلّفه في بيته واطهار أنّه قد عكف على جمع القرآن ، وبسائر أنواع الحيل فيها لم تحصل له إلاّ بتجريد السيف كما فعله في آخر الأمر .

ولست ألوّم العرب لا سيما قريشاً في بغضها له وانحرافها عنه ، فإنّه وترها وسفك دماءها ، وكشف القناع في منابذتها ، ونفوس العرب وأكبادها كما تعلم ، وليس الإسلام بمانع من بقاء الأحقاد في النفوس ، كما نشاهد اليوم عياناً ، والناس كالناس الأول ، والطبائع واحدة ، فأحسب أنّك كنت من سنتين أو ثلاث جاهلياً أو من بعض الروم وقد قتل واحد من المسلمين ابنك أو أخاك ثم أسلمت ، أكان اسلامك يُذهب عنك ما تجده من بغض ذلك القاتل وشنآنه ، كلا إنّ ذلك لغير ذاهب ، هذا إذا كان الإسلام صحيحاً والعقيدة محققة لا كإسلام كثير من العرب ، فبعضهم تقليداً ، وبعضهم للطمع والكسب ، وبعضهم خوفاً من السيف ، وبعضهم على طريق الحمية والإنصاف ، أو لعداوة قوم آخرين من أصدقاء الإسلام وأعدائه .

واعلم أنّ كلّ دم أراقه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسيف عليّ عليه السلام وبسيف غيره ، فإنّ العرب بعد وفاته عليه السلام عصبت تلك الدماء بعليّ بن أبي طالب عليه السلام وحده ، لأنّه لم يكن في رهطه من يستحق في شرعهم وسنتهم وعادتهم أن يعصب به تلك الدماء إلّا بعليّ وحده ، وهذه عادة العرب إذا قتل منها قتلى طالبت بتلك الدماء القتال ، فإن مات أو تعذرت عليها مطالبته طالبت بما أمثل الناس من أهله. لما قتل قوم من بني تميم أخاً لعمر بن هند ، قال بعض أعدائه يحرض عمراً عليهم :
من مبلغ عمراً بأن المرء لم يخلق صُباره وحوادث الأيام لا يلقى لها إلّا لحجاره
ها إنّ عجرة أمه بالسفح أسفل من أواره تسفي الرياح خلال كشيحه وقد سلبوا أزاره
فاقتل زرارة لا أرى في القوم أمثل من زرارة
أن يقتل زرارة بن عدس رئيس بني تميم ، ولم يكن قاتلاً أخا الملك ولا حاضراً قتله.
ومن نظر في أيام العرب ووقائعها ومقاتلها عرف ما ذكرناه (١).

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ٣ / ٢٨٣ ط الأولى بمصر.

محاورات ابن عباس مع عثمان

بين يدي المحاورة الأولى :

نذكر ما روى الواقدي في كتاب (الشورى) عن ابن عباس رحمه الله قال :
(شهدت عتاب عثمان لعليّ عليه السلام يوماً فقال له في بعض ما قاله : نشدتك
الله أن تفتح للفرقة باباً ، فلعهدي بك وأنت تطيع عتيقاً وابن الخطاب طاعتك لرسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم ولست بدون واحد منهما ، وأنا أمس بك رحماً وأقرب إليك صهراً
، فإن كنت تزعم أنّ هذا الأمر جعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لك ، فقد رأيناك
حين توفي نازعت ثمّ أقررت ، فإن كانا لم يركبا من الأمر جِداً فكيف أذعنت لهما بالبيعة
وبخعت بالطاعة ، وإن كانا أحسنا فيما وليّا ولم أقصر عنهما في ديني وحسي وقرايتي فكن لي
كما كنت لهما .

فقال عليّ عليه السلام : أمّا الفرقة ، فمعاذ الله أن أفتح لها باباً وأسهّل إليها سبيلاً ،
ولكني أنهاك عمّا ينهك الله ورسوله عنه ، وأهديك إلى رشدك .
وأما عتيق وابن الخطاب ، فإن كانا أخذوا ما جعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
لي فأنت أعلم بذلك والمسلمون ، وما لي ولهذا الأمر وقد تركته منذ حين . فأما أن لا يكون
حقني بل المسلمون فيه شرع ، فقد أصاب السهم الثغرة ،

وأما أن يكون حقي دونهم ، فقد تركته لهم طبت به نفساً ، ونفضت يدي عنه استصلاحاً .
وأما التسوية بينك وبينهما ، فلست كأحدهما ، إنهما وليا هذا الأمر فطلقا أنفسهما
وأهلها عنه ، وعُمتَ فيه وقومك عوم السابح في اللجة ، فارجع إلى الله أبا عمرو وأنظر
هل بقي من عمرك إلا كظمء الحمار ، فحتى متى وإلى متى؟ ألا تنهى سفهاء بني أمية عن
أعراض المسلمين وأبشارهم وأموالهم؟ والله لو ظلم عامل من عمالك حيث تغرب الشمس
لكان أثمّه مشتركاً بينه وبينك .

قال ابن عباس : فقال عثمان : لك العتبي ، وافعل وأعزل من عمالي كل من تكرهه
ويكرهه المسلمون .

ثم أفترقا ، فصده مروان بن الحكم عن ذلك ، وقال : يجتريء عليك الناس فلا تعزل
أحداً منهم (١) .

المخاطبة الثانية :

روى الزبير بن بكار في كتاب (الموفقيات) بسنده عن ابن عباس S قال : (صليت
العصر يوماً ثم خرجت ، فإذا أنا بعثمان في أيام خلافته في بعض أزقة المدينة وحده ، فأتيته
إجلالاً وتوقيراً لمكانه ، فقال لي : هل رأيت علياً؟

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ٢ / ٣٩٨ ط مصر الأولى .

قلت : خلّفته في المسجد ، فإن لم يكن الآن فيه فهو في منزله .

قال : أمّا منزله فليس فيه ، فابغه لنا في المسجد ، فتوجهنا إلى المسجد ، وإذا عليّ عليه السلام يخرج منه .

. قال ابن عباس : وقد كنت أمس ذلك اليوم عند عليّ فذكر عثمان وتجرّمه عليه ، وقال : أمّا والله يا بن عباس إنّ من دوائه لقطع كلامه وترك لقائه . فقلت له : يرحمك الله كيف لك بهذا ، فإن تركته ثمّ أرسل إليك فما أنت صانع؟ قال : أعتلّ وأعتلّ فمن يضرنّني؟ قال : لا أحد

قال ابن عباس : فلمّا تراءينا له وهو خارج من المسجد ظهر منه من الالتفات والطلب للانصراف ما أستبان لعثمان ، فنظر إليّ عثمان ، وقال : يا ابن عباس أما ترى ابن خالنا يكره لقاءنا؟

فقلت : ولمّ وحقك ألزم وهو بالفضل أعلم .

فلمّا تقاربا رماه عثمان بالسلام فردّ عليه . فقال عثمان : إن تدخل فإياك أردنا ، وإن تمض فإياك طلبنا . فقال عليّ : أيّ ذلك أحببت . قال : تدخل ، فدخلا وأخذ عثمان بيده فأهوى به إلى القبلة فقصر عنها وجلس قبالتها ، فجلس عثمان إلى جانبه ، فنكصت عنهما ، فدعواني جميعاً فأتيتهما .

فحمد الله عثمان وأثنى عليه وصلّى على رسوله ، ثمّ قال : أمّا بعد يا ابنيّ خاليّ وابنيّ عمّي فاذا جمعتمكما في النداء فأستجمعكما في الشكاية على رضائي عن أحدكما ووجدني على الآخر ، إنّي أستعذركما من أنفسكما وأسألكما فياتكما وأستوهبكما رجعتكما ، فوالله لو غالبني الناس

ما أنتصرت إلا بكما ، ولو تَهَضَّموني ما تعززت إلا بعزكمما ، ولقد طال هذا الأمر بيننا حتى تخوّفت أن يجوز قدره ويعظم الخطر فيه. ولقد هاجني العدو عليكما وأغراني بكما ، فمنعني الله والرحم مما أراد ، وقد خلونا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإلى جانب قبره ، وقد أحببت أن تظهر لي رأيكما وما تنطويان لي عليه وتصدقا ، فإنّ الصدق أنجى وأسلم ، وأستغفر الله لي ولكما.

قال ابن عباس : فأطرق عليّ عليه السلام وأطرقت معه طويلاً. أمّا أنا فأجللته أن أتكلّم قبله ، وأمّا هو فأراد أن أجيب عنيّ وعنه ؛ ثمّ قلت له : أتتكلّم أم أتكلّم أنا عنك؟ قال : بل تكلم عني وعنك.

فحمدت الله وأثّنت عليه ، وصلّيت على رسوله ، ثمّ قلت : أمّا بعد يا ابن عمنا وعمتنا ، فقد سمعنا كلامك لنا وخلطك في الشكاية بيننا على رضاك . زعمت . عن أحدنا ووجدك على الآخر ، وسنفعل في ذلك فنذمك ونحمدك ، اقتداءً منك بفعلك فينا ، فإننا نذمّ مثل تهمتكم إيانا على ما اتهمتنا عليه بلا ثقة إلا ظنّاً ، ونحمد منك غير ذلك من مخالفتك عشيرتك ، ثمّ نستعذر من نفسك استعذارك إيانا من أنفسنا ، ونستوهبك فياتك استيهابك إيانا فيأتنا ، ونسألك رجعتك مسألتك إيانا رجعتنا ، فإننا معاً أيّما حمدت وذممت منّا كمثلك في أمر نفسك ، ليس بيننا فرق ولا إختلاف ، بل كلانا شريك صاحبه في رأيه وقوله ، فوالله ما تعلمنا غير معدّرين فيما بيننا وبينك ، ولا تعرفنا غير قانتين عليك ولا تجدنا غير راجعين إليك ،

فنحن نسألك من نفسك مثل ما سألتنا من أنفسنا.

وأما قولك : لو غالبني الناس ما أنتصرت إلا بكما ، أو تهضموني ما تعززت إلا بعزكم ، فأين بنا وبك عن ذلك ونحن وأنت كما قال أخو كنانة :

بدا بجر ما رام نال وإن يرم نخض دونه غمرا من الغر رائمه
لنا ولهم منا ومنهم على العدى مراتب عز مصعدات سلاله
وأما قولك في هيج العدو إياك وإغرائه لك بنا ، فوالله ما أتاك العدو من ذلك شيئا
إلا وقد أتانا بأعظم منه ، فمنعناه ما أراد ما منعك من مراقبة الله والرحم ، وما أبقيت أنت
ونحن إلا على أدياننا وأعراضنا ومروآتنا ، ولقد لعمرى طال بنا وبك هذا الأمر حتى تخوفنا
منه على أنفسنا وراقبنا منه ما راقبت.

وأما مساءلتك إيانا عن رأينا فيك وما ننطوي عليه لك ، فإننا نخبرك أن ذلك إلى ما
تحب لا يعلم واحد منا من صاحبه إلا ذلك ، ولا يقبل منه غيره ، وكلانا ضامن على
صاحبه ذلك وكفيل به ، وقد برأت أحدنا وزكيتته وأنطقت الآخر وأسكتته ، وليس السقيم منا
مما كرهت بأنطق من البري فيما ذكرت ، ولا البري منا مما سخطت بأظهر من السقيم فيما
وصفت ، فإما جمعنا في الرضا وإما جمعنا في السخط ، لنجازيك بمثل ما تفعل بنا في ذلك
مكايلة الصاع بالصاع ، فقد أعلمناك رأينا وأظهرنا لك ذات أنفسنا

وصدقناك ، والصدق . كما ذكرت . أنجى وأسلم ، فأجب إلى ما دعوت إليه ، وأجلل عن النقص والغدر مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وموضع قبره ، وأصدق تنج وتسلم ، ونستغفر الله لنا ولك .

قال ابن عباس : فنظر إليّ عليّ عليه السلام نظر هيبه ، وقال : دعه حتى يبلغ رضاه فيما هو فيه . فوالله لو ظهرت له قلوبنا وبدت له سرائرنا حتى رآها بعينه كما يسمع الخبر عنها بإذنه ما زال متجرماً منتقماً ، والله ما أنا ملقى على وضمة ، وإيّى لمانع ما وراء ظهري ، وإنّ هذا الكلام لمخالفة منه وسوء عشرة .

فقال عثمان : مهلاً أبا حسن فوالله إنك لتعلم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصفني بغير ذلك يوم يقول وأنت عنده : إنّ من أصحابي لقوماً سالمين لهم وإنّ عثمان لمنهم ، إنّه لأحسنهم بهم ظناً ، وأنصحهم لهم حباً .

فقال عليّ عليه السلام : فصدّق قوله صلى الله عليه وآله وسلم بفعلك ، وخالف ما أنت الآن عليه ، فقد قيل لك ما سمعت وهو كاف إن قبلت .

قال عثمان : تثق يا أبا الحسن؟

قال : نعم أثق ولا أظنك فاعلاً .

قال عثمان : قد وثقت وأنت ممن لا يخفر صاحبه ولا يكذب لقيه .

قال ابن عباس : فأخذت بأيديهما حتى تصافحا وتصالحا وتمازحا ، ونهضت عنهما

فتشاورا وتآمرا وتذاكرا ، ثمّ افترقا ، فوالله ما مرّت ثلاثة حتى

لقيني كل واحد منهما يذكر من صاحبه ما لا تترك عليه الإبل ، فعلمت أن لا سبيل إلى صلحهما بعدها (١).

المحاورة الثالثة :

روى الزبير بن بكار في كتاب (الموفقيات) عن عمه ، عن عيسى بن داود ، عن رجاله ، قال : قال ابن عباس رحمه الله : (لما بنى عثمان داره بالمدينة أكثر الناس عليه في ذلك فبلغه ، فخطبنا في يوم الجمعة ، ثم صلّى بنا ، ثم عاد إلى المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على رسوله ، ثم قال :

أما بعد فإنّ النعمة إذا حدثت حدث لها حسّاد حسبها وأعداء قدرها ، وإنّ الله لم يحدث لنا نعماً ليحدث لها حسّاد عليها ومنافسون فيها ، ولكنه قد كان من بناء منزلنا هذا ما كان إرادة جمع المال فيه وضم القاصية إليه ، فأتانا عن أناس منكم أنّهم يقولون أخذ فيأنا وأنفق شيئاً وأستأثر بأموالنا ، يمشون خمراً ، وينطقون سرّاً ، كأنّ غيب عنهم ، وكأنّهم يهابون مواجهتنا ، معرفة منهم بدحوض حجّتهم ، فإذا غابوا عنا يروح بعضهم إلى بعض يذكرنا ، وقد وجدوا على ذلك أعواناً من نظرائهم ، ومؤازرين من شبهائهم ، فبعداً بعداً ، ورغماً رغماً ، ثم أنشد بيتين كأنّه يوميء فيهما إلى عليّ عليه السلام :

توقّد بنار أينما كنت وأشتعل فلست ترى ممّا تعالج شافياً
تشط فيقضي الأمر دونك أهله وشيكاً ولا تدعى إذا كنت نائياً

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ٢ / ٣٩٩ ط مصر الأولى.

ما لي ولفيئكم وأخذ مالكم ، ألسنت من أكثر قريش مالاً وأظهرهم من الله نعمة؟ ألم أكن على ذلك قبل الإسلام وبعده؟

وهبوني بنيت منزلاً من بيت المال أليس هو لي ولكم؟ ألم أقم أموركم ، وأني من وراء حاجاتكم؟ فما تفقدون من حقوقكم شيئاً؟ فلم لا أصنع في الفضل ما أحببت؟ فلم كنت إماماً إذاً؟

ألا وإن من أعجب العجب أنه بلغني عنكم أنكم تقولون : لنفعلن به ولنفعلن ، فبمن تفعلون؟ لله آباؤكم ، أبنقد البقاع أم بققع القعاع؟ ألسنت أحراركم إن دعا أن يجاب؟ وأقمنكم إن أمر أن يطاع؟ لهفي على بقائي فيكم بعد أصحابي ، وحياتي فيكم بعد أترابي ، يا ليتني تقدمت قبل هذا ، لكنني لا أحبّ خلاف ما أحبّه الله لي عليه السلام. إذا شئتم ، فإنّ الصادق المصدّق محمداً صلى الله عليه وآله وسلم قد حدثني بما هو كائن من أمري وأمركم ، وهذا بدء ذلك وأوله ، فكيف الهرب ممّا حتم وقدّر. أما أنّه عليه السلام قد بشرني في آخر حديثه بالجنة دونكم إذا شئتم ، فلا أفلح من ندم.

قال : ثمّ همّ بالنزول فبصر عليّ بن أبي طالب عليه السلام ومعه عمّار بن ياسر رضي الله عنه وناس من أهل هواه يتناجون ، فقال : أيهاً أيهاً اسراراً لا جهاراً ، أما والذي نفسي بيده ما أحنق على جرة ولا أوتى على ضعف مرّة ، ولولا النظر لي ولكم والرفق بي وبكم لعاجلتكم فقد أغتررتم ، وأقلتم من أنفسكم ، ثمّ رفع يديه يدعو ويقول : اللهمّ قد تعلم حيّي للعافية فألبسنيها ، وإيثاري للسلامة فاتنيها.

قال : فتفرق القوم عن عليّ عليه السلام ، وقام عدي بن الحيار ، فقال : أتم الله عليك يا أمير المؤمنين النعمة وزادك في الكرامة ، والله لأن تحسد أفضل من أن تحسد ، ولأن تنافس أجل من أن تنافس ، أنت والله في حبنا الصميم ومنصبنا الكريم ، إن دعوت أجبت ، وأن أمرت أطعت ، فقل نفعك وأدع نجب . جعلت الخيرة والشورى إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليختاروا لهم ولغيرهم ، وأنهم ليرون مكانك ويعرفون مكان غيرك ، فاختاروك منييين طائعين غير مكرهين ولا مجبرين ، ما غيرت ولا فارقت ولا بدلت ولا خالفت ، فعلام يقدمون عليك ، وهذا رأيهم فيك ، أنت والله كما قال الأوّل :

اذهب إليك فما للحسود إلا طلابك تحت العثار
حكمت فما جرت في حُلّةٍ فحكمتك بالحقّ بادي المنار
فإن يسبعوك فسراً وقد جهرت بسيفك كلّ الجهار

قال : ونزل عثمان فأتى منزله ، وأتاه الناس وفيهم ابن عباس ، فلما أخذوا مجالسهم أقبل على ابن عباس ، فقال : ما لي ولكم يا بن عباس؟ ما أغراكم بي وأولعكم بتعقب أمري؟ أتتقون عليّ أمر العامة ، أتيت من وراء حقوقهم أم أمركم ، فقد جعلتهم يتمنون منزلتكم ، لا والله لكن الحسد والبغي وتثوير الشر وإحياء الفتن ، والله لقد ألقى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إليّ ذلك ، وأخبرني عن أهله واحداً واحداً ، والله ما كذبت ولا أنا بمكذوب .

فقال ابن عباس : على رسلك يا أمير المؤمنين ، فوالله ما عهدتك جَهراً

بسرّك ، ولا مظهراً ما في نفسك ، فما الذي هيّجك وثوّرك؟ إنّنا لم يولعنا بك أمر ، ولم نتعقب أمرك بشيء ، أتيت بالكذب وتسوّق عليك بالباطل ، والله ما نقمنا عليك لنا ولا للعامّة ، قد أوتيت من وراء حقوقنا وحقوقهم ، وقضيت ما يلزمك لنا ولهم ، فأما الحسد والبغي وتثوير الفتن وإحياء الشرّ فمتى رضيت به عترة النبيّ وأهل بيته ، كيف وهم منه واليه ، على دين الله يثورون الشرّ؟ أم على الله يحيون الفتن؟ كلا ليس البغي ولا الحسد من طباعهم ، فاتتد يا أمير المؤمنين وأبصر أمرك وأمسك عليك ، فإنّ حالتك الأولى خير من حالتك الأخرى ، لعمرى إن كنت لأثيراً عند رسول الله وإن كان ليفضي إليك بسرّه ما يطويه عن غيرك ولا كذبت ولا أنت بمكذوب ، أخسىء الشيطان عنك ولا يركبك ، وأغلب غضبك ولا يغلبك ، فما دعاك إلى هذا الأمر الذي كان منك؟

قال : دعاني إليه ابن عمك عليّ بن أبي طالب.

فقال ابن عباس : وعسى أن يكذب مبلّغك؟

قال عثمان : إنّّه ثقة.

قال ابن عباس : إنّّه ليس بثقة من بلّغ وأغرى.

قال عثمان : يا بن عباس ألله أنّك ما تعلم من عليّ ما شكوت منه؟

قال : اللّهم لا ، إلاّ أن يقول كما يقول الناس ينقم كما ينقمون ، فمن أغراك به

وأولعك بذكره دونهم؟

فقال عثمان : إنّما آفتي من أعظم من الداء الذي ينصب نفسه لرأس

الأمر وهو عليّ ابن عمك ، وهذا والله كلّ من نكده وشؤمه .

قال ابن عباس : مهلاً استثن يا أمير المؤمنين ، قل : إن شاء الله .

فقال : إن شاء الله ، ثمّ قال : إيّ أنشدك يا بن عباس الإسلام والرحم فقد والله عُلبت وابتليت بكم ، والله لوددت أنّ هذا الأمر كان صار إليكم دوبي ، فحملتموه عني وكنت أحد أعوانكم عليه ، إذاً والله لو جدتموني لكم خيراً ممّا وجدتمكم لي . ولقد علمت أنّ الأمر لكم ولكن قومكم دفعوكم عنه وأختزلوه دونكم ، فوالله ما أدري أرفعوه عنكم ، أم رفعوكم عنه؟

قال ابن عباس : مهلاً يا أمير المؤمنين فإنّنا ننشدك الله والإسلام والرحم مثل ما نشدتنا أن تطمع فينا وفيك عدواً ، وتشمت بنا وبك حسوداً ، إنّ أمرك إليك ما كان قولاً ، فإذا صار فعلاً فليس إليك ولا في يديك ، وإنّا والله لنخالفنّ إن خولفنا ولننازعنّ إن نوزعنا ، وما تمنيك أن يكون الأمر صار إلينا دونك إلاّ أن يقول قائل منا ما يقوله الناس ، ويعيب كما عابوا .

فأمّا صرف قومنا عنا الأمر ، فعن حسدٍ قد والله عرفته ، وبغيٍ قد والله علمته ، فالله

بيننا وبين قومنا .

وأما قولك : إنّك لا تدري أرفعوه عنا أم رفعونا عنه ، فلعمري إنّك لتعرف إنّّه لو صار إلينا هذا الأمر ما ازددنا به فضلاً إلى فضلنا ، ولا قدرّاً إلى قدرنا ، وإنّا لأهل الفضل وأهل القدر ، وما فضل فاضل إلاّ بفضلنا ، ولا سبق سابق إلاّ بسبقنا ، ولولا هدينا ما أهتدى أحد ، ولا أبصروا من عمي ولا قصدوا من خور .

فقال عثمان : حتى متى يا بن عباس يأتيني عنكم ما يأتيني ، هبوني كنت بعيداً ما كان لي من الحقّ عليكم أن أراقب وأن أنظر ، بلى ورب الكعبة ، ولكن الفرقة سهّلت لكم القول فيّ وتقدّمت لكم إلى الإسراع إليّ ، والله المستعان .

قال ابن عباس : مهلاً حتى ألقى عليّاً ، ثمّ أحمل إليك على قدر ما أرى .

قال عثمان : افعل فقد فعلت ، وطالما طلبت فلا أطلب ولا أجاب ولا أعتب .

قال ابن عباس : فخرجت فلقيت عليّاً وإذا به من الغضب والتلظي أضعاف ما بعثمان ، فأردت تسكينه فأمتنع ، فأتيت منزلي وأغلقت بابي وأعتزلتهما . فبلغ ذلك عثمان فأرسل إليّ فأتيته وقد هدأ غضبه ، فنظر إليّ ثمّ ضحك .

وقال : يا بن عباس ما أبطأ بك عنا؟ إنّ تركك العود إلينا لدليل على ما رأيت عند صاحبك ، وعرفت من حاله فالله بيننا وبينه خذ بنا في غير ذلك .

قال ابن عباس : فكان عثمان بعد ذلك إذا أتاه عن عليّ فأردت التكذيب عنه يقول : ولا يوم الجمعة أبطأت عنا وتركنا العود إلينا ، فلا أدري كيف أردّ عليه ... اهـ (١) .

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ٢ / ٣٩٣ ط مصر الأولى .

المحاورة الرابعة :

روى الزبير بن بكار أيضاً في (الموفقيات) عن ابن عباس رحمه الله قال :
(خرجت من منزلي سحراً أسابق إلى المسجد وأطلب الفضيلة ، فسمعت خلفي
حساً وكلاماً ، فتسمعتة فإذا حس عثمان وهو يدعو ولا يرى أن أحداً يسمعه ، ويقول :
اللهم قد تعلم نيتي فأعني عليهم ، وتعلم الذين أبتليت بهم من ذوي رحمي وقرابتي فأصلحني
لهم وأصلحهم لي .

قال : فقصرت من خطوتي وأسرع في مشيته فالتقينا فسلم فرددت عليه .

فقال : ايّ خرجت ليلتنا هذه أطلب الفضل والمساواة إلى المسجد .

فقلت : إنه أخرجني ما أخرجك .

فقال : والله لعن سابقت إلى الخير إنك لمن سابقين مباركين ، وإني لأحبكم وأتقرب

إلى الله بحبكم .

فقلت : يرحمك الله يا أمير المؤمنين إننا لنحبك ونعرف سابقتك وسنك وقرابتك

وصهرك .

قال : يا بن عباس فما لي ولا بن عمك وابن خالي؟

قلت : أيّ بني عمومي وبني أخوالك؟

قال : اللهم غفراً تسأل مسألة الجاهل .

قلت : إنّ بني عمومي من بني خولتك كثير فأيتهم تعني؟

قال : أعني علياً لا غيره .

فقلت : لا والله يا أمير المؤمنين ما أعلم منه إلا خيراً ولا أعرف له إلا

حسناً.

قال : والله بالحرى أن يستر دونك ما يظهره لغيرك ، ويقبض عنك ما يبسط به إلى

سواك.

قال : ورمينا بعمّار بن ياسر فسلم فرددت عليه سلامه ، ثمّ قال : من معك؟ قلت :

أمير المؤمنين عثمان. قال : نعم ، وسلم بكنيته ولم يسلم عليه بالخلافة ، فردّ عليه.

ثمّ قال عمّار : ما الذي كنتم فيه فقد سمعت ذرواً منه؟ قلت : هو ما سمعت.

فقال عمّار : ربّ مظلوم غافل وظالم متجاهل.

قال عثمان : أمّا إنك من شئنا وأتباعهم ، وأيم الله إنّ اليد عليك منبسطة ، وإنّ

السييل إليك لسهلة ، ولولا إثثار العافية ولمّ الشعث لجزرتك زجرة تكفي ما مضى وتمنع ما

بقي.

فقال عمّار : والله ما أعتذر من حيّ عليّاً وما اليد بمنبسطة ولا السيل بسهولة ، إنّ

لازم حجة ومقيم على سنّة ، وأمّا إثثار العافية ولمّ الشعث فلازم لك ذلك ، وأمّا زجري

فأمسك عنه فقد كفاك معلّم تعليمي.

فقال عثمان : أمّا والله إنك ما علمت من أعوان الشر الحاضين عليه ، الخذلة عند

الخير والمثبطين عنه.

فقال عمّار : مهلاً يا عثمان فقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصفني

بغير ذلك.

قال عثمان : ومتى؟

قال : يوم دخلت عليه منصرفه عن الجمعة وليس عنده غيرك ، وقد ألقى ثيابه وقعد في فضله ، فقبلت صدره ونحره وجبهته ، فقال : يا عمّار إنك لتحبنا وإنّا لنحبك ، وإنك لمن الأعوان على الخير المثبطين عن الشرّ.

فقال عثمان : أجل ولكنتك غيرت وبدلت.

قال : فرفع عمّار يده يدعو ، وقال : أمّن يا بن عباس : اللهم من غير غير به .. ثلاث مرات.

قال : ودخلنا المسجد ، فأهوى عمّار إلى مصلاه ومضيت مع عثمان إلى القبلة ، فدخل الحراب وقال : تلبث عليّ إذا أنصرفنا .. فلما رأني عمّار وحدي أتاني ، فقال : أما رأيت ما بلغ بي آنفاً.

قلت : أما والله لقد أصعبت به وأصعب بك ، وإنّ له لسنّه وفضله وقرابته.

قال : إنّ له ذلك ، ولكن لا حقّ لمن لا حقّ عليه. وانصرف.

وصلّى عثمان وأنصرفت معه يتوكأ عليّ. فقال : هل سمعت ما قال عمّار؟

قلت : نعم ، فسرّني ذلك وساءني ، أمّا مساءته إياي فما بلغ بك ، وأمّا مسرّته لي فحملك واحتمالك.

فقال : إنّ عليّاً فارقي منذ أيام على المقاربة ، وأنّ عمّاراً آتية فقائل له وقائل ، فأبدره إليه فإنّك أوثق عنده منه وأصدق قولاً ، فألق الأمر إليه على وجهه.

فقلت : نعم ، وأنصرفت أريد علياً عليه السلام في المسجد فإذا هو خارج منه ، فلما رأيته تفجع لي من فوت الصلاة ، وقال : ما أدركتها؟

قلت : بلى ولكني خرجت مع أمير المؤمنين ، ثم أقتصصت عليه القصة.

فقال : أما والله يا بن عباس إنه ليقرف قرحة ليحورنّ عليه ألمها.

فقلت : إن له سنّه وسابقته وقرابته وصهره.

قال : إن ذلك له ولكن لا حق لمن لا حقّ عليه.

قال : ثم رهقنا عمّار فبشّ به عليّ وتبسّم في وجهه وسأله.

فقال عمّار : يا بن عباس هل ألقيت إليه ما كتنا فيه؟

قلت : نعم.

قال : أما والله إذاً لقد قلت بلسان عمّار ونطقت بهواه.

قلت : ما عدوت الحقّ جهدي ، ولا ذلك من فعلي ، وإنك لتعلم أيّ الحظين أحبّ إليّ ، وأيّ الحقين أوجب عليّ.

قال : فظنّ عليّ أنّ عند عمّار غير ما ألقيت إليه ، فأخذ بيده وترك يدي ، فعلمت إنه يكره مكاني ، فتخلّفت عنهما وأنشعب بنا الطريق فسلكاه ولم يدعني ، فأنطلقت إلى منزلي ، فإذا رسول عثمان يدعوني فأتيته ، فأجد ببابه مروان وسعيد بن العاص في رجال من بني أمية ، فأذن لي وألطفني وقربني وأدنى مجلسي ، ثمّ قال : ما صنعت؟ فأخبرته الخبر على وجهه ، وما قال الرجل وقلت له ، وكتمته قوله : إنه ليقرف قرحة ليحورنّ عليه ألمها ،

إبقاءً عليه وإجلالاً له ، وذكرت مجيء عمّار وبشّ عليّ له وظن عليّ أن قبّله غير ما ألقيت عليه ، وسلوكهما حيث سلكا. قال : وفعلنا؟ قلت : نعم.
فأستقبل القبلة ثمّ قال : اللهم ربّ السموات والأرض عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم أصلح لي عليّاً وأصلحني له ، أمّن يا ابن عباس ، فأمنت ، ثمّ تحدثنا طويلاً وفارقته وأتيت منزلي ... اهـ)^(١).

المحاورة الخامسة :

ذكر ابن عبد ربه في (العقد الفريد) :
وقال عبد الله بن العباس : أرسل إليّ عثمان ، فقال لي : إكفني ابن عمك.
فقلت : إنّ ابن عمي ليس بالرجل يُرى له ، ولكنه يرى لنفسه ، فأرسلني إليه بما أحببت.
قال : قل له فليخرج إلى ماله بينبع فلا أعتمّ به ولا يغتمّ بي.
فأتيت عليّاً فأخبرته ، فقال : ما اتخذني عثمان إلّا ناضحاً ، ثمّ أنشد يقول :
فكيف به أنّي أداوي جراحه فيدوى فلا مُلّ الدواء ولا الداء
أما والله أنّه ليختبر القوم.
فأتيت عثمان فحدثته الحديث كلّه إلّا البيت الذي أنشده وقوله : أنّه

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ٢ / ٣٩٦.

ليختر القوم.

فأنشد عثمان :

فكيف به أتى أدوي جراحه فيدوى فلا ملّ الدواء ولا الداء
وجعل يقول : يا رحيم أنصري ، يا رحيم أنصري .

قال : فخرج عليّ إلى ينبع ، فكتب إليه عثمان حين أشدّ الأمر : أمّا بعد فقد بلغ
السيل الرّبي ، وجاوز الحزام الطيبين ، وطمع فيّ من كان يضعف عن نفسه .

فإنّك لم يفخر عليك كفاخر ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب
فأقبل إليّ على أيّ أمر يك أحببت، وكن لي أم عليّ ، صديقاً كنت أم عدواً :

فإن كنت مأكولاً فكن خير آكل وإلا فأدركني ولمّا أمزّق^(١)
تعقيب : روى الشريف الرضي في (نهج البلاغة) ، قال : (ومن كلام له عليه

السلام قال لعبد الله بن عباس وقد جاءه برسالة من عثمان وهو محصور

(١) العقد الفريد ٤ / ٣٠٩ .

وجاء في أنساب الأشراف ١ ق ٤ / ٥٦٨ تح إحصان عباس بيروت عن يحيى بن سعيد قال : كان طلحة
قد استولى على أمر الناس في الحصار فبعث عثمان عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب إلى
عليّ بهذا البيت . وذكر في حديث أبي مخنف قال صلّى عليّ بالناس يوم النحر وعثمان محصور فبعث عثمان ببيت
المرق ... وسيأتي تمام الحديث في محله .

يسأله فيها الخروج إلى ماله بينبع ليقبل هتف الناس بأسمه للخلافة ، بعد أن كان سأله مثل ذلك من قبل.

فقال عليه السلام : يا بن عباس ما يريد عثمان إلا أن يجعلني جملاً ناضحاً بالعرب ، أقبل وأدبر ، بعث إليّ أن أخرج ، ثم بعث إليّ أن أقدم ، ثم هو الآن يبعث إليّ أن أخرج ، والله لقد دفعت عنه حتى خشيت أن أكون آثماً^(١).

المحاورة السادسة :

سأل عثمان عبد الله بن عباس عن رأيه فيه ، فقال له :

(يا بن عمي ويابن خالي إنّه لم يبلغني في أمري شيء أحببه ولا أكرهه ، عليّ ولا لي ، وقد علمتُ أنّك رأيت بعض ما رأى الناس ، فمنعك عقلك وحلمك من أن تظهر ما أظهروا ، وقد أحببت أن تعلمني رأيك فيما بيني وبينك؟ فاعتذر ابن عباس ، فأبى عثمان عليه إلا أن يقول.

فقال : يا أمير المؤمنين إنك ابتليتني بعد العافية ، وأدخلتني في الضيق بعد السعة ، والله إنّ رأيي لك أن يُجلّ سنك ، ويُعرف قدرك وسابقتك ، والله لو ددت أنّك لم تفعل ما فعلته. فما ترك الخليفان قبلك. فإن كان شيئاً تركاه لما رأيا أنّه ليس لهما ، علمت أنه ليس لك كما لم يكن لهما ، وإن كان ذلك لهما فتركاه خيفة أن ينال منهما مثل الذي نيل منك ، تركته لما تركاه له ، ولم يكونا أحق بإكرام أنفسهما منك.

(١) أنظر شرح النهج لابن أبي الحديد ٣ / ٢٨٢ ط مصر الأولى.

فقال عثمان : فما منعك أن تشير عليّ بهذا قبل أن أفعل ما فعلت؟
فقال ابن عباس باستغراب وتعجب من عثمان : وما علمي بأنك تفعل ذلك قبل أن
تفعل.

فقال عثمان : فهب لي صمتاً حتى ترى رأيي (١).

المحاوره السابعه :

أخرج ابن عساكر في تاريخه في ترجمه عثمان :
(أنّ عثمان بعث إلى ابن عباس وهو محصور ، فأتاه وعنده مروان بن الحكم .
فقال عثمان : يا ابن عباس أما ترى إلى ابن عمك ، كان هذا الأمر في بني تيم وعدي
فرضي وسلّم ، حتى إذا صار الأمر إلى ابن عمه بغانا الغوائل .
قال ابن عباس : فقلت له : إنّ ابن عمك والله ما زال عن الحق ولا يزول ، ولو أنّ
حسنًا وحسينًا بغيا في دين الله الغوائل لجاهدهما في الله حق جهاده ، ولو كنت كأبي بكر
وعمر لكان لك كما كان لهما ، بل كان لك أفضل لقرابتك ورحمك وسنك ، ولكنك ركبت
الأمر وهاباه .

قال ابن عباس : فأعترضني مروان ، فقال : دعنا من تخطتلك يا ابن

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١ / ٢٩ - ٣٠ مطبعة الأمة ١٩٢٨ هـ ، وقد مرّ سابقاً في الحلقة الأولى من هذه
الموسوعة ٢ / ٣٤٠ .

عباس ، فأنت كما قال الشاعر :

دعوتك للغيث ولسنت أدري أمن خلفي المنية أم أمامي
فشقت الكلام رخي بال وقد جلّ الفعال عن الكلام
إن يكن عندك غياث لهذا الرجل فأغثه ، وإلاّ فما أشغله عن التفهّم لكلامك ،
والفكر في جوابك.

قال ابن عباس : فقلت له : هو والله كان عنك وعن أهل بيتك أشغل ، إذ أوردتموه
ولم تُصدروه. ثم أقبلت على عثمان فقلت له :
جعلت شعار جلدك قوم سوء وقد يجزى المقارن بالقرين
فما نظروا لدنيا أنت فيها بإصلاح ولا نظروا لدين
ثم قلت له : إنّ القوم غير قابلين إلاّ قتلك أو خلعتك ، فإن قُتلت قُتلت على ما قد
عملت وعلمت ، وإن تُركت فإنّ باب التوبة مفتوح (١).

المخاطبة الثامنة :

روى مصعب بن الزبير في كتابه (نسب قريش) ، قال :
وقال أبو الزناد : كانت بين حسّان بن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم وبين بعض الناس منازعة عند عثمان بن عفان ، فقضى عثمان على حسّان ، فجاء
حسّان إلى عبد الله بن عباس فشكا ذلك إليه.

(١) مختصر تاريخ ابن عساکر ١٦ / ٢١١ لابن منظور ط دار الفكر بدمشق.

فقال له ابن عباس : الحق حقا ، ولكن أخطأت حججتك ، انطلق معي .
 فخرج به حتى دخلا على عثمان فاحتج له ابن عباس حتى تبين عثمان الحق ، فقضى
 به لحسان بن ثابت ، فخرج آخذاً بيد ابن عباس حتى دخلا المسجد ، فجعل حسان بن
 ثابت ينشد الخلق ويقول :

إذا ما ابن عباس بدا لك وجهه رأيت له في كل جمعة فصلاً
 إذا قال لم يترك مقالاً لقائل بمنتظمات لا ترى بينها فصلاً
 كفى وشفى ما في النفوس فلم يدع لذي إربة في القول جداً ولا هزلاً^(١)
 قال البرقوقي في (شرحه ديوان حسان) عند مدح حسان لابن عباس بقوله :

إذا قال لم يترك مقالاً لقائل بملتظمات لا ترى بينها فصلاً
 كفى وشفى ما في النفوس فلم يدع لذي إربة في القول جداً ولا هزلاً
 سموت إلى العليا بغير مشقة فنلت ذراها لا دنيا ولا وغلا

فذكر البرقوقي ترجمة ابن عباس في هامش (ص ٣٥٨) ، وأكملها في (ص ٣٥٩)
 ، وختمها بقوله : (وبعد فإن مناقب ابن عباس أجل من أن تأتي عليها في مثل هذا المجال ،
 وأنه لمن ذوي الشخصيات الممتازة الذين تعتمد عليهم الخناصر ، وأنه لجدير بأن يفرد له
 كتاب ...

وقد قال حسان هذه الأبيات في ابن عباس بعد أن أحسن محضره

(١) نسب قريش / ٢٧ .

لدى الفاروق ونوّه به وذكر عظيم قدر الأنصار وفضلهم وفضل حسان في نضاله عن رسول الله (١).

وليس هذا وهم من المحقق ، مع أنّ الخبر يتعلق بعثمان وليس بعمر كما مرّ ، ولعلّه رأى أنّ ابن عساكر ذكر . كما في مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن منظور . في ترجمة ابن عباس ، أنّه أختصم إلى عمر بن الخطاب حسان بن ثابت وخصم له ، فسمع منهما وقضى على حسان ، فخرج وهو مهموم ، فمر بابن عباس فأخبره بقصته ، فقال له ابن عباس : لو كنت أنا الحكم بينكما لحكمت لك ، فرجع حسان إلى عمر فأخبره ، فبعث عمر إلى ابن عباس فأتاه فسأله عما قال حسان فصدّقه ، فسأله عن الحجّة في ذلك فأخبره ، فرجع عمر إلى قول ابن عباس ، وحكم لحسان ، فخرج وهو آخذ بيد ابن عباس وهو يقول :

إذا ما ابن عباس بدا لك وجهه رأيت له في كلّ منزلة فضلاً
قضى وشفى ما في النفوس فلم يدع لذي إربة في القول جداً ولا هزلاً

ثم قال ابن عساكر : (ورويت هذه الأبيات في ابن عباس في قصة أخرى) (٢).

وروي الطبراني ، والهيثمي ، وابن عبد البر ، وابن حجر ، هذه القصة

(١) شرح ديوان حسان / ٣٥٨ - ٣٥٩ .

(٢) مختصر تاريخ ابن عساكر ١٢ / ٢٢١ لابن منظور ط دار الفكر بدمشق .

بتفاوت في ألفاظها وأشعاره أوسع ممّا مرّ. وإلى القارئ بلفظ الأوّل منهم ، قال :

(حدثنا علي بن عبد العزيز ، ثنا الزبير بن بكار ، حدثني يحيى بن محمد . يعني الجابري . من أهل الجار من ساحل المدينة . حدثني إسحاق ابن محمد المسيبي ، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن الأعرج ، عن عبد الرحمن بن حسان ، عن أبيه حسان بن ثابت ، قال : بدت لنا معشر الأنصار إلى الوالي حاجة ، وكان الذي طلبنا إليه أمراً صعباً ، فمشينا إليه برجال من قريش وغيرهم ، فكلموه وذكروا له وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنا ، فذكر صعوبة الأمر ، فعذره القوم وخرجوا ، وألحّ عليه ابن عباس ، فو الله ما وجد بدّاً من قضاء حاجتنا ، فخرجنا حتى دخلنا المسجد ، فإذا القوم أنديّة .

قال حسان : فضحكت وأنا أسمعهم إنّه والله كان أولاكم بها ، إنّما والله صباية النبوة ، ووراثة أحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وتهذيب أعراقه ، وانتزاع شبه طبائعه . فقال القوم : أجل يا حسان .

فقال ابن عباس : صدقوا .

فأنشأ حسان يمدح ابن عباس رضي الله عنه ، فقال :

إذا ما ابن عباس بدا لك وجهه رأيت له في كلّ مجمه فضلاً
 إذا قال لم يترك مقالاً لقائل بملتقطات لا ترى بينها فصلاً
 سموت إلى العليا بغير مشقة فنلت ذراها لا جباناً ولا غلاً

خلقت حليفاً للمرؤة والندي بليجاً^(١) ولم تخلق كهاماً^(٢) ولا خبلاً^(٣)
 فقال الوالي : والله ما أراد بالكهام الخبلَ غيري ، والله بيني وبينه^(٤) .
 وذكر الهيثمي في (مجمع الزوائد)^(٥) تمام القصة نقلاً عن الطبراني ولم يتكلم عنها
 بشيء ، وكذا الصالحى الشامى في (سبل الهدى والرشاد)^(٦) ، فأما ابن عبد البر فذكر في
 (الإستيعاب) الأبيات مجردة ولم يستوعب تمام القصة في ترجمة ابن عباس مع تصحيف آخر
 في آخر البيت الخامس فجاء (كهاماً ولا جبلاً) وأظنه من الغلط المطبعي في ط مصطفى
 محمد^(٧) .

وأما ابن حجر فذكر القصة في (الإصابة) في ترجمة ابن عباس ، وقد أصاب في
 تسمية الوالي على نحو إستحياء فنقلها عن الطبراني ولفظه :
 (وأخرج الطبراني من طريق ابن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن النعمان : أنّ حسان بن
 ثابت ، قال : كانت لنا عند عثمان أو غيره من الأمراء حاجة فطلبناها إليه لجماعة من
 الصحابة منهم ابن عباس وكانت حاجة صعبة

(١) البلج : أي مشرق مضيء (الصحاح) بلج .

(٢) الكهام صفة ذم ومنه رجل كهام وكهيم : أي محسن لا غنه وعنده (الصحاح) كهيم .

(٣) الخبل : بالتسكين الفساد .

(٤) المعجم الكبير للطبراني ٤ / ٤٣ .

(٥) مجمع الزوائد ٩ / ٢٨٤ .

(٦) سبل الهدى والرشاد ١١ / ١٣٢ .

(٧) الإستيعاب ٣ / ٩٣٥ .

شديدة ، فاعتلّ علينا ، فراجعوه إلى أن عذروه وقاموا إلاّ ابن عباس فلم يزل يراجعه بكلام جامع حتى سدّ عليه كلّ حاجة فلم ير بداً من أن يقضي حاجتنا ، فخرجنا من عنده وأنا أخذ بيد ابن عباس فمررنا على أولئك الذين كانوا عذروا وضعفوا ، فقلت : كان عبد الله أولاكم به . قالوا : أجل ، فقلت أمدحه ... ثم ذكر ابن حجر ثلاثة أبيات وهي الأوّل والثالث والرابع . (١)

وقد ذكر الذهبي في (سير أعلام النبلاء) (٢) في ترجمة ابن عباس شعر حسان من دون القصة ، ووردت الأبيات الثلاثة المعروفة أوّلاً في ديوان حسان ، ورواها البلاذري في (أنساب الأشراف) (٣) ، والحاكم في (المستدرک) (٤) ، ورواها ابن عبد البر في (بهجة المجالس) (٥).

المخاورة التاسعة :

روى أحمد ، وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن حبان ، والحاكم ، وابن المنذر ، وابن أبي داود وابن الأنباري معاً في (المصاحف) ، والنحاس في ناسخه ، وأبو نعيم في (المعرفة) ، وابن مردويه (٦) ، وغيرهم .

(١) الإصابة ٤ / ١٢٢ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٥ / ٣٥٣ .

(٣) أنساب الأشراف ٢ / ٤٢ .

(٤) مستدرک الحاكم ٢ / ٥٤٥ .

(٥) بهجة المجالس ١ / ٥٨ ط دار الكتب العلمية .

(٦) مسند أحمد ١ / ٥٧ ، سنن الترمذي ٤ / ٣٣٦ ، سنن النسائي ٥ / ١٠ ، صحيح ابن حبان ١ / ٢٣٠ ،

مستدرک الحاكم ٢ / ٢٢١ .

فهؤلاء إثنا عشر علماً من أعلام السنّة فهم غير متهمين في رواياتهم لهذه المحاوره التي تدلّ على إنكار ابن عباس على عثمان في مسألة جمع القرآن حين قرن بين سورتي الأنفال وبراءة ولم يفصل بينهما بالبسملة ؛ وهي في مجملها تنسف أكذوبة أنّ عثمان هو الذي جمع القرآن ، كما يحلو للعثمانية تفضيله بها ، وقد مرّ ذكر بعض ما يتعلق بمسألة جمع القرآن في الجزء الثاني من الحلقة الأولى^(١).

ولما كانت المسألة ذات أهمية بالغة في تاريخ جمع القرآن ، سأنقل هنا بعض ما مرّ للتنبه على عبث الرواة في نصّ المحاوره ، وهي كما يلي برواية من تقدم ذكرهم :

(عن ابن عباس ، قال : قلت لعثمان بن عفان : ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني^(٢) ، وإلى براءة وهي من المثين^(٣) ، فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) ووضعتموها في السبع الطوال ، ما حملكم على ذلك؟ فقال عثمان : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان ممّا يأتي عليه الزمان تنزل عليه السور ذات العدد ، وإن كان إذا نزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب

(١) موسوعة عبد الله بن عباس الحلقة الأولى ٢ / ٣٢٥ . ٣٢٨ .

(٢) لأنها تلي المثين ، وإنما سميت بالمثاني لثنية الله جل ذكره فيها الأمثال والغير والغير (تفسر الطبري ١ / ١٠٣ ط محققة) .

(٣) سميت بالمثين لأنها في عدد آياتها بلغت مائة آية أو تزيد عليها أو تنقص منها شيئاً يسيراً (نفس المصدر) .

عنده ، فيقول : (ضعوا هذه في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا) ، وكانت الأنفال من أول ما أنزل بالمدينة ، وكانت براءة من آخر القرآن نزولاً ، وكانت قصتها شبيهة بقصتها ، فظنت أنّها منها ، وقبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يبيّن لنا أنّها منها ، فمن أجل ذلك قرنت بينهما ، ولم أكتب بينهما سطر (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) ووضعتها في السبع الطوال (١) .

وقد استوحش الطبري شيخ المفسرين من هذا الخبر ، فقال : (فهذا الخبر ينبىء عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنّه لم يكن تبين له أنّ الأنفال وبراءة من السبع الطوال ، ويصرّح عن ابن عباس أنّه لم يكن يرى ذلك منها) (٢) .

وللسيوطي في كتاب (الإتيقان) تشريق وتغريب في هذا الخبر لرفع الغريب المعيب في جواب عثمان! بينما نقل عن الحارث المحاسبي أنّ القرآن كان مجموعاً على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال : (المشهور عند الناس أنّ جامع القرآن عثمان ، وليس كذلك إنّما حمل عثمان الناس على القراءة بوجه واحد على إختيار وقع بينه وبين من شاهده من المهاجرين والأنصار لما خشي الفتنة عند إختلاف أهل العراق والشام في حروف القراءات ...) (٣) .

وقد أكّد ابن الحصّار أنّ ترتيب السور ووضع الآيات مواضعها إنّما

(١) الإتيقان للسيوطي ١ / ٦٢ ط حجازي بالقاهرة ١٣١٨ هـ ، كنز العمال ٢ / ٣١٧ ط حيدر آباد الثانية.

(٢) جامع البيان ١ / ٧٠ .

(٣) الإتيقان ١ / ٦١ .

كان بالوحي ، كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : (ضعوا آية كذا في موضع كذا) ، وقد حصل اليقين من النقل المتواتر بهذا الترتيب من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومما أجمع الصحابة على وضعه هذا في المصحف ^(١).

إذن ما بال ابن عباس . وهو الذي نشأ وتعلّم في بيت الوحي . يسأل من عثمان مستنكراً عليه وعلى من معه ، فيقول له : (ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني ، وإلى براءة وهي من المثين ، فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) ووضعتموها في السبع الطوال ، ما حملكم على ذلك)؟! (

بينما تجد أنّ ابن عباس ، قال : (سألت عليّ بن أبي طالب : لم لم تكتب في براءة (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) ؟ قال : لأَنَّهَا - البسملة - أمان ، وبراءة نزلت بالسيف) ^(٢)!

فمن كان عنده باب مدينة العلم وقد سأله عن سبب ترك البسملة في أول سورة براءة ، لا يكون سؤاله من عثمان إلاّ من باب الإستنكار ، ولعلّه كان في سؤاله تعتاً وليس مستفهماً ، فأجابه عثمان بما مرّ ، ولم يظهر من ابن عباس ما يُشعر برضاً وقناعة به!

ولذا قلت فيما مرّ في سيرته : (ويبدو فيما أظن أنّ الخبر لم يسلم من عبث الرواة ، فقد ورد في آخره جواب عثمان ولم يذكر فيه لابن عباس رأيه في الجواب مقتنعاً أو مفتدأً ... (

(١) نفس المصدر / ٦٣ .

(٢) الإتيقان ١ / ٧٠ .

(٣) أنظر موسوعة عبد الله بن عباس / الحلقة الاولى ٢ / ٣٢٧ .

المحاور العاشرة :

كان ابن عباس رضي الله عنه فقيهاً ومن أكابر الفقهاء الصحابة ، وعاصر معاشاً جماعة الخلفاء الثلاثة ، ولكثرة النوازل بهم كانوا لا يعلمون دائماً الجواب في أحكامهم ، فيستنقذهم بعض الصحابة وفي مقدمتهم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إن كان حاضراً أو ابن عباس رضي الله عنه وهو أكثر حضوراً عندهم كما مرّت أسباب ذلك في الحلقة الأولى في الجزئين الثاني والثالث ، وقد مرّت شواهد كثيرة على تسديد الإمام عليه السلام وابن عباس لأبي بكر وعمر وعثمان فيما كانوا يقولون فيه بأرائهم ، وربما كان ذلك مخالفاً للكتاب والسنة ، فكانت معاناة الإمام عليه السلام وابن عباس في هذا السبيل كبيرة ، وكان ابن عباس قد تلقى علمه من الإمام عليه السلام الذي هو باب مدينة علم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو صلى الله عليه وآله وسلم عن الوحي : (**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ**)^(١) ، كما مرّ عنه ذلك مراراً ، فكان يجيب ويفتي بما تلقاه من الإمام عليه السلام كما مرّ في (طابعه الفقهي) في الجزء الثالث من هذه الحلقة .

والآن إلى شاهد واحد على ذلك في محاروة جرت له مع عثمان أخرجها الطبري في تفسيره ، والحاكم في (المستدرک) ، وغيرهم .. والخبر بلفظ الحاكم ، بسنده : (عن شعبة مولى ابن عباس ، عن ابن عباس : أنّه دخل على عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : إنّ الأخوين لا يرّدان الأم عن الثلث (؟) قال الله عزوجل : (**فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ**)^(٢) ، فالإخوان بلسان قومك

(١) النجم / ٣ - ٤ .

(٢) النساء / ١١ .

ليسا بإخوة؟ فقال عثمان بن عفان : لا أستطيع أن أرد ما كان قبلي ومضى في الأمصار وتوارث به الناس (١).

وفي لفظ الطبري : (هل أستطيع نقض أمر كان قبلي ، وتوراثه الناس ومضى في الأمصار) (٢).

أقول : قال الحاكم : (هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، وتبعه الذهبي في تلخيصه وقال ، صح).

أقول : ولقد وهم غير واحد من الفقهاء ومنهم الطبري وكذا بعض أئمة الحديث ، في نسبة مسألة عدم حجب الأخوين عن الثلث إلى السدس ، وذلك لظنهم أنّ استفهام ابن عباس من عثمان كان حقيقياً ، بينما كان استفهاماً إنكارياً ، كما هو ظاهر من لغة ابن عباس ومن جواب عثمان ، وهذا ما فهمه جماعة من الفقهاء أيضاً.

المخاورة الحادية عشر :

لقد روى ابن عبد البر في (الإستيعاب) في ترجمة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بعض أفضيته في الأحكام ، فقال :

(وقال في المجنونة التي أمر برجمها ، وفي التي وضعت لستة أشهر فأراد عمر رجمها .

فقال له عليّ : إنّ الله تعالى يقول : (**وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا**) (٣) ... الحديث .

(١) المستدرك ٤ / ٣٢٥ .

(٢) تفسير الطبري ٤ / ٢٧٨ .

(٣) الأحقاف / ١٤ .

وقال له : إنّ الله رفع القلم عن المجنون ... الحديث.

فكان عمر يقول : لولا عليّ هلك عمر).

ثم قال ابن عبد البر : (وقد روي مثل هذه القصة لعثمان مع ابن عباس وعن عليّ

أخذها ابن عباس ، والله العالم)^(١).

أقول : ما أشار إليه من القصة لعثمان مع ابن عباس ، رواه السيوطي في (الدر

المنثور) نقلاً عن عبد الرزاق وعبد بن حميد ، عن أبي عبيدة مولى عبد الرحمن بن عوف ،

قال : (رُفِعَتْ امرأة إلى عثمان رضي الله عنه ولدت لستة أشهر ، فقال عثمان : إنّها قد

رُفِعَتْ إليّ امرأة ألا جاءت بشرّ. فقال ابن عباس : إذا أكملت الرضاعة كان الحمل ستة

أشهر وقرأ : (**وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا**)^(٢) ... فدرأ عثمان عنها)^(٣).

إلى غير ذلك من مواقف خلافية بينهما في مسائل فقهية ، وقد مرّت الإشارة إلى

بعضها فيما تقدم في الجزء الثاني من الحلقة الأولى (في عهد عثمان).

ومّا لم يتقدم ذكره نقده لعثمان في أيام عمر حول تركه غسل الجمعة ، فقد أخرج عبد

الرزاق بسنده : (أنّ عثمان جاء وعمر يخطب يوم الجمعة ، فقال عمر : ما حبسك؟ قال :

يا أمير المؤمنين ما زدت حين سمعت

(١) الإستيعاب ٢ / ٤٦١ ط حيدر آباد.

(٢) الأحقاف / ١٤.

(٣) الدر المنثور ٦ / ٤٠.

النداء أن توضأت ثم أقبلت ، فلمّا قضيت الصلاة قال له ابن عباس : ألم تسمع ما قال يا أمير المؤمنين؟ قال : أما أنّه قد علم أنّا قد أمرنا بالغسل ، قال : قلت : المهاجرون خاصة أم الناس عامة؟ قال : لا أدري (١).

(١) المصنف ٣ / ١٩٥ / ٥٢٩٣ - ٥٢٩٤.

محاورات ابن عباس مع رموز الناكثين

لقد مرت بنا أخبار الناكثين لبيعة الإمام عليه السلام وأبرزهم ذكراً كان طلحة والزبير ، فهما أول المبايعين ، ثم هما أول الناكثين ، ولما كان ابن عباس قد حضر مشهد البيعة في المسجد النبوي الشريف ، ورأى طواعية البيعة من دون عسيب نخل أو سيف يحشر الناس كرهاً ، فهو لا يخفى عليه زيف إدعاء طلحة والزبير بأتهما كان مُكرهين ، على أنه كان غير آمن من تخلف آخرين ، وقد مرّ بنا في الجزء الثالث من الحلقة الأولى في مبايعة المسلمين للإمام عليه السلام كثير روايات وأقوال ، كان منها قول ابن عباس : (لما دخل عليه السلام المسجد وجاء الناس ليبايعوه خفت أن يتكلم بعض أهل الشنثان لعلّي من قتل أباه أو أخاه أو ذا قرابة في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيزهده عليّ في الأمر ويتركه ، فكنثُ أرصد ذلك وأتخّوفه ، فلم يتكلم أحد حتى بايعه الناس كلّهم راضين مسلمين غير مكرهين)^(١).

لهذا كان شديد الشكيمة قوّي الحجة ، في محاوراته مع الناكثين في البصرة من قبل الحرب ، وقد مرّ ذكرها في محلها ، وكانت أيضاً له سفارات لحقن الدماء ، فنستذكر منها ما يظهر له من دور مميّز في إطفاء

(١) شرح الجهد لابن أبي الحديد ١ / ٣٤١ ، وقد مرّ في الحلقة الأولى من هذه الموسوعة ٣ / ٢٤ .

الفتنة قبل أن يستعر أوارها ، حيث كان الإمام عليه السلام يرسله مفاوضاً.

(السفارة الأولى)

ولعلّ أوّل مرّة كانت سفارته التي ضمّ إليه فيها زيد بن صوحان ، فقال لهما : (أمضيا إلى عائشة فقولوا لها : ألم يأمرِك الله تبارك وتعالى أن تقرّي في بيتك؟ فخذعتِ وانخدعتِ ، واستئنفتِ فنفرتِ ، فاتقي الله الذي إليه مرجعك ومعادك ، وتوبي إليه ، فإنّه يقبل التوبة عن عباده ، ولا يحملنك قرابة طلحة وحبّ عبد الله بن الزبير على الأعمال التي تسعى بك إلى النار).

قال ابن أعثم : فانطلقا إليها وبلغاها رسالة عليّ عليه السلام.

فقالَت عائشة : ما أنا بريدة عليكم شيئاً ، فإنّي أعلم أنّي لا طاقة لي بحجج عليّ بن أبي طالب (١).

فقال لها ابن عباس : لا طاقة لك بحجج المخلوق ، فكيف بحجج الخالق؟ ..

فرجعا إلى الإمام فأخبراه ، فقال عليه السلام : (الله المستعان) (٢).

أقول : وإمّا ضمّ الإمام عليه السلام زيد بن صوحان إلى ابن عباس ، لأنّ عائشة

سبق أن كتبت إليه كتاباً تستنصره كما في رواية الطبري ، قال :

(وكتبت عائشة إلى زيد بن صوحان : من عائشة ابنة أبي بكر أم

(١) الفتوح لابن أعثم ٢ / ٣٠٦ .

(٢) مناقب ابن شهر آشوب ٣ / ٣٣٩ .

المؤمنين حبيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى ابنها الخالص زيد بن صوحان.
أمّا بعد : فإذا أتاك كتابي هذا فأقدم فانصرنا على أمرنا هذا ، فإن لم تفعل فخذل
الناس عن عليّ.

فكتب إليها : من زيد بن صوحان إلى عائشة ابنة أبي بكر الصديق حبيبة . حبيسة .
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

أمّا بعد : فأنا ابنك الخالص إذ اعتزلت هذا الأمر ورجعت إلى بيتك ، وإلا فأنا أول
من نابذك.

قال زيد بن صوحان : رحم الله أم المؤمنين ، أمرت أن تلزم بيتها وأمرنا أن نقاتل ،
فتركت ما أمرت به وأمرتنا به ، وصنعت ما أمرنا به ونهتتنا عنه! (١).

فإرسال الإمام عليه السلام له مع ابن عباس كان من هذه الجهة تنبيهاً لها على فشل
ما خططته له من إستنصار.

ومن هنا تستمر محاورات ابن عباس مع رموز الناكثين. كما في :

(السفارة الثانية)

قال الشيخ المفيد في كتاب (الجمل) :

(ثم دعا عبد الله بن عباس ، فقال : انطلق إليهم فناشدهم الله وذكرهم العهد الذي

لي في رقابهم).

(١) تاريخ الطبري ٤ / ٤٧٦ - ٤٧٧.

١ . مع طلحة

قال ابن عباس : جئتهم فبدأت بطلحة فدكرته العهد.

فقال لي : يا بن عباس والله لقد بايعت علياً واللعج (١) في رقبتي.

فقلت له : إني رأيتك بايعت طائعاً ، أو لم يقل لك عليّ قبل بيعتك له إن أحببت

لأبايعك؟ فقلت : لا بل نحن نبايعك.

فقال طلحة : إنما قال لي ذلك وقد بايعه قوم فلم أستطع خلافهم ، والله يا ابن

عباس إن القوم الذين معه يعزّونه إن لقيناه فسيسلمونه ، أما علمت يا بن عباس أيّ جئت

إليه والزيبر ولنا من الصحبة ما لنا مع رسول الله والقدم في الإسلام ، وقد أحاط به الناس

قياماً على رأسه بالسيوف ، فقال لنا : . بهزل . إن أحببتما بايعت لكما ، فلو قلنا نعم ،

أفتراه يفعل وقد بايع الناس؟ فيخلع نفسه ويبايعنا ، لا والله ما كان يفعل ، وحتى يغري بنا

من لا يرى لنا حرمة ، فبايعنا كارهين ، وقد جئنا نطلب بدم عثمان ، فقل لابن عمك إن

كان يريد حقن الدماء وإصلاح أمر الأمة فليمكننا من قتلة عثمان فهم معه ، ويخلع نفسه

ويردّ الأمر ليكون شورى بين المسلمين فيولّوا من شاؤوا ، فإتما عليّ رجل كأحدنا ، وإن أبي

أعطيناه السيف ، فما له عندنا غير هذا.

قال ابن عباس : يا أبا محمد لست تنصف ، (ألسنت تتعسفه؟) ألم تعلم أنّك

حصرت عثمان حتى مكث عشرة أيام يشرب ماء بثره وتمنعه من شرب الفرات . القراح . حتى

كلمك عليّ في أن تخلّي الماء له وأنت تأبى

(١) اللعج : السيف (الصحاح لـج).

ذلك ، ولما رأى أهل مصر فعلك وأنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دخلوا عليه بسلاحهم فقتلوه.

ثم بايع الناس رجلاً له من السابقة والفضل والقراية برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والبلاء العظيم ما لا يُدفع ، وجئت أنت وصاحبك طائعين غير مكرهين حتى بايعتما ثم نكثتما. فعجب والله إقرارك لأبي بكر وعمر وعثمان بالبيعة ، ووثوبك على علي بن أبي طالب! فوالله ما عليّ دون أحد منهم.

وأما قولك : يمكنني من قتلة عثمان ، فما يخفي عليك من قتل عثمان.

وأما قولك : إن أبي عليّ فالسيف ، فوالله إنك تعلم أنّ عليّاً لا يخوّف.

فقال طلحة : إيهاً الآن عنا من جدالك.

قال . ابن عباس . : فخرجت إلى عليّ وقد دخل البيوت بالبصرة. فقال : (ما وراءك؟

(فأخبرته الخبر.

فقال : (اللهم أفتح بيننا بالحق وأنت خير الفاتحين).

٢ . مع عائشة

ثم قال : (إرجع إلى عائشة وإذكر لها خروجها من بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وخوّفها من الخلاف على الله عزوجل ونبذها عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقل لها : إنّ هذه الأمور لا تصلحها النساء ، وأنتك لم تؤمري بذلك ، فلم يرض بالخروج عن أمر الله في تبرّجك بيتك الذي أمرك النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالمقام فيه ، حتى أُخرجت إلى البصرة فقتلت المسلمين ، وعمدت إلى عمالي فأخرجتهم ، وفتحت بيت المال ، وأمرت بالتنكيل بالمسلمين ، وأمرت بدماء الصالحين فأريقته ، فراقبي الله عزوجل ،

فقد تعلمين أنّك كنتِ أشدّ الناس على عثمان ، فما هذا ممّا وقع؟) .

قال ابن عباس : فلمّا جئتُها وأديت الرسالة وقرأت كتاب عليّ عليها .

قالت : يا بن عباس ابن عمك يرى أنّه قد تملّك البلاد ، لا والله ما بيده منها شيء إلاّ وبيدنا أكثر منه .

قلت : يا أمّاه إنّ أمير المؤمنين عليه السلام له فضل وسابقة في الإسلام وعظم عناء .

قالت : ألا تذكر طلحة وعنائه يوم أحد؟

قال : قلت لها والله ما نعلم أحداً أعظم عناءً من عليّ عليه السلام .

قالت : أنت تقول هذا ومع عليّ أشباه كثيرة .

قلت لها : الله الله في دماء المسلمين .

قالت : وأي دم يكون للمسلمين إلاّ أن يكون عليّ يقتل نفسه ومن معه .

قال ابن عباس : فتبسّمت .

فقالت : ممّا تضحك يا بن عباس؟

فقلت : والله معه قوم على بصيرة من أمرهم يبدلون مهجهم دونه .

قالت : حسبي الله ونعم الوكيل .

٣ . مع الزبير وابنه

قال - ابن عباس - : وقد كان أمير المؤمنين عليه السلام أوصاني أن ألقى الزبير ، وإن

قدرت أن أكلمه وابنه ليس بحاضر ، فجئت مرّة أو مرتين كلّ ذلك أجده عنده ، ثمّ جئت

مرّة أخرى فلم أجده عنده ، فدخلت عليه ، وأمر

الزبير موله سرجس أن يجلس على الباب ، ويحبس عنا الناس . فجعلت أكلمه .

فقال : عصيتم إن خولفتم ، والله لتعلمن عاقبة ابن عمك .

فعلمت أن الرجل مغضب ، فجعلت ألائنه فيلين مرّة ويشتد أخرى ، فلمّا سمع سرجس ذلك أنفذ إلى عبد الله بن الزبير ، وكان عند طلحة ، فدعاه فأقبل سريعاً حتى دخل علينا .

فقال : يا بن عباس دع بينات الطريق ، بيننا وبينكم عهد خليفة ، ودم خليفة ، وانفراد واحد وإجماع ثلاثة ، وأمّ مبرورة ، ومشاورة العامة .

قال . ابن عباس . : فأمسكت ساعة لا أكلمه ، ثمّ قلت : لو أردت أن أقول لقلت .

فقال ابن الزبير : ولم تؤخر ذلك وقد لحم الأمر وبلغ السيل الزبي؟

قال ابن عباس : فقلت : أمّا قولك : عهد خليفة ، فإنّ عمر جعل المشورة إلى ستة نفر ، فجعل نفر أمرهم إلى رجل منهم يختار لهم منهم ويخرج نفسه منها ، فعرض الأمر على عليّ (وعلى عثمان) فحلف عثمان وأبي عليّ أن يحلف ، فبايع عثمان ، فهذا عهد خليفة .

وأما دم خليفة : قدمه عند أبيك ، لا يخرج أبوك من خصلتين : إمّا قتل ، أو خذل .

وأما انفراد واحد وإجماع ثلاثة ، فإنّ الناس لما قتلوا عثمان فرعوا

إلى عليّ عليه السلام فبايعوه طوعاً وتركوا أباك وصاحبَه ولم يرضوا بواحد منهما.
وأما قولك : إنّ معكم أمّاً مبرورة ، فإنّ هذه الأم أنتما أخرجتماها من بيتها ، وقد
أمرها الله أن تقرّ فيه . فأبيت أن تدعها ، وقد علمت أنت وأبوك أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله
وسلم حدّرها من الخروج ، وقال : (يا حميراء إياك أن تنبحك كلاب الحوآب) ، وكان منها
ما قد رأيت .

وأما دعواك مشاورة العامة ، فكيف يشاور فيمن قد أجمع عليه ، وأنت تعلم أنّ أباك
وظلحة بايعاه طائعين غير كارهين .

فقال ابن الزبير : الباطل والله ما تقول يا بن عباس ، وقد سئل عبد الرحمن ابن عوف
عن أصحاب الشورى فكان صاحبكم أحسنهم عنده ، وما أدخله عمر في الشورى إلّا وهو
يعرفه ، ولكنه خاف فتنة في الإسلام .

وأما قتل خليفة ، فصاحبك كتب إلى الآفاق حتى قدموا عليه ثمّ قتلوه وهو في داره
بلسانه ويده ، وأنا معه أقاتل دونه حتى جرحتُ بضعة عشر جرحاً .
وأما قولك إنّ عليّاً بايعه الناس طائعين ، فوالله ما بايعوه إلّا كارهين والسيف على
رقابهم ، غصبهم أمرهم .

فقال الزبير : دع عنك ما ترى يا بن عباس ، جئتنا لتوفينا؟
فقال له ابن عباس : أنتم طلبتم هذا ، والله ما عددناكم قط إلّا منّا بني هاشم في برك
لأخوالك ومحبتك لهم ، حتى أدرك ابنك هذا فقطع أرحامهم .

فقال الزبير : دع عنك هذا (١).

فرجع ابن عباس وأخبر الإمام عليه السلام بإصرار القوم على الخلاف ، فلم يبرح الإمام عليه السلام يبعث مَنْ يعظهم ويحذرهم مغتبة العواقب ، وكان أكثر رُسله سفارة هو ابن عمه عبد الله بن عباس.

(السفارة الثالثة)

عن ابن عباس ، قال :

(دخلت عليها . يعني عائشة . البصرة فذكرتها هذا الحديث . يعني به حديثها معه يوم الصلصل وقد مرّ في الجزء الأول ..

فقلت : ذاك المنطق الذي تكلمت به يومئذ هو الذي أخرجني ، لم أر لي توبة إلاّ الطلب بدم عثمان ، ورأيت أنّه قتل مظلوماً.

قال ابن عباس : فقلت لها : فأنت قتلتيه بلسانك ، فأين تخرجين؟ توبي وأنت في بيتك ، أو أرضي ولاية دم عثمان ولده.

قلت : دعنا من جدالك فلسنا من الباطل في شيء (٢).

(السفارة الرابعة)

قال الشريف الرضي في (نهج البلاغة) :

(من كلام له عليه السلام لابن عباس لما أرسله إلى الزبير يستفيئهُ إلى طاعته

(١) الجمل / ١٧١ .

(٢) تقريب المعارف لابي الصلاح الحلي / ٢٩٠ ، البحار ٣١ / ٢٩٩ .

قبل حرب الجمل : (لا تلقينّ طلحة ، فإنّك إن تلقه تجده كالثور عاقصاً قرنه ، يركب الصعب ويقول هو الذلول ، ولكن ألقّ الزبير ، فإنّه ألين عريكة ، فقل له : يقول لك ابن خالك : عرفني بالحجاز وأنكرتني بالعراق ، فما عدا ممّا بدا؟) .

قال الرضي : أقول : هو أوّل من سُمعت منه هذه الكلمة ، أعني : (فما عدا ممّا بدا (١)) .

قال الزبير بن بكار في (الموفقيات) عن ابن عباس ، قال : (فأتيت الزبير فوجدته في بيت يتروّح في يوم حار ، وعبد الله ابنه عنده .

فقال : مرحباً بك يا بن لبابة ، أجمت زائراً أم سفيراً؟

قلت : كلا إنّ ابن خالك يقرأ عليك السلام . (وذكر الرسالة) ويقول لك : يا أبا عبد الله كيف عرفتنا بالمدينة وأنكرتنا بالبصرة؟

فقال :

علقتهم أيّ خلفت عصبة قتادة تعلقت بنشبة
لن أدعهم حتى أولّف بينهم .

قال . ابن عباس . : فأردت منه جواباً غير ذلك .

فقال لي ابنه عبد الله : قل له بيننا وبينك دم خليفة ...

قال : فعلمت أنّه ليس وراء هذا الكلام إلّا الحرب ، فرجعت إلى

(١) نصح البلاغة / خطبة ٣١ في الدهر وأهله .

عليّ عليه السلام فأخبرته (١).

أقول : قال السيد علي خان المدني الشيرازي : (وروي أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال : (من كان له ابن عم مثل ابن عباس فقد أقرّ الله عينه) (٢).

وكلمة الإمام عليه السلام (فما عدا ممّا بدا) لم يقلها أحد قبله.

قال ابن خلكان : (وفي وقعة الجمل قبل مباشرة الحرب أرسل عليّ ابن أبي طالب رضي الله عنه ابن عمه عبد الله بن العباس رضي الله عنهما إلى طلحة والزبير رضي الله عنهما برسالة يكفهما عن الشروع في القتال ، ثمّ قال له : (لا تلقينّ طلحة فإنّك إن تلقه تجده كالثور عاقصاً أنفه يركب الصعب ويقول هو الذلول ، ولكنّ القّ الزبير فإنّه ألين عريكة منه ، وقل له : يقول ابن خالك : عرفني بالحجاز وأنكرني بالعراق فما عدا ممّا بدا؟) .

قال ابن خلكان : وعليّ رضي الله عنه أوّل من نطق بهذه الكلمة فأخذ ابن المعلم

(١) قال الزبير بن بكار : هذا الحديث كان يرويه عمي مصعب ثمّ تركه وقال : إني رأيت جدي أبا عبد الله الزبير بن العوام في المنام وهو يعتذر من يوم الجمل ، فقلت له كيف تعتذر منه وأنت القائل :
 علقتمهم أنّي خلفت عصبة قتادة تعلقت بنشبة
 لن أدعهم حتى أولّف بينهم؟ فقال : لم أقله. وهذا من النصوص الضائعة من كتاب الموقيات المطبوع ولم يستدركه المحقق ، وقد بلغ ما استدركته عليه أربعة عشر نصاً ، وقد ذكر هذه الرسالة المفضل بن سلمة في الفاخر / ٣٠١ ط مصر وابن عبد ربه في العقد الفريد ٤ / ٣١٤ تح أحمد أمين ورفيقه.

(٢) الدرجات الرفيعة / ١٠٨ .

المذكور هذا الكلام وقال :

منحوه بالجزع الكلام وأعرضوا بالغور عنه (فما عدا مَّما بدا)^(١) وهذا القول من جملة قصيدة طويلة.

(السفارة الخامسة)

قال ابن أبي الحديد :

(وقد روى المدائني ... قال : بعث عليّ عليه السلام ابن عباس يوم الجمل إلى الزبير قبل الحرب ، فقال له : إنّ أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول لكم : ألم تبايعني طائعاً غير مكره فما الذي رآك مني فاستحللت به قتالي؟

قال : فلم يكن له جواب ، إلاّ أنّه قال : إنّنا مع الخوف الشديد لنطمع ، لم يقل غير ذلك.

قال أبو إسحاق - الراوي - : فسألت محمّد بن عليّ بن الحسين عليه السلام ما تراه يعني بقوله هذا؟

فقال : والله ما تركت ابن عباس حتى سألته عن هذا؟

فقال يقول : إنّنا مع الخوف الشديد مَّما نحن عليه نطمع أن نلي مثل الذي وليتم)^(٢).

وقد روى هذه السفارة كلّ من الجاحظ في (البيان والتبيين) عن عبد

(١) وفيات الأعيان / ترجمة أبي الغنائم الواسطي المعروف بابن المعلم المتوفى سنة ٥٩٢ هـ.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ٢ / ٤٩٩ .

الله بن مصعب^(١) ، ورواها أبو الفرج الاصبهاني في (الأغاني) بأسانيد متعددة ، ولعلّ روايته أوسع ممّا مرّ ، وإليك نصّها :

قال : (حدّثني أحمد بن عيسى بن أبي موسى العجلي الكوفي ، وجعفر ابن محمّد بن الحسن العلوي الحسيني ، والعباس بن علي بن العباس ، وأبو عبيد الصيرفي ، قالوا : حدثنا محمّد بن علي بن خلف العطار ، قال : حدثنا عمرو بن عبد الغفار ، عن سليمان النوري ، عن جعفر بن محمّد ، عن أبيه ، عن عليّ بن الحسين عليه السلام ، قال : حدّثني ابن عباس ، قال : قال لي عليّ صلوات الله عليه : (إئت الزبير فقل له : يقول لك عليّ بن أبي طالب : نشدتك الله ألسّت قد بايعتني طائعاً غير مكره فما الذي أحدثت فاستحللت به قتالي) . وقال أحمد بن يحيى في حديثه : قل لهما : (إنّ أخاكما يقرأ عليكما السلام ويقول : هل نقتما عليّ جوراً في حكم أو استئثاراً بفيء؟) .

فقالا : لا ولا واحدة منهما ، ولكن الخوف وشدة الطمع .

وقال محمّد بن خلف في خبره : فقال الزبير : مع الخوف شدة المطامع^(٢) .

فأتيت عليّاً عليه السلام فأخبرته بما قال الزبير . فدعا بالبعلة فركبها وركبت معه فدنوا حتى اختلفت أعناق دابتيهما ، فسمعت عليّاً صلوات الله عليه يقول : (نشدتك الله يا زبير ، أتعلم أيّ كنت أنا وأنت في سقيفة بني فلان

(١) البيان والتبيين ٣ / ٢٢١ تح عبد السلام محمّد هارون ط الأولى .

(٢) المصنف لابن أبي شيبه ١٥ / ٢٦٧ ط باكستان .

تعالجني وأعالجك فمر بي . يعني النبي صلى الله عليه وآله وسلم . فقال : (كَأَنَّكَ تَحِبُّهُ؟) ،
فقلتُ : وما يعني؟ قال : (أَمَا أَنَّهُ لِيَقَاتِلَنَّكَ وَهُوَ لَكَ ظَالِمٌ)؟
فقال الزبير : اللَّهُمَّ نَعَمْ ذَكَرْتَنِي مَا نَسِيتَ ، وَوَلَّى رَاجِعاً ^(١) .

وروى البلاذري ، والذهبي ، وابن عساكر في تاريخه ، واللفظ له : (إِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ قَالَ
لِلزَّبِيرِ يَوْمَ الْجَمَلِ : يَا بَنَ صَفِيَّةِ هَذِهِ عَائِشَةُ تَمْتَلِكُ الْمَلِكَ لَطَلْحَةَ وَأَنْتَ عَلِيٌّ مَاذَا تَقَاتِلُ
قَرِيْبِكَ؟ فَرَجَعَ) ^(٢) .

(السَّفَارَةُ السَّادِسَةُ)

وهي آخر مرة لإتمام الحجة ، وللإعداد قبل الإنذار ، وقبل أن يسبق السيف العَدْلُ ،
فقد أرسله الإمام إلى الناكثين وهو يحمل مصحفاً منشوراً يدعوهم إلى ما فيه .
قال محمد بن إسحاق : (حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ . الصَّادِقُ . عَنْ أَبِيهِ . الْبَاقِرِ عَلَيْهِمَا
السَّلَامُ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : بَعَثَنِي عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمَ الْجَمَلِ إِلَى طَلْحَةَ
وَالزَّبِيرِ وَبَعَثَ مَعِيَ بِمِصْحَفٍ مَنَشُورٍ ، وَإِنَّ الرِّيحَ لَتَصْفِقُ وَرَقَهُ . فَقَالَ لِي : (قُلْ لِهَؤْمَا : هَذَا
كِتَابُ اللَّهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ فَمَا تَرِيدَانِ؟)

(١) الأغاني ١٦ / ١٢٧ ط الساسي .

في تاريخ الطبري ٥ / ٢٠٤ حوادث سنة ٣٦ ط الحسينية : (قال له : كنا نعدك من بني عبد المطلب حتى بلغ
ابنك ابن السوء ففرق بيننا وبينك وعظم عليه أشياء فذكر ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم مرّ عليهما فقال لعلي
: ما يقول ابن عمك ليقاتلنك وهو لك ظالم) .

(٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٥ / ٣٦٧ ط دار المسيرة بيروت ، أنساب الأشراف (ترجمة الإمام) / ٢٥٢ تح
المحمودي ، تاريخ الإسلام ٢ / ١٥١ ط القدسي .

فلم يكن لهما جواب إلا أن قالوا : نريد ما أراد ، كأثهما يقولان الملك. فرجعت إلى عليّ فأخبرته (١).

ولهذه السفارة حديث أوفى فيما رواه الشيخ المفيد في كتاب (الجمل) :
قال : (ثم إن أمير المؤمنين عليه السلام رحل بالناس إلى القوم غداة الخميس لعشر مضي من جمادي الأولى ، وعلى ميمنته الأشر ، وعلى يسرته عمّار ابن ياسر ، وأعطى الراية محمد بن الحنفية ابنه ، وسار حتى وقف موقفاً ، ثم نادى في الناس : (لا تعجلوا حتى أعذر إلى القوم) . ودعا عبد الله بن العباس فأعطاه المصحف وقال : (أمض بهذا المصحف إلى طلحة والزبير وعائشة ، وأدعهم إلى ما فيه ، وقل لطلحة والزبير : ألم تبايعاني مختارين فما الذي دعاكما إلى نكث بيعتي ، وهذا كتاب الله بيني وبينكما؟) .

قال عبد الله بن العباس : فبدأت بالزبير وكان عندي أبقاها علينا ، وكلمته في الرجوع ، وقلت له : إن أمير المؤمنين يقول لك : ألم تبايعني طائعاً فبم تستحل قتالي ، وهذا المصحف وما فيه بيني وبينك فإن شئت تحاكمنا إليه .

قال : ارجع إلى صاحبك فإننا بايعنا كارهين وما لي حاجة في محاكمته .
فانصرف عنه إلى طلحة ، والناس يشتدون والمصحف في يدي ،

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ٢ / ٤٩٩ ط مصر الأولى .

فوجدته قد لبس الدرع وهو محتب بحمائل سيفه ودابته واقفة. فقلت له : إنّ أمير المؤمنين يقول لك ما حملك على الخروج وبما استحلتت نقض بيعتي والعهد عليك؟
قال : خرجت أطلب بدم عثمان ، أیظن ابن عمك أنّه قد حوى على الأمر حين حوى على الكوفة وقد والله كتبت إلى المدينة يؤخذ لي بمكة.
فقلت له : أتق الله يا طلحة فإنّه ليس لك أن تطلب بدم عثمان ، وولده أولى بدمه منك ، هذا أبان بن عثمان ما ينهض في طلب دم أبيه.
قال طلحة : نحن أقوى على ذلك منه ، قتله ابن عمك وابتزّ أمرنا.
فقلت له : أذكرك الله في المسلمين وفي دمائهم ، وهذا المصحف بيننا وبينكم ، والله ما أنصفتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ حبستم نساءكم في بيوتكم ، وأخرجتم حبيسة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.
فأعرض عني ، ونادى أصحابه : ناجزوا القوم فإتكم لا تقومون لحجاج ابن أبي طالب.

فقلت : يا أبا محمد أبالسيف تخوّف ابن أبي طالب ، أما والله ليعاجلنك للسيف.
فقال : ذلك بيننا وبينك.
قال : فانصرفت عنهما إلى عائشة وهي في هودج مدقق بالدفوف ^(١) على جملها عسكر ، وكعب بن سور القاضي آخذ بخطامه ، وحوها ألازد

(١) أي مثبت بالسرّج.

وضبّة ، فلما رأته قالت : ما الذي جاء بك يا بن عباس؟ والله لا سمعت منك شيئاً ، ارجع إلى صاحبك فقل له : ما بيننا وبينك إلاّ السيف ، وصاح من حولها : ارجع يا بن عباس لا يسفك دمك.

فرجعت إلى أمير المؤمنين عليه السلام فأخبرته الخبر ، وقلت : ما تنتظر والله ما يعطيك القوم إلاّ السيف فأحمل إليهم قبل أن يحملوا عليك.
فقال : (لنستظهر بالله عليهم).

قال ابن عباس : فوالله ما رمت من مكاني حتى طلع عليّ نشابهم كأنّه جراد منتشر.
فقلت : ما ترى يا أمير المؤمنين إلى ما يصنع القوم؟ مرنا ندفعهم.
فقال : (حتى أعذر إليهم ثانية)^(١).

(١) الجمل / ١٨٠.

ابن عباس وعائشة

لقد مرّت صفحات قرأنا فيها عرض الوقائع التاريخية التي أدّت إلى التآزم والتشنج بين ابن عباس وعائشة ، وذلك قبل أن تقوم الحرب على ساق. ولما قامت الحرب وأنتهت وقد قتل طلحة والزبير ، وبقيت عائشة تدير المعركة حتى إذا عُقر الجمل خسرت ربّة الجمل كثيراً من رصيدها عند ابن عباس ، بل وعند آخرين ممن تأثروا بخطبة الإمام عليه السلام التي أوضح فيها الحكم في قتال أهل القبلة ، وأنّه تحل دماء المقاتلين ولا تحل نساؤهم ، وقال فيها :

(وأما فلانة أدركها رأي النساء وضغن غلافي صدرها ، كمرجل القين ، ولو دعيت لتنال من غيري ما أتت إليّ لم تفعل ، ولها بعدُ حرمتها الأولى والحساب عند الله).
قال الشيخ محمد عبدة : (المرجل القدر ، والقين - بالفتح - الحداد ، أي أنّ ضغينتها وحقدتها كانا دائمي الغليان ، كقدر الحداد ، فإنّه يغلي ما دام يصنع ، ولو دعاها أحد لتصيب من غيري غرضاً من الإساءة والعدوان مثل ما أتت إليّ - أي : فعلت بي - لم تفعل ، لأنّ حقدتها كان عليّ خاصة ... أه)^(١).

(١) شرح نهج البلاغة لمحمد عبدة ٢ / ٦٣ .

وهذا هو الذي أهبط رصيدها عند ابن عباس وعند غيره ، ممن عرفوها بتلك الصفة ،
وبقيت في النفوس مرارة فعلها وما قامت به من سفك الدماء بغير حق ، حتى أنّ أمير
الشعراء شوقي خاطب الإمام عليه السلام بقوله :

يا جبلاً تأبى الجبال ما حمل	ماذا رمت عليك ربة الجمل
أثار عثمان الذي شجأها	أم غصّة لم ينتزع شجاعاً
قضية من دمه تبنيتها	هبت لها واستنفرت بنيتها
ذلك فتق لم يكن بالبال	كيد النساء موهن الجبال
وإنّ أم المؤمنين لامرأة	وإنّ تك الطاهرة المرأة
أخرجها من كنفها وسنّها	ما لم يُزل طول المدى من ضغنها
وشّر من عداك من تقيته	وملتقي السلاح تلتقيته (١)

ولقد مرّت في الجزء الثالث من الحلقة الأولى صفحات عن ابن عباس مع عائشة من
بعد الحرب وما جرى بينهما من محاورات أدت إلى أنّ غلبها ابن عباس بالحجة ، ولكنها
استكانت وبكت حتى سُمع نشيجها ، فلنقرأ تلك الصفحات من جديد :

أمر تسيير عائشة إلى المدينة :

لم يبق للإمام عليه السلام أمر أهمّه إلاّ إرجاع عائشة إلى بيتها ، ولما كان عليه السلام

(١) دول العرب وعظماء الإسلام / ٥٤ .

يَّبَع أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قتاله الناكثين فهو يقتفي ما رسم له ، وقد مرّت أحاديث دالة على ذلك. وثمة أحاديث أخرى في خصوص تسيير عائشة.

فقد روى أبو رافع عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لعليّ : (سيكون بينك وبين عائشة أمر ، فإذا كان ذلك فأرددها إلى مأمنها). قال ابن حجر : أخرجه أحمد والبخاري بسند حسن (١). وأخرجه السيوطي في (الخصائص) عنهما وعن الطبراني (٢).

وفي حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت : (ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم خروج بعض أمهات المؤمنين ، فضحكت عائشة ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم :) أنظري يا حميراء (٣) ألا تكوني أنتِ).

ثم التفت إلى عليّ ، فقال : (يا عليّ إن وليت من أمرها شيئاً فأرفق بما) (٤). إذن فعلى الإمام عليه السلام أن يتفرغ لذلك.

قال طه حسين : (وكان من الأمور ذات الخطر التي أراد عليّ أن يفرغ

(١) فتح الباري ١٦ / ١٦٥.

(٢) الخصائص ٢ / ١٢٧ ط حيدر آباد الأولى.

(٣) من الطريف أن ينكر ابن قيم الجوزية ورود حديث فيه لفظ (الحميراء) وتبعه في ذلك غير واحد. وكأنهم . فيما أحسب . من باب سد الذرائع عندهم انكروا ذلك ، لئلا يصدّمهم حديث الحوآب وفيه (إياك أن تكونيها يا حميراء) ، أو يدمغهم حديث أم سلمة المار ذكره في المتن ، مع أن الأحاديث التي ورد فيها لفظ (الحميراء) نافذ على العشرين . فيما أحصيت . وربما فاتني غيرها . فلا يعقل أن تكون جميع تلك الأحاديث موضوعة ، وبينها ما هو ثابت بسند صحيح كحديث الحوآب ، وقد أدرجه ناصر الدين الألباني في كتابه سلسلة الأحاديث الصحيحة ١ / ٢٦٧ . ٢٧٧ . وأفاض الكلام في سنده ودلالته ، والرد على من أنكره وهو سعيد الأفغاني ، فراجع (إشعاع البتراء على أحاديث الحميراء) مخطوط للكاتب والبتراء اسم للشمس كما في القاموس (بتر) .

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرک ٢ / ١٣٦ وصححه ، كما أخرجه البيهقي في الدلائل وغيره.

منها قبل أن يترك البصرة ، ردّ عائشة إلى المدينة لتقرّ في بيتها كما أمرها الله (١).
 ولما كان قد أنزلها في دار عبد الله بن خلف ، فصارت لجأً لفلول الجرحى وغيرهم من
 أصحابها ، فكان لا بدّ له من إنذارها بالتهيوء للرحيل ، قبل أن يتعاضم الخطب بطول بقائها
 ، ومن ذا هو الرسول الذي سيرسله إليها ، وهو يعلم منها . لما يبلغه عنها . صلابة وعناداً .
 وهل لها إلاّ ابن عمّه عبد الله بن عباس الذي سبق له أن كان رسوله إليها قبل الحرب . وله
 مواقف معها من قبل دلت على كفاءة عالية وقدرة في دحض حججها .
 وقد ذكرت بعض المصادر . كما سيأتي بيانها . بأنّ الإمام عليه السلام إستدعاه عقب
 خطبته في ذم أهل البصرة ، فقال : (أين ابن عباس ؟) . فدعي له من كل ناحية ، فأقبل
 إليه ، فقال : (إئت هذه المرأة ومرها فلترجع إلى بيتها الذي أمرها الله أن تقرّ فيه) .
 قال ابن عباس : فأتيته وهي في دار بني خلف ، فطلبت الإذن عليها فلم تأذن .
 وهنا سؤال يفرض نفسه ، لماذا لم تأذن عائشة لابن عباس ؟ ولعلّ في استعراض مواقفه
 السابقة معها ، وما كان يدور بينهما من تشنج نجد جواب ذلك وهو الذي فرض على
 عائشة تصلّب موقفها في عدم الإذن .

وإذا رجعنا نستقرئ مواقف ابن عباس معها ، فعلياً أن نبدأ بها من يوم

(١) الفتنة الكبرى ٢ / ٥٩ .

اجتمع بها في الصلصل سنة ٣٥ هـ حيث ضمّهما المنزل وكلاهما في الطريق إلى مكة ، وكان ابن عباس أمير الموسم في تلك السنة ، فحرّضته على عثمان ودعته إلى الهتاف بطلحة ، وقد مرّ بنا في الجزء الثالث من الحلقة الأولى خبر ذلك مفصّلاً.

ومن بعد ذلك كانت مواقف سفارته بين الإمام وبين زعماء الناكثين وهي منهم ، وكلّها كانت مواقف نصيحة لها من ابن عباس أن لا تخوض فيما وضع عنها وعن النساء ، وعليها أن ترجع إلى بيتها وتقرّ فيه كما أمرها الله ، ولكنه لم يجد لديها أذنًا صاغية.

وآخر موقف كان قبيل نشوب الحرب ، إذ أرسله الإمام عليه السلام وهو يحمل مصحفاً ليدعو القوم إلى ما فيه فاجتمع بطلحة والزبير ، ولما أتى عائشة وكانت في هودجها تحفّها الأزد وضبة ، وقد أخذ كعب بن سور القاضي بخطام الجمل ، فلما رأته نادته ما الذي جاء بك يا بن عباس ، والله ما سمعت منك شيئاً ، ارجع إلى صاحبك وقل له ما بيننا وبينك إلاّ السيف ، وتعاونت الغوغاء من حولها : ارجع يا بن عباس لا يسفك دمك.

فهذا التشنّج المذموم مع رسول يطلب حكم الكتاب لحقن الدماء ، لا شك له أثره في نفس ابن عباس ، كما لا شك أيضاً له ذكراه الأليمة في نفس قيادة مهزومة.

والآن أتاها وقد تبدّل الموقف على الساحة ، فهي كانت رأساً تقود جيشاً ، وأضحت

الآن أسيرة حرب ، ورهينة مغلوبة. وأصبح ابن عباس قائداً

منتصراً ، ورسولاً لإمام غدا مظقراً ، فلعل شعورها بالفشل والخيبة دعاها إلى أن تحجب ابن عباس من الدخول عليها ، لئلا تراه في عزّ النصر ، ويراه في ذلّ الهزيمة .
أو لعلها لم تأذن له لئلا يرى بيوتاً في دار ابن خلف ضمت فلول الناكثين ، أخفتهم معها حيث منحها الإمام عليه السلام الحماية الكافية ، فهي تحميهم بكنفها ، وإن شملهم العفو العام .

وما يدرينا لعلهما معاً إعتملا في نفسها فلم تأذن له .

ومهما يكن مردّ ذلك المنع ، فلم يكن منعها برادع لابن عباس وهو رسول الإمام عليه السلام ، وحبير الأمة لا يخفى عليه وجه فقاهاة الدخول بغير إذنها ، إلا أنه الأدب القرآني الذي كان ابن عباس ترجمانه يأمره بالآية (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**)^(١) .

ولعلّ عائشة أيضاً تخيلت أنّها بمنعه من الدخول عليها ، ستغلبه بقوله تعالى : (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ**)^(٢) .

ولم تدر أنّ ابن عباس أوعى منها لأحكام القرآن كما سيبتين ذلك عند قراءة نص المحاورة .

(١) النور / ٢٧ .

(٢) الأحزاب / ٥٣ .

ماذا عن نص المحاورة؟

هذا موضوع استجدّ عندي بحته بعد أن قرأت قريباً كتاب (عائشة والسياسة) لسعيد الأفغاني الشامي ، والرجل معروف من خلال كتابه (الإسلام والمرأة) ومعنيّ بعائشة خاصة من خلال تحقيقه لكتاب (الإجابة فيما استدركته عائشة على الصحابة) للزركشي وقد طبعه بدمشق سنة ١٣٥٨ هـ ، وتصاعدت حمى الهيام بها فأخرج كتابه (عائشة والسياسة) وطبعه بالقاهرة سنة ١٩٤٧ م. فقرأته من ألفه إلى يائه. كما يقولون. فرأيته في المقدمة ينأى بنفسه عن التقليد ، ويزعم لنفسه (التحرّر من كثير من الآراء والمذاهب التاريخية التي يتعبد بها بعض الباحثين لعصرنا ...)^(١).

وقال : (وعلى هذا فلسنت إذن متبعاً مذهباً ما ، ولن أخضع الحوادث لتفسير ما فأكلّف الأشياء غير طبائعها ، فلا أقول بالعلية التاريخية المطردة ، ولا أقرّ (الجبرية) في التاريخ ، وأجد أبعد المذاهب عن الواقع وأناها عن الحقّ والفطرة : مذهب التفسير المادي للتاريخ ...) .

وهذا نهج جيّد لو استقام على الطريقة ، ويستحق الإجابة حين رأيته ، قال : (وأحبّ أن أتبّه هنا إلى خطأ يوقع كثيراً من الباحثين في القصور ، ذلك أنّهم يكتفون في بحوثهم في التاريخ العربي بالمصادر التاريخية فحسب ، فتجيء بحوثهم على ضلع ، ما تكاد تستقل واقفة ، وكم من حقائق تاريخية خلت منها مصادر التاريخ وزخرت بها كتب الأدب ودواوين

(١) عائشة والسياسة ، المقدمة / ٣ .

الشعر ... وأن ما استفدته أنا من كتب اللغة والفقه والحديث والتفسير والأدب والأخبار ... لا يقلّ عمّا أصبته في مطوّلات التاريخ ...).

فهذا أيضاً جيّد ونهج قويم لو لم يقل : (ولا بدّ من الإشارة إلى أنّي جعلت أكثر اعتمادي . بعد البحث في المصادر التاريخية . على تاريخ الطبري خاصة ، فهو أقرب المصادر من الواقع ، وصاحبه أكثر المؤرخين تحريماً وأمانة ، وعليه اعتمد كلّ من أتى بعده من الثقات . وليس الكامل لابن الأثير إلّا تاريخ الطبري منسّقاً مختصراً منه الأسانيد واختلاف الروايات ، وحسبك أنّ ابن خلدون فيلسوف المؤرخين نقل عنه حوادث الجمل ثمّ أدلى بهذه الشهادة القيّمة : (هذا أمر الجمل ملخصاً من كتاب أبي جعفر الطبري ، اعتمدناه للوثوق به ولسلامته من الأهواء الموجودة في كتب ابن قتيبة وغيره من المؤرخين)^(١).

فأين التحرّر الذي زعمه أولاً؟! ثمّ أين الدعوة إلى قراءة الحقائق التاريخية في كتب اللغة والفقه والحديث والتفسير ...؟! ولمّ نعى على الآخرين الإقتصار على المصادر التاريخية فحسب؟ فما دام قد أكثر الإعتقاد على الطبري وليكن الباقي مرجعاً ثانوياً أو لا يكون. وهو لئن قارب الصواب حيناً فقد جانبه أحياناً ، ولست في مقام المؤاخذه والحساب على ما وجدته من هنات وهفوات في كتابه. ولقد سجلت ما عندي على هوامش صفحاته حين قراءتي له.

(١) تاريخ ابن خلدون ٢ / ٤٢٥ مطبعة النهضة سنة ١٣٥٥ هـ.

أقول : لقد مرّ بالقارئ ما ذكرته من شواهد خداع وتضليل المؤرخين ما قاله ابن كثير ، ولدى المقارنة تبين ما ارتكبه من الخيانة. فراجع.

لكن ممّا ينبغي التنبيه عليه في المقام أن أشير إلى زلة من زلّاته ممّا يتعلق بابن عباس وهذا هو الذي حداني إلى ذكره في المقام.

فالأفغاني ناقش رواية ابن عباس لحديث الحوآب. وهذه نقطة أولى تقدمت الإشارة إليها في هامش بعض الصفحات قريباً ، واكتفيت برد ابن بلده ناصر الدين الألباني ، فراجع.

أمّا النقطة الثانية : فهي مناقشته حوار ابن عباس مع عائشة بالبصرة وقد أرسله الإمام عليه السلام إليها يأمرها بالتهيؤ للرحيل والعودة إلى بيتها الذي أمرها الله أن تقرّ فيه. فلا بدّ لي من عرض جميع ما وقفت عليه من نصوص المحاورّة ثمّ عرض مناقشة الأفغاني بعد ذلك.

بين يديّ فعلاً من المصادر التي روت المحاورّة أكثر من عشرين مصدراً ، تختلف في روايتها مسندة ومرسلة ، مختصرة ومفصّلة ، وهي موزّعة على القرون كالآتي :

فمن القرن الثالث :

١. كتاب (الجمل) للواقدي المتوفى سنة ٢٠٧ هـ وهذا بتوسط كتاب الشافعي للمرتضى.

٢. (أخبار الدولة العباسية) ، مجهول المؤلف من القرن الثالث يميل المحققان له أنّه لابن النطّاح المتوفى سنة ٢٥٢ هـ^(١).

(١) أخبار الدولة العباسية / ١٥ المقدمة ط دار الطليعة بيروت.

٣ . تاريخ اليعقوبي المتوفى سنة ٢٩٢ هـ .

٤ . كتاب (الفتن) لنعيم بن حماد المتوفى سنة ٢٢٩ هـ .

ومن القرن الرابع :

١ . تاريخ الفتوح لابن أعثم الكوفي المتوفى سنة ٣١٤ هـ .

٢ . (العقد الفريد) لابن عبد ربه الاندلسي المتوفى سنة ٣٢٨ هـ .

٣ . (البدء والتاريخ) لأبي زيد البلخي المتوفى سنة ٣٤٣ هـ^(١) .

٤ . (مروج الذهب) للمسعودي المتوفى سنة ٣٤٦ هـ .

٥ . (شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار) للقاضي أبي حنيفة النعمان بن محمد

التميمي المغربي المتوفى سنة ٣٦٣ هـ .

٦ . رجال الكشي (معرفة أخبار الناقلين) لأبي عمرو الكشي المتوفى قبل سنة ٣٦٨

هـ . وهذا بتوسط (إختيار الرجال) للطوسي .

ومن القرن الخامس :

١ . (الشافي) للشريف المرتضى المتوفى سنة ٤٣٦ هـ .

٢ . (تلخيص الشافي) للشيخ الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠ هـ .

٣ . (إختيار الرجال) للشيخ الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠ هـ .

(١) قال كاتب جلي في كشف الظنون : وهو كتاب مفيد مهذب عن خرافات العجائز وتزاوير القصاص لأنه تتبع فيه صحاح الأسانيد ... أقول : وقد طبع في باريس سنة ١٩١٦ ميلادية بعناية كليمان هوار ، وكتب في صفحة العنوان المنسوب إلى أبي زيد أحمد بن سهل البلخي وهو لمطهر بن طاهر المقدسي .

ومن القرن السادس :

١ . (مصباح الأنوار) للشيخ هاشم بن محمد المتوفى بعد سنة ٥٥٢ هـ .

ومن القرن السابع :

١ . (الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة) لمحمد بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري التلمساني المشهور بالبرقي .

٢ . (الحدائق الوردية) لحميد بن أحمد المحلي الشهيد المتوفى سنة ٦٥٢ هـ .

٣ . (تذكرة خواص الأمة) لسبط ابن الجوزي المتوفى سنة ٦٥٤ هـ .

٤ . (شرح نهج البلاغة) لابن أبي الحديد المعتزلي الحنفي المتوفى سنة ٦٥٥ هـ .

ومن القرن الثامن : ...

ومن القرن التاسع :

١ . (شرح صحيح مسلم) للأبي المالكي المتوفى سنة ٨٢٧ هـ .

ومن القرن العاشر : ...

ومن القرن الحادي عشر : ...

ومن القرن الثاني عشر :

١ . (سمط النجوم العوالي) للعصامي المكي المتوفى سنة ١١١١ هـ .

٢ . (بحار الأنوار) للشيخ المجلسي المتوفى سنة ١١١١ هـ .

٣ . (الدرجات الرفيعة) للسيد علي خان المدني الشيرازي المتوفى سنة ١١٢٠ هـ .

ومن القرن الثالث عشر :

١ . شعب المقال لأبي القاسم النراقي المتوفى سنة ١٣١٩ هـ .

٢ . أعيان الشيعة ج ٣ ق ٢ للسيد الأمين.

٣ . أحاديث أم المؤمنين عائشة للسيد مرتضى العسكري من المعاصرين.

٤ . عائشة والسياسة لسعيد الأفغاني من المعاصرين.

ولما كانت مصادر القرون المتأخرة مصادر ثانوية ، خصوصاً القرون (١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤) فإنها تستقي معلوماتها من المصادر الأولى لتصريح أربابها بذلك ، إذن لا حاجة بنا إلى الرجوع إليها إلا إذا دعت الحاجة إلى تصحيح المعلومة فيها ، كما سيأتي منا في محاسبة سعيد الأفغاني على ذلك.

أمّا مصادر القرون الأولى من الثالث وحتى التاسع ، فبعضها يروي المحاورة بسند متصل وقد يختلف عن سند الآخرين ، كما أنّ رواية المحاورة تتفاوت قليلاً أو كثيراً ، وذلك مسؤولية الرواة ولا ضير ، وبمقارنة بين النصوص المتشابهة يجعلنا أكثر إطمئناناً بما ورد في خصوص مصادر القرنين الثالث والرابع.

وسوف نأتي بنص المحاورة نقلاً منها على اختلاف روايتها في القرون الأولى ، ومنها :

نص المحاورة في مصادر القرن الثالث :

١ . قال السيد المرتضى :

(فإنّ الواقدي روى بإسناده ، عن شعبة ، عن ابن عباس ، قال : أرسلني عليّ عليه

السلام إلى عائشة بعد الهزيمة وهي في دار الخزاعيين يأمرها أن ترجع إلى بلادها.

قال : فجئتها فوقفت على بابها ساعة لا تأذن لي ، ثم أذنت (١) ، فدخلت ولم يوضع لي وسادة ولا شيء أجلس عليه ، فالتفت فإذا وسادة في ناحية البيت على متاع فتناولتها ووضعتها ثم جلست عليها.

فقلت عائشة : يا بن عباس أخطأت السنة تجلس على متاعنا بغير إذنا.
فقلت لها : ليست بوسادتك ، تركت متاعك في بيتك الذي لم يجعل الله لك بيتاً غيره.

فقلت : والله ما أحبّ أيّ أصبحت في منزل غيره.

قلت : أما حين اخترت لنفسك فقد كان الذي رأيت.

فقلت : أيّها الرجل أنت رسول فهلّم ما قيل لك؟

قال : فقلت : إنّ أمير المؤمنين عليه السلام يأمرك أن ترحلي إلى منزلك وبلدك.

فقلت : ذاك أمير المؤمنين عمر.

قال ابن عباس : فقلت : أمير المؤمنين عمر والله يرحمه ، وهذا والله أمير المؤمنين.

فقلت : أبيت ذلك.

فقلت : أما والله ما كان إلّا فواق ناقة غير غزير حتى ما تأمرين ولا تنهين كما قال

الشاعر الأسدي :

ما زال إهداء القصائد بيننا شتم الصديق وكثرة الألقاب

(١) لم يرد هذا في غير هذا المصدر ، وأما في بقية المصادر دخل عليها بغير إذنها ، وهو الصحيح إذ ورد فيها قوله عائشة : أخطأت السنة دخلت منزلي بغير اذني.

حتى تركت كأن أمرك فيهم في كل ناحية طنين ذباب (١)
 قال ابن عباس : فوالله يعلم لبكت حتى سمعت نشيجها.
 فقالت : أفعل ، ما بلد أبغض إليّ من بلد لصاحبك مملكة فيه ، وبلد قتل فيه أبو
 محمد وأبو سليمان . تعني طلحة بن عبيد الله وابنه ..
 فقلت : أنت والله قتلتها.
 قالت : وأجلهما إلى سباق.
 قلت : لا ولكنك لما شجعوك على الخروج خرجت ، فلو أقمت ما خرجا.
 قال : فبكت مرة أخرى أشد من بكائها الأول . ثم قالت : والله لئن لم يغفر الله لنا
 لنهلكن ، نخرج لعمرى من بلدك ، فأبغض بها والله بلداً إليّ وبمن فيها.
 فقلت : والله ما هذا جزاؤنا وما هي بأيدينا عندك ولا عند أبيك ، لقد جعلنا أباك
 صديقاً وجعلناك للناس أمّاً.

(١) ما أستشهد به الخبر ابن عباس من أبيات للحضرمي بن عامر الأسدي وقد ذكرها ابن دريد في المجتنى /
 ١٠٤ بتفاوت يسير ، وأولها :

ما زال إهداء الضغائن بيننا
 حتى تركت كأن أمرك فيهم
 شتم الصديق وكثرة الألقاب
 في كل مجموعة طنين ذباب
 أهلكت جنودك من صديق فالتمس
 جنداً تعيش به من الأوغاب
 ... الخ.

فقلت : أمتون عليّ برسول الله .

قلت : إي والله لأمتن به عليك ، والله لو كان لك لمننت به .

قال ابن عباس : فقممت وتركتهما ، فجئت علياً عليه السلام فأخبرته خبرها وما قلت

لها .

فقال عليه السلام : (**ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**)^(١) (٢) .

وهذا رواه الشيخ الطوسي في (تلخيص الشافعي) أيضاً ملحقاً بـ (الشافعي) .

٢ . أخبار الدولة العباسية ، قال :

(لما فرغ عليّ رحمة الله عليه ورضوانه من قتال أهل البصرة ، بعث ابن عباس إلى

عائشة رضي الله عنها وهي في ذكر شيء (والصواب في دار بني خلف) خلف الستر ،

فأتاها ابن عباس فاستأذن في الدخول فلم تأذن له ، فدخل من غير إذن ، فلم تطرح له شيئاً

يقعد عليه ، فأخذ وسادة فجلس عليها .

فقلت : أخطأت السنّة يا ابن عباس ، دخلت علينا من غير إذن ، وجلست على

مقرمتنا من غير أمرنا .

فقال : ما أنتِ والسنّة ، نحن علّمناكِ وأباكِ السنّة ، ونحن أولى بها منك ، والله ما هو

بيتك ، وإنما بيتك الذي خلّفك فيه رسول الله صلّى الله عليه (وآله) وسلّم فخرجت منه

ظالمة لنفسك ، فأوردت من بنيك ممّن أطاعك موارد الهلكة ، ولو كنت في بيتك الذي

خلّفك فيه رسول الله صلّى الله عليه (وآله) وسلّم لم ندخله إلّا بإذنك ، إنّ أمير المؤمنين

يأمرك

(١) آل عمران / ٣٤ .

(٢) الشافعي / ٢٩٢ ط حجرية .

بتعجيل الرحلة إلى المدينة وقلّة العرجة.

قالت : أردت عمر بن الخطاب؟

قال : عليّ والله أمير المؤمنين وإن تريّدت فيه وجوه ، وأرغمت فيه أنوف (معاطس) ، والله إن كان إباؤك لعظيم الشؤم ، ظاهر النكد ، وما كان مقدار طاعتك إلاّ مقدار حلب شاة ، حتى صرتِ تأمرين فلا تطاعين ، وتدعين فلا تجابين ، وما مثلك إلاّ كما قال أخو بني أسد :

ما زال يهدي والهواجر بيننا شتم الصديق وكثرة الألقاب
حتى تركت كأنّ صوتك فيهم في كل ناحية طنّين ذباب
فانتحبت حتى سُمع حنينها من وراء الستر ، ثمّ قالت : والله ما في الأرض بلدة أبغض إليّ من بلدة أنتم بها معاشر بني هاشم.

فقال : والله ما ذاك يدنا عندك وعند أبيك ، لقد جعلنا أباك صديقاً وهو ابن أبي قحافة ^(١) ، وجعلناك للمؤمنين أمّاً وأنت ابنة أم رومان ^(٢).

(١) كان منادي عبد الله بن جدعان على مائدته وأجرته أربعة دوانيق. المنمق لمحمد بن حبيب / ٤٦٥ ، وإرشاد القلوب بتوسط سفينة البحار (قحف).

(٢) اختلف مترجموها مع الصحابة في نسبها وفي أسمها وفي وفاتها ، وربما هناك علة أخرى أغفلوها إكراماً لابنتها ، وإلا فلا معنى لتعبير ابن عباس لها بأُمّها فيقول لها : وأنت بنت أم رومان. وأكد ذلك تعبير محمد بن الحنفية لعبد الله بن الزبير بها في المسجد الحرام على رؤوس الأشهاد فلم يردّ عليه. فقد روى اليعقوبي في تاريخه ٣ / ٨ ط النجف ، والمسعودي في مروج الذهب ٣ / ٨٠ ط دار الأندلس واللفظ له : قال : خطب ابن الزبير فنال من عليّ : فبلغ ذلك ابنه محمد بن الحنفية فجاء حتى وضع له كرسي قدامه فعلاه وقال : يا معشر قريش شاهت الوجوه

قالت : أتمنّون عليّ برسول الله صلّى الله عليه (وآله) وسلّم؟

قال : إي والله أتمنّ عليكِ بمن لو كان فيكِ قلامَةٌ منه مننتِ به على الخلق ، وإِنّما نحن دمه ولحمه ، وأنتِ حشية من تسع حشايا خلفهنّ رسول الله صلّى الله عليه (وآله) وسلّم ، والله ما أنتِ بأطولهنّ طولاً ، ولا أنضرهنّ عوداً.
فانصرف ابن عباس وأخبر عليّاً بالذي جرى. فقال : أنا كنت سديد الرأي حيث أرسلتك إليها (١).

٣ . تاريخ اليعقوبي :

(ووجه ابن عباس إلى عائشة يأمرها بالرجوع ، فلمّا دخل عليها ابن عباس ، قالت : أخطأت السنّة يا بن عباس مرّتين ، دخلت بيتي بغير إذني ، وجلست على متاعي بغير أمري .

أينتقص عليّ وأنتم حضور؟ ان عليّاً كان سهماً صادقاً (صارماً) احد مرامي الله على أعدائه يقتلهم لكفرهم ... فعاد ابن الزبير إلى خطبته وقال عذرت بني الفواطم يتكلمون فما بال ابن الحنفية؟ فقال محمّد : يا بن ام رومان وما لي لا أتكلّم ... الخ. وقبل هذين العلمين . ابن عباس ومحمّد بن الحنفية . كان تعبير أبيها لها كما في مسند أحمد ٤ / ٢٧١ . ٢٧٢ فقد روى النعمان بن بشير قال جاء أبو بكر يستأذن على النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم فسمع عائشة وهي رافعة صوتها على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فأذن له فدخل فقال يا ابنة أم رومان وتناولها ...

فأم رومان التي عبّروا عائشة بها هي غير التي في رواية جابر عند الدارقطني والبيهقي وغيرهما ، ان امرأة ارتدت عن الإسلام يقال لها (أم رومان) فبلغ أمرها إلى النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم فأمر أن تستتاب فإن تابت وإلاّ قتلت كما في المجموع للنووي ١٩ / ٢٢٦ ط دار الفكر ، والاقناع في حلّ ألفاظ أبي شجاع ٢ / ٢٠٦ ، ونيل الأوطار ٨ / ٣ ومصادر أخرى.

(١) أخبار الدولة العباسية / ١٢٥ تح د عبد العزيز الدوري ود عبد الجبار المطلبي ط دار الطليعة بيروت.

قال : نحن علمنا أباك السنّة ، إنّ هذا ليس ببيتك ، بيتك الذي خلّفك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم به ، وأمرك القرآن أن تقرّي فيه .
 وجرى بينهما كلام موضعه في غير هذا من الكتاب (؟) (١) .
 ٤ . كتاب (الفتن) لنعيم بن حماد ، عن ابن عباس ، قال :
 (دخلت على عائشة ، فقلت : السلام عليك يا أمه .
 قالت : وعليك يا بُني .
 قال : قلت لها : ما أخرجك علينا مع منافقي قريش ؟
 قالت : كان ذلك قدراً مقدوراً) (٢) .

نص المحاورّة في مصادر القرن الرابع :

١ . كتاب (الفتح) لابن أعمش الكوفي المتوفى نحو سنة ٣١٤ هـ (ذكر ما جرى من الكلام بين عبد الله بن عباس وبين عائشة لما أنفذه إليها برسالته عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه M) ، قال :
 (ثمّ دعا عليّ رضي الله عنه بعبد الله بن عباس ، فقال له : (اذهب إلى عائشة فقل لها أن ترتحل إلى المدينة كما جاءت ولا تقيم بالبصرة) .
 فأقبل إلى عائشة فاستأذن عليها ، فأبت أن تأذن له ، فدخل عبد الله بغير إذن ، ثمّ التفت فإذا راحلة عليها وسائد فأخذ منها وسادة وطرحها ثمّ

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٥٩ .

(٢) كتاب الفتن لنعيم بن حماد نسخة مصورة عن نسخة متحف لندن بمكتبتي (وص ٤٧ من المطبوع بتحقيق سهيل زكار حديثاً) .

جلس عليها.

فقلت عائشة : يا بن عباس أخطأت السنة ، دخلت منزلي بغير إذني .

فقال ابن عباس : لو كنت في منزلك الذي خلّفك فيه رسول الله صلّى الله عليه (وآله) وسلّم لما دخلت عليك إلاّ بإذنك ، وذلك المنزل الذي أمرك الله عليه السلام أن تقرّي فيه ، فخرجت منه عاصية لله عليه السلام ورسوله محمّد صلّى الله عليه (وآله) وسلّم . وبعد فهذا أمير المؤمنين يأمرك بالإرتحال إلى المدينة فارتحلي ولا تعصي .

فقلت عائشة : رحم الله أمير المؤمنين ذاك عمر بن الخطاب .

فقال ابن عباس : وهذا والله أمير المؤمنين وإن رغمت له الأنوف ، وأردت له الوجوه .

فقلت عائشة : أبيت ذلك عليكم يا بن عباس .

فقال ابن عباس : لقد كانت أيامك قصيرة المدة ، ظاهرة الشؤم ، بينة النكد ، وما كنت في أيامك إلاّ كقدر حلب شاة حتى صرت ما تأخذين وما تعطين ولا تأمرين ولا تنهين وما كنت إلاّ كما قال أخو بني أسد حيث يقول :

ما زال إهداء القصائد بيننا شتم الصديق وكثرة الألقاب
حتى تركت كأن قولك فيهم في كل محتفل طنّين ذباب

قال : فبكت عائشة بكاءً شديداً ، ثمّ قالت : نعم والله أرحل عنكم ، فما

خلق الله بلداً هو أبغض إليّ من بلد أنتم به يا بني هاشم.

فقال ابن عباس : ولم ذلك؟ فوالله ما هذا بلاؤنا عندك يا بنت أبي بكر.

فقال عائشة : وما بلاؤكم عندي يا بن عباس؟

قال : بلاؤنا عندك إنّنا جعلناك للمؤمنين أمّاً وأنت بنت أم رومان ، وجعلنا أباك

صديقاً وهو ابن أبي قحافة ، وبنا سُميت أم المؤمنين لا بتيم وعديّ.

فقال عائشة : يا بن عباس أتمنّون عليّ برسول الله صلّى الله عليه (وآله) وسلّم؟

فقال : ولم لا نتمنّ عليك برسول الله صلّى الله عليه (وآله) وسلّم؟ ولو كانت فيك

شعرة منه أو ظفر لمننت علينا وعلى جميع العالمين بذلك. وبعد فإتّما كنت إحدى تسع

حشايا من حشاياه ، لست بأحسنهنّ وجهاً ، ولا بأكرمهنّ حسباً ، ولا بأرشنهنّ عرقاً ،

وأنت الآن تريدان أن تقولي ولا تُعصين ، وتأمري ولا تخالفين ، ونحن لحم الرسول صلّى الله

عليه (وآله) وسلّم ودمه ، وفينا ميراثه وعلمه.

فقال عائشة : يا بن عباس ما باذل لك عليّ بن أبي طالب؟

فقال ابن عباس : أما والله أقرّ له وهو أحقّ به مني وأولى ، لأنّه أخوه وابن عمه ،

وزوج الطاهرة ابنته وأبو سبطيه ، ومدينة علمه ، وكشاف الكرب عن وجهه ، وأمّا أنت فلا

والله ما شكرت نعماءنا عليك وعلى أبيك من قبلك.

ثمّ خرج وسار إلى عليّ فأخبره بما جرى بينه وبين عائشة من الكلام.
فدعا عليّ ببغلة رسول الله صلّى الله عليه (وآله) وسلّم فاستوى عليها ، وأقبل إلى منزل عائشة ، ثمّ استأذن ودخل ، فإذا عائشة جالسة وحولها نسوة من نساء أهل البصرة وهي تبكي وهنّ يبكين معها.

قال : ونظرت صفية بنت الحارث الثقفية امرأة عبد الله بن خلف الخزاعي إلى عليّ ، فصاحت هي ومن كان معها هناك من النسوة وقلن بأجمعهنّ : يا قاتل الأحبة ، يا مفترق بين الجمع ، أيتّم الله منك بنيك كما أيتمت ولد عبد الله بن خلف.
فنظر إليها عليّ فعرفها ، فقال : (أما إيّ لا ألومك أن تبغضيني وقد قتلت جدك في يوم بدر ، وقتلت عمك يوم أحد ، وقتلت زوجك الآن ، ولو كنت قاتل الأحبة كما تقولين لقتلت من في هذا البيت ومن في هذه الدار).

قال : فأقبل عليّ على عائشة ، فقال : (ألا تنحين كلابك هؤلاء عني ، أمّا إنني قد هممت أن أفتح باب هذا البيت فأقتل من فيه ، وباب هذا البيت فأقتل من فيه ، ولولا حبي للعافية لأخرجتهم الساعة ، فضربت أعناقهم صبراً).

قال : فسكتت عائشة وسكتت النسوة فلم تنطق واحدة منهن.
قال : ثمّ أقبل على عائشة فجعل يوبّخها ويقول : (أمرك الله أن تقرّي في بيتك وتحتجي بسترِك ولا تبرّجي ، فعصيته وخضبّت الدماء ، تقاتليني

ظالمة ، وتحرضين عليّ الناس ، وبما (وبنا / ظ) شرفك الله وشرف أباك من قبلك وسمّاك أم المؤمنين ، وضرب عليك الحجاب ، قومي الآن فارحلي ، واختفي في الموضع الذي خلفك فيه رسول الله صلّى الله عليه (وآله) وسلّم إلى أن يأتيك فيه أجلك . ثمّ قام عليّ فخرج من عندها .

قال : فلمّا كان من الغد بعث إليها ابنه الحسن ، فجاء الحسن ، فقال لها : يقول لك أمير المؤمنين : أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لعن لم ترحلي الساعة لأبعثنّ عليك بما تعلمين .

قال : وعائشة في وقتها ذلك قد ضفرت قرنّها الأيمن وهي تريد أن تضفر الأيسر ، فلمّا قال لها الحسن ما قال ، وثبت من ساعتها ، وقالت : رحلوني .

فقال لها امرأة من المهالبة : يا أم المؤمنين جاءك عبد الله بن عباس فسمعناك وأنت تجاوبينه حتى علا صوتك ثمّ خرج من عندك وهو مغضب ، ثمّ جاءك الآن هذا الغلام برسالة أبيه فأقلقك وقد كان أبوه جاءك فلم نر منك هذا القلق والجزع؟

فقال عائشة : إنّما أقلقني لأنه ابن بنت رسول الله صلّى الله عليه (وآله) وسلّم ، فمن أحبّ أن ينظر رسول الله صلّى الله عليه (وآله) وسلّم فلينظر إلى هذا الغلام ، وبعد فقد بعث إليّ أبوه بما قد علمت ولا بدّ من الرحيل .

فقال لها المرأة : سألتك بالله ومحمّد صلّى الله عليه (وآله) وسلّم إلّا

أخبرتني بماذا بعث إليك علي رضي الله عنه؟

فقلت عائشة رضي عنها : ويحك إن رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم أصاب من مغازيه نفلًا ، فجعل يقسم ذلك في أصحابه ، فسألناه أن يعطينا منه شيئاً وألحنا عليه في ذلك ، فلامنا علي رضي الله عنه وقال : حسبك أضجرت رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم ، فتجهمناه وأغلظنا له في القول ، فقال : **(عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ)**^(١) فأغلظنا له أيضاً في القول وتجهمناه ، فغضب النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم من ذلك وما استقبلنا به علياً ، فأقبل عليه ثم قال : (يا علي إني قد جعلت طلاقهنّ إليك ، فمن طلقتهما منهنّ فهي بائنة) ، ولم يوقت النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم في ذلك وقتاً في حياة ولا موت. فهي تلك الكلمة ، وأخاف أن أبين من رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم (٢).

٢ . (العقد الفريد) لابن عبد ربه الأندلسي المتوفى سنة ٣٢٨ هـ :

(١) التحريم / ٥ .

(٢) كتاب الفتوح لابن أعثم الكوفي ٢ / ٣٣٤ . ٣٣٨ ط أفسست دار الندوة الجديدة عن الطبعة الأولى بجيدر آباد .

قال ابن أبي الحديد في شرح النهج ٤ / ٢٣٤ : وقد قيل ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم فوّض أمر نسائه بعد موته وجعل إليه أن يقطع عصمة أيهنّ شاء إذا رأى ذلك ، وله من الصّحابة جماعة يشهدون له بذلك فقد كان قادراً على أن يقطع عصمة ام حبيبة ويبيح نكاحها الرجال عقوبة لها ولمعاوية اخيها فأنها كانت تبغض علياً كما يبغضه أخوها ولو فعل ذلك لانتهش لحمه ، وهذا قول الإمامية وقد رووا عن رجالهم انه عليه السلام تهدد عائشة بضرب من ذلك. وقارن مناقب ابن شهر اشوب ١ / ٣٩٧ ط الحيدرية كلام عائشة في ذلك وقول خطيب خوارزم :

عليّ في النساء له وحيي أميين لم يمنع بالحجاب

(عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما انقضى أمر الجمل دعا عليّ بن أبي طالب بأجرتين فعلاهما ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثمّ قال : (يا أنصار المرأة ، وأصحاب البهيمة ، رغا فجتتم ، وعقر فهُزمتم ، نزلتم شرّ بلاد ، أبعدها من السماء ، بها مغيض كلّ ماء ، ولها شرّ أسماء ، هي البصرة والبصرة والمؤتفكة وتدمر . أين ابن عباس ؟) .

قال : فدُعيت له من كلّ ناحية ، فأقبلتُ إليه .

فقال : (إئتِ هذه المرأة ، فلترجع إلى بيتها التي أمرها الله أن تقرّ فيه) .

قال : فجئت فاستأذنت عليها فلم تأذن لي ، فدخلت بلا إذن ، ومددت يدي إلى وسادة في البيت فجلست عليها .

فقلت : تالله يا بن عباس ما رأيت مثلك ، تدخل بيتنا بلا إذننا ، وتجلس على وسادتنا بغير أمرنا .

فقلت : والله ما هو ببيتك ، ولا بيتك إلاّ الذي أمرك الله أن تقرّ فيه فلم تفعلني ، إنّ أمير المؤمنين يأمرُك أن ترجعي إلى بلدك الذي خرجت منه .

قالت : رحم الله أمير المؤمنين ، ذاك عمر بن الخطاب .

قلت : نعم ، وهذا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب .

قالت : أبيتُ أبيت .

قلت : ما كان إباؤك إلاّ فواق ناقة بكيفة^(١) ثمّ صرت ما تحلين ولا

(١) الفواق (بضم الفاء وفتحها) : ما بين الحلبتين من الوقت ، لأن الناقة تحلب ثمّ تترك سويعة يرضعها الفصيل لتدرّ ثمّ تحلب ، والبكيفة من النوق : التي قلّ لبنها .

تمرّين ، ولا تأمرين ولا تنهين.

قال : فبكت حتى علا نשיجها ، ثمّ قالت : نعم ارجع ، فإنّ أبغض البلدان إليّ بلدٌ أنتم فيه.

قلت : أما والله ما كان ذلك جزاؤنا منك ، إذ جعلناك للمؤمنين أمّاً ، وجعلنا أباك لهم صدّيقاً.

قالت : أتمنّ عليّ برسول الله يا بن عباس؟

قلت : نعم تمنّ عليك بمن لو كان منك بمنزلته منّا لمننت به علينا.

قال ابن عباس : فأتيت عليّاً فأخبرته ، فقبّل بين عينيّ ، وقال : بأبي (**ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا**

مِنْ بَعْضِ وَاللَّهِ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)^(١) (٢).

٣ . (البدء والتاريخ) المنسوب لأبي زيد البلخي المتوفى سنة ٣٤٠ هـ :

(وجاء ابن عباس ، فقال : إنّما سميت أم المؤمنين بنا؟

قالت : نعم.

قال : أولسنا أولياء زوجك؟

قالت : بلى.

قال : فلم خرجت بغير إذننا؟

قالت : قضاء وأمر)^(٣).

(١) آل عمران / ٣٤ .

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي ٤ / ٣٢٨ تح أحمد أمين ورفيقه ط مصر والآية.

(٣) البدء والتاريخ ٥ / ٢١٥ ط باريس أفتست.

٤ . (مروج الذهب) للمسعودي المتوفى سنة ٣٤٦ هـ :

(وبعث عبد الله بن عباس إلى عائشة يأمرها بالخروج إلى المدينة ، فدخل عليها بغير إذنها ، واجتذب وسادة فجلس عليها .

فقلت له : يا بن عباس أخطأت السنة المأمور بها دخلت إلينا بغير إذنا ، وجلست على رحلنا بغير أمرنا .

فقال لها : لو كنت في البيت الذي خلفك فيه رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم ما دخلنا إلا بإذنك ، وما جلسنا على رحلك إلا بأمرك ، وإن أمير المؤمنين يأمرك بسرعة الأوبة ، والتأهب للخروج إلى المدينة .

فقلت : أبيت ما قلت ، وخالفت ما وصفت .

فمضى إلى عليّ فخبره بامتناعها ، فردّه إليها ، وقال : إنّ أمير المؤمنين يعزم عليك أن ترجعي ، فأنعمت وأجابت إلى الخروج ، وجّهتها عليّ .

وأتاها في اليوم الثاني ودخل عليها ومعه الحسن والحسين وباقي أولاده وأولاد أخوته وفتيان أهله من بني هاشم وغيرهم من شيعته من همدان . فلما بصرت به النسوان صحن في وجهه وقلن : يا قاتل الأحبة .

فقال : (لو كنت قاتل الأحبة لقتلت من في هذا البيت) ، وأشار إلى بيت من تلك

البيوت قد اختفى فيه مروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عامر وغيرهم .

فضرب مَنْ كان معه بأيديهم إلى قوائم سيوفهم لما علموا مَنْ في البيت مخافة أن يخرجوا منه فيغتالوه.

فقال له عائشة بعد خطب طويل كان بينهما : إِيَّ أَحَبِّ أَنْ أَقِيمَ مَعَكَ فَأَسِيرَ إِلَى قِتَالِ عَدُوِّكَ عِنْدَ سِيرِكَ.

فقال : بل ارجعي إلى البيت الذي تركك فيه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ (وَآلِهِ) وَسَلَّمَ . فسألته أَنْ يُوِّمِّنَ ابْنَ أَخْتِهَا عَبْدِ اللهِ بْنِ الزَّبِيرِ ، فَأَمَّنَهُ . وَتَكَلَّمَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ فِي مِرْوَانَ فَأَمَّنَهُ ، وَأَمَّنَ الْوَلِيدُ بْنُ عَقْبَةَ وَوَلَدَ عَثْمَانَ وَغَيْرَهُمْ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ ، وَأَمَّنَ النَّاسَ جَمِيعاً (١).

٥ . (شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار) للقاضي أبي حنيفة النعمان بن محمد التميمي المغربي المتوفى سنة ٣٦٣ هـ :

(وبآخر . أي سند آخر . عن عبد الله بن عباس ، أنه قال : لما استقر أمر الناس بعد وقعة الجمل ، وأقام عليّ صلوات الله عليه في البصرة بمن معه أياماً بعث بي إلى عائشة يأمرها بالرحيل عن البصرة والرجوع الي بيتها .

قال ابن عباس : فدخلت عليها في الدار التي أنزلها فيها ، فلم أجد شيئاً أجلس عليه ، ورأيت وسادة في ناحية من الدار فأخذتها فجلست عليها .

فقلت لي : يا بن عباس ما هذا؟ تدخل عليّ بغير إذني في بيتي ،

(١) مروج الذهب للمسعودي ٢ / ٣٣٧ ط السعادة بمصر سنة ١٣٧٧ تح محمد محي الدين عبد الحميد.

وتجلس على فراشي بغير إذني؟ لقد خالفت السنة.

قال ابن عباس : نحن علمناك وغيرك السنة ، ونحن أولى بها منك ، إنما بيتك البيت الذي خلّفك فيه رسول الله صلوات الله عليه وآله ، فخرجت منه ظالمة لنفسك ، عاتبة على ربك ، عاصية نبيك ، فإذا رجعت إليه لم أدخله إلا بإذنك ولم أجلس على ما فيه إلا بأمرك .
قال : فبكت . فقلت لها : إنّ أمير المؤمنين بعثني إليك يأمرك بالرحيل عن البصرة والرجوع إلى بيتك .

قالت : ومن أمير المؤمنين؟ إنما كان أمير المؤمنين عمر .

فقلت لها : قد كان عمر يدعى أمير المؤمنين ، وهذا والله عليّ أمير المؤمنين حقاً كما سمّاه بذلك رسول الله صلوات الله عليه وآله ، وهو والله أمسّ برسول الله صلّى الله عليه وآله (وسلّم رحماً ، وأقدم سلماً ، وأكثر علماً ، وأحلم حلماً من أبيك ومن عمر .
قال : فقالت : ما شئت ذلك . قال : فقلت لها : أما والله لقد أبؤك (كذا في النسخة والصواب إباؤك) ذلك قصير المدة عظيم النبعة ظاهر الشوم بيّن النكاد (النكد) ، وما كان إلا كحلب شاة حتى صرت ما تأخذين ولا تعطين ولا كنت إلا كما قال أخو بني فهر :

ما زال إهداء القصائد بيننا شتم الصديق وكثرة الألقاب
حتى تركت كأن قولك فيهم في كل محتفل طنين ذباب

فأراقت دمعتهما ، وأبدت عولتها ، وظهر نשיجها ، ثم قالت : أرحل والله عنكم ، فوالله ما من أبغض إليّ من دار تكونون بها .

قلت : ولم ذلك؟ والله ما ذلك ببلائنا عندك ، ولا بأثرنا عليك وعلى أبيك ، إذ جعلناك أمّاً للمؤمنين وأنت بنت أم رومان ، وجعلنا أباك صديقاً وهو ابن أبي قحافة .

قالت : تمتون علينا برسول الله (صلوات الله عليه وآله)؟

قلت : ولم لا نمن عليكم بمن لو كانت فيك شعرة لمننت بها وفخرت ، ونحن منه وإليه لحمه ودمه ، وإنما أنت حشية من تسع حشيات خلفهن ، لست بأرشفهن عرقاً ، ولا بأنصرهن ورقاً ، ولا بأمدهنّ ظلاً ، وإنما أنت كما قال أخو بني أسد :

مننت على قومي فأبدوا عداوة فقلت لهم كفوا العداوة والنكرا
ففيه رضا من مثلكم لصديقه وأحرى بكم أن تظهروا البغي والكفرا
قال : فسكنت ، وانصرفت إلى عليّ صلوات الله عليه فأخبرته بما جرى بيني وبينها ،
فقال صلوات الله عليه : أنا كنت أعلم بك إذ بعثتك .

وتناقلت عائشة بعد ذلك عن الخروج إلى بيتها فأرسل إليها عليّ صلوات الله عليه :
والله لترجعن إلى بيتك أو لألفظن بلفظة لا يدعوك بعدها أحد من المؤمنين أمّاً .

فلما جاءها ذلك ، قالت : أرحلوني أرحلوني ، فوالله لقد ذكرني شيئاً لو ذكرته قبلاً

ما سرت بسيري هذا .

فقال لها بعض خاصتها : ما هو يا أم المؤمنين؟

قالت : إنّ رسول الله (صلوات الله عليه وآله) قد جعل طلاق نسائه إليه وقطع عصمتهم منه حيّاً وميتاً ، وأنا أخاف أن يفعل ذلك إن خالفته ، فارتحلت (١).

٦ . رجال الكشي (إختيار معرفة الرجال) :

(جعفر بن معروف ، قال : حدّثني الحسن بن علي بن النعمان ، عن أبيه ، عن معاذ بن مطر ، قال : سمعت إسماعيل بن الفضل الهاشمي ، قال : حدثني بعض أشياخي ، قال : لما هزم عليّ بن أبي طالب عليه السلام أصحاب الجمل بعث أمير المؤمنين عليه السلام عبد الله بن عباس (رحمة الله عليهما) إلى عائشة يأمرها بتعجيل الرحيل وقلّة العرجة (٢).

قال ابن عباس : فأتيتهما وهي في قصر بني خلف في جانب البصرة ، قال : فطلبت الإذن عليها ، فلم تأذن ، فدخلت عليها من غير إذنها ، فإذا بيت قفار (٣) لم يعدّ لي فيه مجلس ، فإذا هي من وراء ستيرين.

قال : فضربت ببصري فإذا في جانب البيت رحل عليه طنفسة (٤) ، قال : فمددت الطنفسة فجلست عليها.

فقالت من وراء الستر : يا بن عباس أخطأت السنّة دخلت بيتنا بغير إذنا وجلست على متاعنا بغير إذنا.

(١) شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار ١ / ٣٩٠ - ٣٩٢ ط مؤسسة النشر الإسلامي.

(٢) العرجة بالضم والفتح : الإقامة بالمكان.

(٣) الخالي وهو من القفر.

(٤) الطنفسة : البساط.

فقال ابن عباس (رحمة الله عليهما) : نحن أولى بالسنة منك ، ونحن علمناك السنة ، وإنما بيتك الذي خلفك فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فخرجت منه ظالمة لنفسك ، غاشية لدينك ، عاتبة على ربك ، عاصية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فإذا رجعت إلى بيتك لم ندخله إلا بإذنك ، ولم نجلس على متاعك إلا بأمرك .
 إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعث إليك يأمرك بالرحيل إلى المدينة وقلة العرجة .

فقلت : رحم الله أمير المؤمنين ذلك عمر بن الخطاب .

فقال ابن عباس : هذا والله أمير المؤمنين وإن تربدت فيه وجوه ، ورغمت فيه معاطس ، أما والله هو أمير المؤمنين وأمس برسول الله رحماً ، وأقرب قرابة ، وأقدم سبقاً ، وأكثر علماً وأعلى مناراً ، وأكثر آثاراً من أبيك ومن عمر .
 فقلت : أبيت ذلك .

فقال : أما والله إن كان إباؤك فيه لقصير المدّة ، عظيم التبعة ، ظاهر الشؤم ، بين النكد ، وما كان إباؤك فيه إلا حلب شاة ، حتى صرت لا تأمرين ولا تنهين ، ولا ترفعين ولا تضعين ، وما كان مثلك إلا كمثل ابن الحضرمي ابن نجمان أخي بني أسد ، حيث يقول :
 ما زال إهداء القصائد بيننا شتم الصديق وكثرة الألقاب
 حتى تركت كأن قوبهم في كل محتفل طنين ذباب
 قال : فأراقت دمعتها ، وأبدت عويلها ، وتبدى نسيجها ، ثم قالت : أخرج

والله عنكم فما في الأرض بلد أبغض إليّ من بلد تكونون فيه!

فقال ابن عباس (رحمه الله) : فلم؟ فوالله ماذا بلاؤنا عندك ، ولا بصنيعتنا إليك ،
إنا جعلناك للمؤمنين أمماً وأنت بنت أم رومان ، وجعلنا أباك صديقاً وهو ابن أبي قحافة.

فقلت : يا ابن عباس تتمون عليّ برسول الله؟

فقال : ولم لا نتمنّ عليك بمن لو كان منك قلامه منه منتتنا به ، ونحن لحمه ودمه ،
ومنه وإليه ، وما أنت إلاّ حشية من تسع حشايا خلّفهنّ بعده ، لست بأبيضهنّ لوناً ، ولا
بأحسنهنّ وجهاً ، ولا بأرشحنّ عرقاً ، ولا بأنضرهنّ روقاً ، (رونقاً / ظ) ولا بأطراهنّ
أصلاً ، فصرت تأمرين فتطاعين ، وتدعين فتجابين ، وما مثلك إلاّ كما قال أخو بني فهر :
مننت على قومي فأبدوا عداوة فقلت لهم كفوا العداوة والنكرا
ففيه رضاً من مثلكم لصديقه وأحجّ بكم أن تجمعوا البغي والكفرا
قال : ثمّ نهضت وأتيت أمير المؤمنين عليه السلام فأخبرته بمقالتها وما رددت عليها.
فقال : أنا كنت أعلم بك حيث بعثتك (١).

نص المحاوراة في مصادر القرن الخامس :

١ . لقد روى المحاوراة الشيخ المفيد المتوفى سنة ٤١٣ هـ في رسالته

(١) رجال الكشي اختيار معرفة الرجال / ٥٧ . ٦٠ تح حسن المصطفوي ط جامعة مشهد سنة ١٣٤٨ شمسي.

(الكافية في إبطال توبة الخاطئة) ، ورواها بسندين : أحدهما من العامة ، والآخر من الخاصة^(١) .

ومن اللافت للنظر خلوّ كتابه (الجمل) منها (؟) وهو أحرى بذكره فيها ، ولعلّ ذلك من نقصان النسخة التي وصلت إلينا .

٢ . الشريف المرتضى المتوفى سنة ٤٣٦ هـ ، روى المحاورة نقلاً عن الواقدي ، وله الفضل في حفظ شيء من كتاب الواقدي الذي عفى الدهر عليه^(٢) .

٣ . الشيخ الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠ هـ ، روى المحاورة أيضاً عن الواقدي ، في كتابه (تلخيص الشافي) ، وأحسبه أخذها بتوسط (الشافي)^(٣) .

نص المحاورة في مصادر القرن السادس :

١ . الشيخ هاشم بن محمد المتوفى بعد سنة ٥٥٢ هـ ، رواها في كتابه (مصباح الأنوار) ، فقد قال :

(وبالإسناد عن شهردار بن شيرويه الديلمي ، قال : أخبرنا عبدوس بن عبد الله بن عبدوس ، عن الشريف أبي طالب المفضل بن طاهر الجعفري بإصبهان ، عن الحافظ أبي بكر أحمد بن موسى بن مردويه بن فورك الاصبهاني : حدّثنا محمد بن عبد الله بن الحسين ، حدّثنا عليّ بن الحسين

(١) أنظر البحار ٨ / ٤١٨ ط الكمپاني .

(٢) كتاب الشافي / ٢٩٢ ط حجرية سنة ١٣٠٠ هـ .

(٣) تلخيص الشافي ٤ / ١٥٣ .

ابن إسماعيل ، حدّثنا محمد بن الوليد العقيلي ، حدّثنا قثم بن أبي قباد الحراني ، عن وكيع ، عن خالد النوا ، عن الأصمغ بن نباتة ، قال : لما أصيب زيد بن صوحان يوم الجمل ... وروى أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال لولده محمد بن الحنفية ...

وروى عن عبد الله بن عباس ، قال : لما هزم أصحاب الجمل نزلت عائشة في دار عبد الله بن خلف ، فأرسلني أمير المؤمنين عليه السلام إليها يأمرها بالمسير عن البصرة والتأهب للمسير إلى المدينة.

قال ابن عباس : فأتيتها فدخلت عليها في بيت قفر لم أجد فيه مجلس إلا التراب ، فضربت ببصري ناحية البيت فلم أر شيئاً إلا رحلها فتناولت طنفسة فقعدت فوقها. فقالت : أخطأت السنّة يا بن عباس.

قلت : وما فعلت؟

قالت : دخلت بيتي بغير إذني وتناولت طنفتي بغير أمري.

قلت : نحن علمناك السنّة ، ونحن أحقّ بها منك ، وإمّا بيتك الذي أجلسك الله فيه ورسوله ، لأنّ الله عليه السلام يقول : **(يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنَّ اتَّقِيْنَ فَلَاحُضَعْنَ)** (١) الآيات ، فخرجت من بيتك ظالمة لنفسك عاتبة على ربك ، عاصية لنبينا ، فإذا رجعت إلى بيتك فقعدت فيه لم يكن لنا أن ندخله إلا بإذنك ، ولم نأخذ متاعك إلا بأمرك ، إنّ أمير المؤمنين

(١) الأحزاب / ٣٢.

بعثني إليك يأمرُك بالمسير إلى المدينة.

فقلت : رحم الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب.

قلت : صدقت قد كان عمر أمير المؤمنين رغباً ، وهذا والله أمير المؤمنين حقاً ، أما والله هو أمسّ برسول الله رحماً ، وأوجب حقاً ، وأعلم علماً ، وأحلم حلماً ، وأقدم سلماً من أبيك ومن عمر.

قلت : أبيت ذلك يا بن عباس.

قلت : أما والله لقد كان إباؤك لقصير المدة ، ظاهر الشؤم عليك ، بيّن النكال ، وما كنت إلاّ كحلب الشاة حتى ما تأخذين ولا تعطين ، ولا تأمرين ولا تنهين ، ولا كنت إلاّ كما قال أخو بني أسد (حيث) يقول :

ما زال إهداء القصائد بيننا شتم الصديق وكثرة الألقاب
حتى تركت كأن قولك بينهم في كل محتفل طننين ذباب
فأوردت دمعتها نشيجها ، ثمّ قلت : أرحل والله عنكم ، أما والله ما في الأرض بلدة أبغض إليّ من بلدة أراكم فيها يا بني هاشم.

قلت : أما والله ما ذاك ببلائنا عندك ، ولا بأثرنا عليك ، جعلناك للمؤمنين أمّاً وأنت ابنة أم رومان ، وجعلنا أباك صديقاً وهو ابن أبي قحافة ، وأنت تسمين بنا أم المؤمنين لا بتيم وعدي.

قلت : تمنّون عليّ برسول الله يا بن عباس.

قلت : ولم لا نمنّ عليك بمن لو كانت فيك شعرة منه لمننت علينا ،

ونحن لحمه ودمه ومنه وإليه ، وإثماً أنتِ حشية من تسع حشايا خلفها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لستِ بأرشفهنَّ عرقاً ، ولا بأنظرهنَّ ورقاً ، ولا بأمدهنَّ ظلاً ، فصرتِ تأمرين وتنهين فتطاعين ، وتدعين فتجابين ، فما شكرتِ نعمانا عليك ولا كنتِ إلا كما قال أخو بني فهر :

مننت على قومي فأبدوا عداوة فقلت لهم كفوا العداوة والنكرا
ففيه الرضا من مثله لصديقه وأحجى بكم أن تجمعوا البغي والكفرا
ثم نهضت فأتيت أمير المؤمنين عليه السلام . وكان إذا بعث رجلاً لم يزل مقعداً له حتى يأتيه . فأخبرته بما كان بيني وبينها من الكلام .

فقال : أنا كنت أعلم بها منك حيث بعثتك إليها . يا حسن هلم فإذهب إلى عائشة فقل لها : قال لك أمير المؤمنين : والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لعن لم ترتحلي الساعة لأبعثنَّ إليك بما تعلمين .

فلما أتتها الحسن دخل عليها بغير إذن فأخبرها بمقالة أمير المؤمنين ، فقالت : رحلوني .

فقال لها امرأة من المهالبة : يا أم المؤمنين أتاك ابن عباس شيخ بني هاشم فسمعناك تحاوريه حتى علا صوتك ، فخرج من عندك مغضباً ، فأتاك غلام فأقلقك؟
فقال : إنّه والله ابن رسول الله ، فمن أراد أن ينظر إلى مقلتي رسول الله فلينظر إلى هذا الغلام ، وقد بعث أبوه إليّ بما علمنيّه .

فقلت للإمرأة : سألتك بحق محمد رسول الله (كلمات مطموسة) عليك إلا أخبرتني بالذي بعث إليك؟

قالت : إن رسول الله جعل طلاق نساءه بيد عليّ ، فمن طلقها عليّ في الدنيا بانّت من رسول الله في الآخرة (١).

فقلت لها للإمرأة : أنتِ قد علمتِ مثل هذا وقاتلتيه؟!
قالت : قد كان ما رأيتِ (٢).

نص المحاورّة في مصادر القرن السابع :

١ . (الجوهرة في نسب النبيّ وأصحابه العشرة) لمحمد بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري التلمساني المشهور بالبُرّيّ ، قال :

(وقال عبد الله بن عباس : لما فرغ عليّ رضي الله عنه من أمر الجمل صعد على ربوة من الأرض وخطب ، فقال : (يا أنصار المرأة ، وأصحاب البيهمة ، رغا فحننتم ، وانخسر . هرب جنباً . فانهزمتم ، نزلتم شر بلاد ، أبعدها من السماء ، بها مغيض كلّ ماء ، هي البصرة والبصرة والمؤتفكة وتدمر ، أين ابن عباس؟) .

قال : فدعيت له من كلّ جانب . فلمّا حضرت ، قال لي : (سر إلى هذه المرأة . يعني أم المؤمنين عائشة . وقل لها : تسير إلى الموضع الذي أمرها الله أن تقرّ فيه) .

(١) قارن مناقب آل أبي طالب لابن شهر اشوب ١ / ٣٩٧ ط الحيدرية.

(٢) مصباح الأنوار (مخطوط) .

قال ابن عباس : فجئتها ، فاستأذنت عليها فلم تأذن لي . فدخلت عليها بغير إذن ، وعمدت إلى وساد كان في البيت فجلست عليه .

فقلت : تالله ما رأيت مثلك يا ابن عباس ! تدخل بيتي وتجلس على وسادي بغير إذني؟

قال : فقلت لها : والله ما هو بيتك إلا الذي أمرك الله أن تقرري فيه فلم تفعلني . إن أميرالمؤمنين يأمرك بالمسير إلى المدينة .

فبكت وقالت : رحم الله أميرالمؤمنين ، ذاك عمر بن الخطاب .

فقلت لها : نعم وهذا أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب .

فقلت : أبيت أبيت .

فقلت لها : ما كان إباؤك إلا مثل فواق ناقة بكية^(١) ثم صرت لا تحلين ولا تُمرين .

فقلت : نعم أسير ، إن أبغض البلاد إليّ بلد أنتم فيه .

فقلت : والله ما كان هذا جزاؤنا منك ، أن صيرناك للمؤمنين أمماً ، وصيرنا أباك لهم صديقاً .

فقلت : أتمنّ عليّ برسول الله يا ابن عباس؟

قلت : بلى والله نمن عليك بمن لو كان منك بمنزلته منا لمننت به علينا (٢) .

(١) من المضحك ما جاء في الهامش : بكية كثيرة البكاء ، والصحيح غير ذلك بل الناقة البكية التي قلّ لبنها (قطر المحيط) .

(٢) الجوهرة في نسب النبيّ وأصحابه العشرة لمحمد بن أبي بكر ٢ / ٢٩٥ . ٢٩٦ تح . د محمد القوشنجي الاستاذ بجامعة حلب ط دار الرفاعي .

٢. (الحدائق الوردية في مناقب الأئمة الزيدية) لحميد بن أحمد المحلي الشهيد الزيدي المتوفى سنة ٦٥٢ هـ ، قال :

(ولما انهزم أصحاب الجمل بعث أمير المؤمنين ابن عباس إلى عائشة ... يأمرها بالانصراف إلى بيتها بالمدينة الذي تركها فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وقال له : (قل لها : إن الذي يردها خير من الذي يخرجها)^(١) .

٣. (تذكرة خواص الأئمة) لسبط ابن الجوزي المتوفى سنة ٦٥٤ :
(قال علماء السير : ثم بعث عليّ عليه السلام عبد الله بن عباس إلى عائشة يأمرها بالمسير إلى المدينة ، فدخل عليها ابن عباس بغير إذن .
فقلت له : أخطأت السنة دخلت علينا بغير إذن .

فقال لها : لو كنت في البيت الذي خلفك فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما دخلنا عليك بغير إذنك ، ثم قال : إن أمير المؤمنين يأمرك بالمسير إلى البيت الذي أمرك الله بالقرار فيه ، فأبت عليه ، فشدد عليها ، وقال : هو أمير المؤمنين وقد عرفته)^(٢) .

٤. (شرح نهج البلاغة) :

(بعث عليّ عبد الله بن عباس إلى عائشة يأمرها بالرحيل إلى المدينة .
قال : فأتيته فدخلت عليها فلم يوضع لي شيء أجلس عليه ، فتناولت

(١) الحدائق الوردية في مناقب الأئمة الزيدية / ٣٤ نسخة مخطوطة في مكتبة الإمام كاشف الغطاء بخط المرحوم

الحجة والده الشيخ عليّ وفي المطبوعة بصنعاء ١ / ٦٣ .

(٢) تذكرة خواص الأئمة لسبط ابن الجوزي / ٤٥ ط حجرية سنة ١٢٨٥ هـ .

وسادة كانت في رحلها فقعدت عليها.

فقلت : يا بن عباس أخطأت السنة ، قعدت على وسادتنا في بيتنا بغير إذنا.

فقلت : ليس هذا بيتك الذي أمرك الله أن تقرّ فيه ، ولو كان بيتك ما قعدت على

وسادتك إلا بإذنك ، ثم قلت : إنّ أمير المؤمنين أرسلني إليك بأمرِك بالرحيل إلى المدينة.

فقلت : وأين أمير المؤمنين ذاك عمر.

فقلت : عمر وعليّ.

قالت : أبيت.

قلت : أما والله ما كان إباؤك إلا قصير المدة عظيم المشقة ، قليل المنفعة ، ظاهر

الشؤم ، بيّن النكد ، وما عسى أن يكون إباؤك؟ والله ما كان أمرِك إلا كحلب شاة ، حتى

صرت لا تأمرين ولا تنهين ولا تأخذين ولا تعطين ، وما كنت إلا كما قال أخو بني أسد :

ما زال إهداء الصغائر بيننا نثّ الحديث وكثرة الألقاب

حتى نزلت كأن صوتك بينهم في كل نائبة طنّين ذباب

قال : فبكت حتى سمع نحيبها من وراء الحجاب ، ثم قالت : إني معجلة الرحيل إلى

بلادي إن شاء الله تعالى ، والله ما من بلد أبغض إليّ من بلد أنتم فيه.

قلت : ولم ذاك فوالله لقد جعلناك للمؤمنين أمّاً ، وجعلنا أباك صديقاً .

قالت : يا بن عباس أتمنّ عليّ برسول الله؟

قلت : ما لي لا أتمنّ عليك بمن لو كان منك لمننت به عليّ .

ثمّ أتيت عليّاً عليه السلام فأخبرته بقولها وقولي ، فسرّ بذلك ، وقال لي : (**ذُرِّيَّةٌ**

بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)^(١) وفي رواية : أنا كنت أعلم بك حيث بعثتك)^(٢) .

نص المحاورّة في مصادر القرن التاسع :

١ . (إكمال إكمال المعلم بشرح صحيح مسلم) لمحمد بن خليفة الوشتاني الآبي

المالكي المتوفى سنة ٨٢٧ هـ أو ٨٢٨ هـ :

(قال ابن عباس : ولما انقضى أمر الجمل دخل عليّ البصرة بعد ثلاثة أيام ، ثمّ

خطب خطبته الطويلة التي يقول فيها : (يا أهل السبخة ، يا أهل المؤتفكة ، إئتفكت

بأهلها ثلاث مرات في الدهر وعلى الله تمام الرابعة ، يا جند المرأة ، يا أتباع البهيمة ، رغا

فأجبتهم ، وعُقر فانهزمتهم ، أخلاقكم دقاق ، وأحلامكم رقاق ، ودينكم نفاق ، نزلتم أشرّ

بلاد الله وأبعدها من السماء وسميت بشرّ الأسماء ، هي البصرة والمؤتفكة وتدمر . أين ابن

عباس؟) .

فدعي له من كلّ جانب . فقال : (إئتت هذه المرأة فلترجع إلى بيتها الذي أمر الربّ

أن تقرّ فيه) .

(١) آل عمران / ٣٤ .

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ٢ / ٨١ - ٨٢ ط مصر الأولى .

قال : فجئت فاستأذنت فلم تأذن لي ، فدخلت بلا إذن ، ومددت يدي إلى وسادة فجلست عليها.

فقالت : يا ابن عباس ما رأيت مثلك تدخل بيتي بغير إذن ، وتجلس على وسادتي بغير إذن.

فقلت : والله ما هو بيتك ، وإنما بيتك الذي أمرك الله أن تقري فيه فلم تفعلني ، إن أمير المؤمنين يأمرك أن ترجعي إلى بلدك الذي خرجت منه.

قالت : رحم الله أمير المؤمنين ذلك عمر.

قلت : نعم وهذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

قالت : أبيت أبيت.

قلت : ما كان إباؤك إلا فواق ناقة ثم أبت ما تحكين ولا تأمرين ولا تنهين.

فبكت حتى علا نسيجها ، ثم قالت : نرجع ، فإن أبغض البلاد إلي البلاد أنتم فيها.

فقلت : أما والله ما كان جزاؤنا منك أن جعلناك أم المؤمنين ، وجعلنا أباك صديقاً

لهم.

قالت : أتمنّ علي برسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلّم؟

قلت : نعم أمنّ عليك بمن لو كان منك بمنزلته منا لمننت به علينا.

ثم أتيت علياً فأخبرته ، فقبل بين عيني ، وقال : بأبي وأمي (**ذُرِّيَّةٌ**)

بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١) (٢).

فنادى ابن عباس؟

ماذا قال سعيد الأفغاني في كتابه (عائشة والسياسة) في هذا المقام؟

لقد جعل الفصل الخامس من كتابه في آخر أيام عائشة بالبصرة ، وعنوانه : (دخول عائشة البصرة وتجهيزها إلى الحجاز) . ثم بدأ ينقل نصوص الطبري في ذلك بانتقاء أحاديث سيف خاصة! وهي لا تخلو من مناقشة سندا ومتناً ، ثم ختم ذلك بقوله : (وظلت السيدة مدة إقامتها بالبصرة راضية عن سيرة عليّ ، فقد كانت خطته مع المخالفين خطة إجمال وكفّ ، وتغافل في الجملة ، وخاصة مع السيدة نفسها ، فقد صانها عن كلّ أذى ومكروه ، ورعاها وكمّ الأفواه عن قولة السوء فيها ، واشتد في ذلك على أصحابه حتى أمسكوا) .

وهنا فصل بنجوم ثلاث بين ما مرّ وبين ما يأتي ، وتبدلت اللهجة الجادة إلى هزل أدبي ، وكأنّه كاتب قصصي يصوّر للقارئ بعض مشاهد مسرحياته الخيالية ، ولعلّه أصابه السأم من مرويات الطبري لأحاديث سيف . المتهم حتى بالزندقة والكذب (٣) . فاستبدل النغم ، فقال يخاطب قارئه :

(١) آل عمران / ٣٤ .

(٢) إكمال إكمال المعلم بشرح صحيح مسلم ٦ / ٢٣٩ ط دار الكتب العلمية بيروت .

(٣) قال ابن عدي : بعض أحاديثه مشهورة وعامتها منكّرة لم يتابع عليها . وقال ابن حبان : يروي الموضوعات عن الأثبات . قال وقالوا انه كان يضع الحديث . وبقية كلام ابن حبان : آثم

(لعلك اشتقت إلى روايات ابن أبي الحديد الطريفة! فقد طال إمساكنا عن أخباره وإضرابنا عن قصصه ، فها نحن أولاء مطلعوك على مشهد ممتع وحوار أمتع :
لما فرغ عليّ من القتال دعا بأجرتين : فحمد الله وأثنى عليه وخطب في أهل البصرة قائلاً : (يا أنصار المرأة ، وأصحاب البهيمة! رغا فجتتم ، وعقر فاهزمتم ، نزلتم شر بلاد ، أبعداها عن السماء ... إلخ) .

ثم نادى ^(١) ابن عباس ، فاقبل إليه ، فقال له : (إئتِ هذه المرأة فمرها أن ترجع إلى بيتها الذي أمرها الله أن تقرّ فيه) ، ثم تمثل :
إني زللتُ زلّة فاعتذر واجمع الأمر الشتيت المنتشر
واجمع الأمر الشتيت المنتشر

قال ابن عباس : فجتت فاستأذنت عليها فلم تأذن لي ، فدخلت بلا إذن ، فمددت يدي إلى وسادة في البيت فجلست عليها.
فقال عاتشة : تالله ما رأيت مثلك يا بن عباس! تدخل بيتنا بلا إذننا ، وتجلس على وسادتنا بغير أمرنا؟ ، (أخطأت السنّة مرتين) .

بالزندقة وقال البرقاني عن الدار قطني : متروك وقال الحاكم : اتهم بالزندقة وهو في الرواية ساقط. تحذيب التهذيب
٢٩٦ / ٤ .

(١) هكذا يريد ابن أبي الحديد : نداء وصراخا على رؤوس الأشهاد. تعليقة الأفغاني في كتابه عاتشة والسياسة /
١٩٣ .

فقلت : (نحن علمناكم السنّة)^(١) والله ما هو بيتك ، وما بيتك إلا الذي خلفك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم به وأمرك الله أن تقرى فيه فلم تفعلني . إنّ أمير المؤمنين يأمرك أن ترجعي إلى بلدك الذي خرجت منه .

قالت : رحم الله أمير المؤمنين ، ذاك ابن الخطاب .

قلت : وهذا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب .

قالت : أبيت أبيت .

قلت : ما كان إباؤك إلا فوق^(٢) ناقة ، ثم صرت ما تُحلين ولا تمرين ، ولا تأمرين ولا تنهين ، وما كنت إلا كما قال أخو بني أسد :

ما زال إهداء الصغائر بيننا نثّ الحديد وكثرة الألقاب
حتى نزلت كأن صوتك بينهم في كل نائبة طننين ذباب
فبكت حتى علا نشيجها (!!!) ثم قالت : نعم أرجع ، فإنّ أبغض البلدان إليّ بلد
أنتم فيه .

قالت (كذا في المطبوع والصواب قلت) : أما والله ما كان هذا جزاؤنا منك إذ جعلناك للمؤمنين أمناً ، وجعلنا أباك لهم صديقاً .

قالت : أتمنّ عليّ برسول الله يا ابن عباس؟ .

قلت : نعم ، نمّن عليك بمن لو كان منك بمنزلته منا لمننت به علينا .

(١) علق الأفعاني في المقام بقوله : هكذا في شرح نصح البلاغة لابن أبي الحديد ٢ / ٨٢ .

(٢) الفواق : ما بين الحلبتين من الوقت ، لأنها تحلب ثم تترك سويعة يرضعها الفصيل لتندر ، ثم تحلب . مختار الصحاح .

قال ابن عباس : فأتيت عليّاً فأخبرته بما كان ، فقَبِلَ بينَ عينيّ ، وقال : (**ذُرِّيَّةٌ** **بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ**)^(١) ، أنا كنت أعلم بك حيث بعثتك^(٢) .. انتهت الرواية .
 أمّا الذي لا يمكن أن يقبله امرؤ ذو روية فما رواه المسعودي المؤرخ الحزبي فقد زعم أنّ عائشة قالت لعليّ بعد خطب طويل كان بينهما : (**إِنِّي أَحَبُّ أَنْ أَقِيمَ مَعَكَ فَأَسِيرَ إِلَى قِتَالِ** **عَدُوِّكَ عِنْدَ مَسِيرِكَ** .
 فقال عليّ : بل ارجعي إلى البيت الذي تركك فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
 (^(٣)) .

وهذا خبر غير معقول ألبتة ، وهو مخالف منطق الحوادث ، أمن تجييش الجيوش على عليّ ، إلى القتال معه؟ أهكذا إنقلاباً فجائياً من

(١) آل عمران / ٣٤ .

(٢) شرح نَجح البلاغة لابن أبي الحديد ٢ / ٨٢ ، وانظر العقد الفريد ٣ / ١٠٣ ، واليعقوبي ٢ / ٢١٣ ، ولقد كان هذا الخبر . ان صح . أجدر أن يوجد في الطبري وأرجح أنه راج بعده (مات الطبري سنة ٣١٠) ولعله علم به وأهمله لكذبه . ومن أمعن في هذه الأقوال استبعد صدورها عن مثل ابن عباس ، فليس ممّا يرضاه ذوق أن تجابه امرأة مهزومة بمثل هذا فكيف بمثل عائشة مكانة وحرمة . والخبر مصنوع بأداة حزبية عصبية طبقية ، والا فابن عباس أصح عقيدة وأتقى لله من أن ينسب إلى أسرته ما هو من صنع الله ، وكلّ مسلم يعلم : أن زواج عائشة كان بوحي من الله ، وأن صديقية أبي بكر كانت هداية من الله وحده ، لا وساماً تمنحه أسرة . وكلّ ما مرّ بك آنفاً وما سيمرّ بك عاجلاً من معاملة عليّ لعائشة ومخالفه ... مبعّد عن تصديق هذا الخبر الروائي . لقد كان ابن أبي الحديد (أو صنّاع بعض أخباره على الأصح) في كثير ممّا يروى : الصديق الجاهل للإمام كرم الله وجهه . والمشهور من نبل عليّ ودينه وسمو خلقه ... يجعل المنصفين يضربون بكثير من هذه الروايات عرض الحائط . وقريب منه في ذلك ابن عباس . (تعليقة سعيد الأفغاني بنصها وفضها) .

(٣) مروج الذهب ٢ / ٩ تعليقة سعيد الأفغاني .

أقصى اليمين إلى أقصى اليسار بهذه الخفة والسرعة الخاطفة؟! ألا قليلاً من العقل والروية أيها المؤرخون العصبون!.

ثم وضع نجومه الثلاث للفاصلة ، وقال : (ونعود . بعد هذه الإستجمامة المسلية . إلى التاريخ الجدّ :

جهاز عليّ عائشة بكلّ شيء ينبغي لها من مركب وزاد ومتاع ...) (١)

وقفه مع الأفغاني للحساب :

وهنا لابدّ من وقفة عابرة معه لنحاسبه بعد أن استعاد نشاطه في تلك الإستجمامة المسلية ، فإنّ في كلامه متناً وهامشاً مواقع للنظر! وإلى القارئ بعضاً منها :

أولاً : لقد ساق المحاوره موهماً قراءه أنّها نقلاً عن ابن أبي الحديد ، وأكّد ذلك في تعليقه على أوّل جملة منها (ثمّ نادى ابن عباس) ، فقال في الهامش . كما مرّ . : (هكذا يريد ابن أبي الحديد نداءً وصراخاً على رؤوس الجماهير) ، وزاد في تأكيده بذكر الجزء والصفحة (٢ / ٨٢)! وهل يشك بعد هذا أحد بأنّه نقلها عن ابن أبي الحديد؟

ونحن لا نعني القارئ كثيراً سوى الرجوع إلى ما مرّ من نص المحاوره التي رواها ابن أبي الحديد ، وهي في مدوّنات القرن السابع ، فليقرأها بإمعان فهل يجد فيها جملة (ثمّ نادى ابن عباس) كما زعم الأفغاني؟ أو سيجدها تبديء بجملة : (بعث عليّ عبد الله بن عباس إلى

(١) عائشة والسياسة / ١٩٠ .

عائشة يأمرها بالرحيل ...) فلماذا البهتان والتزوير!!؟

وقد يعجب القارئ إذا ما تبهته إلى إغراق الأفغاني في التعقيم على الواقع حين قال في الهامش بعد ذكر شرح النهج : (وأنظر العقد الفريد ٣ / ١٠٣ ، واليعقوبي ٢ / ٢١٣). وهذا يعني أن في المصدرين المذكورين أيضاً مثل ما سبق نقله عن شرح نهج البلاغة (٢ / ٨٢)! وقد مرّت المحاوره أيضاً نقلاً عنهما معاً وليس فيهما جملة (ثمّ نادى ابن عباس)!! نعم ، ورد في نص (العقد الفريد) جملة : (أين ابن عباس) ، ولعلّه أوّل مصدر ترد فيه هذه الجملة ، ثمّ لم ترد بعد إلّا في نص ورد عند الآبي المالكي في (إكمال إكمال المعلم في شرح صحيح مسلم) ، وهو من مدونات القرن التاسع. واللافت للنظر أن ابن عبد ربه صاحب (العقد الفريد) ، والآبي صاحب (الإكمال) كلاهما مغربيّان ، وليست لهما أي صلة بجزية ابن أبي الحديد كما يحلو للأفغاني رمية بذلك على استحياء كما سيأتي. وقد يزداد القارئ عجباً إذا أخبرته أن ما ذكره الأفغاني من تمثّل الإمام عليه السلام بالشعر الرجز فذكر ثلاثة شطور ليس له في أيّ من المصادر التي مرّ ذكرها أيّ أثر!! وقد مرّت جميع نصوص المحاوره في مختلف المصادر عبر القرون وليس فيها ذكر لذلك الرجز ، فمن أين أتى به ودسّه سعيد الأفغاني؟

إنّه أتى به من تاريخ الطبري ، ولو أنّه نقله بأمانة لرفع عنه إصر

الخيانة ، ولكنه غير وبدل!

والأبيات المذكورة في تاريخ الطبري ، وهي من حديث سيف ، فقد ذكرها في حديث
بيعة الإمام عليه السلام بالمدينة ، قال :

(ولما فرغ عليّ من خطبته وهو على المنبر قال المصريون :

خذها ... واحذراً أبا حسن إنا نمرّ الأمر إمرار الرسن
وإنما الشعر : خذها إليك واحذراً أبا حسن.

فقال عليّ مجيباً :

إنيّ عجزت عجزة ما اعتذر سوف أكيس بعدها واستمرّ
ثمّ قال الطبري : وكتب إليّ السري عن شعيب عن سيف عن محمّد وطلحة قالا : ولما
أراد عليّ الذهاب إلى بيته قالت السبيئة :

خذها ... واحذراً أبا حسن إنا نمرّ الأمر إمرار الرسن
صولة أقوام كأسداد السفن بمشرفيات كغدران اللبّن
ونطعن الملك بلين كالشطن حتى يُمرّن على غير عنن

فقال عليّ : وذكر تركهم العسكر والكينونة على عدة ما منّوا حين غمزوهم ورجعوا
إليهم ، فلم يستطيعوا أن يمتنعوا حتى ... (١)

إنيّ عجزت عجزة لا أعتذر سوف أكيس بعدها واستمر

(١) هنا نقص في أصول ط (عن هامش الطبري ٤ / ٤٣٧ ط دار المعارف).

ارفع من ذيلي ما كنت أجزر وأجمع الأمر الشئيت المنتشر
 إن لم يشاغبني العجول المنتصر أو يتركوني والسلاح يتندر (١)
 ثانياً: لقد مرّت بنا تعليقة الأفغاني على جملة (نحن علمناكم السنّة) ، فقال :
 هكذا في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (٢ / ٨٢) .

وهذا كسابقه محض بهتان لا ظل له من الحقيقة! وقد مرّت المحاوره برواية ابن أبي
 الحديد فارجع البصر إليها كرتين من جديد فلا تجد فيها ما نسبه إليه كذباً وزوراً. وهكذا
 تتكشف أمانة الأفغاني في النقل!

ثم إن جملة : (نحن علمناكم السنّة) لم ترد بهذا اللفظ نصاً في أيّ مصدر من
 المصادر التي بين يدي وهي أكثر من عشرين مصدراً!

نعم ، إنّ الذي ورد فيها جملة : (نحن علمناك وأباك السنّة) (٢) ، أو جملة : (نحن
 أولى بالسنّة منك ، ونحن علمناك السنّة) (٣) ، أو جملة : (نحن علمناك السنّة) (٤). ثمّ لم
 ترد في بقية المصادر بأيّ صيغة اخرى ، فأين الأمانة يا سعيد الأفغاني!؟

ثالثاً: لقد مرّ بنا تعليقه في نهاية الخبر تشكيكه في صحته ، ورجّح أنّه راجع بعد
 الطبري الذي مات سنة ٣١٠ هـ ، ثمّ قال : (ولعلّه علم به وأهمله

(١) تاريخ الطبري ٤ / ٤٣٦ - ٤٣٧ ط دار المعارف.

(٢) كما في أخبار الدولة العباسية ، راجع رقم ٢ من مصادر القرن الثالث.

(٣) كما في رجال الكشي ، راجع رقم ٤ من مصادر القرن الخامس.

(٤) كما في مصباح الأنوار ، راجع رقم ١ من مصادر القرن السادس.

لكذبه ...). وهذا لعمرى يدلّ على مدى لودعية الأفغاني وتُعدّ غوره في فهم الأخبار التاريخية (؟) فما دام لم يذكره الطبري فهو بترجيحه راج الخبر من بعده ، أو لعلّه علم به وأهمله لكذبه ...

أيّ ميزان هذا؟! فإنّ الطبري رجل جماع أخبار وليس بصنّاع ، وهو يعترف في مواضع من تاريخه بأنّه قد لا يذكر من الحقائق التاريخية لعلّة هناك ، وقد يذكر العلّة أحياناً وقد لا يذكرها!

وقد مرّت بالقارئ بعض تلك الموارد في خصوص الفترة من زمن عثمان إلى خلافة الإمام عليه السلام ، لنقرأ تصريحات خطيرة للطبري ، وهي تعني ضياع الكثير من الحقائق التاريخية ، ولا نترك الأفغاني دون أن ننبّه على حبه الشديد لأُمَّه ، فهو المدافع العنيد.

قال صلى الله عليه وآله وسلم : (حبّك الشيء يعمي ويصم)

حديث نبوي شريف أخرجه أحمد ، وأبو داود ، وابن حجر ، وابن كثير ، والقرطبي ، وآخرون غيرهم^(١).

وقد وجدت الغلوّ في الحبّ يشتمّ بصاحبه حتى يخرج به عن الجادة إلى مهاوي سحيقة في الضلالة ، ولا شك أنّ العدوّ القالي كذلك على حدّ الحبّ الغالي في سوء العاقبة ، وتبقى الفضيلة وسطاً بين الرذيلتين الإفراط والتفريط.

لماذا هذه البداية؟ إنّها إثارة قراءة فاحصة في كتاب (الإجابة فيما

(١) أنظر موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٤ / ٥٢٣ ط عالم التراث بيروت.

استدركته عائشة على الصحابة (تأليف الإمام بدر الدين الزركشي ، عُني بتحقيقه ووضع مقدمته وتعليقه وفهارسه سعيد الأفغاني ، وله حقوق الطبع ، طبع بالمطبعة الهاشمية بدمشق ١٣٥٨ هـ ١٩٣٩ م) هكذا كتب على ظهر الكتاب).

ولقد وجدت المؤلف جعل كتابه في ثلاثة أبواب :

الباب الأول في ترجمتها وخصائصها ، وهذا في فصلين.

١ . الفصل - ١ . في ذكر شيء من حالها.

٢ . الفصل - ٢ . في خصائصها الأربعين.

الباب الثاني في استدركاتهما على أعلام الصحابة.

وهم أبو بكر ، وعمر ، وعلي ، وابن عباس ، وابن عمر ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وأبو هريرة ، ومروان بن الحكم ، وأبو سعيد الخدري ، وابن مسعود ، وأبو موسى الأشعري ، وزيد بن ثابت ، وزيد بن أرقم ، والبراء ابن عازب ، وعبد الله بن الزبير ، وعروة بن الزبير ، وجابر بن عبد الله ، وأبو طلحة ، وأبو الدرداء ، وابن عون ، وأخوها عبد الرحمن ، وفاطمة بنت قيس ، وأخيراً استدركاتهما على أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

أما الباب الثالث في الإستدركات العامة ، وقد ذيل المؤلف بموارد أخرى.

وقد أعرق نزعاً في ملزمة الهشيم والحطيم والريميم ، ليبنى منها هيكلاً تقف على ذراه أم

المؤمنين عائشة.

وأما المحقق فلم يكن دونه في التفاني في حبّ السيدة أم المؤمنين.
ولما كان ابن عباس ممن جاء اسمه في قائمة الرجال الذين استدركت عليهم عائشة ،
فلا بد لي وأنا بعدُ في حليتيهما الحوارية من عرض ما عند الزركشي ، لنزركش ما مرّ من
المحاورات بما قاله الزركشي في (ص ٩٥ - ١١١).

إستدراكها على عبد الله بن عباس

(الحديث الأوّل) أخرج البخاري ومسلم كلاهما من طريق عمرة بنت عبد الرحمن :
أنّ زياد بن أبي سفيان كتب إلي عائشة : (إنّ عبد الله بن عباس قال : (من أهدى هدياً
حرم عليه ما يحرم على الحاج حتى ينحر الهدى) . وقد بعثت بهديي فاكتبي لي بأمرك) .
قالت عمرة : قالت عائشة : (ليس كما قال ابن عباس أنا فتلت قلائد هدي رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم بيدي ، ثم قلّدها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيده ، ثم
بعث بها مع أبي ، فلم يحرم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيء أحله الله له حتى
نحر الهدى) . وترجم عليه البخاري باب من قلّد القلائد بيده (ولم يذكر فيه) وقد بعثت
بهديي فاكتبي إليّ بأمرك) .

قال الحافظ أبو الحجاج المياسي ومن خطه نقلت : (هكذا وقع في كتاب مسلم)
أنّ ابن زياد (ووقع في جميع الموطّات : (أنّ زياد بن أبي سفيان) كما وقع في البخاري) .
وأخرج البيهقي في سننه عن شعيب ، قال : قال الزهري : أول من كشف

العُمى عن الناس وبيّن لهم السنة في ذلك عائشة رضي الله عنها : فأخبرني عروة وعمرة أنّ عائشة قالت : (إني كنت لأفتل قلائد هدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيبعث بهديه مقلداً وهو مقيم بالمدينة ، ثم لا يجتنب شيئاً حتى ينحر هديه) ، فلما بلغ الناس قول عائشة هذا أخذوا به وتركوا فتوى ابن عباس .

قال البيهقي : وروى في هذا المعنى مسروق والأسود عن عائشة .

فإن قيل : فقد روي عن جابر خلاف ذلك .

قال الطحاوي في (معاني الآثار) : ثنا ربيع المؤذن ، ثنا أسد بن موسى ، ثنا حاتم بن إسماعيل ، عن عبد الرحمن بن عطاء بن ^(١) أبي لبيبة ، عن عبد الملك بن جابر ، عن جابر بن عبد الله ، قال : كنت عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم جالساً فقد قميصه من جيبيه حتى أخرجه من رجليه ، فنظر القوم إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : (إني أمرت بئدني التي بعثت بها أن تقلد اليوم وتشعر على مكان كذا وكذا ، فلبست قميصي ونسيت ، فلم أكن لأخرج قميصي من ورائي) . وكان بعث بئدنه وأقام بالمدينة .

فالجواب : أنّ هذا حديث ضعيف لا يقاوم هذا الصحيح ، قال البخاري : (عبد الرحمن بن عطاء فيه نظر) ، وقال الطحاوي : (قد تواترت الآثار عن عائشة بما لم تتواتر عن غيرها بما يخالف حديث جابر ، وحديث عائشة إسناده صحيح بلا خلاف بين أهل العلم ، ومعه النظر والمعنى) .

(١) في تهذيب التهذيب : أنه : ابن بنت أبي لبيبة .

قلت : ومما يضعف حديث جابر وحديث يعلي بن مرّة : أنّ (١) النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لم يأمر صاحب الجبة إلاّ بنزعها. وروى الطحاوي ، عن يونس : ثنا ابن وهب : أنّ مالكا حدثه ، عن يحيى بن سعيد ، عن محمد بن إبراهيم التيمي ، عن ربيعة بن عبد الله بن الهذير : أنّه رأى رجلاً متجرداً بالعراق ، قال : سألت الناس عنه؟ فقالوا : (أمر بهديه أنّ يقلد فلذلك تجرد) ، قال ربيعة : فلقيت عبد الله بن الزبير ، فقال : (بدعة ورب الكعبة) ، قال : ولا يجوز عندنا أن يكون ابن الزبير يحلف على ذلك أنّه بدعة إلاّ وقد علم السنة خلاف ذلك.

(الحديث الثاني) أخرج مسلم ، عن ابن جريج أخبرني عطاء ، قال : كان ابن عباس يقول : (لا يطوف بالبيت حاج ولا عن حاج إلاّ حلّ) ، فقلت لعطاء : (من أين تقول ذلك؟) ، قال : من قوله : (**ثُمَّ مَحَلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ**) (٢) ، قلت : (فإنّ ذلك بعد الوقوف) . قال : كان ابن عباس يقول : (من بعد الوقوف وقبله) ، وكان يأخذ ذلك من أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه حين أمرهم أن يحلّوا من حجة الوداع. قال البيهقي قد قررنا : إن صح الحج كان خاصاً بهم فلا يقوي الإستدلال ، وقد أنكرت عائشة ذلك وحكت فعل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، أخرجاه في الصحيحين عن عروة عن عائشة ، وأنكره عليه ابن عمر أيضاً. أخرج مسلم عن وبرة ، قال : كنت جالسا عند ابن عمر فجاءه رجل فقال : (أ يصلح أن

(١) في الأصل : فأن.

(٢) الحج / ٣٣.

أطوف بالبيت قبل أن آتي (١) الموقف؟ فقال: [نعم] ، قال: فإن ابن عباس يقول: (لا تطف بالبيت حتى تأتي الموقف) ، فقال ابن عمر: (قد حج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وطاف بالبيت قبل أن يأتي الموقف ، فبقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحق أن تأخذ أو بقول ابن عباس إن كنت صادقاً).

(الحديث الثالث) أخرجه البيهقي في سننه من جهة عبد الله بن الوليد العدني : ثنا سفيان ، عن جابر الجعفي ، عن أبي الضحى : أن عبد الملك أو غيره بعث إلى عبد الله بن عباس الأطباء على البرد وقد وقع الماء في عينيه ، فقالوا : (تصلي سبعة أيام مستلقياً) ، فسأل أم سلمة وعائشة عن ذلك فنهتاه .

قال الذهبي في مختصره : (الجعفي ليس بشيء وابن عباس (٢) كرهه تورعاً ، والتداوي مشروع) .

وقال صاحب (الدر النقي) : في ذكر عبد الملك هنا نظر ، لأنه ولي الخلافة سنة خمس وستين ، وكانت وفاة عائشة وأم سلمة قبل ذلك بسنين ، اللهم إلا أن يحمل على أن عبد الملك أرسلهم إليه قبل خلافته وفيه بُعد ، إذ لا يعلم لعبد الملك في زمن عائشة وأم سلمة ولاية تقتضي الإرسال على البرد ، قال : (والعدني متكلم فيه) ، قال أحمد : لم يكن صاحب حديث وكان ربما أخطأ في الأسماء ولا يحتج به . وقال ابن معين : لا

(١) في الأصل : آت .

(٢) في الأصل : فكرهه .

أعرفه ، لم أكتب عنه شيئاً. وجابر المذكور في مسنده أظنه الجعفي ، وقد قال البيهقي في موضع : لا يحتج به. وقال الدارقطني : متروك.

وقد روى هذه القصة عن سفيان الثوري من لا نسبة بينه وبين العدني حفظاً وجملاً وهو عبد الرحمن بن مهدي ولم يذكر فيه عبد الملك. قال ابن أبي شيبة في مصنفه : قال ابن مهدي : ثنا سفيان ، عن جابر ، عن أبي الضحى : أنّ ابن عباس وقع في عينه الماء فقبل له : (تستلقي سبعاً ولا تصلي إلاً مستلقياً) ، فبعث إلى عائشة وأم سلمة يسألهما فنهتاها. وأخرج الحاكم في المناقب من جهة أبي معاوية : ثنا الأعمش ، عن المسيب بن رافع ، قال : لما كف بصر ابن عباس أتاه رجل فقال له : (إنَّك إن صبرت لي سبعاً لم تصل إلاً مستلقياً تومي إيماءً داويتك [و] برأت إن شاء الله ، فأرسل إلى عائشة وأبي هريرة وغيرهما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم) (١).

(الحديث الرابع) : قال الطبراني في معجمه الوسط : حدثنا علي بن سعيد الرازي ، ثنا الهيثم بن مروان الدمشقي ، ثنا يزيد بن يحيى بن عبيد ، ثنا سعيد بن بشير ، عن قتادة : حدثني عبد الله بن الحارث بن نوفل ، عن عبد الله بن عباس : (أنّ معاوية صلى صلاة العصر ، ثم قام ابن الزبير فصلى بعدها ، فقال معاوية : (يا بن عباس ما هاتان الركعتان)؟ فقال : (بدعة

(١) تمة الرواية : وكل يقول (رأيت إن مت في هذا السبع كيف تصنع بالصلاة)؟ فترك عينه ولم يداوها. عن المستدرک للحاکم ٣ / ٥٤٦ طبع الهند.

وصاحبها صاحب بدعة) ، فلما انفتل قال : (ما قلتما)؟ قال : (قلنا : كيت وكيت) ، قال : (ما ابتدعت ولكن حدثني خالتي عائشة) ، فأرسل معاوية إلى عائشة ، فقالت : (صدق ، حدثتني أم سلمة) ، فأرسل إلى أم سلمة : (أن عائشة حدثتنا عنك بكذا) ، فقالت : (صدقت ، أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم فصلى بعد العصر فقامت وراءه فصليت ، فلما انفتل قال : ما شأنك؟ قلت : رأيتك يا نبي الله صليت فصليت معك. فقال : إنَّ عاملاً لي على الصدقات قدم علي فجمعت^(١) عليه؟)

وفي الصحيحين : عن كريب مولى ابن عباس : أن عبد الله بن عباس وعبد الرحمن بن أزهر والمسور بن مخرمة أرسلوه إلى عائشة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقالوا : (اقرأ عليها السلام منّا جميعاً ، وسلها عن الركعتين بعد العصر ، وقل : إننا أخبرنا أنك تصلينها ، وقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهي عنها) ، قال ابن عباس : (وكنت أضرب مع عمر بن الخطاب الناس عنها) ، قال كريب : فدخلت عليها وبلغتها ، فقالت : (سل أم سلمة) ، فذكر نحو ما

(١) كذا في الأصل وقد رجعنا إلى جميع المظان ووجدنا أحاديث كثيرة في شأن الركعتين بعد العصر ، في مسند أحمد أكثر من عشرة مواضع وفي البخاري مثلاً في الكتاب ٦٤ الباب ٩٦ وفي مسلم وغيرهما وليس في الظاهرية والمكتبات التي في دمشق نسخة عن المعجم الأوسط فنصح عنها ، ومن حديث مسند أحمد ج ٦ الباب ٦٩ : (.. ركعتان كنت أركعهما بعد الظهر فشغلني قسم هذا المال حتى جائي المؤذن بالعصر فكرهت أن أدعما) ثم وجدت مسند ابن عباس في المجلد الثالث من المعجم الكبير للطبراني (مخطوط في الظاهرية رقم ٢٨٣ . حديث) فسردته كله متحريراً فلم أجد عبد الله بن الحارث يروي عن ابن عباس إلا عشرة أحاديث ليس حديثنا هذا بينها.

سبق إلى أنه قال : إنه أتاني ناس من عبد القيس بالإسلام من قومهم فشغلوني عن الركعتين اللتين بعد الظهر فهما هاتان.

وأخرج الترمذي من جهة عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : (إنما صلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم الركعتين بعد العصر لأنه أتاه مال فشغله عن الركعتين بعد الظهر فصلاهما بعد العصر ثم لم يعد لهما) ، وقال : حديث حسن. ويعارضها في الصحيحين عن عروة : قالت عائشة : (يا ابن أخي ما ترك النبي السجدين ^(١) بعد العصر عندي قط).

(الحديث الخامس) : أخرجه أبو داود ، وابن ماجه في سننهما من طريق يزيد بن أبي زياد ، عن مقسم ، عن ابن عباس ، قال : (كفن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ثلاثة أثواب نجرانية ، الحلة ثوبان ، وقميصه الذي مات فيه).

قال الذهبي في مختصر سنن البيهقي : (يزيد فيه لين ، ومقسم صدوق ضعفه ابن حزم). ١ هـ. أعله المنذري بيزيد ، قال : وقد أخرج له مسلم في المتابعات ، وقال غير واحد من الأئمة : إنه لا يحتج بحديثه. قلت : وقد خالفه ابن أبي ليلى . فأخرج البيهقي في سننه من جهة قبيصة : ثنا سفيان ، عن أبي ليلى ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس : (كفن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ثوبين أبيضين وبرد حبرة) ، قال البيهقي : كذا رواه محمد بن عبد

(١) البخاري ١ / ٧٦ باب من لم يكره الصلاة إلا بعد العصر والفجر .. وفي تيسير الوصول ٣ / ٢٩٥ عن عائشة رضي الله عنها قالت : (ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأتي في يومي بعد العصر إلا صلى ركعتين) وفي رواية : (ما ترك ركعتين بعد العصر عندي قط) أخرجه الخمسة إلا الترمذي.

الرحمن بن أبي ليل). قال الذهبي : (وليس بقوي) ، وقد روت عائشة رضي الله عنها : (أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كفن في ثلاثة أثواب بيض سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة) ، أخرجه الأئمة الستة في كتبهم.

قال البيهقي : وقد بينت عائشة رضي الله عنها أنّ الإشتباه في ذلك على غيرها : فأخرج مسلم من جهة هشام ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : (كفن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ثلاثة أثواب بيض سحولية من كرسف ليس فيها قميص ولا عمامة ، فأما الحلة فإتّما شبه على الناس فيها أنّها اشترت له حلة ليكفن فيها فتركت الحلة فأخذها عبد الله بن أبي بكر فقال : (لأحبسناها لنفسي حتى أُكفن فيها) ، ثم قال : (لو رضيها الله لنبيّه لكفنه فيها) فباعها وتصدق بثمانها). وفي رواية : (أدرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في برد حبرة ، ثم أخذ عنه). قال القاسم : (إنّ بقايا ذلك الثوب عندنا بعد) ، قال البيهقي : هذا الثوب الثالث ، وأمّا الحلة فتصدق بثمانها عبد الله وهي ثوبان. أهـ.

(الحديث السادس) : - إنكارها عليه الرؤية : أخرج الترمذي في التفسير من جهة مسلم بن جعفر هو البغدادي ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، قال ابن عباس : (رأى محمد ربه) ، فقلت (أليس الله يقول : لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار)؟ فقال (ويحك ، ذاك إذا تجلّى بنوره الذي هو نوره ، قد رأى ربه مرتين) ، وقال : حسن غريب. قال شيخنا عماد الدين ابن كثير : (مسلم بن جعفر ليس بذاك المشهور ، والحكم بن أبان وثقه جماعة) ، وقال ابن

المبارك : (ارم به) . اهـ .

قلت : وأخرج الحاكم في مستدركه من جهة معاذ بن هشام : حدثني أبي ، عن قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : (أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم) ، ثم قال : صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه . وله شاهد صحيح عن ابن عباس في الرؤية . ثم ساقه من جهة إسماعيل بن زكريا ، عن عاصم ، عن الشعبي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : (رأى محمد ربه) وله شاهد آخر صحيح الإسناد ، ثم ساقه عن يزيد بن هارون ، ثنا محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن ابن عباس ، قال : (قد رأى محمد صلى الله عليه وآله وسلم ربه) . وعن ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال : (رآه مرتين) . ثم قال الحاكم : قد اعتمد الشيخان في هذا الباب أخبار عائشة بنت الصديق ، وأبي بن كعب ، وابن مسعود ، وأبي ذر : (أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأى جبريل عليه السلام) . وهذه الأخبار التي ذكرنا صحيحة . اهـ .

وقد أخرج البخاري من حديث القاسم ، عن عائشة ، قالت : (من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم ، ولكن قد رأى جبريل في صورته وخلقه ساداً ما بين الأفق) . وفي الصحيحين من حديث مسروق : (قلت لعائشة : يا أمته هل رأى محمد ربه؟ فقالت :) **لقد قفّ شعري مما قلت ، من حدثك أنّ محمداً رأى ربه فقد كذب ، ثم قرأت : (لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)**^(١) ، ولكنه رأى جبريل عليه السلام في صورته

(١) الأنعام / ١٠٣ .

مرتين). وفي رواية: (من زعم أنّ محمداً رأى ربّه فقد أعظم على الله الفرية) ، فقلت : (يا أم المؤمنين أنظريني ولا تعجليني ، ألم يقل الله عزوجل : **(وَلَقَدْ رَأَهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ)**^(١) ، **(وَلَقَدْ رَأَهُ نَزَلَةً أُخْرَى)**^(٢) ، فقالت : أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : (إنّما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين ، رأيته منهبطاً من السماء ساداً عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض) ، وقالت : (أولم تسمع أنّ الله عزوجل يقول : **(لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)**^(٣)؟ أولم تسمع أنّ الله عزوجل يقول : **(وَمَا كَانَ لِيَبْشِرَ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيّاً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)**^(٤) .

قلت : وهذا قاطع في هذه المسألة إذ صرحت فيه بالدفع. ونقل عن ابن خزيمة أنه قال في كتاب التوحيد له : (أنّه صلى الله عليه وآله وسلم إنّما خاطب عائشة على قدر عقلها) ، ثم أخذ يحاول تخطئتها وليس كما قال ، فقد جاء عن غيرها ذلك مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم منهم ابن مسعود ، رواه محمد بن جرير الطبري في تفسيره : حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب ، ثنا عبد الواحد بن زياد ، ثنا سليمان الشيباني ، ثنا زر بن حبیش ، قال : (قال عبد الله بن مسعود في هذه الآية : **(فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى)**^(٥) ، قال :

(١) التكوير / ٢٣ .

(٢) النجم / ١٣ .

(٣) الأنعام / ١٠٣ .

(٤) الشورى / ٥١ .

(٥) النجم / ٩ .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (رأيت جبريل له ستمائة جناح) ، وأخرجه ابن حبان في صحيحه .

وفي كتاب (الجمع بين الصحيحين) للحميدي : قال أبو مسعود في الأطراف في حديث عبد الواحد : (**وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى**)^(١) ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (رأيت جبريل في صورته له ستمائة جناح) ، قال الحميدي : وليس ذلك كما رأيناه من النسخ ولا ذكره البرقاني فيما أخرجه على الكتابين . ومنهم أبو ذر : قال الإمام أحمد في مسنده : حدثنا عفان ، ثنا هشام ، عن عبد الله بن شقيق ، قال : قلت لأبي ذر : (لو رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لسألته) ، قال^(٢) : (وما كنت تسأله) ؟ قلت : (كنت أسأله : هل رأى ربه عزوجل) ؟ فقال : (إني سألته ؟ فقال : قد رأيت نورا أرى أراه) ، وأخرجه ابن حبان في صحيحه بلفظ : (رأيت نورا) ، ثم قال : (معناه أنه لم ير ربه ، ولكن رأى نورا علوياً من الأنوار المخلوقة) . اهـ . هكذا وقع في رواية الإمام أحمد . وقد أخرجه مسلم من طريقين بلفظين : أحدهما قال : (رأيت نورا أرى أراه) ، والثاني قال : (رأيت نورا) . وهو مصرح بنفي الرؤية إذ لو أراد الإثبات لقال : (نعم) ، أو (رأيت) ، ونحو ذلك ، وهو يرد قول ابن خزيمة : (أن الخطاب وقع لعائشة على قدر عقلها) ، ولهذا لم يجد ابن خزيمة عنه

(١) النجم / ١٣ .

(٢) في الأصل : قلت . والتي بعدها : قال : وهو سهو محل بسياق الحديث .

ملجأً إلا أنه كان يدعي انقطاعه بين عبد الله بن شقيق وأبي ذر ^(١) ، فقال : (في القلب من صحة مسند هذا الخبر شيء) لم أر أحداً من علماء الأثر نظر لعلّة في إسناد ، قال : عبد الله بن شقيق راوي هذا الحديث كأنّه لم يكن يثبت أبا ذر ولا يعرفه بعينه واسمه ونسبه ، قال : لأنّ أبا موسى محمد ابن المثني حدثنا : عن معاذ بن هشام ، عن أبيه ، عن قتادة ، عن عبد الله بن شقيق. قال : أتيت المدينة فإذا رجل قائم على غرائر سود يقول : ألا ليبشر أصحاب الكنوز بكّي في الحياة والممات ، فقالوا : (هذا أبو ذر). فكأنّه لا يثبت ولا يعلم أنه أبو ذر.

وقال بعض العلماء في هذا الحديث : قد أجمعنا على أنّه ليس بنور ، وخطأنا المجوس في قولهم : هو نور ، والأنوار أجسام والباري سبحانه ليس بجسم ، والمراد بهذا الحديث أنّه حجاب النور ، وكذلك روي في حديث أبي موسى ، فالمعنى : كيف أراه وحجابه النور؟ ومن أثبت رؤية النبي صلى الله عليه وآله وسلم ربّه ، فإنّما يثبت ليلة المعراج ، وأسلم أبو ذر بمكة فدعا ^(٢) قبل المعراج ، ثم رجع إلى بلاد قومه فأقام بها حتى مضت بدر وأحد والخندق ، ثم قدم المدينة بعد ذلك ، يحتمل أنّه سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقت إسلامه : (هل رأيت

(١) هنا شطب المؤلف على ما يلي :

وأني له ذلك وأما ابن الجوزي فأوله على أن أبا ذر لعله سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل الإسراء فأجابه بما أجابه ، ولو سأله بعد الإسراء لأجابه بالإثبات. وهذا ضعيف فإن عائشة أم المؤمنين قد سألت عن ذلك بعد الإسراء ولم يثبت لها الرؤية.

(٢) كذا في الأصل.

ريك)؟ وما كان عرج به بعد فقال : (نور أتى أراه) ، أي أنّ النور يمنع من رؤيته . وقد قال بعد المعراج في رواية ابن عباس : (رأيت ربي) اهـ . وهذا ضعيف ، فإنّ عائشة أم المؤمنين قد سألت عن ذلك بعد الإسراء ولم يثبت لها الرؤية .

وأما قول الإمام أحمد : (ما زلت منكراً لهذا الحديث وما أدري ما وجهه) ، فقال بعض الأئمة : لا نعرف معنى هذا الإنكار ، وقد صح ذلك عن أبي ذر وغيره . وللكلام على هذا الحديث موضع آخر قد بسطته فيه ، ورددت ما حرّفه بعض النقلة في لفظه ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

(الحديث السابع) : إحالته معرفة الوتر عليها . أخرجه مسلم في صحيحه : عن قتادة ، عن زرارة بن أبي أوفى ، عن سعد بن هشام : أنّه طلق أمّراته فأتى المدينة ليبيع بها عقاراً له ، فيجعله في السلاح والكراع ، فذكر الحديث وأنّه لقي ابن عباس فسأله عن الوتر ، فقال : (ألا أنبئك بأعلم أهل الأرض بوتر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)؟ قال : (نعم) ، قال : (عائشة ، إيتها فسلها ثم إرجع إليّ فأخبرني بردها عليك) ، قال : فأتيت ^(١) حكيم بن أفلح فاستلحقته إليها ، فقال : (ما أنا بقاربها ، إني نهيته أن تقول في هاتين الشيعتين شيئاً فأبت فيهما إلا مضياً فيه) ، فأقسمت عليه فجاء معي فدخل عليها فقال : يا أم المؤمنين أنبئيني عن وتر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : (كنا نعدُّ له سواكه

(١) في الأصل : علي بن حكيم بن أفلح ، ولم نجد في كتب رجال الحديث أحداً بهذا الاسم وإنما هو حكيم بن أفلح كما في (تهذيب التهذيب) و (لسان الميزان) . والحديث المذكور في مسند أحمد واسم الرجل فيه كما أثبتناه .

وطهوره فيبعثه الله بما شاء أن يبعثه من الليل فيتسوك ويتوضأ ، ثم يصلي ثمانية ركعات لا يجلس فيهن إلا عند الثامنة فيجلس ويذكر الله ويدعو ، ثم ينهض ولا يسلم ثم يصلي التاسعة فيقعد فيحمد الله ويصلي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم يسلم تسليماً يسمعنا ، ثم يصلي ركعتين وهو قاعد ، فتلك إحدى عشرة ركعة يا بني ، فلما أسن وأخذ اللحم أوتر بسبع وصلي ركعتين وهو جالس بعد ما سلم ، فتلك تسع ركعات يا بني) ، وفي رواية له : (وسلم تسليماً يسمعنا) .

وقد اختلفت الأحاديث ولا سيما الأحاديث عن عائشة رضي الله عنها في عدد الوتر وفي صحيح مسلم عنها : (كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي في الليل ثلاث عشرة يوتر من ذلك بخمس) ، وروي أبو داود : (لم يكن يوتر بأكثر من ثلاث ^(١) عشرة) ، فقيل : الإختلاف منها ، وقيل : هو من الرواة عنها ووجه الإختلاف فيها بحسب إختلاف أحواله صلى الله عليه وآله وسلم من إتساع الوقت أو ضيقه بحسب طول القراءة كما جاء في حديث حذيفة وابن مسعود . أو عذره بمرض أو غيره ، أو في بعض الأوقات عند كبر السن كما روته ورواه أيضاً خالد بن زيد .

أو وجه الثلاثة عشرة أنّها عدّت معها ^(٢) ركعتي الفجر ، كما بيّن أبو داود ذلك في رواية له عنها .

(١) في الأصل : ثلاثة .

(٢) في الأصل : معه .

(الحديث الثامن) : ردت على ابن عباس قراءته قوله تعالى : (**وَضَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا**)^(١) بالتخفيف. فأخرج البخاري في التفسير عن ابن أبي مليكة : قال ابن عباس : (**حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا**)^(٢) خفيفة ذهب بها هنالك ، وتلا : [**حَتَّى يَقُولَ الرُّسُلُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ**]^(٣) فلقيت عروة بن الزبير فذكرت له ذلك ، فقال : (قالت عائشة : معاذ الله ، والله ما وعد الله ورسوله في شيء قط إلا علم أنه كائن قبل أن يموت ولكن لم ينزل البلاء بالرسول حتى خافوا أن يكون من معهم يكذبونهم فكانت تقرؤها)^(٤) كُذِّبُوا) مثقلة.

تعقيب في استدراك عائشة على ابن عباس

لا شك أنّ عائشة كانت جريئة في نقدها لمن لا يوافقها ، صريحة في آرائها النقدية ، فهي لمكانتها الاجتماعية وكونها إحدى أمّهات المؤمنين ، فقد كان يُرعى ويُحسب لها عند السلطة القائمة ما يميزها عن غيرها من أمّهات المؤمنين ، بعدما برزت في المجتمع تقود المعارضة ضدّ الإمام عليه السلام

(١) يوسف / ١١٠ .

(٢) هنا شطب المؤلف على ما يلي :

قاله أبو الفرج ابن الجوزي : ففي البخاري : قالت عائشة رضي الله عنها : (لم ينزل البلاء بالرسول حتى خافوا أن يكون من معهم يكذبونهم) وكانت تقرؤها مثقلة ، وتلا : (**مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ**) البقرة / ٢١٤ ، فقالت : (معاذ الله ، ما وعد الله رسوله من شيء قط إلا على علم أنه كائن قبل أن يموت ولكن لم ينزل) .

(٣) يوسف / ١١٠ .

(٤) البقرة / ٢١٤ .

في حرب الجمل ، وأخذت تزداد في التمر له ولمن يشايعه ويتابعه ، وساعدها على ذلك معاوية وبنو أمية ، فصارت مرجعاً في الحديث حتى فاقت بمروياتها جميع ما رواه أبوها وبقية الخلفاء وجميع أمهات المؤمنين ، وقد مرّ في الجزء الأول ما يتعلق بها ، وصار من المتعين على من شايعها أن يجمع لها من بين ذلك الكم الهائل من أحاديثها ما يرفع من شأنها ، سواء صح أم لم يصح ، كما فعل الزركشي في كتابه (الإجابة) وقد مرّت بنا صفحات من كتابه ممّا يتعلق بابن عباس فكان نصيبه فيها ثمانية أحاديث مهلهلة سنداً ومتناً! لا يسلم منها واحد من مشكلة سنديّة ، كما لا نجد واحداً منها منسجماً مع معنى الإستدراك ، لو أنصف المنصفون ، ولنستعرضها واحداً بعد واحد ، وإن كنا قد ذكرنا الحديث الأول منها في الحلقة الأولى في الجزء الثالث فنستعيده لضمه مع ما تلاه من روايات ، لنرى مكان الصدق عند الزركشي فيما رآه فرواه.

(حديث واحد خير من ألف شاهد) :

شاهد واحد ردّت فيه عائشة فتيا فقهية لابن عباس بإصرار وعناد لغرض سياسي أكثر منه لبيان حكم شرعي! وتلك الفتيا فيمن أقام وأرسل الهدي تطوّعاً إلى الحرم ، هل عليه أن يجتنب عمّا يجتنبه المحرم كما هو رأي ابن عباس؟ أو لا يجب كما هو رأي عائشة؟ ورؤي عنها في ذلك عدّة أحاديث نافت على العشرة متفاوتة سنداً ومتناً ، حتى ليخيّل لناظرها أنّها في وقائع متعددة ، مع أنّ الأصل فيها واقعة

واحدة . كما سيأتي بيانه . والأحاديث التي رويت عنها ونافت على العشرة ، روى بعضها مالك وعنه البخاري أيضاً ، كما روى بعضها الآخر هو ومسلم وبقية أصحاب السنن والمسانيد ، ومدار الجميع على الرواة عن عائشة ، وجميعهم من حاتمها وخاصتها كعروة ابن أختها ، والقاسم ابن أخيها ، وعمرة بنت عبد الرحمن رببتها ، وهؤلاء الثلاثة جعلهم ابن عيينة أعلم الناس بحديث عائشة ^(١) ! ثم رواية أبي قلابة ، وهو عبد الله بن يزيد الجرمي ^(٢) ، ورواية الأسود بن يزيد النخعي ، ومسروق بن الأجدع من المختصين بما ^(٣) ، وهؤلاء جميعاً مقام مرموق عند حكام الأمويين ، أضف إليهم ابن شهاب الزهري فهو من صنائعهم!

والآن إلى صور الحديث الذي أشرنا إليه نقلاً عن المصادر الثلاث الأولى :

١ . (الموطأ لمالك بشرح تنوير الحوالك) للسيوطي : (حدثني يحيى ،

(١) اسعاف المبطل / ٢١ .

(٢) كان ديوانه بالشام ومات بداريا سنة ١٠٤ . ١٠٥ ، وحسبك بذلك تعريفاً . راجع المعارف / ٤٤٦ . ٤٤٧ . وفي تهذيب ابن حجر ٦ / ٨٠ ط الهند (عبد الله بن يزيد رضيع عائشة بصري ، وعنه (كنيته ظ) أبو قلابة الجرمي) وهذا له في الصحاح عدا البخاري .

(٣) قال ابن أبي الحديد في شرح النهج ١ / ٢٦٩ وروى أبو نعيم عن عمرو بن ثابت عن أبي إسحاق قال : ثلاثة لا يؤمنون على علي بن أبي طالب : مسروق ومرة وشريح وروي ان الشعبي رابعهم . وقال : روى سلمة بن كهيل انهما . الأسود بن يزيد ومسروق بن الاجدع . كانا يمشيان إلى بعض أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيقعان في علي عليه السلام فأما الاسود فمات على ذلك ، وأما مسروق فلم يمت حتى كان لا يصلح لله تعالى صلاة إلا صلى بعدها على علي بن أبي طالب عليه السلام لحديث سمعه من عائشة في فضله . فيا ترى من هي التي كانا يمشيان إليها فيقعان في علي عليه السلام غير عائشة؟

عن مالك ، عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد ، عن عمرة بنت عبد الرحمن ، : أنّها أخبرته : أنّ زياد بن أبي سفيان كتب إلى عائشة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم : أنّ عبد الله بن عباس ، قال : من أهدى هدياً حَرُمَ عليه ما يحرم على الحاج حتى يُنحر الهدى ، وقد بعثت بهديي فاكتبي إليّ بأمرِك ، أو مري صاحب الهدى.

قالت عمرة : قالت عائشة : ليس كما قال ابن عباس ، أنا فتلتُ قلائد هدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيديّ ، ثمّ قلّدها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيده ، ثمّ بعث بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع أبي ، فلم يحرم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيء أحلّه الله له حتى نُحِرَ الهدى (١).

٢ . صحيح البخاري : (حدثنا عبد الله بن يوسف ، أخبرنا مالك ، عن عبد الله ابن أبي بكر بن عمرو بن حزم ، عن عمرة بنت عبد الرحمن : أنّها أخبرته : أنّ زياد ابن أبي سفيان كتب إلى عائشة رضي الله عنها : أنّ عبد الله بن عباس رضي الله عنها قال : من أهدى هدياً حَرُمَ عليه ما يحرم على الحاج حتى يُنحر هديّه. قالت عمرة : فقالت عائشة رضي الله عنها : ليس كما قال ابن عباس رضي الله عنه ، فتلت قلائد هدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيديّ ثمّ قلّدها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيده ، ثمّ بعث بها مع أبي ، فلم يحرم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيء أحلّه الله حتى نُحِرَ الهدى) (٢).

٣ . صحيح البخاري : (حدثنا اسماعيل بن عبد الله ، قال : حدثني مالك ،

(١) الموطأ / ١ / ٢٤٨ - ٢٤٩ ط مصطفى محمد بمصر .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الحج ، باب من قلّد القلائد بيده ٢ / ١٦٩ ط بولاق .

عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم ، عن عمرة بنت عبد الرحمن : أنّها أخبرته : قالت عائشة رضي الله عنها : أنا فتلتُ قلائد هدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيديّ ، ثمّ قلّدها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيديه ، ثمّ بعث بها مع أبي فلم يحرم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيء أحلّه الله له حتى نُحر الهدي (١).

٤ . صحيح مسلم : (حدثنا يحيى بن يحيى ، قال : قرأت على مالك ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن عمرة بنت عبد الرحمن : أنّها أخبرته : أنّ ابن زياد كتب إلى عائشة أنّ عبد الله بن عباس ، قال : من أهدى هدياً حرم عليه ما يحرم على الحاج حتى ينحر الهدي ، وقد بعثت بهدي فاكتبي إليّ بأمرِك ، قالت عمرة : قالت عائشة : ليس كما قال ابن عباس ، أنا فتلت قلائد هدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيديّ ثمّ قلّدها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيده ، ثمّ بعث بها مع أبي فلم يحرم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيء أحلّه الله له حتى نحر الهدي (٢).

هذه هي صور الحديث الواحد ، وأصله عند مالك في (الموطأ) ، ورواه الشيخان . البخاري ومسلم . عنه ، فليقارن القارئ بين هذه الصور ليعلم مدى الأمانة في النقل ! فمن تزيّد ومن تغيير ومن نقصان . لماذا ذلك ؟
ومن أجل أن تبقى تلك الرموز . صحاحاً ورجالاً . في البروج العاجية ، استبسّل علماء التبرير في سدّ بعض الفجوات ، إلا أنّهم لم يوفّقوا تماماً . وقد اخترت طائفة من أقوالهم من خلال شروحهم لتلك الصحاح .

(١) نفس المصدر ، كتاب الوكّالة ، باب الوكّالة في البدن وتعاهدتها ٣ / ١٠٢ .

(٢) صحيح مسلم (كتاب الحج) باب استحباب بعث الهدي إلى الحرم ١ / ٣٧٢ ح ١١ ط بولاق .

فمن شروح الموطأ : (المنتقى) لأبي الوليد الباجي ، وشرح الزرقاني ، و (تنوير الحوالك) للسيوطي .

ومن شروح البخاري : (فتح الباري) لابن حجر ، و (إرشاد الساري) للقسطلاني ، و (الكواكب الدراري) للكرماني ، و (كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري) للشنقيطي الجكني .

ومن شروح مسلم : شرح النووي ، و (إكمال إكمال المعلم) للآبي ، و (مكمل إكمال إكمال المعلم) للسنوسي .
إلى غير ذلك كسنن البيهقي ، ومصنف ابن أبي شيبة ، وتكملة المنهل المورود بشرح سنن أبي داود .

فماذا قال علماء التبرير؟

١ . قال ابن حجر في (فتح الباري) :

((تنبيه) وقع عند مسلم ، عن يحيى بن يحيى ، عن مالك في هذا الحديث : أنّ ابن زياد بدل قوله : أنّ زياد بن أبي سفيان ، وهو وهم تبّه عليه الغساني ومن تبعه) (١) .

٢ . قال النووي في (شرح صحيح مسلم) :

(إنّ ابن زياد كتب إلى عائشة ... هكذا وقع في جميع نسخ صحيح مسلم أنّ ابن

زياد ، قال أبو علي الغساني والمازري والقاضي وجميع

(١) فتح الباري ٤ / ٢٩٣ ط مصطفى الباي الحلبي وأولاده بمصر سنة ١٣٧٨ هـ .

المتكلمين على صحيح مسلم : هذا غلط وصوابه : أنّ زياد بن أبي سفيان ، وهو المعروف بزياد بن أبيه ، وهكذا وقع على الصواب في صحيح البخاري والموطأ وسنن أبي داود وغيرها من الكتب المعتمدة ، ولأنّ ابن زياد لم يدرك عائشة والله أعلم (١).

ونحن نقول له : فأين قوله : اتفق العلماء رحمهم الله على أنّ اصح الكتب بعد القرآن العزيز الصحيحان البخاري ومسلم؟! وتلقتهما الأمة بالقبول؟! وكتاب البخاري أصحهما وأكثرهما فوائد ومعارف ظاهرة وغامضة؟! (٢).

ولا ضيرَ حتى ولو لم يروه أولئككم ، فإنّ البخاري وحده يكفيهم ، لأنّ كتابه عندهم أصح وأكثر فوائد! وإن تزيّد في النقل فمنح الترضي حسب الهواية والمشتهية ، وإن تنقّص فحذف في روايته في الوكالة بعض ما ذكره في روايته في كتاب الحج . فقارن . وفي المقامين حذف من رواية المصدر جملة (أو مري صاحب الهدي) ، فهكذا هي الأمانة في النقل (٣)!. ولعلّ هذا من الفوائد والمعارف الغامضة.

ومهما يكن فنحن لا يهمنا غلط مسلم في ذكره ابن زياد بدل أبيه ، فكلاهما دعويّ وفي النُصب سواء ، والإعتذار بأنّ ابن زياد لم يدرك عائشة ، إعتذارٌ واه فقد أدركها ، لأنّها ماتت سنة (٥٦ هـ أو ٥٧ هـ أو ٥٨ هـ) كما في

(١) صحيح مسلم ٩ / ٧٢ ط مصر.

(٢) أنظر مقدمة شرح صحيح مسلم للنووي ١ / ١٤ .

تاريخ اليعقوبي^(١) ، وابن زياد وولاه معاوية خراسان بعد وفاة أبيه زياد سنة ٥٤ هـ ، وليس بالضرورة أن يكون سؤاله لها أيام ولايته البصرة ، فيمكن أنه سألها أيام أبيه. وإنما الذي يهمنا هو تنبيه القارئ إلى أن المرجعية الرسمية للأحكام الشرعية يومئذ هي عائشة دون باقي أمهات المؤمنين وبقية فقهاء الصحابة والتابعين! ولذلك قلنا استبسل شرّاح الصحيح في سدّ الثغرات ، وزاد بعضهم فضعف جهده لإثبات صحة رأي عائشة وتفنيد رأي ابن عباس حتى ولو كان رأيه موافقاً لرأي عمر ورأي عليّ وآراء آخرين من صحابة وتابعين ، بل تصاعدت حمى الزهري . وهو من فقهاء البلاط الأموي . فجعل لها المنّة على المسلمين حيث كشفت لهم ما أستغلق عليهم فهمه كما سيأتي .

٣ . قال ابن التين :

(خالف ابن عباس في هذا جميع الفقهاء ، واحتجت عائشة بفعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وما روته في ذلك يجب أن يصار إليه ، ولعلّ ابن عباس رجع عنه ، انتهى)^(٢) .

ولفجاجة هذا الرأي وسماجة هذا القول تعقبه ابن حجر بقوله : (وفيه قصور شديد ، فإنّ ابن عباس لم ينفرد بذلك ، بل ثبت ذلك عن جماعة من الصحابة : منهم ابن عمر : رواه ابن أبي شيبة عن ابن عليّ عن أيوب ، وابن المنذر من طريق ابن جريج كلاهما عن نافع عن ابن عمر كان إذا بعث

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢١٢ .

(٢) فتح الباري ٤ / ٢٩٤ ط مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر سنة ١٣٧٨ .

بالهدي يمسك عما يمسك عنه المحرم إلا أنه لا يلبي (١).

ومنهم قيس بن سعد بن عبادة : أخرج سعيد بن منصور من طريق سعيد ابن المسيب عنه نحو ذلك (٢).

وروى ابن أبي شيبة من طريق محمد بن علي بن الحسين عن عمر وعليّ أنّهما قالوا في الرجل يرسل بيدته : أنه يمسك عما يمسك عنه المحرم (٣). وهذا منقطع (٤).

٤ . قال ابن المنذر :

(قال عمر وعليّ وقيس بن سعد وابن عمر وابن عباس والنخعي وعطاء وابن سيرين وآخرون : من أرسل الهدي وأقام حُرْمَ عليه ما يجرم على المحرم.

وقال ابن مسعود وعائشة وأنس وابن الزبير وآخرون : لا يصير بذلك محرماً ، وإلى ذلك صار فقهاء الأمصار) (٥) (٦).

٥ . قال ابن حجر :

(ومن حجة الأولين ما رواه الطحاوي وغيره من طريق عبد الملك بن جابر عن أبيه ، قال : كنت جالساً عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقد قميصه من جيبه حتى

(١) أنظر المصنف لابن أبي شيبة ٤ ق ١ / ٨٨ ط باكستان ادارة القرآن والعلوم الإسلامية.

(٢) فتح الباري ٤ / ٢٩٤ ط مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر سنة ١٣٧٨ هـ.

(٣) نفس المصدر.

(٤) نفس المصدر.

(٥) نفس المصدر.

أخرجه من رجليه ، وقال : إني أمرت بئدني التي بعثت أن تقلد اليوم وتشعر على مكان كذا ، فلبست قميصي ونسيت ، فلم أكن لأخرج قميصي من رأسي . الحديث ، وهذا لا حجة فيه لضعف اسناده ، إلا أنّ نسبة ابن عباس إلى التفرد بذلك خطأ ... (١)

٦ . وقال أيضاً :

(وقد ذهب سعيد بن المسيب إلى أنه لا يجتنب شيئاً مما يجتنبه المحرم إلاّ الجماع ليلة جمع . رواه ابن أبي شيبة عنه بإسناد صحيح) (٢)

٧ . وقال أيضاً :

(نعم جاء عن الزهري ما يدلّ على أنّ الأمر استقرّ على خلاف ما قال ابن عباس ، ففي نسخة أبي اليمان عن شعيب عنه ، وأخرجه البيهقي من طريقه ، قال : أول من كشف العمى عن الناس وبين لهم السنّة في ذلك عائشة ، فذكر الحديث عن عروة وعمرة عنها . قال : فلما بلغ الناس قول عائشة أخذوا به وتركوا فتوى ابن عباس (٣) (٤) .

٨ . وقال أيضاً :

(١) نفس المصدر .

(٢) نفس المصدر .

(٣) سنن البيهقي ٥ / ٢٣٣ - ٢٣٤ فراجع ستجد الدفاع بان دفاع عن رأي عائشة .

(٤) فتح الباري ٤ / ٢٩٤ .

أخرجه الهميثي في مجمع الزوائد ٣ / ٢٢٧ ط القدسي وقال رواه أحمد والبخاري باختصار ورجال أحمد

ثقات .

- (وذهب جماعة من فقهاء الفتوى إلى أنّ من أراد النسك صار بمجرد تقليده الهدي محرماً ، حكاه ابن المنذر عن الثوري وأحمد وإسحاق)^(١) .
- ٩ . وقال أيضاً :
- (وقال أصحاب الرأي : من ساق الهدي وأمّ البيت ثمّ قلّد وجب عليه الاحرام)^(٢) .
- ١٠ . وقال أيضاً :
- (وقال الجمهور : لا يصير بتقليد الهدي محرماً ولا يجب عليه شيء)^(٣) .
- ١١ . وقال أيضاً :
- (ونقل الخطابي عن أصحاب الرأي مثل قول ابن عباس ، وهو خطأ عليهم ، فالطحاوي أعلم بهم منه ، ولعل الخطابي ظن التسوية بين المسألتين)^(٤) .
- ١٢ . قال أمين محمود خطاب^(٥) :
- (وسبب هذا الحديث ما روت عمرة بنت عبد الرحمن أن زياد بن

(١) نفس المصدر .

(٢) نفس المصدر .

(٣) نفس المصدر .

(٤) نفس المصدر .

(٥) في فتح الملك المعبود تكملة المنهل العذب المورد شرح سنن الإمام أبي داود ١ / ١٤ ط الأولى بالاعتصام بالخيمية سنة ١٣٧٥ .

أبي سفيان كتب إلى عائشة . وذكر الحديث . ثم قال أخرجه البخاري والطحاوي (١) .
وقد أخرج الطحاوي هذا الحديث من ثمانية عشر طريقاً ، لبيان حجة من قال : لا
يجب على من بعث هدياً أن يتجرد عن ثيابه ، ولا يترك شيئاً من محظورات الإحرام إلا
بدخوله فيه بحج أو عمرة . وإلى هذا ذهب أكثر الصحابة والحنفيون ومالك والأوزاعي
والثوري والشافعي وأحمد .

وعن ابن عباس وعمر وعليّ والنخعي وعطاء وابن سيرين : أنّ من أرسل هدياً إلى
الحرم يلزمه إذا قلده الإحرام . ويحرم عليه كل ما يحرم على المحرم ، لحديث عبد الرحمن بن
عطاء بن أبي لبيبة ، عن عبد الملك ابن جابر ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنها قال :
كنت عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم جالساً فقد قميصه من جيبه حتى أخرجه من
رجليه ، فنظر القوم إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : (إيّ أمرت بئدني التي بعثت
بها أن تقلد اليوم وتشعر على ماء كذا وكذا ، فلبست قميصي ونسيت فلم أكن لأخرج
قميصي من رأسي) . وكان قد بعث بئدنه من المدينة فأقام بالمدينة . أخرجه أحمد والطحاوي
والبخاري (٢) ، لكن ابن أبي لبيبة ليس ممن يحتج به فيما ينفرد به ،

(١) انظر فتح الباري ٣ / ٣٥٤ (من قلد القلائد بيده) و ٤٣٩ ، وشرح معاني الآثار .

(٢) انظر ١٣ / ٣٣ من الفتح الرباني . و ٣ / ٢٢٧ من مجمع الزوائد (من بعث هدياً وهو مقيم) و ١ / ٤٣٩
من شرح معاني الآثار (هامش المصدر السابق) .

فكيف فيما خالفه فيه من هو أثبت منه.

قال الطحاوي في (شرح معاني الآثار) : إسناده حديث عائشة صحيح لا تنزع بين أهل العلم فيه ، وليس حديث جابر بن عبد الله كذلك ، لأن من رواه دون من روى حديث عائشة ، لكن قال في (مجمع الزوائد) بعد أن ذكر الحديث : ورجال أحمد ثقات . (وعن عطاء) بن يسار عن نفر من بني سلمة قالوا : كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم جالساً فشق ثوبه . فقال : إني واعدت هدياً يشعر اليوم . رواه أحمد ورجال الصريح ، وبهذا يرد على من قال : الظاهر أنه لا أصل لهذا الحديث .

ماذا وراء الأكمة من غمّة؟

إنّ اندفاع علماء التبرير في دفاعهم المستميت يوحى بدءاً بأنهم في مقام إثبات حكم شرعي ، وإن دلّ على دعم موقف عائشة في فتياها التي ردت بها على فتيا ابن عباس ، كما هو الوجه الظاهر للعملة التي يتعاملون بها مع الناس ، وهذا وجه باهت اللون خافت النور إذا قيس بالوجه الآخر الذي كانوا يتعاملون به مع الحكام فإنه ليس كذلك ، بل هو ذو لون صارخ أشدّ وهجاً وأكثر رهجاً ، وهو جوهر القضية في الحديث المذكور . وذلك فيما أرى . والله العالم . كان لإستصدار قرار عائشي بتصديق نسب زياد بعد الإستلحاق وأنه ابن أبي سفيان ، وهذا يتم من خلال جواب الكتاب تحريراً لو تم . وإذا لم يتم . كما هو الحال . فيكفي أنّ راوية

الحديث عمرة بنت عبد الرحمن^(١) ذكرت ذلك عن عائشة ولم تذكر عنها إنكاراً لذلك ، وفي سكوتهما على أقل تقدير - إمضاء لما جاء في الحديث ، وفي هذا حسب زياد وآل زياد ، وفي مقابل ذلك لا بد من تقديم ثمن لعائشة يساوي ما أخذوه من مئتمن ، وهل من ثمن أكثر قيمة من إذاعة وإشاعة أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يعث هديه من المدينة ، وعائشة هي التي تفتل القلائد للهدى ، وأبوها يسوق الهدي إلى مكة أو إلى منى ، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يجتنب عما يجتنبه المحرم. وهكذا صار الحديث وكأته مناورة سياسية أكثر من بيان واقعة شرعية. واستمرت المناورة - فيما يبدو - فقد ذكر السيد ابن عقيل أنّ زياداً كتب إلى عائشة كتاباً فيه : (من زياد بن أبي سفيان وهو يريد أن تكتب له : إلى زياد بن أبي سفيان ليحتج بذلك ، فكتبت إليه من عائشة أم المؤمنين إلى ابنها زياد)^(٢).

وفي رواية ابن أبي الحديد قال : (كتبت عائشة إلى زياد فلم تدر ما تكتب عنوانه ،

إن كتبت زياد بن عبيد وابن أبيه أغضبته ، وإن كتبت زياد

(١) أتدري من هي عمرة بنت عبد الرحمن؟ كانت هي وأخواتها في حجر عائشة وعندها (طبقات ابن سعد ٨ / ٣٥٣) افسد ليدن.

وهي التي كتب عمر بن عبد العزيز في حقها إلى أبي بكر بن محمد بن حزم : ان انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو سنة ماضية أو حديث عمرة فاكتبه فيني خشيت دروس العلم وذهاب أهله؟ يا لله يكون حديث عمرة بمنزلة حديث رسول الله ومثل السنة الماضية في ميزان الاعتبار عند الخليفة الأموي؟ ولزيادة الاطلاع فان ابا بكر بن محمد بن حزم هو زوج اختها؟ وراوي حديث الفتيا هو ابن اختها فظن خيراً.

(٢) النصائح الكافية / ٥٦ ط بمبي سنة ١٣٢٦ هـ.

ابن أبي سفيان أثمت فكتبت من أم المؤمنين إلى ابنها زياد ، فلمّا قرأه ضحك وقال : لقد لقيت أم المؤمنين من هذا نصبا (١).

وأخيراً نجحت بالتالي مؤامرة زياد ، فكتبت إليه كتاب شفاعة لمرة بن أبي عثمان مولى عبد الرحمن بن أبي بكر . وقال ابن الكلبي هو مولى عائشة . سأل عائشة أن تكتب له إلى زياد وتبدأ به في عنوان كتابه ، فكتبت إليه بالوصاة به وعنوانه : إلى زياد بن أبي سفيان من عائشة أم المؤمنين ، فلمّا رأى زياد أنّها قدّمته ونسبته إلى أبي سفيان سرّ بذلك وأكرم مرّة وألطفه وقال للناس : هذا كتاب أم المؤمنين إليّ وفيه كذا ، وعرضه ليقراً عنوانه ثمّ أقطعه مائة جريب على نهر الأبتلة ، وأمر أن يحفر لها نحرّ فنسب إليه (٢).

وهذا ما أدركه علماء التبرير . ولا أقلّ بعضهم . إلّا أنّهم تسللوا من وراء الأكمة لواءً لئلا تصدمهم الحقيقة المرّة ، فتزل قدم بعد اهتزازها على أرضية هشة من المبررات التي ما أنزل الله بها من سلطان.

حتى قال بعضهم ممعناً في التبرير والتزوير ، فقال : (وقع التحديث بهذا في زمن بني أمية ، وأما بعدهم فما كان يقال له إلّا زياد بن أبيه ... وقبل استلحاق معاوية له كان يقال له زياد بن عبيد ، وكانت أمّه سمية مولاة الحرث بن كلدة الثقفي وهي تحت عبيد المذكور فولدت زياداً على فراشه ، فكان ينسب إليه ، فلمّا كان في أيام معاوية شهد جماعة على

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ٤ / ٧٦ ط مصر الأولى و ١٦ / ٢٠٤ تح أبو الفضل إبراهيم والقضايا الكبرى في الإسلام لعبد المتعال الصعيدي / ١٨٨ .

(٢) راجع معجم البلدان ٥ / ٣٢٣ (نهر مرّة) .

إقرار أبي سفيان بأنّ زياداً ولده ، فاستلحقه معاوية بذلك ، وخالف الحديث الصحيح (إنّ الولد للفراش وللعاهر الحجر) وذلك لغرض دنيوي ، وقد أنكر هذه الواقعة على معاوية من أنكرها ، حتى قيلت فيها الأشعار ، ومنها قول القائل :

ألا أبلغ معاوية بن حرب مغلغلة من الرجل اليماني
أنغضب أن يقال أبوك عِفٌّ وترضى أن يقال أبوك زاني
وقد أجمع أهل العلم على تحريم نسبته إلى أبي سفيان ، وما وقع من أهل العلم في زمان بني أمية فإمّا هو تقية.

وذكر أهل الأمهات نسبته إلى أبي سفيان في كتبهم مع كونهم لم يؤلفوها إلا بعد انقراض عصر بني أمية محافظة منهم على الألفاظ التي وقعت من الرواة في ذلك الزمان كما هو دأبهم (١).

وجاء في (كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري) للشيخ محمد الخضر الجكني الشنقيطي المتوفى سنة ١٣٥٤ هـ ، ترجمة زياد وكيفية إستلحاقه وأسماء الشهود له بذلك ، وفي آخر الترجمة ذكر غضب بني أمية من إستلحاقه ، وذكر شعر عبد الرحمن بن الحكم نقلاً عن (الإستيعاب) ، فمن أراد ذلك فليرجع إلى المصدر المذكور (٢).

(١) نيل الأوطار للشوكاني ٥ / ١٠٧ ط العثمانية بمصر سنة ١٣٥٧ هـ.

(٢) كوثر المعاني ١٣ / ٣٨٨ ط مؤسسة الرسالة سنة ١٤١٥ هـ.

وذكر الآبي في شرحه صحيح مسلم عند قوله : (انّ ابن زياد كتب ...). (قلت)
ابن زياد هو عبيد الله بن زياد ... هذا هو الذي قتل الحسين بن عليّ ، وزياد هذا هو والده
وكان معاوية استلحقه لأبيه أبي سفيان ، وتقدم إشباع الكلام على ذلك وعلى كيفية
استلحاقه في حديث : (من انتسب لغير أبيه من كتاب الإيمان فراجعه هناك)^(١).

نور على الدرب :

لو تفحصنا حديث عائشة في المصادر التي مرّ ذكرها لوجدناه . كما قلنا . يتفاوت بين
مصدر وآخر ، بل بين رواية راو واحد في المصدر الواحد . وللتدليل والإختصار نذكر للقارئ
ما في صحيح البخاري فقط ، وهو عند أصحابه كلّ الصيد في جوف الفرا .
ولقد ذكر الحديث في ستة أبواب متتابعة بشتى الصور ، وهي كما يلي في كتاب الحج
بألفاظها :

١ . باب (من أشعر وقلّد بزدي الحليفة ثمّ أحرم) .

قال البخاري : (حدثنا أبو نعيم ، حدثنا أفلح ، عن القاسم ، عن عائشة رضي الله
عنها قالت : فتلت قلائد بطن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بيديّ ثمّ قلّدها وأشعرها وأهداها ،
وما حُرّم عليه شيء كان أحلّ له)^(٢).

(١) شرح صحيح مسلم ٣ / ٤١٣ .

(٢) صحيح البخاري ٢ / ١٦٩ ح ٣ ط بولاق .

أقول : وهذا الحديث لم يشرحه ابن حجر في (فتح الباري) ^(١) فظن خيراً!

٢ . باب (قتل القلائد للبدن والبقر).

قال البخاري : (حدثنا عبد الله بن يوسف ، حدثنا الليث ، حدثنا ابن شهاب ، عن عروة ، عن عمرة بنت عبد الرحمن : أنّ عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يهدي من المدينة فأقتل قلائد هديه ثم لا يجتنب شيئاً مما يجتنبه المحرم) ^(٢).

أقول : وهذا الحديث أيضاً غض ابن حجر النظر عنه فتعداه بسلام! ^(٣)

٣ . باب (إشعار البدن).

قال البخاري : (حدثنا عبد الله بن سلمة ، حدثنا أفلح بن حميد ، عن القاسم ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : فتلت قلائد هدي النبي صلى الله عليه وسلم ثم أشعرها وقلدها أو قلدها ، ثم بعث بها إلى البيت وأقام بالمدينة فما حرم عليه شيء كان له حل) ^(٤).

أقول : وعلى ما عودنا ابن حجر في سابقه لقد تغاضى عن شرحه إلى شرح معنى

الإشعار ومشروعته وإختلاف العلماء فيه! ^(٥)

٤ . باب (من قلد القلائد بيده).

(١) فتح الباري ٤ / ٢٩١ .

(٢) صحيح البخاري ٢ / ١٦٩ ح ٢ ط بولاق .

(٣) فتح الباري ٤ / ٢٩١ .

(٤) صحيح البخاري ٢ / ١٦٩ ح ١ ط بولاق .

(٥) فتح الباري ٤ / ٢٩٢ .

قال البخاري : (عبد الله بن يوسف ...)^(١) وذكر الحديث الذي ذكرناه أولاً كخير شاهد فلا حاجة إلى إعادة ذكره.

٥ . باب (تقليد الغنم).

قال البخاري : (حدثنا أبو النعمان ، حدثنا عبد الواحد ، حدثنا الأعمش ، حدثنا إبراهيم ، عن الأسود ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : كنت أفتل القلائد للنبيّ صلى الله عليه وسلم فيقلّد الغنم ويقيم في أهله حالاً)^(٢).

أقول : وقد استبسل ابن حجر في شرح عنوان الباب وذكر (من رأى تقليد الغنم ومن لم ير) ، والردّ عليه بحديث الباب إلى آخر ما عنده^(٣).

٦ . نفس الباب.

قال البخاري : (حدثنا أبو النعمان ، حدثنا حماد ، حدثنا منصور بن المعتمر (ح = حيلولة) ، وحدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : كنت أفتل قلائد الغنم للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فيبعث بها ثم يمكث حالاً)^(٤).

أقول : ذكر ابن حجر إعلال بعض المخالفين حديث الباب ، بأنّ الأسود تفرد عن عائشة بتقليد الغنم دون بقية الرواة عنها من أهل بيتها وغيرهم. قال المنذري وغيره : ليست هذه بعلة لأنّه حافظ ثقة لا يضرّه

(١) صحيح البخاري ٢ / ١٦٩ ح ٢ ط بولاق.

(٢) نفس المصدر.

(٣) من شاء الاستزادة فليرجع إلى فتح الباري ٤ / ٢٩٥.

(٤) صحيح البخاري ٢ / ١٧٠ ح ٣ ط بولاق.

التفرد^(١) (؟)

٧ . الباب نفسه .

قال البخاري : (حدثنا أبو نعيم ، حدثنا زكرياء ، عن عامر ، عن مسروق ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : فتلت لهدى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، تعني القلائد قبل أن يحرم)^(٢) .

٨ . باب (القلائد من العهن) .

قال البخاري : (حدثنا عمرو بن علي ، حدثنا معاذ ، حدثنا ابن عون ، عن القاسم ، عن أم المؤمنين رضي الله عنها قالت : فتلت قلائدها من عهن كان عندي)^(٣) .
أقول : وقد أشار ابن حجر في (فتح الباري) إلى تفاوت رواية يحيى في الباب ، كما أشار إلى رواية مسلم للحديث عن ابن عون مثله وزاد : (فأصبح فينا حالاً يأتي ما يأتي الحلال من أهله)^(٤) !

وهذه الزيادة كشفت لنا غممة الأحاديث السابقة في أقوال عائشة : (وما حرم عليه شيء كان أحلّ له) ، أو (لا يجتنب شيئاً مما يجتنبه المحرم) ، أو (فما حرم عليه شيء كان له حلّ) ، أو قولها : (فيقيم في أهله

(١) فتح الباري ٤ / ٢٩٦ .

(٢) صحيح البخاري ٢ / ١٧٠ ح ٤ ط بلاق .

(٣) نفس المصدر .

(٤) فتح الباري ٤ / ٢٩٦ .

حلالاً ، أو ثمّ يمكث حلالاً).

وبعد هذا العرض نترك المقارنة لمن أحبّ ، ليعرف كيف التلاعب بألفاظ الحديث عند الرواة ، من دون حياء.

والآن إلى نقاط على الحروف :

إذا ما رجعنا ثانية إلى الحديث وقرأناه قراءة ثانية ومنتأية تساقطت من أجوائه المسائل

التالية :

١ . ما بال زياد يكتب إلى عائشة في ذلك؟! وكان الأحرى به وقد أصبح ابن أبي سفيان أن يكتب إلى أخته أم حبيبة؟ أليس كذلك؟ فهي أخته فيما يزعمون ، وهي من أمهات المؤمنين ، ولا يخفى عليها ذلك من فعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فإن لم تكن فتلت القلائد مرّة ، فلا أقلّ أنّها رأت أو سمعت من النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك شيئاً. وهذه عاشت كثيراً من سنّي ولاية زياد وأدرك هو حياتها فقد ماتت سنة ٥٩ هـ كما في (إسعاف المبطل) (١).

٢ . هل أنّ أحاديث عائشة كلّها لواقعة واحدة؟ فإن كانت فلماذا تفاوتت صورها ، وقد بلغت عند مسلم عشرة أحاديث ومرّت ثمانية منها عند البخاري؟ أو هي وقائع متعددة؟ فإن كانت كلّها لواقعة واحدة ، فلماذا اختلفت إختلافاً فاحشاً حتى في رواية الراوي الواحد عن عائشة وفي المصدر الواحد؟

فأنظر روايات عمرة وعروة والقاسم والأسود ، وقارن بين رواياتهم

(١) إسعاف المبطل / ٣٥.

على انفراد فضلاً عن مقارنتها بروايات بعضهم مع بعض؟ وإن كانت لوقائع متعددة فما بال عائشة وحدها تتولى قتل القلائد دون بقية الزوجات في جميع تلك السنين؟
على أنه من المستبعد جداً أن لا يكون قد شاركتها مرة غيرها في ذلك القتل العظيم الذي خصت نفسها به!

وأبعد من ذلك كله عدم ورود حديث واحد عنهن يؤيد ذلك الإختصاص!

٣ . ثم ما بالها لم تذكر . ولو لمرة واحدة . اسم الشخص الذي كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يرسل معه الهدي ، وما ذكرت غير أبيها؟ فهل يعني ذلك أنه وحده كان يتولى سياق الهدي كما كانت ابنته تتولى قتل القلائد في جميع سني الهجرة؟ وهذا ما يكذبه الوجدان ، لأنه لم يذهب إلى مكة أو إلى منى بعد الهجرة إلا وهو مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم سواء في عمرة القضاء أو في حجة الوداع ، وفي كليهما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم موجوداً يتولى هديه بنفسه .

ولو سلمنا جدلاً زعم بعض علماء التبرير أنه كان ذلك في السنة التاسعة . وهي سنة تبليغ براءة . بحجة ذهابه أميراً على الموسم ، فما بال الرواة وعلماء التبرير ألبسوا عن مصير الهدي عندما لحقه الإمام عليه السلام وأبلغه أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأخذ منه الآيات فرجع أبو بكر إلى المدينة ، كيف صار الهدي هل أرجعه معه؟ أو أخذه علي عليه السلام كما أخذ آيات براءة؟ أو أرسله أبو بكر مع آخرين غير علي عليه السلام؟ وهكذا استفهام بعد استفهام ، هذا كله

إذا صدقت تلکم الأحلام.

ولکي یستبین زیف ذلك الزعم ، فلنقرأ فی ذلك ما رواه عبد الله بن أحمد فی زیادات

المسند :

(قال عبد الله بن أحمد : حدثنا محمد بن سليمان لوین ، حدثنا محمد ابن جابر ، عن سماك ، عن حنش ، عن عليّ ، قال : لما نزلت عشر آيات من براءة عليّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، دعا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، فبعثه بما ليقراها على أهل مكة ، ثمّ دعاني النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال لي : (أدرك أبا بكر فحيثما لحقته فخذ الكتاب منه فاذهب به إلى مكة فاقرأه عليهم) ، فلحقته بالجحفة ، فأخذت الكتاب منه ورجع أبو بكر إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال : يا رسول الله نزل فيّ شيء؟ قال : لا . ولكن جبريل جاءني فقال : لن يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك)^(١).

ونعود إلى أوّل السؤال ، لو سلّمنا جدلاً أن أباهما تولى كان ذلك في السنة التاسعة ، فمن هم أولئك الذين تولوا المهمة في باقي السنوات؟ ولماذا لم تذكرهم؟ وهي لا تخلو إمّا أن تكون تعلمهم وكتمت أسماءهم لحاجة في نفسها . كما فعلت ذلك في حديث آخر وذلك في مرض النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فذكرت خروجه يتوكأ على رجلين الفضل بن العباس ورجل ، فسأل السامع ابن عباس فأخبره أنّه عليّ ، ولكن عائشة لا تطيب لها نفس أن تذكره . وهذا لا يليق بها!

وإمّا أن تكون لا تعلمهم وهو بعيد غاية ، كيف وابن عباس كان يعلم

(١) زيادات المسند ١ / ٣٢٢ برقم ١٢٩٦ .

بعضاً منهم ، فيذكر ذويب الخزاعي منهم ، وناجية الأسلمي منهم^(١) (؟)
 وأعود إلى الأفغاني الذي استدرجني إلى هذه الجولة لأقول له في الختام :
 رأيت كيف كان ابن عباس أوعى وأذكى وأزكى في حديثه حين سمى من عرفهم ،
 وهو لم يقتل فتلاً ولا حبلاً ولا دق طبلاً (!!!؟)
 وأما فتياه فقد كانت هي الفتيا الصحيحة ، ورأيه هو الصواب ، وهو على رأي الإمام
 عليه السلام ورأي عمر وابنه وقيس بن سعد ، وهؤلاء كلهم من الصحابة بينهم خليفتان ،
 مضافاً إلى نفر من فقهاء التابعين كالنخعي وعطاء وابن سيرين وآخرين .
 وحسب ابن عباس أنه كان على رأي عليّ أمير المؤمنين عليه السلام الذي هو مع
 الحقّ والحقّ معه كما قال صلى الله عليه وآله وسلم^(٢) ، ولو بحثنا عن جذور المسألة تاريخياً

(١) راجع المحلى لابن حزم ٧ / ٢٦٩ عن ابن عباس قال بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع فلان
 الأسلمي ثماني عشرة بدنة ... وفي سنن ابن ماجه ٢ / ١٠٣٦ برقم ٣١٠٥ عن ابن عباس ان ذويماً الخزاعي
 حدث ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يبعث معه بالبدن ... وفي سنن أبي داود والترمذي والنسائي وابن
 ماجه سمي الأسلمي وهو ناجية ، وقال الترمذي : حديث ناجية حديث حسن صحيح . وفي المبسوط للسرخسي
 الحنفي ٤ / ١٤٥ : ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعث عام الحديبية الهدايا على يد ناجية بن جندب
 الأسلمي ...

(٢) تاريخ بغداد ١٤ / ٣٢١ بسنده عن أبي ثابت مولى أبي ذر قال دخلت على أم سلمة فرأيتها تبكي وتذكر
 علياً فقالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : (عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ ولن يفترقا حتى
 يردا عليّ الحوض يوم القيامة) ، وهذا ما رواه سعد بن أبي وقاص أيضاً وقد قال سمعت في بيت ام سلمة ،
 فأرسل معاوية إلى أم سلمة فسألها فقالت قد قاله رسول الله في بيتي ، فقال معاوية لسعد : ما كنت عندي قط
 ألوم منك الآن فقال : ولم؟ قال : لو سمعت

لوجدناها من أيام كان ابن عباس بالمدينة قبل أن يخرج منها مع الإمام عليه السلام فكان يبعث هديه ويتجرّد كما كان يفعل ذلك الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً.

فقد روى الشيخ الطوسي في (التهذيب) بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام قال : (أنّ ابن عباس رضي الله عنه وعليّاً عليه السلام كانا يبعثان بهديهما من المدينة ثمّ يتجرّدان ، وإن بعثا بهما من أفق من الآفاق واعدّا أصحابهما بتقليدهما وإشعارهما يوماً معلوماً ، ثمّ يمسكان يومئذ إلى يوم النحر عن كلّ ما يمسك عنه المحرم ، ويجتنبان كلّ ما يجتنب المحرم ، إلاّ أنّه لا يلي إلاّ من كان حاجاً أو معتمراً)^(١). والحديث صحيح الإسناد^(٢).

وقد استمر كذلك حتى في أيام ولايته على البصرة ، كما سيمرّ مزيد بيان عن ذلك في تاريخ ولايته.

(الحديث الثاني) :

عن ابن عباس . وهذا أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الحج باب التقصير في العمرة . وهو صحيح السند وواضح الدلالة^(٣).

وأما حكاية قول البيهقي : (قد قرنا ...) فذلك قاله عقب حديث ابن

من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لم أزل خادماً لعليّ حتى أموت. أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ / ٢٣٦ ، ولم يسم معاوية بل كنى عنه بأحد وبالرجل. وهذه سجية علماء التبرير في كل زمان ومكان.

(١) تهذيب الأحكام ٥ / ٤٢٤.

(٢) كما في الجواهر ٢٠ / ١٦٠ ط الآداب النجف.

(٣) صحيح مسلم ٤ / ٥٨ ط صحيح.

عباس ولفظه : (قد روينا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم عن أبي ذر ما دلّ على أنّ فسحهم للحج بالعمرة كان خاصاً للركب من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وأنّ غيرهم إذا حجّوا أو قرنوا ثم طافوا طواف القدوم لم يخلّوا حتى يكون يوم النحر فيحلّون بما جعل به التحلل والله أعلم ...

ثم ساق حديث ابن عمر (١).

أقول : ومن الغريب من البيهقي أن يذكر هذا! وهو الذي روى في باب من أختار التمتع بالعمرة إلى الحج... حديث مسلم في صحيحه عن مجاهد ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال : (هذه عمرة استمتعنا بها فمن لم يكن معه هدي فليحلّ الحلّ كلّه فقد دخل العمرة في الحج إلى يوم القيامة) (٢).

وأوضح من ذلك حديث عائشة . وقد أخرج مسلم في الصحيح أيضاً . قالت : (قدمنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأربع أو لخمس مضمين من ذي الحجة ، قالت : فدخل عليّ يوماً وهو غضبان ، قلت : من أغضبك يا رسول الله أدخله الله النار (٣)؟ قال : (أما شعرت أنّي أمرت الناس بأمر فإذا هم

(١) راجع سنن البيهقي ٥ / ٧٨ ، باب تعجيل الطواف بالبيت.

(٢) سنن البيهقي ٥ / ١٨ ط دار الفكر بيروت.

(٣) لا ينقضي العجب من أم المؤمنين فهي إذ تقول للنبي صلى الله عليه وآله وسلم (من اغضبك ادخله الله النار) فهل كان خروجها من بيتها إلى البصرة رضاً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ أولم ينهها عن ذلك كما في حديث الحوآب ثم في حربها للإمام هل كان رضاً لله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم؟ كيف وهو الذي قال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم حربك حربي وسلمك سلمتي ، بأنها أورثت الأمة معاناة التوفيق والتلفيق.

يترددون فيه) ، قال : (ولو أيّ استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقتُ الهدى حتى اشتريه ، ثم أحلّ كما حلّوا) (١).

وأوفى من ذلك حديث عطاء عن جابر بن عبد الله ، قال : (أهللنا أصحاب رسول صلى الله عليه وآله وسلم بالحج خالصاً وحده ، فقدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم صبح رابعة مضت من ذي الحجة فأمر بعد أن قدم أن نحلّ ، فقال : (أحلّوا وأصيبوا النساء) ، قال عطاء : ولم يعزم عليهم أن يصيبوا النساء ولكنته أحلّهن لهم .

قال عطاء قال جابر : فبلغه عنّا أنّنا نقول : لما لم يكن بيننا وبين عرفة إلاّ خمس ، أمرنا أن نحلّ إلى نسائنا ، فنأتي عرفة تقطر مذاكيرنا المني .. فقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم بيننا فقال : (قد علمتم أيّ أتقاكم الله ، وأصدقكم وأبرّكم ، ولولا هديي لأحللت كما تحلون ، ولو استقبلت من أمري ما استدبرت ما أهديت ، فحلّوا) ، قال : فأحللنا وسمعنا وأطعنا .

قال جابر : فقدم عليّ رضي الله عنه من سعائته ، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (بما أهللت ؟) .

قال : بما أهل به النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

قال : (فاهدي وأمكث حراماً) .

قال : فأهدى له عليّ رضي الله عنه .

قال سراقه بن مالك بن جعشم : متعتنا هذه يا رسول الله لعامنا هذا أم للأبد؟

قال : (بل للأبد) (٢).

(١) سنن البيهقي ٥ / ١٩ .

(٢) سنن البيهقي ٥ / ١٨ .

فتبين أنّ فتيا ابن عباس هي على السنّة التي أمر بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم!

فهذه الأحاديث الثلاثة أثبتت أنّ الحق كان مع ابن عباس ، وما رواه الزركشي عن عائشة وابن عمر في إنكارها على ابن عباس لا وجه له إلا التشهير به بغير حق ، فإنّ ابن عباس لم يقل لا يجوز الطواف قبل الإتيان بعرفة كما شهروا به ، بل صريح ما رواه الزركشي وقبله البيهقي ، وأخرجه مسلم : عن عطاء ، عن ابن عباس كان يقول : (لا يطوف بالبيت حاج ولا عن حاج إلاّ حلّ) . وبقية إستدلال عطاء يكشف عن مراد ابن عباس هو للحاج المتمتع وليس للقارن .

(الحديث الثالث) :

ومداره حول رواية البيهقي في إستفتاء ابن عباس من عائشة وأم سلمة حول إجراء عملية جراحية لعينه فنهتاه ، وأيضاً حول رواية الحاكم في (المستدرك) في إستفتاءه من عائشة وأبي هريرة وغيرهما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الموضوع نفسه .

وهذا قد سبق مني الكلام فيه في الجزء الرابع من الحلقة الأولى في عنوان : (وبيضت عيناه من الحزن) ^(١) ، وذكرت هناك بعض الخطب حول سبب العمى ، حيث قالوا : كان سبب عماء رؤية الملك ، وفندت ذلك .

والآن قالوا سبب عماء مبالغته في إيصال الماء إلى داخل عينيه ، حيث

(١) موسوعة عبد الله بن عباس / الحلقة الأولى / ٤ / ٣٠٢ .

يرى وجوب ذلك كما في (تفسير الرازي) (١) ، ووعدت بالتحقيق في هذه المسألة في الحلقة الثانية. وحان وقت إنجاز الوعد ، فأقول :

لقد وقع الخلط في هذه المسألة (إيصال الماء إلى داخل العين في غسل الوجه) :

فقال أصحاب الشافعي : إنه مستحب ، وحكي عن ابن عمر مثل ذلك (٢).

قال القرطبي في تفسيره : (وأما العينان فالناس كلهم مجمعون على أنّ داخل العينين لا يلزم غسله ، إلا ما روي عن عبد الله بن عمر أنه كان ينضح الماء في عينيه ، وإنما سقط غسلهما للتأذي بذلك والحرص به .

قال ابن العربي : ولذلك كان عبد الله بن عمر لما عمي يغسل عينيه إذ كان لا يتأذى بذلك) (٣).

وقال الجصاص الحنفي في (أحكام القرآن) : (فإن قيل أنّ ابن عمر كان يدخل الماء عينه في الجنابة؟ قيل له : لم يكن يفعله على وجه الوجوب ، وقد كان مصعباً على نفسه في أمر الطهارة يفعل فيهما ما لا يراه واجباً ، قد كان يتوضأ لكل صلاة ويفعل أشياء على وجه الإحتياط لا على وجه الوجوب) (٤).

وقال السرخسي الحنفي في (المبسوط) : (وحدّ الوجه من قصاص

(١) تفسير الرازي ١١ / ١٥٧ .

(٢) الخلاف ١ / ٨٥ .

(٣) تفسير القرطبي ٦ / ٨٤ .

(٤) أحكام القرآن ٢ / ٣٦٦ - ٣٦٧ .

الشعر إلى أسفل الذقن إلى الأذنين ، لأنّ الوجه أسمى لما يواجه الناظر إليه ، غير أنّ إدخال الماء في العينين ليس شرط ، لأنّ العين شحم لا يقبل الماء .

وفيه أيضاً : فمن تكلف له من الصحابة رضوان الله عليهم كُفّ بصره في آخر عمر كابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم (١) .

وقال الكاساني في (بدائع الصنائع) : (وإدخال الماء في داخل العينين ليس بواجب ، لأنّ داخل العين ليس بوجه ، لأنّه لا يواجه إليه ، ولأنّ فيه حرجاً ، وقيل أنّ من تكلف لذلك من الصحابة كفّ بصره كابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم) (٢) .

وقال أيضاً : (واحتج بحديث ابن عباس رضي الله عنه أنّ طبيباً قال له بعد ما كفّ بصره : لو صبرت أياماً مستلقياً صحت عيناك . فشاور عائشة وجماعة من الصحابة رضي الله عنه فلم يرخصوا له في ذلك ، وقالوا له : رأيت لو ممّت في هذه الأيام كيف تصنع بصلاتك؟ ...

ثم قال الكاساني : وتأويل حديث ابن عباس رضي الله عنه : أنّه لم يظهر لهم صدق ذلك الطبيب فيما يدعي (٣) .

هذه جملة ممّا قالوه في سبب عماه . وقد أبعدهم مرمى حجارتهم حتى نالت ابن عمر أيضاً فجعلوه أعمى ، وهذا لم يذكره مترجموه في ترجمته ، راجع (الإصابة) ، و (الإستيعاب) ، و (أسد الغابة) ، وطبقات ابن سعد .

(١) المبسوط ١ / ٦ .

(٢) بدائع الصنائع ١ / ٨٧ .

(٣) نفس المصدر ١ / ٣١٦ .

وأما عن سبب عمى ابن عباس ، فقد ذكرت في الجزء الرابع من الحلقة الأولى ما يعني عن إعادته.

وأما عن مشاورته عائشة وأم سلمة وأبا هريرة وجماعة من الصحابة فلم يرخصوا له في إجراء العملية ، وقالوا له : أرايت إن متّ في هذه الأيام كيف تصنع بصلاتك؟
وبهذا أثبت الراوي جهل ابن عباس بوظيفته الشرعية ، فهو لا يعلم كيف يعمل فيستفتي عائشة وأبا هريرة وبعض الصحابة!!

فأين أثر دعاء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم له بأن يفقهه في الدين ويعلمه الحكمة؟!

وأيّن صارت شهادة عائشة في سنة (٣٥ هـ) فسألت : من ولي أمانة الموسم؟ فقيل لها : ابن عباس ، قالت : أنه أعلم الناس بالحج! فكيف صار الآن لا يعرف تكليفه الشرعي؟!

وهو الذي قال عنه طاووس : (رأيت سبعين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا تداروا صاروا إلى قول ابن عباس).

وقد مرّت بنا هذه الأقوال وغيرها في الجزء الثاني من هذه الحلقة فراجعها تجدها مع مصادرها.

وقد قرأنا شواهد ومشاهد في أعقاب حرب الجمل فيها مواقف متشنجة بين ابن عباس وعائشة ، فكيف نستغفل عقولنا ونقبل ما رواه الرواة ممن طُبعوا على حبّ أم المؤمنين ، فصارا يبنون لها أهرامات من الفضائل تفوق أهرامات مصر الفرعونية!

(الحديث الرابع) :

ما رواه الزركشي عن ابن عباس في بدعية صلاة ركعتين بعد العصر ، حيث روي : (أنّ معاوية صلى صلاة العصر ثم قام ابن الزبير فصلى بعدها ، فقال معاوية : يا ابن عباس ما هاتان الركعتان؟ فقال : بدعة وصاحبها صاحب بدعة ، ولما فرغ ابن الزبير سألهما عما قالاه فأخبراه ، قال : ما ابتدعت ، ولكن حدثني خالتي عائشة. فأرسل معاوية إليها ، فقالت : صدق ، حدثني أم سلمة ، فأرسل إلى أم سلمة : أنّ عائشة حدثتنا عنك بكذا ، فذكرت أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم صلى ذات يوم بعد العصر (فقامت وراءه فصليت) فلما أنفتل قال : ما شأنك؟ قلت : رأيتك يا نبي الله صلى الله عليه وسلم فصليت معك ، فقال : إنّ عاملاً لي على الصدقات قدم عليّ فجمعت عليه).

ثم روى الزركشي عن الصحيحين ، عن كريب : أنّ ابن عباس وابن أزهر والمسور أرسلوا إلى عائشة لأتهم أخبروا أنّهم فصلوها والنبي صلى الله عليه وآله وسلم نهي عنها ، فقالت : سلوا أم سلمة ... ثم ذكر نحو ما سبق.

فهذا الحديث يدلّ على مخالفة عائشة لنهي النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الإتيان بهما ، وأنّ ابن عباس كان هو وعمر يضربان الناس عنها. فالأحرى أن يعدّ الزركشي هذا الحديث ممّا إستدركه ابن عباس على عائشة لا العكس! لكن الزركشي شغوف بملزمة أخبار عائشة مع الصحابة وإن إستلزم ذلك توهيناً لها من حيث يدري ولا يدري.

(الحديث الخامس) :

ما رواه الزركشي عن ابن عباس فهو لا يستبطن كذبه متناً فقط ، بل تكفي آفة سنده ، فقد أعلّله المنذري بيزيد بن أبي زياد ، وقال غير واحد من الأئمة أنّه لا يحتج بحديثه ، ومهما يكن حال السند ، فإنّ ما رواه ابن عباس كما في المتن هو أولى بالقبول لحضوره مع أهل البيت مراسيم الدفن.

ولكن هلّم الخطب فيما روته عائشة فهو محلّ الشك في صدقه ، إذ لم تكن حاضرة حين التكفين! أليس هي التي كانت مع النساء اللواتي يلتمن كما تقول هي فيما رواه أحمد في مسنده عنها ، قالت : (مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين سحري ونحري ، وفي دولتي لم أظلم فيه أحداً ، فمن سفهي وحادثة سني أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبض وهو في حجري ، ثم وضعت رأسه على وسادة وقمت التدم مع النساء وأضرب وجهي) (١) ، وقد قالت أيضاً : (ما علمنا بدفن رسول الله حتى سمعنا صوت المساحي من جوف الليل (ليلة الأربعاء ..)) (٢).

فمتى حضرت التكفين ورأت ثياب الكفن؟!

فكلّ ما ورد عنها في هذا الشأن مشكوك في صحته ، لأنّها تريد إستبعاد عليّ عليه

السلام وأهل البيت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

(١) مسند أحمد ٦ / ٢٧٤ .

(٢) الإستيعاب ١ / ٤٧ .

وأنكى من ذلك إستبدالهم بآل أبي بكر! فهلمّ وأقرأ ما روته من خبر الحلة التي اشتريت ليكفن فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فأدرجوه فيها ثم نزعت عنه. فلنقرأ الخبر برواية ابن قدامة المقدسي الحنبلي في كتابه (المغني) وهو غير متهم عليها ، فقال في الخبر : (وهو أصح حديث روي في كفن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وعائشة أقرب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأعرف بأحواله ، ولهذا لما ذكر لها قول الناس أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كُفن في برد ، قالت : قد أتى بالبرد ولكنهم لم يكفونوه فيه ، فحفظت ما أغفله غيرها. وقالت أيضاً : أدرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حلة يمنية كانت لعبد الله بن أبي بكر ، ثم نزعت عنه ، فرجع عبد الله بن أبي بكر الحلة وقال : أكفن فيها ، ثم قال : لم يكفن فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتصدق بها . قال ابن قدامة : رواه مسلم (١).

أقول : فهل تطلب أثراً بعد عين ، وتريد سخفاً بعد مَيّن؟

فعائشة وعبد الله بن أبي بكر بطلا الحضور في الإحتضار والتكفين! وليذهب أهل البيت عليهم السلام جميعاً في غيابات الحقد الدفين ، كما تريد أم المؤمنين ، وليكتب الزركشي ما يزرکش به أخبارها ولو على حساب الآخرين. على أن ابن شهاب الزهري . وهو غير متهم على عائشة . قال : ولم يله إلا أقاربه (٢).

(١) المغني ٢ / ٣٢٩ .

(٢) أنظر دلائل النبوة للبيهقي ٧ / ٢٣٤ ، عن هامش ، التمهيد لابن عبد البر ٩ / ٣٥٨ ط الإحياء للتراث العربي .

(الحديث السادس) :

ما رواه الزركشي عن عكرمة عن ابن عباس في حديث (رأى ربّه مرتين) ، وإنكار عائشة عليه الرؤية ، والخبر الذي رواه في سنده من قال فيه ابن المبارك : أرم به ، لكن الزركشي لم يرم به ، بل أطال في جميع ما يتعلق بالموضوع وحكى قول ابن خزيمة : أنّ الخطاب وقع لعائشة على قدر عقلها .

وحكى قول أحمد : ما زلت منكراً لهذا الحديث وما أدري ما وجهه .

ثم الحديث في متنه : (قال ابن عباس : (رأى محمد ربّه) ، وابن عباس لم يكن يقول بالرؤية البصرية كما هو واضح من لفظ الحديث الذي ذكره الزركشي نقلاً عن الترمذي في التفسير ، وهو مخالف لقول الله تعالى : (لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)^(١) .

وفي سنده من هو مخدوش ، ورواية مسلم له في الصحيح لا تضي عليه شرعية أبداً . فكم في كتابي الصحيح من حديث غير صحيح . وسيأتي عن ابن عباس في جواب نجدة بن عامر . عويمر . الخارجي وقد سأله : (كيف معرفتك برّبك ؟ ... فأجابه ... أعرفه بما عرّف به نفسه تبارك وتعالى من غير رؤية ، وأصفه بما وصف به نفسه ، لا يدرك بالحواس ، ولا يقاس بالناس ...) ، فهذا ينفي صحة نسبة القول بالرؤية البصرية إليه ، وسيأتي خبره مع نجدة فيما يأتي .

(١) الأنعام / ١٠٣ .

ومجرد رواية الترمذي عن عكرمة ذلك ، لا يضيف عليه الصحة.
ولم لا يكون الخبر من بعض أكاذيب عكرمة على مولاه ، وقد مرّت بعض الشواهد
على ذلك ، كما سيأتي غيرها.

(الحديث السابع) :

ما ذكره الزركشي في إحالة ابن عباس معرفة الوتر عليها . في حديث رواه مسلم في
صحيحه . وأنّ سعد بن هشام سأل ابن عباس عن الوتر ، فقال : (ألا أنبئك بأعلم أهل
الأرض بوتر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال : نعم ، قال عائشة)^(١).

أقول : إنّ هذا الحديث الذي ذكره لا يصح الإعتماد عليه! لإختلاف النقل عن
عائشة ، فقيل : الإختلاف منها ، وقيل : هو من الرواة عنها ، كما ذكره الزركشي نفسه.

وكيف نصدّق نحن بالخبر ، وابن عباس الذي كان يبيت في بيت خالته ميمونة
ليحفظ ما يأتي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من صلاة وأذكار . وقد مرّت في الحلقة
الأولى في الجزء الأوّل عدّة شواهد على هذا . فكيف صار لا يعلم عن صلاة الوتر شيئاً حتى
أحال على أعلم أهل الأرض؟ يا لها من دعوى عريضة مريضة!!

لكن زوامل الأسفار يكتبون ما راق لهم ، أو يملئ عليهم من السلطات الحاكمة من
رفعهم عائشة إلى مقام لم تكن فيه عاملة ولا حاملة.

(١) صحيح مسلم ٢ / ٢٦٩ ط صحيح.

(الحديث الثامن) :

ما ذكره الزركشي من حديث عائشة وقد ردت على ابن عباس قراءته قوله تعالى : (**وَطَّنُوا أَهْمُ قَدْ كُذِّبُوا**) بالتخفيف ، فذكر الزركشي ما أخرجه البخاري في صحيحه في التفسير عن ابن أبي مليكة قال ابن عباس : (**حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَطَّنُوا أَهْمُ قَدْ كُذِّبُوا**)^(١) الخ بالتخفيف ... إلى آخر الخبر ، بينما كانت عائشة تقرؤها (**كُذِّبُوا**) مثقلة .

أقول : ما مرّ من إختلاف القراءة فيه نظراً! فإنّ القراءة بالتخفيف هي قراءة أهل البيت عليهم السلام عليّ وزين العابدين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وزيد بن علي وابن عباس ، وهي أيضاً قراءة ابن مسعود وسعيد بن جبيرة وعكرمة والضحاك والأعمش وغيرهم ، وهي قراءة أهل الكوفة^(٢) .

وقد أطنب الطبري في تفسيره ، فساق ثماني عشرة رواية عن ابن عباس مؤداها متفق عليه بين الرواة عن ابن عباس ، وأولها بسند الطبري ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن ابن عباس ، في قوله : (**حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَطَّنُوا أَهْمُ قَدْ كُذِّبُوا**)^(٣) ، قال : (لما أيسر الرسل أن يستجيب لهم قومهم ، وظنّ قومهم أنّ الرسل قد كذبوهم جاءهم النصر على ذلك ، فننجي من نشاء)^(٤) .

(١) يوسف / ١١٠ .

(٢) مجمع البيان ٥ / ٤٦٥ ط الأعلمي .

(٣) يوسف / ١١٠ .

(٤) تفسير الطبري ١٣ / ٨٢ - ٨٣ .

وما جاء في بعضها أنّ ابن عباس قال : إنهم - أي الأنبياء - بشر ، أي أنهم هم الذين ظنوا ، فهذا وهم في الفهم ، فابن عباس لم يقل ذلك.

وقد ورد في (عيون أخبار الرضا عليه السلام) للشيخ الصدوق ، بسنده : عن علي بن محمد بن الجهم : أنّ المأمون قال لأبي الحسن - الرضا عليه السلام - : فأخبرني عن قول الله تعالى : (**حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا**)^(١)؟ قال الرضا عليه السلام : يقول الله : حتى إذا استيأس الرسل من قومهم فظن قومهم أنّ الرسل قد كذبوا ، جاء الرسل نصرنا.

وهذا هو عين ما رواه ثلاثة من تلاميذ ابن عباس ، كما في (الدر المنثور) للسيوطي في تفسير الآية ، قال : (أخرج ابن جرير ، وابن المنذر ، عن ابراهيم ، عن أبي حمزة الجزري ، قال : صنعت طعاماً فدعوت ناساً من أصحابنا منهم : سعيد بن جبير ، والضحاك بن مزاحم ، فسأل فتى من قريش سعيد بن جبير ، فقال : يا أبا عبد الله كيف تقرأ هذا الحرف ، فإني إذا أتيت عليه تمنيت أني لا أقرأ هذه السورة .. (**حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا**)؟ قال : نعم ، حتى إذا استيأس الرسل من قومهم أن يصدّقوهم وظنّ المرسل إليهم أنّ الرسل قد كذبوا .. فقال الضحاك : لو رحلت في هذه إلى اليمن لكان قليلاً)^(٢).

ومهما يكن فحسب القارئ من فقاهاة السيدة عائشة أنّها لم تكن ترى

(١) يوسف / ١١٠ .

(٢) الدر المنثور ٤ / ٤١ .

نفسها أم المؤمنين رجلاً ونساءً! بينما كانت أم المؤمنين أم سلمة ترى أنّها أم المؤمنين رجلاً ونساءً. أخرج ابن سعد في (الطبقات) بسنده : (عن مسروق ، عن عائشة في قوله :) **النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ** ^(١). قال : فقالت لها امرأة : يا أمه ، فقالت عائشة : أنا أم رجالكم ولست أم نسائكم ، قال : فذكرت هذا الحديث لعبد الله بن موسى المخزومي ، فقال : أخبرني مصعب بن عبد الله بن أبي أمية عن أم سلمة ، أنّها قالت : أنا أم الرجال منكم والنساء) ^(٢).

أقول : وأحسب أنّ عائشة قالتها في ساعة غضب على النساء اللاتي كنّ يسألنها عن شرعية خروجها في حرب الجمل كأ م جميع وأضرابها. وإلى هنا فلنترك الأفغاني ونبعده قصياً ، بعد أن قرأناه نسيّاً وفريّاً. ولنبرّص القارئ بأنّ الزركشي لم يكن دقيقاً في إختياره اسم كتابه ، إذ تبين أنّ ما ذكره تحت عنوان (استدراكها على ابن عباس) لم يكن خالياً من الإلباس ، وما ذكره لو يصح ولا يصح . لا يعني أنّ بين عائشة وابن عباس من الوثام ما يصح معه زعم التواصل والتساؤل في الأحكام ، بل أنّ ابن عباس وعائشة عاشا بعد حرب الجمل متهاجرين تقريباً ، وبقيا على حالهما كذلك حتى ماتت عائشة ، ولعلّه اشتدت المهاجرة والمخاصمة في عهد معاوية حين تناصرت هي وإياه على عداوة أهل البيت عليهم السلام. وكان ابن

(١) الأحزاب / ٦ .

(٢) الطبقات الكبرى ٨ / ١٢٨ .

عباس رجل الساعة والساحة المناصر لأهل البيت عليهم السلام ، كما يظهر بوضوح من مواقفهم مع الأمويين وشيعتهم ، كما كانت عائشة تدعمهم فيما ترويه لهم من أحاديث ، والشواهد على ذلك متوفرة.

فقد أخرج الحافظ الكنجي الشافعي في (كفاية الطالب) وعنه الأربلي في (كشف الغمة) قال : (روى الكنجي بسنده المنتهى إلى أبي صالح قال : ذكر علي بن أبي طالب عليه السلام عند عائشة وابن عباس حاضر ، فقالت عائشة : كان من أكرم رجالنا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

فقال ابن عباس : وأي شيء يمنعه عن ذلك؟ اصطفاه الله لنصرة رسوله ، وارتضاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأخوته ، واختاره لكريمته ، وجعله أبا ذريته ووصيّه من بعده ، فإن ابتغيت شرفاً فهو في أكرم منبت وأورق عود ، وإن أردت إسلاماً فأوفر بحظه وأجزل بنصيبه ، وإن أردت شجاعته فبهمه حرب وقاضية حتم ، يصافح السيوف أنساً ، لا يجد لوقعها حساً ، ولا ينهه نعمة ، ولا تفلح الجموع ، الله ينجده ، وجبرئيل يرفده ، ودعوة الرسول تعضده ، أحدّ الناس لساناً ، وأظهرهم بياناً ، وأصدعهم بالصواب في أسرع جواب ، عظته أقلّ من عمله ، وعمله يعجز عنه أهل دهره ، فعليه رضوان الله ، وعلى مبغضيه لعائن الله) (١).

وإنّما قال ابن عباس رضي الله عنه هذا لأنّه كان يعلم من عائشة موقفها المتشنج إزاء أهل البيت عليهم السلام خصوصاً الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وحتى

(١) كشف الغمة ١ / ٣٦٣ ، كما في البحار ٤٠ / ٥١ ط الجديدة.

الحسن والحسين عليهما السلام ، فلم تكن تأذن لهما بالدخول عليها ، وإذا أذنت احتجبت منهما ، وكان ابن عباس يشجب موقفها هذا ، فقد أخرج ابن سعد في (الطبقات الكبرى) بسنده عن عكرمة قال : (سمعت ابن عباس يقول . وبلغه أنّ عائشة احتجبت من الحسن بن علي . فقال : إنّ رؤيته لها حلّ) (١).

وقد مرّت بنا في الجزء الخامس من الحلقة الأولى محاورة ابن عباس مع عائشة عند موت الحسن عليه السلام فليرجع القارئ إليها. فهي محاورة تكشف عن مبلغ التشنج عند الطرفين المتباعدين المتباغضين.

وقد إستدام حقد عائشة حتى عند موتها ، فقد أخرج أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن ذكوان مولى عائشة : (أنّه استأذن لابن عباس على عائشة وهي تموت وعندها ابن أخيها عبد الله بن عبد الرحمن ، فقال : هذا ابن عباس يستأذن عليك وهو من خير بنيك .

فقلت : دعني من ابن عباس ومن تركيته .

فقال لها عبد الله بن عبد الرحمن : إنّّه قارئ لكتاب الله فقيه في دين الله ، فأئذني له فليسلم عليك وليودّعك .

قلت : فأئذن له إن شئت .

قال : فأذن له ، فدخل ابن عباس ثم سلّم وجلس ، وقال : أبشري أم المؤمنين ..

(١) الطبقات الكبرى ٨ / ١٢٨ ط ليدن.

فقلت : دعني يا بن عباس من هذا ، فوالله لو ددت أتيّ كنت نسيّاً منسياً (١) (٢).
فقد جزعت حين احتضرت. ففيل لها ، فقلت : أعترض في حلقي يوم الجمل (٣).
وإلى هنا ننهي الحديث عن ابن عباس مع عائشة ، ونستقبل بقية محاوراته مع معاوية
وأشباعه.

(١) مسند أحمد ١ / ٣٤٩ ط الأولى و ٥ / ٩٠ برقم (٣٢٦٢) ط شاكر.

(٢) قال شاكر : في هامش الحديث برقم (٢٤٩٦) إسناده صحيح وهو مطول ١٩٠٥ ، ورواه البخاري ٨ /
٣٧١ - ٣٧٢ مختصراً.

(٣) ربيع الأبرار للزمخشري ٣ / ٣٤٥.

محاورات ابن عباس مع معاوية

قميصَ عثمان أضحى مضربَ المثل
 في كلِّ واقعة كذباً مخادعةً
 لو ينشر اليوم عثمانٌ لطالبهم
 فليته لو وعى نصحاً لجنبه
 فكان ما كان من أمرٍ تخيره
 فأورث الناس آلاماً بمقتله
 فأول القوم من نادوا بمقتله
 هم ناقموا الأمس قد جاؤا بأثمهم
 وعاهل الشام أدلى في قليبهم
 فحرب صفين قد أورى شرارتها
 حتى الطفوف وقتل السبط من ذحل
 ما ثأر عثمان أحماهم وأغضبهم
 تلکم قريشٌ لتأبى أن ترى رجلا
 لكلِّ تائفة من أخبث الحيل
 صار الشعار لعيّابين في الدؤل
 مع القصاص له بالعُثم من نفل
 تلك المآسي ولكن شاب عن عدل
 شيخٌ ضعيفٌ هوى في حمأة الزلزل
 زلّت به النعل فالتائفة بالوَحَل
 ثاروا له اليوم يا للقلب الحول
 وسيرّوا عسكراً في وقعة الجمل
 فقد رأى فرصة وافت لمهتبل
 في النهروان فأورت كُلىّ ذي شعل
 حرق الخيام بتلك النار لم يزل
 لولا الخلافة عادت للإمام عليّ
 بالأمس قاتلهم واليوم فيه يلي

فأعصبوا قتل عثمان بجريدة أبناء من سجدوا دهرًا إلى هُبل
 هذا عليّ وهذي بعضُ محتته أن يعصبوه دمًا من خاتم الرُّسل
 قال الزمخشري : قميص عثمان الذي قتل فيه ، مثلٌ فيما يهيج الحزن ويجدد الحسرة
 والبكاء ، وعن عمرو بن العاص : أنه لما أحسَّ من العسكر فتوراً أشار على معاوية بأن يبرز
 لهم قميص عثمان ، فلما وقعت عيونهم عليه ، ارتفعت صيحتهم بالبكاء والنحيب ، وجدوا
 في الحرب فعندها قال حرّك لها حوارها تحنّ^(١).

من هم قتلة عثمان؟ هل هم بنو هاشم؟ أم هم بنو أمية؟

هذا سؤال قد يثير استغراباً لدى القارئ إذ لم يرد في التاريخ أنّ واحداً من هؤلاء قد
 شارك في قتل عثمان ، مباشرة ، فلماذا إذن السؤال؟
 والجواب يُعرف من الأبيات المتقدمة ، وعلى هذا الوتر كانت أصابع معاوية تضرب
 وأبواقه تعزف بأنّ عليّاً قتل عثمان! وإذا حوقق قال : آوى قتلتته!
 ولم يكن ابن عباس بعيداً عن مرمى معاوية في حجارته لعداوته ، وسنقرأ في كثير من
 محارواته ما يدلّ على ذلك. وإذا بحثنا عن جذور تلك العداوات نجدتها متأصلة في فرعي عبد
 مناف بني هاشم وبني أمية منذ عهد بعيد ، فلنقرأ بعض ما جاء في ذلك :

(١) ربيع الأبرار ٤ / ٣٢ ط أوقاف بغداد.

إنّ من راجع كتاب (السفينانية) للجاحظ ، و (النزاع والتخاصم) للمقريزي وأضرابهما ، يجد جذور العداوة بين بني أمية وبين بني هاشم وهم من قريش ، ضاربة في أصولها متنامية في فروعها ، ولم يخف ذلك على الباحثين من قدامى ومحدثين .

فيلى ما قاله واحد منهم وهو محمد بن سليمان حاجب الحجاب ، وهذا الرجل لم يكن يتعصب لمذهب بعينه كما قال ابن أبي الحديد وقد رآه ^(١) ، فلنقرأ ما يقول وقد سأله جعفر بن مكّي الحاجب عما عنده في أمر عليّ وعثمان ، فقال : (هذه عداوة قديمة النسب بين عبد شمس وبين بني هاشم ، وقد كان حرب بن أمية نافر عبد المطلب بن هاشم ، وكان أبو سفيان يحسد محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم وحاربه ، ولم تنزل الثنتان متباغضتين وإن جمعتهما المنافية ، ثمّ إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زوّج عليّاً بابنته ، وزوّج عثمان بابنته الأخرى ، وكان إختصاص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لفاطمة أكثر من إختصاصه للبنت الأخرى ، وللثانية التي تزوجها عثمان بعد وفاة الأولى . وإختصاصه أيضاً لعليّ وزيادة قربه منه وامتزاجه به وإستخلاصه إياه لنفسه ، أكثر وأعظم من إختصاصه لعثمان ، فنفس عثمان ذلك عليه فتباعد ما بين قلوبهما ...) .

إلى أن قال : (ثمّ أتفق أنّ عليّاً عليه السلام قتل جماعة كثيرة من بني عبد

(١) وصفه ابن أبي الحديد بأنه حاجب الحجاب وقال : وكان ظريفاً أديباً وقد أشتغل بالرياضيات من الفلسفة ولم يكن يتعصب لمذهب بعينه .

شمس في حروب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فتأكد الشنآن ، وإذا أستوحش الإنسان من صاحبه أستوحش صاحبه منه .

ثم مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فصبا إلى عليّ جماعة يسيرة لم يكن عثمان منهم ، ولا حضر في دار فاطمة مع مَنْ حضر من المتخلفين عن البيعة ، وكانت في نفس عليّ عليه السلام أمور من الخلافة لم يمكنه إظهارها في أيام أبي بكر وعمر لقوّة عمر وشدّته ، وانبساط يده ولسانه .

فلما قتل عمر وجعل الأمر شورى بين الستة ، وعدل بها عبد الرحمن عن عليّ إلى عثمان ، لم يملك عليّ نفسه فأظهر ما كان كامناً ، وأبدى ما كان مستوراً ، ولم يزل الأمر يتزايد بينهما حتى شرف وتفاقم .

ومع ذلك فلم يكن عليّ عليه السلام لينكر من أمره إلا منكرًا ، ولا ينهاه إلا عما تقتضي الشريعة نهيّه عنه .

وكان عثمان مستضعفًا في نفسه ، رخوًا ، قليل الحزم ، واهي العقدة ، وسلّم عنانه إلى مروان يصرفه كيف شاء ، فالخلافة له في المعنى ولعثمان في الإسم ، فلما انتقض على عثمان أمره استصرخ عليًا ولاذ به ، وألقى زمام أمره إليه ، فدافع عنه حيث لا ينفع الدفاع ، وذبت عنه حين لا يغني الذبّ ، فقد كان الأمر فسد فساداً لا يرجى صلاحه (١) .

ومع هذه العداوة المتأصلة في جذورها كيف يبرئ معاوية وبنو أمية الإمام عليه السلام وبني هاشم ، مع أنّهم وأعوانهم كانوا يشهدون ببراءته وبراءتهم ،

(١) أنظر شرح النهج لابن أبي الحديد ٢ / ٤٠١ ط مصر الأولى .

ولكنها الأحقاد الأموية.

فاقرأ ما قاله عبد الله بن عمر لمن سأله : هل شرك عليّ في دم عثمان؟
فقال : (لا والله ما علمت ذلك في سر ولا علانية ، ولكنّه كان رأساً يفرع إليه
فألحق به ما لم يكن) (١).

واقراً لابن عمر كلمته الأخرى في حقّ ابن عباس وبراءته من دم عثمان.
قال : (ما زال ابن عباس ينهى عن قتل عثمان ويعظّم شأنه حتى جعلت ألوم نفسي
على أن لا أكون قلت مثل ما قال) (٢).

وليس عروة بن الزبير بدون ابن عمر في نصبه ، ومع ذلك فقد كان يقول : (كان
عليّ أتقى لله من أن يعين في قتل عثمان ، وكان عثمان أتقى لله من أن يعين في قتله عليّ)
(٣).

وقال ابن سيرين : (لقد قتل عثمان يوم قتل وما أحد يتهم عليّاً في قتله) (٤).
ولكن معاوية قال لابن عباس في كتاب كتبه إليه بعد صلح الإمام الحسن عليه السلام
، جاء فيه : (لعمرى لو قتلتك بعثمان رجوت أن يكون ذلك لله رضا ، وأن يكون رأياً
صواباً ، فإنك من الساعين عليه ، والخاذلين له ، والسافكين دمه ، وما جرى بيني وبينك
صلح فيمنعك مّي ولا بيدك أمان).

(١) أنساب الأشراف ١ ق ٤ / ٥٩٣.

(٢) نفس المصدر ٤ / ٥٩٥.

(٣) ربيع الأبرار للزمخشري ٣ / ٣٥٥ ط اوقاف بغداد.

(٤) أنساب الأشراف ١ ق ٤ / ٥٩٤.

فأجابه بجواب طويل جاء فيه : (وأما قولك أيّ من الساعين على عثمان والخاذلين والسافكين له وما جرى بيني وبينك صلح فيمنعك منّي ، فأقسم بالله لأنّك المتربّص بقتله والمحبّ لهلاكه ، والحابس الناس قبلك عنه على بصيرة من أمره ، ولقد أتاك كتابه وصرّخه يستغيث بك ويستصرخ ، فما حفلت به حتى بعثت إليه معذراً بأمر أنت تعلم أنّهم لن يتركوه حتى يقتل ، فقتل كما كنت أردت ، ثمّ علمت عند ذلك أنّ الناس لن يعدلوا بيننا وبينك فطفقت تنعى عثمان وتلزمنا دمه ، وتقول قتل مظلوماً ، فإن يك قتل مظلوماً فأنت أظلم الظالمين ، ثمّ لم تزل مصوّباً ومصعداً وجائماً ورايضاً تستغوي الجهّال ، وتنازعنا حقنا بالسفهاء حتى أدركت ما طلبت ، (**وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ**) (١) (٢).

نعم ، إنّ بني هاشم كانوا من الكارهين لولاية عثمان هذا أولاً ، لأنّهم يرون أنّ الحقّ لهم ، وكانوا أيضاً من الساخطين على سيرته ثانياً حين أسخط المسلمين عماله ، ولم يكونوا وحدهم قد سخطوا سيرته ، بل جميع الصحابة في المدينة وخارجها كانوا كذلك.

فقد روى شعبة بن الحجاج عن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، قال : (قلت له : كيف لم يمنع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن عثمان؟ فقال : إنّما قتله أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) (٣).

(١) الأنبياء / ١١١ .

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ٤ / ٥٨ .

(٣) نفس المصدر ١ / ٢٣١ .

وروى عن أبي سعيد الخدري أنه سئل عن مقتل عثمان هل شهده أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقال : (نعم شهده ثمانمائة)^(١).

فهذان القولان وإن لم يعيننا بالاسم من هم أولئك الصحابة الذين قتلوا عثمان ، ومن هم الذين شهدوا مقتل عثمان ولم يمنعوا عنه ، لكن من تولى كبر قتله ، لم يكن عليّ ولا ابن عباس ولا بقرية بني هاشم مع أولئك الصحابة القاتلين لعثمان ، وإذ لم يكونوا معهم ، فما بال بني أمية عصبوا قتله بهم؟ إنهم لم يكونوا مع القاتلين ولا مع المحرضين عليه ، بل كانوا من المدافعين عنه ، وقد ردّوا عنه كثيراً حتى أعجزهم هو حين لم يأخذ بنصائحهم ، وكان يتّهمهم لما في نفسه من جذور العداوة المتأصلة بين بيتي عبد مناف . بني هاشم وبني أمية ..

والآن إلى ما رواه البلاذري ، والطبري ، وابن الأثير ، وابن كثير ، والنويري ، نقلاً عن الواقدي من نصائح الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لعثمان ، نقلها بلفظ الطبري :

قال . بعد ذكر نقمة الناس وتداعي الأمصار بالنكير على سيرة عثمان . : (فاجتمع الناس وكلموا عليّ بن أبي طالب ، فدخل على عثمان ، فقال : الناس ورائي وقد كلموني فيك ، والله ما أدري ما أقول لك ، وما أعرف شيئاً تجهله ، ولا أدلك على أمر لا تعرفه ، إنك لتعلم ما علمنا ما سبقناك إلى شيء فنخبرك عنه ، ولا خلونا بشيء فنبلّغك ، وما خصصنا بأمر دونك ، وقد رأيت

(١) نفس المصدر.

وسمعت وصحبت رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم ونلت صهره .
وما ابن أبي قحافة بأولى بعمل الحق منك ، ولا ابن الخطاب بأولى بشيء من الخير
منك ، وإِنَّك أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم رجماً ، ولقد نلت من صهر
رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم ما لم ينالا . ولا سبقاك إلى شيء ، فالله الله في
نفسك ، فَإِنَّك والله ما تُبصّر من عمى ، ولا تعلم من جهل ، وإِنَّ الطريق لواضح بيّن ، وإِنَّ
أعلام الدين لقائمة ، تعلم يا عثمان أنّ أفضل عباد الله عند الله إمام عادل ، هُدي وهديّ ،
فأقام سنة معلومة ، وأمات بدعة متروكة ، فوالله إن كلاً لبين وإن السنن لقائمة لها أعلام ،
وإنّ البدع لقائمة لها أعلام ، وإنّ شرّ الناس عند الله إمام جائر ضلّ وضلّ به ، وأمات سنّة
معلومة ، وأحيا بدعة متروكة . وإِنِّي سمعت رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم يقول : (
يؤتى يوم القيامة بالإمام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر ، فيلقى في جهنم ، فيدور في
جهنم كما تدور الرجا ، ثمّ يرتطم في غمرة جهنم) .
وإِنِّي أحذرك الله ، وأحذرك سطوته ونقماته ، فإنّ عذابه شديد أليم . وأحذرك أن
تكون إمام هذه الأمة المقتول ، فإنّه يقال : يقتل في هذه الأمة إمام ، فيفتح عليها القتل
والقتال إلى يوم القيامة ، وتُلبس أمورُها عليها ، ويتركهم شيعاً ، فلا يبصرون الحقّ لعلوّ
الباطل ، يمجون فيها موجاً ، ويمرجون فيها مرجاً . فلا تكونن لمروان سيّقة يسوقك حيث
شاء بعد جلال السنّ وتقضي العمر .

فقال عثمان : قد والله علمتُ ، ليقولنَّ الذي قلتَ ، أما والله لو كنتَ مكاني ما عنفتك ولا أسلمتكَ ، ولا عبت عليك ، ولا جئت مُنكرًا أن وصلتَ رحماً ، وسددت خلةً ، وآويت ضائعاً ، ووليت شبيهاً بمن كان عمر يولي.

أنشدك الله يا عليّ هل تعلم أن المغيرة بن شعبة ليس هناك؟

قال : نعم.

قال : فتعلم أنّ عمر ولاءه؟

قال : نعم.

قال : فلم تلومني أن وليت ابن عامر في رحمه وقرابته؟

قال عليّ : سأخبرك ، إنّ عمر بن الخطاب كان كلَّ من وليّ فإنما يطأ على صماخه ، إن بلغه عنه حرف جلبه ثمّ بلغ به أقصى الغاية ، وأنت لا تفعل ، ضعفتَ ورققتَ على أقبائك.

قال عثمان : هم أقبائك أيضاً.

فقال عليّ : لعمرى إنّ رحمهم مني لقريبة ، ولكن الفضل في غيرهم.

قال عثمان : هل تعلم إنّ عمر وليّ معاوية خلافته كلّها؟ فقد وليته.

فقال عليّ : أنشدك الله هل تعلم أنّ معاوية كان أخوف من عمر من يرفأ غلام عمر

منه؟

قال : نعم.

قال عليّ : فإنّ معاوية يقتطع الأمور دونك وأنت لا تعلمها ، فيقول للناس : هذا

أمر عثمان فيبلغك فلا تغيّر عليّ معاوية.

ثمّ خرج عليّ من عنده ، وخرج عثمان على أثره ، فجلس على المنبر فقال : أمّا بعد ، فإنّ لكلّ شيء آفة ، ولكلّ أمر عاهة ، وإنّ آفة هذه الأمة وعاهة هذه النعمة عيّابون طعّانون ، يُرونكم ما تحبون ، ويُسرّون ما تكرهون ، يقولون لكم وتقولون ، أمثال النعام يتبعون أوّل ناعق ، أحبّ مواردها إليها البعيد ، لا يشربون إلّا نَعَصاً ، ولا يردون إلّا عكراً ، لا يقوم لهم رائد ، وقد أعيتهم الأمور ، وتعدّرت عليهم المكاسب .

ألا فقد والله عبتم عليّ بما أقررت لابن الخطاب بمثله ، ولكنه وطأكم برجله ، وضربكم بيده ، وقمعكم بلسانه ، فدنتم له على ما أحببتهم أو كرهتم ، ولنث لكم ، وأوطأت لكم كنفى ، وكففت يدي ولساني عنكم ، فأجترأتم عليّ .

أما والله لأنّنا أعزّ نفرأ ، وأقرب ناصرأ ، وأكثر عدداً ، وأقمن إن قلت هلمّ أتي إليّ ، ولقد أعددت لكم أقرانكم ، وأفضلت عليكم فضولها ، وكشّرت لكم عن نايي ، وأخرجتم مني حُلُقاً لم أكن أحسنه ، ومنطقاً لم أنطق به ، فكفّوا عليكم ألسنتكم وطعنكم وعيبكم على ولاتكم ، فإني قد كففت عنكم من لو كان هو الذي يكلمكم لرضيت من منه بدون منطقي هذا .

ألا فما تفقدون من حقّكم؟ والله ما قصّرت في بلوغ ما كان يبلغ من كان قبلي ، ومن لم تكونوا تختلفون عليه . فضل فضل من مال ، فما لي لا أصنع في الفضل ما أريد! فلم كنت إماماً؟!

فقام مروان بن الحكم ، فقال : إن شئتم حكّمنا والله بيننا وبينكم السيف

نحن وأنتم كما قال الشاعر :

فرشنا لكم أعراضنا فنبت بكم مغارسكم تبنون في دمن الثرى
فقال عثمان : أسكت لا سكت ، دعني وأصحابي ، ما منطقتك في هذا؟ ألم أتقدم
إليك ألا تنطق!

فسكت مروان ونزل عثمان (١).

هكذا كان موقف الإمام عليه السلام في نصحه ، ولكن عثمان وبني أمية لا يحبون
الناصحين.

وختاماً كانت لابن عباس مواقف مع الشانئين من قريش الذين تولوا السلطة فاتخذوا
سيرة الشيخين حجة في استبعاد بني هاشم ، فكانت له أحاديث مرفوعة تحض على مودة
أهل البيت عليهم السلام ، فكان يرويهما للمسلمين حرصاً على هدايتهم أن يخدمهم الإعلام
الكاذب من حكام قريش.

فمن الأحاديث ، ما رواه مرفوعاً عنه صلى الله عليه وآله وسلم قال : (يا بني عبد
المطلب إني سألت الله لكم أن يعلم جاهلكم ، وأن يثبت قائمكم ، وأن يهدي ضالكم ،
وأن يجعلكم نجداً جوداء رحماء ، أما والله لو أن رجلاً صفّ قدميه بين الركن والمقام مصلياً ،
ولقي الله وهو يبغضكم أهل البيت لدخل النار) (٢).

(١) تاريخ الطبري ٤ / ٣٣٧ . ٣٣٩ ط دار المعارف . وأنظر أنساب الأشراف ١ ق ٤ / ٥٤٩ تح احسان عباس

، تاريخ الكامل ٣ / ٦٢ . ٦٤ ط بولاق ، والبداية والنهاية ٧ / ١٦٨ ط السعادة ، ونهاية الإرب ١٩ / ٤٧٠ .

(٢) أمالي المفيد / ١٣٤ ط الحيدرية سنة ١٣٦٧ .

ومن بعض المواقف مع الشائتين ما رواه ابن أبي الحديد في شرح النهج نقلاً عن الزبير بن بكار بسنده : عن عثمان بن عبد الرحمن ، قال : (قال عبد الله بن عباس : والله لقد علمت قريش أنّ أول من أخذ الإيلاف وأجاز لها العيرات لهاشم . والله ما شدت قريش رحالاً ولا حبلاً بسفر ، ولا أناخت بعيراً لحضر إلا بهاشم . والله أنّ أول من سقى بمكة ماءً عذباً وجعل باب الكعبة ذهباً لعبد المطلب) (١).

كبرياء معاوية في عتابه واعتداد ابن عباس في جوابه :

روى ابن قتيبة في (الإمامة والسياسة) قال :

(وقدّم معاوية بن أبي سفيان على أثر ذلك . يعني النعمة على عثمان . من الشام ، فأتى مجلساً فيه عليّ بن أبي طالب وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وعمار بن ياسر ، فقال لهم : يا معشر الصحابة أوصيكم بشيخي هذا خيراً ، فوالله لئن قتل بين أظهركم لأملأنها عليكم خيلاً ورجالاً .

ثمّ أقبل على عمّار بن ياسر ، فقال : يا عمّار إنّ بالشام مائة ألف فارس كلّ يأخذ العطاء مع مثلهم من أبنائهم وعبدانهم لا يعرفون عليّاً ولا قرابته ، ولا عمّاراً ولا سابقته ، ولا الزبير ولا صحابته ، ولا طلحة ولا هجرته ، ولا يهابون ابن عوف ولا ماله ، ولا يتقون سعداً ولا دعوته ، فإياك يا عمّار أن

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ٣ / ٤٥٨ .

تقع غداً في فتنة تنجلي ، فيقال هذا قاتل عثمان ، وهذا قاتل عليّ .
 ثمّ أقبل على ابن عباس ، فقال : يا ابن عباس إنّنا كنا وإياكم في زمان لا نرجوا فيه
 ثواباً ولا نخاف عقاباً ، وكنا أكثر منكم فوالله ما ظلمناكم ولا قهرناكم ولا أخرجناكم عن مقام
 تقدّمناه ، حتى بعث الله رسوله منكم فسبق إليه صاحبكم فوالله ما زال يكره شركنا ويتغافل
 به عنا ، حتى ولي الأمر علينا وعليكم ، ثمّ صار الأمر إلينا وإليكم ، فأخذ صاحبنا على
 صاحبكم لسنته ، ثمّ غير فنطق ونطق على لسانه ، فقد أوقدتم ناراً لا تطفأ بالماء .

فقال ابن عباس : كنا كما ذكرت حتى بعث الله رسوله منّا ومنكم ، ثمّ ولي الأمر
 علينا وعليكم ، ثمّ صار الأمر إلينا وإليكم ، فأخذ صاحبكم على صاحبنا لسنته ولما هو
 أفضل من سنته ، فوالله ما قلنا إلاّ ما قال غيرنا ، ولا نطقنا إلاّ بما نطق به سوانا ، فتركتم
 الناس جانباً وصيّرتونا بين إن أقمنا متهمّين ، أو نزعنا مُعتَبين ، وصاحبنا من قد علمتم والله
 لا يهجهج مهجهج إلاّ ركبته ، ولا يرد حوضاً إلاّ أفرطه ، وقد أصبحت أحبّ منك ما
 أحببت وأكره ما كرهت ، ولعليّ لا ألقاك إلاّ في خير (١) .

وكانت بين معاوية وابن عباس في تلك الفترة قصة :

(حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا)

(كان عقيل بن أبي طالب قد تزوج فاطمة بنت عتبة بن ربيعة - برغبة

(١) أنظر الإمامة والسياسة ١ / ٢٧ مط الأمة سنة ١٩٢٨ م ، مسند أحمد ١ / ٥٧ وهو أوّل حديث فيه من
 مسند عثمان ، فراجع ، ومرة أخرى ١ / ٦٩ .

منها فيه . فقالت له : تصير لي وأنفق عليك . فكان إذا دخل عليها ، قالت : أين عتبة بن ربيعة؟ وشيبة بن ربيعة؟ . وكانا من المقتولين ببدر . فيسكت عنها ، حتى إذا دخل عليها يوماً وهو برم ، قالت : أين عتبة بن ربيعة وشيبة ابن ربيعة؟ قال : عن يسارك في النار إذا دخلت ، فشددت عليها ثيابها ، فجاءت عثمان فذكرت ذلك له ، فضحك فأرسل إلى ابن عباس ومعاوية . وكان يومئذ بالمدينة . فقال ابن عباس : لأفرقن بينهما ، وقال معاوية : ما كنت لأفرق بين شيخين من بني عبد مناف ، فأتيا فوجداهما قد أغلقا عليهما أبوابهما وأصلحا أمرهما فرجعا (١) .

فهكذا بدايات مؤسفة لا بدّ أن تأتي بنتائج سيئة ، ونهايات محزنة ، وتبقى نار العداوات بين الأجداد تورث في الأولاد والأحفاد ، فإنّ تخبو حيناً فإنّها أحياناً تستعر حين توافيها الظروف وينفخ فيها هوى الأهواء ، فإن بدت منذ أيام عثمان وقدتها ، فقد توقدت في أيام معاوية جمرتها ، فكانت أيام سوء على المسلمين عامّة وعلى بني هاشم خاصة ، وقد طالت أربعين عاماً . عشرين منها والياً على الشام وعشرين منها ملكاً على المسلمين . وجرت في أيامه أثمار الدماء من شيعة الإمام عليه السلام إذ عمّهم بالبلاء ، وكان يتربص بأهل البيت عليهم السلام فأضمر لهم كلّ مكروه ، وجرّعهم الغصص بما لا يوفّي حقّه القصاص .

وكان ابن عباس مستهدفاً لمعاوية منذ حين ، ومرّ بنا مخادعته

(١) المصنف لعبد الرزاق ٦ / ٥١٢ / ٥١٣ ، وقارن تفسير الطبري ٥ / ٤٥ باختصار .

ومخاتلته في حرب صفين ، وتراكت التداعيات من بعد إستشهاد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، وكلّما امتد الزمن بهما كثرت المحاورات بينهما ، ولما هادن الإمام الحسن عليه السلام حقناً للدماء ، بعد أن رأى خور الكثير من أصحابه ، ونفاق بعضهم ممن استمالهم معاوية ، فكانوا له عيوناً في العراق ، فاستقامت لمعاوية بسياسة الخداع الحكومة ، وصار أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم في ضنك وضيق ، فكانوا يقدون عليه بالشام لأخذ عطائهم ممّا يفوقهم فيه تفويقاً ، ضغطاً عليهم وتضييقاً.

وكان ابن عباس أكثرهم جدالاً وجلاداً مع معاوية ، فهو حين يدمغه بالحجة ، يتركه مروغاً بالمودّة والنسب ، تفادياً من غرب لسانه.

فكان يتقيه ، وكان ابن عباس يتعمّد إساءته ويتطلب مناظرته ، لكن معاوية يتهرب ما وسعه الهرب ، ويقول : (ما باحثت أحداً في عقله أشدّ علماً من ابن عباس)^(١).

فقد روى الراغب الإصفهاني في كتابه (محاضرات الأدباء) في باب ذم المرء في المناظرة : أنّ ابن عباس قال لمعاوية : هل لك في مناظرتي فيما زعمت؟ قال : وما تصنع في ذلك فأشعب بك وتشعب لي ، فيبقى في قلبك ما لا ينفعك ، ويبقى في قلبي ما يضرّك^(٢).

(١) المقفى الكبير للمقرئزي ٤ / ٥١٨ ط دار الغرب الإسلامية بيروت.

(٢) مخطوط المكتبة الرضوية برقم (٤٤٠٣) وفي المطبوعة بمصر ١ / ٣٤ ، والتذكرة الحمدونية ٢ / ١٤٤ ، ومهجة المجالس ١ / ٤٢٧ - ٤٢٨.

وقال له معاوية : أخبرني عن بني هاشم وبني أمية؟

قال : أنت أعلم بهم.

قال : أقسمت عليك لتخبرني.

قال : نحن أفصح وأصبح وأسمح ، وأنتم أمكر وأنكر وأعدر^(١).

فكان يحتل منه قوارع الكلم وقوارص الشتم ، بما هو فيه ما لم ينقل عنه أنه تحمله من غيره ، وأحسب أنّ السبب هو معرفته بابن عباس وبما أشتمت عليه جوانحه من أوليات معاوية وفيها فضائحه ، وقد مرّت بعض الشواهد على هذا في الجزء الخامس من الحلقة الأولى ، رغم ما أحيط به شخص معاوية من أسطورة الحلم يبقى ابن عباس كالصقر مع فريسته.

ومن أوّل محاوره جرت بينهما سواء كانت بالشام أو كانت بالمدينة في المسجد الشريف على ملاء من السلمين ، نجد غلبة ابن عباس ، ومنها نعرف مغزى كلمة من قال عن ابن عباس : (وكان ابن عباس حقّاراً له). وسنأتي على معناها قريباً تحت عنوان : (ذلك أدحض لحجتك).

وكم مرّة أراد معاوية الوقعة بابن عباس من طريق إخراجها ببعض المسائل ذات الحساسية العالية في نفوس العامة ، كسؤاله عن الخلفاء واحداً واحداً ، فكان ابن عباس في جوابه مخيباً لظن معاوية في الوقعة به ، وإسقاطه في أنظار الدهماء.

فقال له مرّة : أنت على ملّة عليّ؟

(١) نثر الدر ١ / ٢٨٣ ط دار الكتب العلمية بيروت.

فقال ابن عباس : ولا على ملّة عثمان ، أنا على ملّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم^(١).

فسكت معاوية وانقطع مخصوصاً ، إذ كان ابن عباس في جوابه موفقاً في التخلص من شرّ أريد به ، فهو لم يخرج من صدق إيمانه في موالاته للإمام عليه السلام إذ كان عليّ عليه السلام على ملّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، كما لم يغفل عن التعريض بعثمان بأنّه ليس على ملّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وأحسب أنّ السؤال والجواب كانا في الشام أمام أولئك الطغام ، الذين أشربوا حبّ العجل وأنشؤا على بغض الإمام عليه السلام وسبّه ، وهذا منه من الأجوبة المسكتة ، التي يبلغ بها حاجته ويدفع بها خصمه.

ولنبداً بقراءة ما تيسر لي الإطلاع عليه من محاورات عقائدية مع معاوية وأشباعه ، ففيها من فنون الكلام ما تنفع معرفته في أصول الجدل والخصام :

(المحاورّة الأولى)

هذه المحاورّة ليست هي أوّل لقاء بين ابن عباس وبين معاوية ، بل سبق قبلها لقاء في الشام ، وقد مرّ تحقيق ذلك في الحلقة الأولى في الجزء الخامس ، وقد أخرجها من الفريقين ، جماعة لا يتطرق الريب إلى رواياتهم.

فممن رواها من العامّة :

(١) حلية الأولياء ١ / ٣٢٩.

- ١ . الزبير بن بكار (ت ٢٥٦ هـ) في كتابه (الموفقيات) ، وهذا مما لم يوجد في المطبوع منه ، لكن قد روى النص عنه الأربلي في (كشف الغمة) ، وهذا من النصوص الضائعة كغيره مما استدرسته على المحقق ، وقد بلغ خمسة عشر مورداً . وسيأتي نص رواية الموفقيات في الصورة المنقولة عنها كما في (كشف الغمة)^(١) .
- ٢ . الحافظ أحمد بن موسى الأصبهاني المعروف بابن مردويه (ت ٣٥٦ هـ) في مناقبه كما في (كشف الغمة) للأربلي . وسيأتي نص روايته كما في الصورة السابقة في وجودها في كشف الغمة .
- ٣ . أبو هلال العسكري ، من علماء القرن الرابع في كتابه (الدلائل) . وسيأتي نص روايته في الصورة التي نقلها عنه السيوطي .
- ٤ . الحاكم النيسابوري المتوفى (ت ٤٠٥ هـ) في كتابه (المستدرک على الصحيحين) . وسيأتي نص روايته في الصورة الأولى .
- ٥ . أبو حفص عمر بن عيسى الخطيب الدهلقي ، من أعلام القرن السادس في كتابه (فضائل الخلفاء)^(٢) . وسيأتي نص روايته في الصورة الثانية .
- ٦ . الحافظ السيوطي (ت ٩١١ هـ) في كتابه (تاريخ الخلفاء) . وسيأتي نص روايته في الصورة الثالثة .

وحسبنا بمؤلاء الحفاظ من العامة ، فإنهم أخرجوا الجزء الأول من

(١) كشف الغمة ١ / ٤٠٦ منشورات الشريف الرضي .

(٢) مخطوطة مكتبة آيا صوفيا بتركيا برقم (٣٣٤٣) تاريخها ٩١٩ هـ .

المحاورة.

أمّا من رواها من الخاصة فحسبنا منهم :

- ١ . التابعي الجليل سليم بن قيس الهلالي . وسيأتي نص روايته في الصورة الرابعة.
- ٢ . الوزير سعد بن منصور الآبي (ت ٤٢١ هـ) في كتابه (نثر الدر)^(١) . سيأتي نص روايته في الصورة الخامسة.
- ٣ . أبو منصور أحمد بن عليّ بن أبي طالب الطبرسي ، من علماء القرن السادس في كتابه (الإحتجاج) . وسيأتي نص روايته في الصورة السادسة والتنبيه على أنه ليس في المطبوع منه أثر.
- ٤ . أبو المعالي كافي الكفاة محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون (ت ٥٦٢ هـ) في كتابه (التذكرة الحمدونية) . وسيأتي نص روايته في الصورة السابعة.
- ٥ . بهاء الدين علي بن عيسى الأربلي ، من أعلام القرن السابع الهجري في كتابه (كشف الغمة) . وسيأتي نص روايته في الصورة الثامنة والتاسعة .
وحسبنا بمن ذكرناه من علماء الفريقين .
والآن إلى قراءة النص في الصور المتفاوتة في بعض ألفاظها ممّالم يغيّر من جوهرها شيئاً :

(١) نثر الدر ١ / ٢٨٤ .

(الصورة الأولى) :

برواية الحاكم في (المستدرک علی الصحیحین) بسنده : عن معروف ابن خربوذ المکی ، قال : (بینا عبد الله بن عباس جالس ونحن بین یدیه إذ أقبل معاویة فجلس إليه ، فأعرض عنه ابن عباس .

فقال له معاویة : مالي أراك معرضاً؟ ألسنت تعلم أيّ أحق بهذا الأمر من ابن عمك؟

قال : لم؟ لأنّه كان مسلماً وكنت كافراً؟

قال : ولكنني ابن عم عثمان .

قال : فابن عمي خير من ابن عمك .

قال : إنّ عثمان قتل مظلوماً .

قال : . وعندهما ابن عمر . فقال ابن عباس : فإنّ هذا أحق بالأمر منك .

فقال معاویة : إنّ عمر قتله كافر وعثمان قتله مسلم .

فقال ابن عباس : ذاك والله أدحض لحجتك (١) .

وقد مرّ في الجزء الخامس الحلقة الأولى تحقيق حول زمان ومكان المحاورة فراجع (٢) .

(الصورة الثانية) :

روى الخطيبي الدهلقي في (فضائل الخلفاء) .

(١) المستدرک علی الصحیحین ٣ / ٤٦٧ .

(٢) موسوعة عبد الله بن عباس / الحلقة الأولى ٥ / ٣٣ فما بعدها .

(قال معاوية : أنا كنت أولى بالأمر من ابن عمك ، لأبيّ ابن عم الخليفة المقتول ظلماً . وكان ابن عمر إلى جنبه .

قال ابن عباس : هذا أولى بالأمر منك ، لأنّ أباه قُتل قبل ابن عمك) (١).
أقول : ولا يخفى التخفيف والتلطيف في السياق ، ولا أقول أنّه التحريف في هذه الصورة!

(الصورة الثالثة) :

ما رواه السيوطي في (تاريخ الخلفاء) ، قال :

(وأخرج العسكري في كتاب الأوائل عن سليمان بن عبد الله بن معمر ، قال : قدم معاوية مكة أو المدينة فأتى المسجد فقعد في حلقة فيها ابن عمر وابن عباس وعبد الرحمن بن أبي بكر ، فأقبلوا عليه ، وأعرض عنه ابن عباس .

فقال : وأنا أحق بهذا الأمر من هذا المعرض وابن عمه .

فقال ابن عباس : ولم؟ ألتقدم في الإسلام؟ أم مع سابقة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ أو قرابة منه؟

قال : لا ولكني ابن عم المقتول .

قال : فهذا أحق به . يريد ابن أبي بكر ..

قال : إنّ أباه مات موتاً .

قال : فهذا أحق به . يريد ابن عمر ..

(١) مخطوطة الكتاب في مكتبة أياصوفيا بتركيا برقم (٣٣٤٣) وتاريخ النسخة ٩١٩ هـ .

قال : إنّ أباه قتله كافر.

قال : فذاك أدحض لحجتك إن كان المسلمون عتّبوا على ابن عمك فقتلوه (١).

(الصورة الرابعة) :

ما رواه التابعي سليم بن قيس في كتابه.

(قال سليم وعمر بن أبي سلمة : قدم معاوية حاجاً في خلافته المدينة بعد ما قتل

أمير المؤمنين صلوات الله عليه ، وصالح الحسن عليه السلام مرّ بحلقة من قريش ، فلمّا

رأوه قاموا له غير عبد الله بن عباس.

فقال له : يا بن عباس ما منعك من القيام كما قام أصحابك إلّا ما وجدت في

نفسك علي بقتالي أياكم يوم صفين ، يا بن عباس إنّ ابن عمي قتل مظلوماً.

فقال له ابن عباس : فعمر بن الخطاب قد قتل مظلوماً ، فسلم الأمر إلى ولده وهذا

ابنه.

فقال : إنّ عمر قتله مشرك.

قال ابن عباس : فمن قتل عثمان؟

قال : قتله المسلمون.

قال : فذلك أدحض لحجتك وأحلّ لدمه ، إن كان المسلمون قتلوه

(١) تاريخ الخلفاء / ١٣٤ .

وخذلوه فليس إلا بحق.

قال معاوية : فإننا قد كتبنا في الآفاق نهي عن ذكر مناقب عليّ وأهل بيته ، فكفّ

لسانك يا بن عباس ، وأربع على نفسك.

فقال له ابن عباس : أتنهانا عن قراءة القرآن؟

قال : لا.

قال : أفتنهانا عن تأويله؟

قال : نعم.

قال : فنقرأه ولا نسأل عما عني الله به؟

قال : نعم.

قال : فأبما أوجب علينا قراءته أو العمل به؟

قال معاوية : العمل به.

قال : فكيف نعمل به حتى نعلم ما عني الله بما أنزل علينا؟

قال : سل عن ذلك من يتأوله على غير ما تتأوله أنت وأهل بيتك.

قال : إنّما أنزل القرآن على أهل بيتي ، فأسأل عنه آل أبي سفيان وأسأل عنه آل أبي

معيط؟ أو اليهود والنصارى والمجوس؟

قال معاوية : فقد عدلتنا بهم وصيّرتنا منهم.

فقال له ابن عباس : لعمرى ما أعدلك بهم ، غير أنّك نهيتمنا أن نعبد الله بالقرآن وبما

فيه من أمر ونهي أو حلال أو حرام أو ناسخ أو منسوخ ، أو

عام أو خاص ، أو محكم أو متشابه ، وإن لم تسأل الأمة عن ذلك هلكوا واختلفوا وتاهوا.
قال معاوية : فأقرأوا القرآن وتأولوه ، ولا ترووا شيئاً مما أنزل الله فيكم من تفسيره ، وما
قاله رسول الله فيكم ، وأرووا ما سوى ذلك.

قال ابن عباس : قال الله في القرآن : **(يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ
إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ)**^(١).

قال معاوية : يا بن عباس إكفني نفسك وكف عني لسانك ، وإن كنت لا بدّ فاعلاً ،
فليكن ذلك سراً ، ولا يسمعه أحد منك علانية.
ثم رجع إلى منزله فبعث إليه بخمسين ألف درهم^(٢).
أقول : وقد مرّ بنا في الجزء الخامس من الحلقة الأولى تعقيب على هذه المحاورة في
شرعية أخذ المال من الحاكمين الظالمين ، فراجع.

(الصورة الخامسة) :

رواها الوزير سعد بن منصور الآبي في كتابه (نثر الدر) ، قال :
(مرّ معاوية بقوم من قريش ، فلما رأوه قاموا غير عبد الله بن عباس .
فقال : يا بن عباس ما منعك من القيام كما قام أصحابك؟ ما ذاك إلا لموجدة أتي
قاتلتكم بصفين ، فلا تجد ، فإنّ عثمان ابن عمي قُتل مظلوماً.
قال ابن عباس : فعمر بن الخطاب قُتل مظلوماً.

(١) التوبة / ٣٢ .

(٢) كتاب سليم بن قيس ٢ / ٧٧٧ و ٧٨٢ و ٧٨٤ ط الهادي بتحقيق الأنصاري.

قال : إنّ عمر قتله كافر.

قال ابن عباس : فمن قتل عثمان؟

قال : المسلمون.

قال : فذلك أدحض حجّتك (١).

(الصورة السادسة) :

رواها الطبرسي في (الإحتجاج) . ولا توجد في المطبوع منه بل رواها عنه صاحب (القمقام الزخار) (٢) ، وهذا يدلّ على نقصان المطبوع من (الإحتجاج) . قال : وجاء في الإحتجاج وغيره :

(ومّر معاوية في اليوم الثاني ، فكان كلّما مرّ بمأى من قريش ترجلوا له وقام الجالس منهم ، إلّا ابن عباس فلم يفعل ذلك ، فاغتاظ معاوية منه ووجه خطابه إليه قائلاً : ما لك لم تسلك مسلك أصحابك؟ أنا على يقين من أنّ غصّة صفين ما زالت تعتادك في باطنك ، ولست أرى غمك نافعاك شيئاً ، فإنيّ طلبت بثأر ابن عمي عثمان الذي قتل مظلوماً ونهضتُ طالباً بدمه .

فأجابه ابن عباس : إن كنت تطلب بدم المظلوم فإنّ عمر قتل مظلوماً أيضاً.

فقال معاوية : كلا فإنّ عمر قتله كافر.

فقال ابن عباس : فمن قتل عثمان؟

(١) نثر الدر ١ / ٢٨٤ .

(٢) القمقام الزخار ١ / ٣٥ ط قم.

فقال معاوية : قتله المسلمون.

فقال عبد الله : ذلك أدحض لحجتك.

فقال معاوية : يا بن عباس إني قد بعثت إلى الآفاق أن لا يذكر أحد من الناس شيئاً

من فضل عليّ بن أبي طالب.

فقال ابن عباس : أتمنعنا من تلاوة كتاب الله؟

فقال معاوية : كلا.

فقال ابن عباس : أتمنعنا من تأويله؟

قال معاوية : نعم.

فقال ابن عباس : يا للعجب أفنقرأ كتاب الله ثم لا نفقه معناه؟ قل لي يا معاوية :

هل العمل بكتاب الله أوجب أم تلاوته؟

فقال معاوية : بل العمل به.

قال : كيف نعمل به إذا جهلنا معناه؟

قال معاوية : سل غيرك ممن لا يذهب في تأويله مذهبكم أهل البيت.

فقال ابن عباس : إنّ القرآن في بيتنا نزل ، ونحن العالمون به ، أفنساء آل معاوية وآل

أبي سفيان عن معناه؟ أتريد بهذا أن تحول بيننا وبين بيان أحكامه للناس من الحلال والحرام؟

قال معاوية : كلا ، لا أفعل ذلك سجيس الليالي ، بل أقول أعملوا بمعناه وأكتموا ما

نزل فيكم منه عن الناس.

قال ابن عباس : إئتكَ إن تفعل هذا فإِنَّ الله يقول : **(يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُنِيرَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ)** ^(١).

قال معاوية : إني اليوم أهاك عن هذا ، وإن أبيت إلاّ عناداً فأحك ذلك في السرّ وأياك والعلن.

ولما عاد إلى الشام أرسل إلى ابن عباس بدرّة فيها مائة ألف درهم ^(٢).

(الصورة السابعة) :

رواها الحمدوني في (التذكرة) ، قال :

(مرّ معاوية بقوم من قريش ، فلمّا رأوه قاموا غير عبد الله بن عباس .

فقال : يا بن عباس ما منعك من القيام كما قام أصحابك؟ ما ذاك إلاّ لموجدة أيّ

قاتلتكم بصفين ، فلا تجد ، فإنّ عثمان بن عفان قتل مظلوماً.

قال ابن عباس : فعمر بن الخطاب قتل مظلوماً.

قال : إنّ عمر قتله كافر.

قال ابن عباس : فمن قتل عثمان؟

قال : المسلمون.

قال : فذلك أدحض لحجتك ^(٣).

(١) التوبة / ٣٢ .

(٢) القمقام البخاري ١ / ٣٥ .

(٣) التذكرة الحمدونية ٧ / ١٨٥ تح إحصان عباس وبكر عباس ، ط دار صادر بيروت / ٨٥٦ .

(الصورة الثامنة) :

رواها الأربلي في (كشف الغمة) ، نقلاً عن كتاب (الموفقيات) للزبير ابن بكار ،

قال :

(حج معاوية فجلس إلى ابن عباس ، فأعرض عنه ابن عباس .

فقال معاوية : لم تعرض عني ، فو الله إنك لتعلم أيّ أحق بالخلافة من ابن عمك .

قال ابن عباس : لم ذاك لأتّه كان مسلماً وكنت كافراً؟

قال : لا ، ولكن ابن عمي عثمان قتل مظلوماً .

قال ابن عباس : وعمر رحمه الله قتل مظلوماً .

قال : إنّ عمر قتله كافر ، وإنّ عثمان قتله المسلمون .

قال ابن عباس : ذاك أدحض لحجتك .

فأسكت معاوية (١) .

(الصورة التاسعة) :

رواها الأربلي أيضاً في (كشف الغمة) نقلاً عن مناقب ابن مردويه ، قال : ومنه عن

عبيد الله بن عبد الله الكندي ، قال :

(حج معاوية فأتى المدينة وأصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم متوافرون ،

فجلس في حلقة بين عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر ، فضرب بيده على فخذ ابن

(١) كشف الغمة ١ / ٤٠٦ ، منشورات الشريف الرضي .

عباس ، ثم قال : أنا كنت أحق وأولى بالأمر من ابن عمك .

قال ابن عباس : وبمّ؟

قال : لأبيّ ابن عم الخليفة المقتول ظلماً .

قال : هذا إذن - يعني ابن عمر - أولى بالأمر منك ، لأنّ أبا هذا قتل قبل ابن عمك .

قال : فانصاع ^(١) عن ابن عباس ^(٢) .

هذه نهاية الصور اللاتي عثرت عليها لمحاورة ابن عباس مع معاوية ، وجميعها مهما تكن اختلفت روايتها فقد دلّت على مدى تحقير ابن عباس لمعاوية ، وهو في أوج سلطانه ، كما دلّت على شموخ ابن عباس بقوة إيمانه ، على أنّه ما زال متهماً عند معاوية بتهمة التحريض على عثمان أو التقصير في نصرته ، وقد سبق لمعاوية أن كتب إليه في ذلك كتاباً ، وقرأ منه جواباً . كما مرّ في الجزء الخامس من الحلقة الأولى ، وسيأتي أيضاً في فصل الرسائل . وكلّ ما كان يبتغيه معاوية ويحاوله هو استبعاد ابن عباس عن ساحة ولائه للإمام عليه السلام وضمه إلى جانب أعدائه ، ولكنه باء بالفشل ، إذ كان ابن عباس في كلّ محاوراته مع معاوية يُفشل جميع محاولاته ، ويكشف عن زيف ادعاءاته بتهمة دم عثمان .

مواقف فخر ونصرة

لنقرأ الآن ماذا قال ابن عباس في وصف الإمام عليّ عليه السلام وقد سأله

(١) أنفتل بكله عنه وأعرض إلى جهة غيره .

(٢) كشف الغمة ١ / ١٥٤ .

معاوية عن ذلك مراراً ، لا لجهل منه بمعرفته الإمام عليه السلام ، ولكن من خبثه ودهائه ، يحاول زلزلة ابن عباس عن ولائه بعد توليته الأمر واغداقه بعطائه ، لكن ابن عباس هو ابن عباس الذي كان في حبه لإمامه عند حسن ظن أبيه العباس به من قبل ، حيث قال عنه في وصيته للإمام :

(أوصيت عبد الله بطاعتك ، وبعثته على متابعتك ، وأوجرتة محبتك ووجدت عنده من ذلك ظني به لك)^(١).

١ . قال الزمخشري في (ربيع الأبرار) : (كان ابن عباس يقول في عليّ ابن أبي طالب : كان والله يشبه القمر الباهر ، والأسد الخادر ، والفرات الزاخر ، والربيع الباكر ، فأشبهه من القمر ضوءه وبهاءه ، ومن الأسد شجاعته ومضاءه ، ومن الفرات جوده وسخاءه ، ومن الربيع خصبه ورخاءه)^(٢).

٢ . وروى البيهقي في (المحاسن والمساويء) ، قال :
(سألت معاوية يوماً ابن عباس ، فقال له : صف لي عليّاً؟
فقال : كأنك لم تره؟

قال : بلى ولكن أحب أن أسمع منك فيه مقالاً.

فقال : كان أمير المؤمنين عليه السلام غزير الدمعة ، طويل الفكرة ، يعجبه من اللباس ما قصر ، ومن الطعام ما خشن ، يدنيننا إذا أتيناها ، ويجيبنا إذا دعوناها ،

(١) أنظر موسوعة عبد الله بن عباس / الحلقة الأولى / ج ١ في (وصية العباس عند موته) ، والحلقة الثانية من الموسوعة ج ١ في (مواقف محنة واختبار) .
(٢) ربيع الأبرار ٤ / ١٦١ ط أوقاف بغداد.

وكان مع تقريبه إيانا وقربه ممّا لا نبدأه بالكلام حتى يتبسّم ، فإذا هو تبسّم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم ، أما والله يا معاوية لقد رأيتك في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله ، وغارت نجومه ، وهو قابض على لحيته ييكي ويتململ تململ السليم ، وهو يقول : يا دنيا إياي تعزّين؟ أمثلي تشوقين؟ لا حان حينك ، بل زال زوالك ، قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة فيها. فعيشك حقير ، وعمرك قصير ، وخطرك يسير ، آه آه من بُعد السفر ووحشة الطريق ، وقلّة الزاد.

فأجهش معاوية ومن معه بالبكاء (١).

ويبدو أنّ معاوية لم يحصل بغيته من ابن عباس التي كان يتوخاها ، بل كانت النتيجة معكوسة ، حيث كان ابن عباس بوصفه الإمام عليه السلام قد استحوذ على مشاعر السامعين بمن فيهم معاوية ومن معه ، حتى جعلهم يتأثرون فيجهشون بالبكاء لقوّة تأثير كلام ابن عباس فيهم.

وقد كرر معاوية الطلب ثانية وأدرك ابن عباس بثاقب فهمه ما يدور في خلد خصمه ، فأبعد هذه المرّة في مرماه وبلغ ما يتوخاه.

٣. فقد روى الحنبلي في (نهاية الطلب) والفضل بن شاذان في كتابيه (الروضة ،

والفضائل) عن ربي بن خراش ، قال :

(سأل معاوية عبد الله بن عباس ، فقال : ما تقول في عليّ بن أبي طالب؟

(١) المحاسن والمساوي ١ / ٢٨.

فقال : صلوات الله على أبي الحسن عليّ ، كان والله علم الهدى ، وكهف التقى ، ومحل الحجى ، وبحر الندى ، وطود النهى ، وعلماً للورى ، ونوراً في ظلم الدجى ، وداعياً إلى المحجة العظمى ، ومستمسكاً بالعروة الوثقى ، وسامياً إلى الغاية القصوى ، وعالماً بما في الصحف الأولى ، وعاملاً بطاعة الملك الأعلى ، وعارفاً بالتأويل والذكرى ، ومتعلقاً بأسباب الهدى ، وحائداً عن طرق الردى ، وسامياً إلى المجد والعلو ، وقائماً بالدين والتقوى ، وسيد من تقمص وارتدى بعد النبيّ المصطفى ، وأفضل من صام وصلى ، وأجل من ضحك وبكى ، صاحب القبلتين ، وهل يساويه مخلوق ، كان أو يكون ، كان والله للأسد قاتلاً ، وللهم في الحرب خاتلاً ، على مبغضيه لعنة الله ولعنة العباد إلى يوم التناد (١).

ولم يترك معاوية حيلة تبلغه حاجته في ابن عباس إلا أتاها ، لكن ابن عباس كان أوعى من أن تنطلي عليه أساليب خداع معاوية ، وتبقى نقطة الخلاف بينهما ساخنة ، ما دامت المواقف متباينة ، فمعاوية يمثل الحقد الأموي بجميع أبعاده ، وابن عباس يمثل عزّة آبائه وأجداده بقوة إيمانه وإعتقاده ، وفي القمة ولاؤه للإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، وهذا ما كان يغيض معاوية فيتميز غيظاً عند سماع ابن عباس يتحدث عن الإمام عليه السلام ، فقد كان يجمل ويطنب كلما دعت الحاجة إلى ذلك ، وكلما بدت البغضاء من أفواه معانديه ، ولو جُمعت كلماته في هذا الشأن لكانت خير مدرسة ولائمة.

(١) الدرجات الرفيعة / ١٢٣ .

وأطول وصف ورد عنه ، ما رواه الديلمي في (غرر الأخبار ودرر الآثار) ، وقد استغرق عدّة صفحات من ص ٣٢٤ إلى ٣٤٦ ، فلنقرأ ما رواه : قال الديلمي :
(روي أنّ معاوية سأل عبد الله بن عباس عن أمير المؤمنين؟

فقال له : عليّ سيّد المسلمين ، وإمام المتّقين ، ووارث علم الأولين والآخرين ومن تعجّب بمساواته النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه الروح الأمين ، وآخاه دون الخلق أجمعين ، وقصم ظهر المشركين والمنافقين ، وحملكم قهراً على الدخول في الدّين ، بعد قتل جدّك وأخيه وخالك وأخيك ، ولست تستطيع أبداً في ذلك أن تكون من المكذّبين ، وكان والله للقرآن تالياً ، وبه عالماً عاملاً ، وللسهو قالياً ، وعن الفحشاء نائياً ، وللشرك آبياً ، وللمعروف فاعلاً ، وعن المنكر ناهياً ، وبدينه عارفاً ، ومنّ الله خائفاً ، وعن الموبقات صادفاً ، وبالليل قائماً ، وبالنهاري صائماً ، ومن دنياه سالماً ، وبعدل البريّة قائماً ، وعن المهلكات زاجراً ، وبنور الله ناظراً ، ولشهوته قاهراً ؛ فاق العالمين علماً ، وزهداً ، وورعاً وكفافاً ، وقناعة ، وبراعة ، وعفافاً ، وحلماً ، وكرماً ، وجهاداً ، وهجرة ، وشجاعة ، وقراية ، وعبادة ، وإخلاصاً ؛ وأقدمهم إيماناً ، وسادهم زهداً وأمانة وبراً وحياطة .

كان والله حليف القرآن ، ومأوى الأنام ، ومولى الأيتام ، ومنتهى الإحسان ، وملاذ الفقراء والضعفاء ، ومعقل الخائف .

كان والله للخلق حصناً ، وللناس عوناً قوياً ، وعلى الحقّ صابراً ، وفي

ذات الله مجاهداً وفيه محتسباً ، حتى عزّ الدين في الديار ، وعبّد الله في الأقطار والضواحي في الليل والنهار ، وجميع النواحي والقلاع والتلاع ، والقفار والبقاع.

كان والله نوراً في الدجى ، شكوراً في البأساء والضراء ، صبوراً على المحنة والبلاء.

كان والله هجّاداً في الأسحار ، كثير الدمع عند ذكر النار ، دائم الذّكر والفكر بالليل والنهار ، تهاضاً إلى كلّ خير ومكرمة ، سعيّاً إلى كلّ منجية ، فراراً من كلّ موبقة.

كان والله عَلم الهدى ، وكهف التقى ، ومحلّ الحجى ، وبحر الندى ، وطود التّهى ، وزين الورى ، ومعدن العِلم ، وواسع الحلم.

كان والله داعياً إلى المحجّة البيضاء والطريقة العظمى ، مستمسكاً بالعرورة الوثقى ، عالماً بما في الكتب والصحف الأولى ، عاملاً بطاعة الله الجليل الأعلى ، عارفاً بالتأويل والذكر ، متعلّقاً بأسباب الهدى ، حائداً عن طرق الردى ، سامياً إلى المجد والعلى ، قائماً بالحقّ والتقوى ، تاركاً للجور والأذى ، وخير من انتعل وتردّى ، وأول من آمن واتّقى ، وسيّد من تمّمص وارتندى ، وأصدق من تسربل واكتسى ، وأكرم من تنفّس وقرى ، وأفضل من صام وصلّى ، وأفضل من ضحك وبكى ، وأخطب من صعد ورقى ، وأفضل من مشى على الثرى ، وأبين من تعلق في الورى بعد النبيّ المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ؛ صلّى القبلتين ، وهاجر الهجرتين ، فهل يساويه أحد في

الخافقين؟! زوج خير النسوان ، وولده السيطان .

كان والله للأسد قتالاً ، وللحرب سَعَاراً ، وفي الهزاهز ختالاً ، وعلى الأبطال صوّالاً ،
وللخير قوّالاً .. أتُنكر يا معاوية شيئاً من ذلك وقد سمعتُ ما كَتَبَ به إليك عن جوابك
الذي أرسلته تفتخر فيه عليه؟ وأنا الآن ذاكره ومعينه عليك وهو :

(أمّا بعد ، فقد أتاني كتابك تذكر اصطفاء الله محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم
وتأييده إيّاه بمن أيّده من أصحابه ، فقد خبأ لنا الدهر منك عجباً ، إذ طفقت تخيرنا ببلاء
الله فينا ونعمته علينا ، فكنت كناقل الثمرة ^(١) إلى هَجْر ، وداعي مُسَدِّدِه إلى النضال ،
وزعمت أنّ أفضل الناس فلان وفلان فذكرت أمراً إن تمّ اعتزلك كَلّه ، وإن نقص لم يلحقك
ثلمته ، وما أنت والفاضل والمفضول والسائس والمسوس؟! وما للطلاق وأبناء الطلقاء والتمييز
بين المهاجرين والأنصار وترتيب درجاتهم وتعريف طبقاتهم؟! هيهات ، لقد حنّ قِدْحُ ليس
[منها] ، وطفق يحكم فيها من عليه الحكم لها! ألا ترعب أيّها الإنسان على ظلعك ، وتعرف
قُصُورَ [ذرعك] وتتأخّر حيث أحرّك القدر عليها ، [فما] عليك غلبة المغلوب ، ولا لك
ظفر الظافر ، فإنك لذهاب في التّيه ، رَوَّاعٌ عن القصد ، لا ترى غير مُحْبِرٍ لك ، ولكن بنعمة
الله أُحدّث إنّ قوماً استشهدوا [في سبيل الله ولكلّ فضل ، حتّى إذا استشهد] ^(٢) شهيدنا ،
قيل : سيّد الشهداء ، وخصّه رسول

(١) في نهج البلاغة : (التمر) بدل من : (الثمرة) .

(٢) ما بين المعقوفتين من نهج البلاغة .

الله سبعين تكبيرة من صلاته عليه (١) أولاً أنّ قوماً قطعت أيديهم في سبيل الله ولكلّ فضل حتى إذا فُعلَ بواحدٍ منّا كما فُعلَ بهم. قيل : جعفر الطيّار ذو (٢) الجناحين ؛ ولولا نَهَى الله تعالى تزكية المرء لنفسه ، لَذَكَرَ ذَاكِرٌ فضائل لست تنكرها (٣) ، تعرفها قلوب المؤمنين ، ولا تمجّها أسماع السامعين.

فدع عنك ما أنت عنه معزول ومن (٤) مالت به الرميّة ، فنحن صنائع ربّنا ، والناس صنائع لنا ؛ ثمّ لم يمنعنا قدِيمُ عَزَّنَا وعَائِي طَوْلْنَا على قومك أن خلطناكم بأنفسنا ، فنكحنا وأنكحنا ، ففعل الأكفاء ، ولستم هناك.

وأني يكون ذلك كذلك ، ومنّا النبيّ ومنكم الميكذّب ، ومنّا أسد الله ومنكم أسد الأحلاف ، ومنّا سيّدا شباب أهل الجنّة ومنكم صبيّة النار ، ومنّا خيرة نساء العالمين ومنكم حمالة الحطب ، في كثيرٍ ممّا لنا وعليكم؟!

فإسلامنا ما قد سُمِعَ وجاهليّتكم ما لا تدفع ، فكتاب الله يجمع لنا ما قد شدّد عَنَّا ، وهو قوله تعالى : (وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ) (٥) ، وقوله : (إِنَّ أَوْلَىٰ النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ) (٦) ، فنحن من أولي الأرحام بالقرابة ،

(١) في نصح البلاغة : وخصّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند صلاته سبعين تكبيرة.

(٢) في نصح البلاغة : (الطيّار في الجنّة وذو) بدل من (جعفر الطيّار ذو) .

(٣) في نصح البلاغة : (فضائل جمّة) بدل من (لست تنكرها) .

(٤) في (م) : (وما) ، والمثبت من نصح البلاغة.

(٥) الأنفال / ٧٥ .

(٦) آل عمران / ٦٨ .

وتارة أولى بالطاعة ؛ ولما ^(١) احتجّ المهاجرون على الأنصار يوم السقيفة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ففلجوا عليهم ، فإن يكن الفالج لنا به فالحق لنا دونهم ، وإن لم يكن نصرت الأنصار على دعواهم ، وزعمت أنّ لكلّ الخلق حسدت ، وعلى كلّهم بغيّت ، فإن يكن ذلك كذلك فليس الجناية عليك ، فيكون العُذر إليك .

وَتِلْكَ شَكَاةٌ ظَاهِرَةٌ عَنكَ عَارِهَا

وقلت : إني كنت أقاد كما يُقاد الجمل المخشوش حتى أبايع ؛ ولعمري لقد أردت أن تدمّ فمدحت ، وأن تفضح فافتضحت ، وما على المسلم من غضاضة أن يكون مظلوماً وأن يغتصب حقه ما لم يكن شاكاً في دينه ، ومرتاباً في يقينه ؛ وهذه حجتي إلى غيرك قَصْدُهَا ، ولكي أطلقت لك منها بقدر ما سنع منها .

ثم ذكرت ما كان من أمري وأمر عثمان ، فلك أن تُجاب عن هذا لرحمك منه ، فأينا كان أعدى له ، أهدى إلى مقالته؟! أمّن بذلّ له نصرته فاستقعده واستكفّه ، أم من استنصره فتراخى عنه وبثّ المنون إليه حتى أتى قدره عليه؟! كلاً والله (**قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا**) ^(٢) ، وما كنتُ لإعتذر من أيّ كنتُ أنقمّ عليه أحداثاً ، فإن كان الذنب إليه إرشادي وهدايتي له ، فربّ

(١) في (م) : (وما) ، والمثبت من نهج البلاغة .

(٢) الأحزاب / ١٨ .

مَلُومٌ لا ذنب له.

وقد يَسْتَفِيدُ الظَّنَّةَ المِتَّصِحَّ

وما أردتُ إلاّ الإصلاح ما استطعت ، وما توفيقى إلاّ بالله عليه توكلت وإليه أنيب .
وذكرتُ أنّه ليس لي ولأصحابي عندك إلاّ السيف ، فلقد أضحكت بعد إستيعبار!
فمتى ألفت بني عبد المطلب عن الأعداء ناكلين وبالسيوف مُهدّدين!؟

فألَبَثَ قليلاً يَلْحَقُ الهَيِّجَا حَمَلٌ ^(١)

فسيطلبُكَ مَنْ تَطْلُبُ ، وَيَقْرُبُ مِنْكَ ما تستبعد ، وأنا مُرْقِلٌ نحوكَ بجحفل من
المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان ، زحامهم شديد ، وساطع قتائهم ، متسرلين سراويل
الموت ، أَحَبَّ اللقاء إليهم لقاء ربهم ، قد صحبتهم ذرّيّة بدريّة ، وسيوف هاشميّة قد عَرَفَتْ
مواقع نصولهم في أخيك وخالك وجدك وأهلك : (وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ) ^(٢).

ثمّ قال له ابن عباس : فهذا كلام عليّ لك ، فهل تجد فيه حالاً تعيبه ، وقد قال الله
: (لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) ^(٣) والعهد الإمامة ، حَتَمَ اللهُ حتماً أن

(١) تكلمة البيت : لا بأس بالموت إذا الموت نزل. وهو مثل يضرب به للتهديد بالحرب.

(٢) هود / ٨٣ .

(٣) البقرة / ١٢٨ .

لا ينهاها ظالم ، فكيف بمن عبَد الأصنام واستقسم بالأزلام وشاقَّ الله ورسوله وحاربه هذا؟! من أين تطلب منازل النبيين والوصيين وأولياء رب العالمين؟! الذين لم يعصوه طرفة عين ، ولم تأخذهم في الله لومة لائم ، فاقوا العالمين ، ومدحهم الله تعالى في كتابه المبين ، وشهد لهم أنهم صالحو المؤمنين (١).

(المحاوراة الثانية)

(دعني مما أكره أدعك من مثله)

(قال معاوية لابن عباس : كيف رأيت صنع الله بي وبأبي الحسن؟
فقال ابن عباس : صنعاً والله غير مختل ، عجله إلى جنّة لن تنالها ، وأخرّك إلى دنيا
كان عنه أزالتها.

فقال : وإنك لتحكم على الله؟

فقال : الله حكم بذلك على نفسه (**وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**)
(٢).

قال : أما والله لو عاش أبو عمرو عثمان حتى يراني لرأى ابن العم.

(١) أخرج هذه المحاوراة الديلمي في غرر الأخبار ودرر الآثار / ٣٤٢ . ٣٤٦ وأنظرها باختلاف في الألفاظ وفي ترتيب العبارات في : المسترشد للطبري الإمامي ٣٠٦ . ٣٠٧ / ١١٣ ، توصيف ابن عباس علياً لما سأله معاوية ، أما خطبة أمير المؤمنين عليه السلام الواردة في الخبر ، فأنظر : نهج البلاغة / ٣٨٥ . ٣٨٩ ، الرسالة ٢٨ ، من كتاب له عليه السلام إلى معاوية جواباً ؛ وقد عدّ السيّد الرضويّ هذا الكتاب من محاسن الكتب .
(٢) المائة / ٤٥ .

فقال : والله لو عاش لعلم أنك خذلته حين كانت النصره له ، ونصرته حينما كانت النصره لك.

قال : وما دخولك بين العصا ولحائها؟

قال : والله ما دخولي بينهما إلاّ عليهما لا لهما. فدعني ممّا أكره أدعك من مثله ، لأن تحسن فأجازي أحبّ إلي من أن تسئ فأكافئ ، ثم نحض ، فاتبعه . معاوية . بصره وهو يقول :

حصيد اللسان ذليق الكلام غير عيّبي ولا مسهب
يئذ الجياد بتقريبه ويأوى إلى حضر ملهـب (١)

(المحاوره الثالثه)

(تدع لي ابن عمي وادع لك ابن عمك)

روى البلاذري في (أنساب الأشراف) نقلاً عن المدائني ، قال :

(قال معاوية لابن عباس : ما حالت الفتنة بيني وبين أحد كان أعزّ عليّ فقدماً وأحبّ

إليّ قريباً منك ، فالحمد لله الذي قتل عليّاً .

فقال ابن عباس : أو غير هذا ، تدع لي ابن عمي وأدع لك ابن عمك؟

قال : ذاك لك ، ثم قال : أخبرني عن أبي سفيان؟

قال : اللهمّ إنّه تجر فأريح ، وأسلم فأفلح ، وكان رأس الشرك حتى انقض.

(١) أخبار الدولة العباسية / ٥٠ ، تاريخ يعقوبي ٢ / ١٩٩ - ٢٠٠ .

فقال : يابن عباس في علمك ما تسرّ به جليسك ، ولولا أن أقارضك الثناء لأخبرتكَ عن نفسك (١).

(المحاورَة الرابعة)

(قد استعملت أنت رجالاً هواك)

(اجتمعت قريش الشام والحجاز عند معاوية وفيهم عبد الله بن عباس . وكان جريئاً على معاوية حقاراً له فبلغه عنه بعض ما يغمّه ..

فقال معاوية : رحم الله العباس وأبا سفيان كانا صفيين (أخوين . خ ل -) دون الناس . فحفظتُ الميت في الحيّ والحيّ في الميت ، إستعملك عليّ يابن عباس على البصرة ، واستعمل عبيد الله أخاك على اليمن ، واستعمل أخاك قثم (٢) على المدينة ، فلمّا كان من الأمر ما كان . هنأتكم ما في أيديكم ، ولم أكشفكم عمّا وعته غرائركم ، وقلت أخذ اليوم مالاً واعطي غداً مثله ، وعلمت أن بدء اللؤم يضرب بعاقبة الكرم لو شئت لأخذت بجناجرکم وقيأتكم ما أكلتم . لا يزال يبلغني عنكم ما لا تبرك له الإبل ، وذنوبكم إلينا أكثر من ذنوبنا إليكم ، خذلتهم عثمان بالمدينة . وقتلتهم أنصاره يوم الجمل ، وحاربتهموني بصفين . ولعمري بنو تيم وعدي أعظم ذنوباً منّا إليكم وأكبر جرماً عندكم ، إذ صرفوا عنكم هذا الأمر ، وسنّوا

(١) أنساب الأشراف ١ / ٤ ق / ١٣٠ تح احسان عباس ط بيروت.

(٢) يبدو سقوط جملة (على مكة وأخاك تمام) لأن قثم ولاة الإمام عليه السلام على مكة وبقي عليها حتى سنة (٤٥ هـ).

فيكم هذه السنّة. فحتى متى أغض الجفون على القذى وأسحب الذبول على الأذى ، وأقول لعلّ الله وعسى ، ما تقول يا ابن عباس؟

قال : فتكلم ابن عباس ، فقال : رحم الله أبانا وأباك ، كانا صفيين أخوين متفاوضين ، لم يكن لأبي من مال إلا ما فضل لأبيك وكان أبوك كذلك لأبي. ولكن من هنأ أباك بإخاء أبي أكثر ممن هنأ أبي بإخاء أبيك. نصر أبي أباك في الجاهلية وحقن دمه في الإسلام^(١).

وأما استعمال عليّ إيانا فلدينه دون هواه ، قمنا له بالحق ونصحنا في الله الخلق^(٢) ، وقد استعملت أنت رجالاً لهواك لا لدينك ، منهم ابن الحضرمي على البصرة فقتل ، وبسر بن أرطاة على اليمن فخان غزا الحجاز وأخاف الحرمين مكة والمدينة وقتل منهما رجالاً ، وغزا الطائف وقتل منه رجالاً ، وذبح ابني عبيد الله أخي كفراً وظلماً وعدواناً من غير ذنب ولا جريمة ولم يبلغا الحلم ، وحبيب بن مرة على الحجاز فرّده والضحاك بن قيس الفهري على الكوفة فحصب ، واستعملت ابن عامر^(٣) على الأنبار وما يليها فغزا أهلها ونهبوها كغزوا الروم والترك ، ونزعوا أقراط المرأة المسلمة من أذنيها واستحلوا سبيهم ، واستعملت زياد بن عبيد الدعبي على العراق

(١) يشير إلى يوم جاء العباس بأبي سفيان وقد أردفه خلفه في فتح مكة فاستأمن له النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

(٢) ليت الذين اتخذوا همته : بيت مال البصرة ذريعة للنيل من ابن عباس يقرءوا هذه المحاورة ويقفوا عند هذه الجملة بمعنوا النظر فيها ، فلو كان للتهمة نصيباً من الصحة لما سكت معاوية عن تعبيره بها في هذا المقام وقد وافته الفرصة للرد عليه ..

(٣) في الكافي وشرح النهج (أخو غامد).

فبسط الفساد ، وركب العناد ، وظلم العباد ، وحكم فيهم حكم الجاهلية ، لا يرعى الله حرمة ، ولا لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ذمة ، ونصبت أنت الحرب للمسلمين وإمام المتقين وأمير المؤمنين عليه السلام ومن بسيفه وحده قام الدين ، ولولديه الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة ، ومن معه من أصحابه وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأردت قتلهم وتدميرهم ، وهم من تعرف أهل البيعتين . بيعة الشجرة وبيعة الرضوان . وقتلت منهم من قتل ، وعمار جلدة ما بين عيني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن شهد أنه تقتله الفئة الباغية . قال : لا أناها الله شفاعتي ، وأنت ومن كان معك الفئة الباغية ^(١) ، وقتلت أويس القرني الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (أنه يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر) ^(٢) ، وقال لأصحابه :

(١) حديث (عمار تقتله الفئة الباغية) أخرجه مسلم في صحيحه في الفتن وأحمد في مسنده في عدة موارد ناهزت العشرة والطبراني في الكبير في موارد ثلاثة والخطيب والبيهقي وابن حجر والهيثمي في مجمع الزوائد وغيرهم ، راجع موسوعة اطراف الحديث النبوي الشريف تجد عشرات المصادر وموارد ذكر الحديث ٤ / ٤٠٣ - ٤٠٤ وفيها (تقتل عماراً الفئة الباغية وقاتله في النار) . وفيها (تقتلك الفئة الباغية وأنت إذ ذاك مع الحق) رواه الخطيب ١٣ / ١٨٧ ، وراجع الموسوعة المذكورة ١١ / ٢٠٥ .

(٢) ذكره ابن حجر في الإصابة ١ / ١٣٣ ط مصطفى محمد فقال ذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من تابعي أهل الكوفة وقال : كان ثقة ، وقال : قال ابن عددي ليس له رواية لكن هناك من ينكر وجوده ، إلا أن شهرته وشهرة أخباره لا تسع أحداً أن يشك فيه .

وقال عبد الغني بن سعيد : القرني . بفتح القاف والراء . هو أويس أخبر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل وجوده وشهد صفين مع علي وكان من خيار المسلمين . وروى عن عمر بن الخطاب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : (إن خير التابعين رجل يقال له أويس بن عامر فمن لقيه منكم فمروه فليستغفر لكم) ثم ذكر ابن حجر رواة وطرق هذا الحديث ثم ذكر بعض أخبار أويس إلى أن قال : فاستشهد أويس وجماعة من أصحابه في الرجالة بين يدي علي ، ومن طريق الأصبغ بن نباتة قال شهدت علياً يوم صفين يقول : من يباعدني على الموت؟ فبايعه تسعة وتسعون رجلاً فقال : أين التمام؟ فجاءه رجل عليه أظمار صوف مخلوق الرأس فبايعه على القتل فقبل هذا أويس القرني ، فما زال يحارب حتى قتل رحمه الله .

(إنكم تدركونه فمروه ليستغفر لكم).

وقال أيضاً فيه تبجيلاً له وتفخيماً لأمره : (إيّ لأشَمّ نفس الرحمن من جانب اليمن

).

وأما طلبك ما وراء ظهورنا فلو طلبته بذلناه وقينا به أعراضنا ، وكان أحقر عندنا أن

نمنعه ، وليس الذي يبلغك عنّا بأعظم من الذي يبلغنا عنك .

وأما ما يبلغك عنا ، فلو وضع أدنى عذرنا إليكم على مائة سيئة لحسنها ، ولو وضع

أصغر ذنوبكم إلينا على مائة حسنة لقبّحها .

وأما خذلنا عثمان فلو لزمنا نصره لنصرناه ، وقد خذلته أنتَ وكنتَ قادراً على نصره

ومعك أهل الشام ، ولو ضربت بهم البحر لخاضوه ، وإنما تربصت به ليقتل وتطلب الملك

بسببه .

وأما قتلنا أنصاره يوم الجمل ، فعلى خروجهم ممّا دخلوا فيه .

وأما حربنا أياك بصفين ، فعلى إنكارك الحق ونصبك الباطل .

وأما إغراؤك إيانا بتيم وعدي ، فلو طلبنا الأمر يوم توفي نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم

ما غلبونا ، وكنا بفقد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أشغل من كلّ شيء ، علماً أنّهم

كانوا يعرفون لنا فضلنا على غيرنا .

وأعلم يا معاوية أنّه سبق في علم الله تعالى أنّه يستباح في هذه الأمة الأموال الحرام ،

وتسفك الدماء الحرام ، وتسي الفروج الحرام ، فكره الله

تعالى أن يكون ذلك على أيدينا ، فعدل بالأمر على غيرنا ، فإذا أراد الله ردّ الأمور إلى حقايقها إبتعثنا لها ، يختتم بنا كما فتح.

فقال في ذلك ابن أبي هب :

كان ابن حرب عظيم القدر في الناس حتى رماه بما فيه ابن عباس
مازال يهبطه طوراً ويصعده حتى استقاد وما بالحق من باس
لم يترك خطة مّا تذللّه إلاّ كواه بما في فروة الرأس^(١)

(المداورة الخامسة)

(حجّتكم فيها مشتبهة)

(حضر عبد الله بن عباس مجلس معاوية بن أبي سفيان وهناك جماعة من بني هاشم ، فأقبل معاوية على ابن عباس وعلى بني هاشم ، فقال : يا ابن عباس إنكم تريدون أن تحرزوا الإمامة (تستحقوا الخلافة) كما إختصصتم (استحققتم) بالنبوة ، والله لا يجتمعان لأحد أبداً ، إنّ حجّتكم في الخلافة مشتبهه (شبهة) على الناس ، إنكم تقولون نحن أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فما بال خلافة النبوة (النبي) في غيرنا؟ وهذه شبهة لأنّها تشبه الحق ، وبها مسحة من العدل ، وليس الأمر كما تظنون ، إنّ الخلافة قد تنقلت في أحياء قريش برضى العامة وبشورى الخاصة. ولسنا نجد الناس يقولون : ليت بني هاشم ولونا ، ولو أنّ بني هاشم ولونا لكان خيراً لنا في ديننا ودنيانا وآخرتنا ، فلا هم حيث أجمعوا على غيركم تمنوكم ، ولو كنتم أزهدتم فيها أمس كما

(١) العقد الفريد ٤ / ٨ تح أحمد امين ورفيقه ط لجنة التأليف والنشر ، نزهة السامع للحلواني .

تقولون ما قاتلتم (لم تقاتلوا) عليها اليوم. وأمّا ما زعمتم أنّ لكم ملكاً هاشمياً ومهدياً قائماً ، فالمهدي عيسى بن مريم عليه السلام وهذا الأمر في أيدينا حتى نسلّمه إليه ، ووالله (ولعمري) لو ملكتموها (ملكتمونا) يا بني هاشم لما كانت ريح عاد ولا صاعقة ثمود بأهلك للناس منكم ثم سكت.

فقال عبد الله بن عباس : أمّا قولك يا معاوية إنّنا نحتج بالنبوة في إستحقاق الخلافة ، فهو والله كذلك ، فإذا لم نستحق الخلافة بالنبوة فبم نستحق؟

وأمّا قولك إنّ الخلافة والنبوة لا يجتمعان لأحد ، فأين قول الله عزّ وجلّ : (**أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا**)^(١) ، فالكتاب هو النبوة والحكمة هي السنة ، والملك هو الخلافة ، فنحن آل إبراهيم أمر الله فينا وفيهم واحد ، والسنة لنا ولهم جارية إلى يوم القيامة.

وأمّا دعواك على حجتنا أنّها مشتبهة ، فليس كذلك فهي ، والله أضوء من الشمس ، وأنور من القمر ، كتاب الله معنا وسنة نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم فينا ، وإنّك لتعلم ذلك ، ولكن ثنى عطّك وصعر خدك ، قتلنا أخاك وجدك وعمك وخالك ، فلا تبك على عظام حائلة وأرواح زائلة في الهاوية ، ولا نغضبن لدماء أراقها الشرك وأحلها الكفر ، ووضعها الإسلام.

وأمّا ترك تقديم الناس لنا فيما خلا ، وعدوهم عن الإجتماع أن

(١) النساء / ٥٤ .

يُجْتَمِعُوا عَلَيْنَا ، فَمَا حَرَمُوا مِنَّا أَعْظَمَ مِمَّا حَرَمْنَا مِنْهُمْ ، وَكَلَّ أَمْرٌ إِذَا حَصَلَ حَصَلُ حَاصِلِهِ ، ثَبَتَ حَقُّهُ وَزَالَ بَاطِلُهُ .

وَأَمَّا إِفْتِخَارُكَ بِالْمَلِكِ الزَّائِلِ ، الَّذِي تَوَصَّلْتَ إِلَيْهِ بِالْمَجَالِ الْبَاطِلِ ، فَقَدْ مَلَكَ فِرْعَوْنَ مِنْ قَبْلِكَ .

وَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّا زَعَمْنَا أَنَّ لَنَا مَلِكًا وَمُهَدِيًا ، فَالزَّعْمُ فِي كِتَابِ اللَّهِ شَكٌّ ، قَالَ اللَّهُ : (**زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ**)^(١) ، فَكَلَّ يَشْهَدُ أَنَّ لَنَا مَلِكًا ، وَلَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ وَاحِدٌ لَبَعَثَ اللَّهُ لِأَمْرِهِ مِنْ يَمَلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مَلَأَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا ، وَمَا تَمْلِكُونَ يَوْمًا يَا بَنِي أُمَيَّةَ إِلَّا مَلَكْنَا يَوْمِينَ ، وَلَا شَهْرًا إِلَّا مَلَكْنَا شَهْرَيْنِ ، وَلَا حَوْلًا إِلَّا مَلَكْنَا حَوْلَيْنِ .

وَأَمَّا قَوْلُكَ أَنَّ الْمُهَدِيَّ عَيْسَى بْنَ مَرْيَمَ ، فَإِنَّمَا يَنْزِلُ عَيْسَى عَلَى الدَّجَالِ إِذَا رَأَاهُ ذَابَ كَمَا تَذُوبُ الشَّحْمَةِ ، وَالْإِمَامُ رَجُلٌ مِمَّنْ يَصْلِي خَلْفَهُ عَيْسَى بْنُ مَرْيَمَ لَوْ شِئْتَ سَمِيئَةً .
وَأَمَّا قَوْلُكَ : إِنَّا لَوْ مَلَكْنَا كَانَ مَلَكْنَا أَهْلَكَ لِلنَّاسِ مِنْ رِيحٍ عَادٍ وَصَاعِقَةٍ تَمُودُ فَإِنَّمَا كَانَا عَذَابًا ، وَمَلَكْنَا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَحْمَةً ، فَقَوْلُ اللَّهِ يَكْذِبُكَ فِي ذَلِكَ ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : (**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**)^(٢) .

وَسَيَكُونُ مِنْ بَعْدِكَ تَمَلِّكَ وَلَدِكَ وَوَلَدِ أَبِيكَ ، أَهْلَكَ لِلخَلْقِ مِنَ الرِّيحِ

(١) التَّغَابُنُ / ٧ .

(٢) الْأَنْبِيَاءُ / ١٠٧ .

العقيم ، ثم ينتقم الله بأوليائه وتكون العاقبة للمتقين) (١).

(المحاوراة السادسة)

(فإنّ الباطل لا يغلب الحق)

(عن عبد الملك بن مروان ، قال : كنا عند معاوية ذات يوم وقد أجمع عنده جماعة من قريش وفيهم عدّة من بني هاشم .

فقال معاوية : يا بني هاشم بم تفخرون علينا ، أليس الأب والأم واحداً والدار والمولد واحداً؟

فقال ابن عباس : نفخر عليكم بما أصبحت تفخر به على ساير قريش ، وتفخر به قريش على الأنصار ، وتفخر به الأنصار على ساير العرب ، وتفخر به العرب على العجم (برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبما لا تستطيع له إنكاراً ولا منه فراراً) .

فقال معاوية : يا ابن عباس لقد أعطيت لساناً ذلقاً تكاد تغلب بباطلك حق سواك .

فقال ابن عباس : فإنّ الباطل لا يغلب الحق ، ودع عنك الحسد . فلبس الشعر .

فقال معاوية . صدقت أما والله إني لأحبك لخصال أربع مع مغفرتي لك خصالاً أربعاً .

فأمّا ما أحبّك : فلقرابتك من رسول الله ، وأمّا الثانية فإنّك

(١) مجالس المفيد / ٧ ط النجف ، كشف الغمة / ١٢٧ ط حجرية ، بحار الأنوار ٨ / ٥٧٩ ط حجرية ، و ١٠ / ١٣٠ ط تبريز الحجرية ، الفتن والملاحم / ٨٠ نقلاً عن عيون أخبار بني هاشم لمحمد بن جرير الطبري صاحب التفسير والتاريخ .

رجل من أسرتي وأهل بيتي ومن مصاص عبد مناف ، وأما الثالثة فإنّ أبي كان خلاً لأبيك ،
وأما الرابعة فإنّك لسان قريش وزعيمها وفقهها .

وأما الأربع التي غفرت لك : فعدوك عليّ بصفين فيمن عدا ، واساءتك في خذلان
عثمان فيمن أساء ، وسعيك على عائشة أم المؤمنين فيمن سعى ، ونفيك عني زياداً فيمن
نفى . فضربت أنف هذا الأمر عينه حتى استخرجت عذرك من كتاب الله عزوجل وقول
الشعراء .

وأما ما وافق كتاب الله عزوجل فقوله : (**خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا**)^(١) .

وأما ما قالت الشعراء . فقول أخي بني ذبيان :

ولست بمستبق أخا لا تلمه على شعث أي الرجال المهذب
فأعلم أني قد قبلت فيك الأربع الأولى وغفرت لك الأربع الأخرى ، وكنت في ذلك
كما قال الأوّل :

سأقبل ممن قد أحب جميله وأغفر ما قد كان من غير ذلكا
ثم أنصت .

فتكلم ابن عباس ، فقال بعد حمد الله والثناء عليه : أمّا ما ذكرت أنّك تحبني لقرايتي
من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فذلك الواجب عليك وعلى كلّ مسلم آمن بالله
ورسوله ، لأنّه الأجر الذي سألكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما آتاكم به من
الضياء والبرهان المبين ، فقال عزّ وجلّ : (**قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا**

(١) التوبة / ١٠٢ .

الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى (١)، فمن لم يجب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى ما سأله ، خاب وخزي وكبا في جهنم.

وأما ما ذكرت أبيّ رجل من أسرتك وأهل بيتك ، فذلك كذلك ، وإنما أردت به صلة الرحم ، ولعمري إنك اليوم وصول مما قد كان (مع ما كان) منك مما (فيما) لا تثريب عليك فيه اليوم.

وأما قولك إنّ أبي كان خلاً لأبيك ، فقد كان كذلك ، وقد علمت ما كان من أبي إليه يوم فتح مكة وكان شاكراً كريماً ، وقد سبق فيه قول الأوّل :

سأحفظ من آخى أبي في حياته وأحفظه من بعده في الأقارب
ولست لمن لا يحفظ العهد وامقاً ولا هو عند النائبات بصاحبي

وأما ما ذكرت أبيّ لسان قريش وزعيمها وفقهها ، فإبيّ لم أعط من ذلك شيئاً إلاّ وقد أوتيته ، غير أنّك قد أبيت بشرفك وكرمك إلاّ أن تفضلني ، وقد سبق في ذلك قول الأوّل :

وكلّ كريم للكرام مفضل يراه له أهلاً وإن كان فاضلاً

وأما ما ذكرت من عدوي عليك بصفين ، فوالله لو لم أفعل ذلك لكنت من الأمّ العالمين ، أكانت نفسك تحدثك يا معاوية أبيّ كنت أخذل سيدي وابن عمي أمير المؤمنين وسيد المسلمين ، وقد حشد له المهاجرون والأنصار

والمصطفون الأخيار ، ولم يا معاوية أشكاً في ديني ؛ أم جنباً (حيرة) في سحيتي؟ أم ضناً بنفسي؟ والله أن لو فعلت ذلك لأختبأته فيّ وعاتبته عليهِ .

وأما ما ذكرت من خذلان عثمان ، فقد خذله من كان أمسّ رحماً به مني وأبعد رحماً مني ، ولي في الأقربين والأبعدين أسوة ، وإيّي لم أعد عليه فيمن عدا بل كفتُ عنه كما كفّ أهل المروآت والحجى .

وأما ما ذكرت من سعيي على عائشة ، فإنّ الله تبارك وتعالى أمرها أن تقرّ في بيتها وتحتجب بسترها ، فلمّا كشفت جلباب الحياء (عصت رها) وخالفت نبيّها صلى الله عليه وآله وسلم وسعنا ما كان منا إليها .

وأما ما ذكرت من نفيي زياداً ، فإنّي لم أنفه ، بل نفاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ قال : (الولد للفراش وللعاهر الحجر) ، وإيّي من بعد هذا لأحبّ ما يسرك في جميع أمورك ^(١) .

فتكلم عمرو بن العاص ، فقال : يا أمير المؤمنين والله ما أحبّك ساعة قط ، غير أنّه أعطي لساناً ذرباً يقبّله كيف شاء ، وإن مثلك ومثله كما قال الأوّل .. وذكر بيت شعر .

(١) روى الطيالسي في مسنده / ٣٠٠ ط حيدر آباد بسنده عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : من أدعي إلى غير أبيه فلن يرح رائحة الجنة ، وإن يرحها يوجد من مسيرة سبعين عاماً ، فلما رأى ذلك جنادة بن أبي أمية وكان معاوية أراد أن يدعيه ، قال جنادة : إنما أنا سهم من كنانتك فارم بي حيث شئت . ومن هذا يعلم أن نسب جنادة كنسب زياد ، لذلك أراد معاوية أن يدعيه ، ويعلم أيضاً أن الجميع لا يريحون ریح الجنة ، ولتسخن أعين النواصب الكواذب حين يروون هذا ويروون ما يناقضه .

فقال ابن عباس : إنّ عمرواً داخل بين العظم واللحم ، والعصا واللحا ، وقد تكلم فليستمع ، فقد وافق قرناً. أما والله يا عمرو ، إني لأبغضك في الله وما أعتذر منه ، إنك قمت خطيباً فقلت أنا شانيء محمد فأنزل الله عزّوجلّ : (**إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ**)^(١) ، فأنت أبتَر الدين والدنيا ، وأنت شانيء محمد في الجاهلية والإسلام ، وقد قال الله تبارك وتعالى : (**لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**)^(٢) ، وقد حاددت الله ورسوله قديماً وحديثاً ، ولقد جهدت على رسول الله جهداً ، وأجلبت عليه بخيلك ورجلك ، حتى إذا غلبك الله على أمرك وردّ كيدك في نحره وأوهن قوتك ، وأكذب أحدوثتك ، نزعت وأنت حسير ، ثم كدت بجهدك لعداوة أهل بيت نبيّه من بعده ، ليس بك في ذلك حبّ معاوية ولا آل معاوية ، إلاّ العداوة لله عزّوجلّ ورسوله مع بغضك وحسدك القديم لأبناء عبد مناف ، ومثلك في ذلك كما قال الأوّل :

تعرض لي عمرو وعمرو خزاية تعرض ضبع القفر للأسد الورد
فما هو لي نداءً فأشتم عرضه ولا هو لي عبداً فأبطش بالعبد
فتكلم عمرو بن العاص ، فقطع عليه معاوية.

وقال : أما والله ياعمرو ما أنت من رجاله فإن شئت فقل وإن شئت فدع. فأغتنمها عمرو وسكت.

(١) الكوثر / ٣.

(٢) المجادلة / ٢١.

فقال ابن عباس : دعه يا معاوية فوالله لأسمّنه بميسم يبقى عليه عاره وشناره إلى يوم
القيامة تتحدث به الإمام والعبيد ، ويتغنى به في المجالس ويتحدث به في المحافل.
ثم قال ابن عباس : ياعمرو وابتدأ في الكلام.
فمدّ معاوية يده فوضعها على فيّ ابن عباس ، وقال له : أقسمت عليك يا ابن عباس
إلا أمسكت ، وكره أن يسمع أهل الشام ما يقول ابن عباس.
وكان آخر كلامه : أخسأ أيّها العبد وأنت مذموم. وافترقوا (١).

(المحاورة السابعة)

(ما تكشف الأيام منك إلا عن سيف صقيل)

روى المدائني ، قال :

(وفد عبد الله بن عباس على معاوية مرّة ، فقال معاوية لابنه يزيد ، ولزيد بن سمية ،
وعتبة بن أبي سفيان ، ومروان بن الحكم ، وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة ، وسعيد بن
العاص ، وعبد الرحمن بن أم الحكم :

(١) الخصال للشيخ الصدوق / ١٩٢ - ١٩٣ ط الحيدرية بتقديمي ، بحار الأنوار / ١٠ / ١٢٩ ط تبريز حجرية.
وذكر ما جرى بين ابن عباس ومعاوية من محاورة صاحب مختصر تاريخ الخلفاء (طبع موسكو ١٩٦٧
من ورقة ٢٤٠ - إلى ورقة ٢٤١) وقال : (وإنما أوردنا هذه الحكاية على وجهها لأن فيها مسائل يقع الشك
فيها لكل من تأملها ويشتهي المخرج منها والمظنون أن من جعل عبد الله بن العباس قدوة في ذلك مع علمه وقرباه
برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكونه في الفتن واختياره لنفسه ، وسار بسيرته وحكمه يمثل حكمه كان من
الفائزين) ..

إنَّه قد طال العهد بعبد الله بن عباس ما كان شجر بيننا وبينه وبين ابن عمه ، ولقد كان نَصَبه للتحكيم فدُفِع عنه ، فحرَّكوه على الكلام لنبلغ حقيقة صفته ، ونقف على كنه معرفته ، ونعرف ما صُرف عَنَّا من شبا حدِّه ، ووُوري عَنَّا من دهاء رأيه ، فرمَّما وصف المرء بغير ما هو فيه وأعطى من النعت والإسم ما لا يستحقه.

ثم أرسل إلى عبد الله بن عباس ، فلمَّا دخل عليه وأستقرَّ به المجلس ، ابتدأه عتبة بن أبي سفيان ، فقال : يا ابن عباس ما منع عليًّا أن يوجِّه بك حَكَمًا؟

فقال : أما والله لو فعل لقرن عمرواً بصعبة من الإبل ، يوجع كتفيه مراسها ، ولأذهلت عقله وأجرضته بريقه ، وقدحت في سويداء قلبه ، فلم يبرم أمراً ولم ينفذ تراباً ، إلا كنت منه بمرأى ومسمع ، فإن نكثه أرمت قواه ، وإن أرمته فصمت عراه ، بغرب مقولٍ لا يفل حدِّه ، وأصالة رأي كمتاح الأجل ، لا وزر منه ، أصدع به أديمه ، وأفلَّ به شبا حدِّه ، وأشحد به عزائم المتقين ، وأزيح به شُبه الشاكين.

فقال عمرو بن العاص : هذا والله يا أمير المؤمنين نجوم أوَّل الشر ، وأفول آخر الخير ، وفي حسمه قطع مادته ، فبادره بالحملة وأنتهز منه الفرصة ، وأردع بالتنكيل به غيره ، وشرَّد به مَنْ خلفه.

فقال ابن عباس : يا ابن النابغة ضلَّ والله عقلك ، وسفه حلمك ، ونطق الشيطان على لسانك. هلاًّ توليت ذلك بنفسك يوم صفين حين دعيت نزال ،

وتكافح الأبطال ، وكثرت الجراح ، وتقصفت الرماح ، وبرزت إلى أمير المؤمنين مصاولاً ، فانكفأ نحوك بالسيف حاملاً ، فلما رأيت الكواثر من الموت ، أعددت حيلة السلامة قبل لقائه ، والإنكفاء عنه بعد أجابة دعائه ، فمنحته رجاء النجاة عورتك ، وكشفت له خوف بأسه سوأتك ، حذراً أن يصطلمك بسطوته ، أو يلتهمك بحملته ، ثم أشرت على معاوية كالناصح له بمبارزته وحسنت له التعرض لمكافحته ، رجاء أن تُكفي مؤنته ، وتعدم صورته ، فعلم غلّ صدرك وما أحنّت عليه من النفاق أضلعك ، وعرف مقر سهمك في غرضك ، فأكفف غرب لسانك ، وأقمع عوراء لفظك ، فإنّك بين أسد خادر وبحرٍ زاخر ، إن تبرزت للأسد أفترسك ، وإن عمت في البحر قمسك .

فقال مروان بن الحكم : يا ابن عباس إنّك لتصرف بنابك ، وتوري نارك ، كأنّك ترجو الغلبة ، وتؤمّل العافية ، ولو لا حلم أمير المؤمنين عنك ، لتناولكم بأقصر أنامله ، فأوردكم منهلاً بعيداً صدره ، ولعمري لئن سطا بكم ليأخذنّ بعض حقه منكم ، ولئن عفا عنكم جرائمكم ، فقدبها ما نُسب إلى ذلك .

فقال ابن عباس : وإنّك لتقول يا عدو الله وطريد رسول الله ، والمباح دمه ، والداخل بين عثمان ورعيته بما حملهم على قطع أوداجه وركوب أثباجه ، أما والله لو طلب معاوية ثاره لأخذك به ، ولو نظر في أمر عثمان لوجدك أوله وآخره . وأما قولك لي إنّك لتصرف بنابك وتوري نارك ،

فسل معاوية وعمراً يخبرك ليلة الهريز كيف ثباتنا للمثلات ، واستخفنا بالمعضلات ،
 وصدق جلادنا عند المصاولة ، وصبرنا على الأواء والمطاولة ، ومصافحتنا بجباهنا السيوف
 المرهفة ، ومباشرتنا بنحورنا حدّ الأسنة ، هل خمننا عن كرائم تلك المواقف ، أم لم نبذل
 مهجنا للمتالف ، وليس لك إذ ذاك فيها مقام محمود ، ولا يوم مشهود ، ولا أثر معدود.
 وإثما شهدا ما لو شهدت لأقلقك ، فاربع على ظلعك ، ولا تتعرض لما ليس لك ، فإنك
 كالمغروز في صغد لا يهبط برجل ولا يرقى بيد.

فقال زياد : يا ابن عباس إني لأعلم ما منع حسناً وحسيناً من الوفود معك على أمير
 المؤمنين ، إلا ما سولت لهما أنفسهما ، وغرهما به من هو عند البأساء يسلمهما ، وأيم الله
 لو وليتهما لأدأبا في الرحلة إلى أمير المؤمنين أنفسهما ، ولقلّ بمكانهما لثهما.

فقال ابن عباس : إذن والله يقصر دونهما باعك ، ويضيق بهما ذراعك ، ولو رمت
 ذلك لوجدت من دونهما فئة صدقاً صبراً على البلاء ، لا يخيمون عن اللقاء ، فلعركوك
 بكلاكلهم ، ووطؤك بمناسمهم ، وأوجروك مشق رماحهم ، وشفار سيوفهم ، ووخز أسنتهم ،
 حتى تشهد بسوء ما أتيت ، وتتبين ضياع الحزم فيما جنيت ، فحذار حذار من سوء النية ،
 فإنها ترد الأمنية ، وتكون سبباً لفساد هذين الحيين بعد صلاحهما ، وسعيّاً في إختلافهما
 بعد أتلافهما ، حيث لا يضرهما إيساسك ، ولا يغني عنهما إيناسك.

فقال عبد الرحمن بن أم الحكم : لله در ابن ملجم فقد بلغ الأمل وآمن الوجمل ، وأحدّ الشفرة وألان المهرة ، وأدرك الثار ، ونفى العار ، وفاز بالمنزلة العليا ، ورقى الدرجة القصوى .

فقال ابن عباس : أما والله لقد كرع كأس حنفته بيده ، وعجّل الله إلى النار بروحه ، ولو أبدى لأمير المؤمنين صفحته ، لخالطه الفحل القطم ^(١) ، والسيف الخدم ^(٢) ، ولألعه صاباً وسقاه سمماً ، وألحقه بالوليد وعتبة وحنظلة ، فكلّهم كان أشدّ منه شكيمة وأمضى عزيمة ، ففرى بالسيف هامهم ، ورمهّم بدمائهم ، وقرى الذياب أشلاءهم ، وفرّق بينهم وبين أحبائهم ، أولئك حصّب جهنم هم لها واردون ، فهل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً ، ولا غرو أن ختل ، ولا وصم إن قتل ، فأنا لكما ، قال دريد بن الصمة :

فإنّا للحم السيف غير مكرّه ونلحمه طوراً وليس بذي نكر
يغار علينا واترين فيشتفى بنا إن أصبنا أو نغير على وتر

فقال المغيرة بن شعبة : أما والله لقد أشرت على عليّ بالنصيحة فأثر رأيه ، ومضى على غلوائه ، فكانت العاقبة عليه لا له ، وإني لأحسب أنّ خلّفه يقتدون بمنهجه .

فقال ابن عباس : كان والله أمير المؤمنين عليه السلام أعلم بوجوه الرأي ،

(١) قَطْمُ الفحل ، بالكسر أي احتاج وأراد الضراب (الصحاح . قطم) .

(٢) السيف الخدم ، القاطع (الصحاح . خدم) .

ومعاقد الحزم ، وتصريف الأمور ، من أن يقبل مشورتك فيما نهي الله عنه وعنف عليه ، قال سبحانه : (لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ)^(١). إلى آخر الآية ، ولقد وقفك على ذكر مبين وآية متلوة ، قوله تعالى : (وَمَا كُنْتُمْ تُتَّخَذُ الْمُضِلِّينَ عَصُدًا)^(٢) ، وهل كان يسوغ له أن يحكم في دماء المسلمين وفيء المؤمنين من ليس بمؤمن عنده ، ولا موثوق به في نفسه ، هيهات هيهات هو أعلم بفرض الله وسنة رسوله ، أن يبطن خلاف ما يظهر إلا للتقية ، لات حين تقية ، مع وضوح الحق وثبوت الجنان ، وكثرة الأنصار ، يمضي كالسيف المصلت في أمر الله ، مؤثراً لطاعة ربه ، والتقوى على آراء أهل الدنيا.

فقال يزيد بن معاوية : يا ابن عباس إنك لتنطق بلسان طلق ، تنبئ عن مكنون قلب حرق ، فاطو ما أنت عليه كشحاً ، فقد محاضوء حقنا ظلمة باطلكم.

فقال ابن عباس : مهلا يزيد ، فوالله ما صفت القلوب لكم منذ تكذرت بالعداوة عليكم ، ولا دنت بالمحبة إليكم مذ نأت بالبغضاء عنكم ، ولا رضيت اليوم منكم ما سخطت الأمس من أفعالكم ، وإن تدل الأيام نستقضي ما شد عتاً ، ونسترجع ما ابتز منا ، كيلاً بكيلاً ووزناً بوزن ، وإن تكن الأخرى فكفى بالله ولياً لنا ، ووكيلاً على المعتدين علينا.

(١) المجادلة / ٢٢ .

(٢) الكهف / ٥١ .

فقال معاوية : إنّ في نفسي منكم لحزازات يا بني هاشم ، وإني لخليق أن أدرك فيكم
النار ، وأنفي العار ، فإنّ دماءنا قبلكم ، وظلامتنا فيكم .

فقال ابن عباس : والله إن رمت ذلك يا معاوية لتثيرن عليك أسداً مخدّرة ، وأفاعي
مطرقة ، لا يفتوها كثرة السلاح ، ولا تعضها نكاية الجراح ، يضعون أسيافهم على عواتقهم ،
يضربون قدماً قدماً من ناوهم ، يهون عليهم نباح الكلاب ، وعواء الذئاب ، لا يفاتون بوتر
، ولا يسبقون إلى كريم ذكر ، قد وطنوا على الموت أنفسهم ، وسمت بهم إلى العلياء همهم ،
كما قالت الأزدية .

قوم إذا شهدوا الهياج فلا ضرب ينهـنهم ولا زجر
وكأهم آساد غيلة قد غرثت وبلّ متونها القطر
فلتكونن منهم بحيث أعددت ليلة الهرير للهرب فرسك ، وكان أكبر همك سلامة
حشاشة نفسك ، ولولا طعام من أهل الشام وقوك بأنفسهم ، وبذلوا دونك مهجهم ، حتى
إذا ذاقوا وخز الشفار وأيقنوا بجلول الدمار ، رفعوا المصاحف مستجيرين بها وعائذين
بعصمتها ، لكنك شلواً مطروحاً بالعراء ، تسفي عليك رياحها ، ويعتورك ذباها ، وما أقول
هذا أريد صرفك عن عزيمتك ، ولا أزالتك عن معقود نيتك ، لكن الرحم التي تعطف عليك
، والأواصر التي توجب صرف النصيحة إليك .

فقال معاوية : لله درك يا ابن عباس ، ما تكشف الأيام منك إلا عن سيف صقيل ،
ورأي أصيل ، وبالله لو لم يلد هاشم غيرك لما نقص عددهم ،

ولو لم يكن لأهلك سواك لكان الله قد كثرتهم.
ثم نهض. فقام ابن عباس وأنصرف (١).

(المحاورة الثامنة)

(إنما المعيب من يطلب ما ليس له)

(أقبل معاوية ذات يوم على بني هاشم ، فقال : يا بني هاشم ألا تحدثوني عن إدعائكم الخلافة دون قريش بم تكون لكم؟ أبالرضا بكم؟ أم بالإجماع عليكم دون القرابة؟ أم بالقرابة دون الجماعة؟ أم بهما جميعاً؟ فإن كان هذا الأمر بالرضا والجماعة دون القرابة فلا أرى القرابة أثبتت حقاً ولا أسست ملكاً ، وإن كان بالقرابة دون الجماعة والرضا ، فما منع العباس عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ووارثه وساقى الحجيج وضامن الأيتام أن يطلبها وقد ضمن له أبو سفيان بن عبد مناف ، وإن كانت الخلافة بالرضا والجماعة والقرابة جميعاً ، فإنّ القرابة خصلة من خصال الإمامة لا تكون الإمامة بها وحدها ، وأنتم تدعون بها وحدها. ولكننا نقول أحق قريش بها من بسط الناس أيديهم إليه بالبيعة عليها ، ونقلوا أقدامهم إليه للرغبة ، وطارت إليه أهواؤهم للثقة ، وقاتل عنها (عليها . خ ل .) بحقها فأدركها من وجهها ، إنّ أمركم لأمر تضيق به الصدور إذا سئلتهم عن من إجتمع عليه من غيركم ، قلتهم حق ، فإن كانوا اجتمعوا على حق فقد أخرجكم الحق من

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦ / ٢٩٥ .

دعواكم ، أنظروا فإن كان القوم أخذوا حقكم فاطلبوهم ، وإن كانوا أخذوا حقهم فسلّموا إليهم ، فإنه لا ينفعكم أن تروا لأنفسكم ما لا يراه الناس لكم. ثم سكت.

فالتفت إليه حبر الأمة ابن عباس لسان قريش وترجمان القرآن قائلاً : ندّعي هذا الأمر بحق من لولا حقه لم تقعد مقعدك هذا ، ونقول كان ترك الناس أن يرضوا بنا ، ويجتمعوا علينا حقاً ضيعوه وحقاً حرموه ، وقد إجتمعوا على ذي فضل لم يخطئ الورد والصدر ، ولا ينقص فضل ذي فضل فضل غيره عليه ، قال الله عزوجل : (**وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ**)^(١).

فأما الذي منعنا من طلب هذا الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فعهدٌ منه إلينا قبلنا فيه قوله ، ودنّاً بتأويله ، ولو أمرنا أن نأخذه على الوجه الذي نهانا عنه لأخذناه أو أعذرنا فيه ، ولا يعاب أحد على ترك حقه (إنّما المعيب من يطلب ما ليس له).

وكلّ صواب نافع وليس كلّ خطأ ضاراً. انتهت القضية إلى داود وسليمان فلم يفهمها داود وفُهِمَها سليمان ولم يضّر داود.

فأما القرابة فقد نفعت المشرك وهي للمؤمن أنفع. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (أنت عمي . العباس . وصنو أبي ، ومن أبغض العباس فقد أبغضني ، وهجرتك آخر الهجرة ، كما أن نبؤتي آخر النبوة) ، وقال لأبي طالب عند موته : (يا عم قل لا إله إلا الله أشفع لك بها غداً ، وليس ذاك لأحد من

(١) هود / ٤ .

الناس) ، قال الله تعالى : (**وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارًا أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا**)^(١) (٢).

(المحاوراة التاسعة)

(أرحني من شخصك شهراً)

روى الجاحظ في (المحاسن والأضداد) ، والبيهقي في (المحاسن والمساوي) وهذا لفظه ، قال :

(وروي عن ابن عباس أنه قال : قدمت على معاوية وقد قعد على سريره وجمع أصحابه ، ووفود العرب عنده ، فدخلت فسلمتُ وقعدت .

فقال : من الناس يا بن عباس؟

فقلت : نحن .

قال : فإذا غبتم؟

قلت : فلا أحد .

(١) النساء / ١٨ .

(٢) عيون الأخبار لابن قتيبة ١ / ٥ ط دار الكتب ، ولم أفد فعلاً على المحاوراة في مصدر آخر يوثق به ، ولما كان ابن قتيبة متهما بالنصب ففي النفس . ريب من صحة جميع ما ذكر في نفع القرابة بقول ابن عباس : (فقد نفعت المشرك وهي للمومن أنفع) وما ذكره من قول النبي لعميه العباس وأبي طالب هو مبعث الشك في صحة المروي ، وذلك أن ابن عباس هو ممن يدافع عن إيمان أبي طالب عليه السلام وكان أبوه قبله يشهد بذلك . فكيف يعقل ويقبل ما ذكره ابن قتيبة في المقام ، ولعله ممّا تزيده الرواة فصادف هوى في نفس ابن قتيبة والله أعلم .

قال : ترى أني قعدت هذا المقعد بكم؟

قلت : نعم ، فيمن قعدت؟

قال : بمن كان مثل حرب بن أمية.

قلت : بل بمن أكفأ عليه إناءه وأجاره بردائه.

قال : فغضب ، وقال : وار شخصك عني شهراً ، فقد أمرت لك بصلتك وأضعفتها

لك.

فلما خرج ابن عباس قال لخاصته : ألا تسألوني ما الذي أغضب معاوية؟ إنّه لم يلتق أحد من رؤساء قريش في عقبه ولا مضيق مع حرب إلا لم يتقدمه أحد حتى يجوزه ، فالتقى حرب بن أمية مع رجل من بني تميم في عقبه فتقدمه التميمي ، فقال حرب : أنا حرب بن أمية ، فلم يلتفت إليه وجاز ، فقال : موعدك مكة ، فبقي التميمي يهزأ دهنراً ثم أراد دخول مكة ، فقال : من يجيرني من حرب بن أمية؟ فقالوا : عبد المطلب ، قال : عبد المطلب أجل قدرأ دهنراً من أن يجير على حرب ، فأتى ليلاً دار الزبير بن عبد المطلب ، فدق عليه ، فقال الزبير لعبدته : قد جاءنا رجل إما طالب حاجة ، وإما طالب قرى ، وإما مستجير ، وقد أعطيناه ما أراد ، قال : فخرج إليه الزبير ، فقال :

لاقيت حرباً في الثنية مقبلاً والصبح أبلج ضوءه للسماري
فدعا بصوت وأكتني ليرو عني ودعا بدعوته يريد فخاري
فتركته كالكلب ينبح وحده وأتيت أهل معالم وبخاري

ليشا هزبراً يستجار بقربه رحبّ المباءة مكرماً للجار
 ولقد حلفت بزمرم وبمكة والبيت ذي الأحجار والأستار
 إنّ الزبير لما نعي من خوفه ما كبر الحجاج في الأمصار
 فقال : تقدم فإننا لا نتقدم من نجيره ، فتقدم التميمي ، فدخل المسجد فرآه حرب ،
 فقام إليه فلطمه فحمل عليه الزبير بالسيف ، فعدا حتى دخل دار عبد المطلب ، فقال :
 أجزني من الزبير ، فأكفأ عليه جفنة كان هاشم يطعم فيها الناس ، فبقي هناك ساعة ، ثم
 قال له : أخرج ، فقال : كيف أخرج وتسعة من ولدك قد احتبوا بسيوفهم على الباب ،
 فألقى عليه رداءً كان كساه سيف بن ذي يزن له طرتان خضراوان ، فخرج عليهم ، فعلموا
 أنّه قد أجاره ففرقوا عنه (١).

(المحاورة العاشرة)

(لا منكر أعظم من ذبحك الإسلام بشفرة الشرك)

جاء في كتاب (أخبار الدولة العباسية) لمؤلف مجهول ، ذكر محاورة شديدة اللهجة ،
 قوية الحججة جرت بين ابن عباس ومعاوية ، ولم أقف عليها ، في مصدر آخر ، ولا تخلو من
 إثارة بعض علامات الإستفهام حول بعض ما جاء فيها ، من تنميق لفظي ، وسجع
 متكلف أحياناً فيما يبدو ،

(١) المحاسن والمساويء ١ / ٦٦ - ٦٧ ط السعادة بمصر ١٣٢٥ ، المحاسن والأضداد / ١١٦ ط المعاهد بمصر

وكأته كلام مصنوع ، ولعله من نسج بعض أدباء ذلك العصر الذي عاشه الجاحظ ، أو أبو حيان التوحيدي ، أو أبو العيناء ، ممن قيل فيهم إنهم يتهمون بمثل هذا ، ولا أريد أن أتهمهم به ، غير أنّ معناه يتفق مع مبناه ، ويتسق مع ما قرأناه ونقرأه من محاورات ابن عباس مع معاوية ، لذلك فلا مانع عندي من احتمال صحة روايته وإليك حديثه ، قال :

(دخل ابن عباس على معاوية وعنده جماعة من قريش فيهم عبد الله ابن عمر. فلما جلس قال له معاوية : إنك يا بن عباس لترمقني شرراً كأني خالفت الحق أو أتيت منكراً. قال ابن عباس : لا منكر أعظم من ذبحك الإسلام بشفرة الشرك ، واغتصابك ما ليس لك بحق اعتداءً وظلماً.

فقال معاوية : إنما ذبح الإسلام من قتل إمام الأمة ونقض العهد ، وخفر الذمة ، وقطع الرحم ولم يرع الحزمة ، وترك الناس حيارى في الظلمة.

قال ابن عباس : كان الإمام من سبق الناس إلى الإسلام طراً ، وضرب خيشوم الشرك بسيف الله جهراً ، حتى انقاد له جماهير الشرك قهراً ، وأدخلك وأباك فيه قسراً ، فكان ذلك الإمام حقاً ، لا من خالف الحق حقماً ، ومزق الدين فصار محقاً.

فقال معاوية : رفقا يا بن عباس رفقا ، قد أتيت جهلاً وخرقاً ، فوالله ما قلت حقاً ، ولا تحريت في مقالك صدقاً فمهلاً مهلاً. لقد كان من ذكرته إماماً عادلاً ، وراعياً فاضلاً ، يسلك سبيلاً ، مليء حلماً وفهماً ، فوثبتم عليه

حسداً ، وقتلتموه عدواناً وظلماً.

قال ابن عباس : إنه اكتسب بجهده الآثام ، وكايد بشكته الإسلام ، وخالف السنة والأحكام ، وجار على الأنام ، وسلط عليهم أولاد الطغام ، فأخذ الله أخذ عزيز ذي انتقام.

قال معاوية : يا ابن عباس يملك شدة الغضب على سوء الأدب ، حتى لتخل في الجواب ، وتحيد عن الصواب ، تقعد في مجلسنا ، تشتتم فيه أسلافنا ، وتعييب فيه كبراءنا وخيار أهلنا ، ما ذنب معاوية إن كان عليّ فاته زمانه ، وخذله أعوانه ، وأخذوا سلطانه ، وقعدوا مكانه ، أمّا معاوية فأعطي الدنيا فأمكنكم من خيرها ، وباعدكم من شرّها ، كان لكم صفوها وحلوها ، ولي كدرها ومُرّها.

قال ابن عباس : ذنب معاوية ركوبه الآثام ، وإستحلاله الحرام ، وقصده لظلم آل خير الأنام ، ما رعى معاوية للنبوّة حقها ، ولا عرف لهاشم فضلها وقوتها ، وبنا أكرم الله معاوية فأهاننا ، وبنا أعزه الله فأهاننا ، ثم ها هو ذا يصول بعزّتنا ، ويسطو بسلطاننا ويأكل فيئنا ، ويرتع في ثروتنا ، ثم يمتنّ علينا في إعلامنا إيانا بأنّه لا يعتذر إلى الله من ظلمنا.

قال معاوية : يا ابن عباس إنّ افتخارك علينا بما لا نقر لك به إفك وزور ، وتبجحك بما لا نشهد لك به هباء منثور ، واتكال أبناء السوء على سيادة الأباء ضعف وغرور ، ونحن للورى أنجم وبحور ، نفي بالندور ، ونصل بالبدور ، وبساحتنا رحي السماحة تدور.

قال ابن عباس : لئن قلت ذلك يا معاوية ، لطالما أنكرتم ضوء البدور ، وشعاع النور ، وسميتم كتاب الله بيننا أسطوراً ، ومحمداً صلى الله عليه وآله وسلم ساحراً وصنبوراً^(١) ، ولقول القائل : تلقّوها يا بني أمية تلقف الكرة لا بعث ولا نشور ، وتنسموا نسيم هذا الروح فما بعده أوبة ولا كرور ، وكان لعمر الله القطب الذي عليه رحي الضلالة تدور .
فغضب معاوية وقال : يا ابن عباس أربع على نفسك ، ولا تقس يومك بأمسك ، هيهات ، صرّح الحق عن محضه ، وزهق الباطل عن دحضه ، أمّا إذا أبيت فأنا كنت أحق بالأمر من ابن عمك .

قال ابن عباس : ولم ذاك؟ وعليّ كان مؤمناً وكنّت كافراً؟ وكان مهاجراً وكنّت طليقاً؟
قال : لا ، ولكنني ابن عم عثمان .

قال : فإنّ ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خير من ابن عم عثمان .
قال : إنّ عثمان كان خيراً من عليّ وأطيب .

قال ابن عباس : كلا ، عليّ أزكى منه وأطهر ، وأعرف في ملكوت السماوات وأشهر ، أتقرن يا معاوية رجلاً غاب عن بدر ولم يشهد بيعة الرضوان ، وفرّ يوم التقى الجمعان ، ابن مخنث قريش ، الذي لم يسلّ سيفاً ، ولم يدفع عن نفسه ضيماً إلى قريع العرب وفارسها ، وسيف النبوة

(١) صنبور : الرجل الضعيف الذليل بلا أهل ولا عقب ولا ناصر ، وكان كفار قريش يقولون محمد صنبور ، انظر اللسان وتاج العروس مادة صنبور .

وحارسها ، أكثرها علماً ، وأقدمها سلماً ، إذن قسمة ضيزى أبا عبد الرحمن.

قال معاوية : إنّ عثمان قتل مظلوماً.

قال ابن عباس : فكان ماذا؟ فهذا إذن أحقّ بها منك ، قتل أبوه قبل عثمان . يعني

ابن عمر ..

قال معاوية : إنّ هذا قتله مشرك ، وعثمان قتله المؤمنون.

قال ابن عباس : فذلك أضعف لقولك وأدحض لحجتك ، ليس من قتله المشركون

كمن نحره المؤمنون.

فقال معاوية : ترى يا ابن عباس أن تصرف غرب لسانك وحدّة نبالك إلى من دفعكم

عن سلطان النبوة وألبسكم ثوب المذلة ، وابتزكم سريال الكرامة ، وصيّركم تبعاً للأذنان بعد ما كنتم عزّ هامات السادات ، وتدع أمية ، فإنّ خيرها لك حاضر ، وشرها عنك غائب.

قال ابن عباس : أمّا تيم وعدي فقد سلبونا سلطان نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ،

عدوا علينا فظلمونا ، وشفوا صدور أعداء النبوة منّا ، وأمّا بنو أمية فإنهم شتموا أحياءنا

ولعنوا موتانا ، وجاوزوا حقوقنا واجتمعوا على إخماد ذكرنا وإطفاء نورنا ، فيأبى الله إلاّ علواً ،

ولنورنا إلاّ ضياءاً والله للفريقين بالمرصاد.

قال معاوية : ما نرى لكم علينا من فضل ، ألسنا فروع دوحة يجمعنا عبد مناف؟

قال ابن عباس : هيهات يا معاوية ، حدث عن الصواب ، وتركت

الجواب ، بيننا وبينكم برزخ وحجاب ، أنتم الحثالة ونحن اللباب ، ولشتان ما بين العبيد والأرباب ، أتجعل أمية كهاشم؟ إن هاشماً كان صميماً كريماً ، ولم يكن لثيماً ولا زنيماً ، أول من هشم الثريد وسنّ الرحلتين ، وله يقول القائل :

عمرو الذي هشم الثريد لقومه ورجال مكة مستنون عجاف
سافرين سنهما له ولقومه سفر الشتاء ورحلة الأضياف (١)

(المحاوراة الحادية عشرة)

(لو ولينا أحسنا المواساة)

أخرج المعافى بن زكريا الجريري في كتاب (المجلس الصالح) ، وابن عساكر في (تاريخ مدينة دمشق) ، وابن عبد ربه الأندلسي في (العقد الفريد) ، واللفظ للأول ، بسنده عن هشام الكلبي ، عن أبيه ، قال :

(لم يكن أحد من بني هاشم أكثر غشياناً لمعاوية من عبد الله بن العباس ، فوفد إليه مرة وعنده وفود العرب ، فأقعه عن يمينه ، ثم أقبل عليه ، فقال : نشدتك بالله يا ابن عباس أن لو وليتمونا أتيتم إلينا ما أتينا لكم من الترحيب والتقريب ، وإعطائكم الجزيل ، وإكرامكم عن القليل ، وصبرتم على ما صبرت عليه منكم ، إني لا أريد أمراً إلا أظمأتم صدره ، ولا آتي معروفاً إلا صغرتم قدره ، وأعطيتكم العطية فيها قضاء حقوقكم ،

(١) أخبار الدولة العباسية / ٤٧ . ٥٠ تح الدكتور عبد العزيز الدوري والدكتور عبد الجبار المطليبي ط دار الطليعة بيروت ١٩٧١ م.

فتأخذوها متكارهين عليها ، تقولون : قد نقص الحق ، وليس هذا تأميلنا ، فأبي أمل بعد ألف ألف أعطيتها الرجل منكم ، أكون أسرّ بإعطائها منه بأخذها ، والله لعن انخدعت لكم في مالي ، وذلكت لكم في عرضي ، أرى انخداعي تكرماً وذلي حليماً ، ولو وليتمونا رضينا منكم بالإنصاف ، ثم لا نسألكم أموالكم ، لعلمنا بحالنا وحالكم ، ويكون أبغض الأمور إلينا أحبها إليكم أن نعفيكم ، قل يا بن عباس؟

فقال ابن عباس : ولو ولينا منكم مثل الذي وليتم منا أحسننا المواساة ، وامتننا بالإثارة ، ثم لم نعشم الحي ، ولم نشتم الميت ، ولم ينبش الميت بعداوة الحي ، ولأعطينا كل ذي حق حقه ، فأما أعطواكم الرجل منا ألف ألف ، فلستم بأجود منا كفاً ، ولا أكرم منا أنفساً ، ولا أصون لأعراض المرؤات وأهداف الكرم ، ونحن والله أعطى للآخرة منكم للدنيا ، وأعطى في الحق منكم على الباطل ، وأعطى على التقوى منكم على الهوى ، والقسم بالسوية ، والعدل في الرعية ، يأتيان على المنى ، فأما رضاكم منا بالكفاف ، فلو رضيتم منا لم نرض بأنفسنا به لكم ، والكفاف رضا من لاحق له ، فلو رضيتم به منا اليوم ما قتلتمونا عليه أمس ، فلا تبخلونا حتى تسألونا ولا تفضونا حتى تذوقونا^(١).

فقال الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب :

(١) العقد الفريد ٢ / ٣١٧ ط مصر الأولى بن زكريا الحريري ٣ / ١٩٨ . ١٩٩ / ٤ / ٨ ط مصر تحقيق أحمد أمين ورفيقه . تاريخ مدينة دمشق ٤٨ / ٣٣٧ . ٣٤٠ ط دار الفكر بيروت.

وقال ابن حرب قوله أموية
أحب يا بن عباس تراكم لو أنكم
أتيتم إلينا ما أتينا إليكم
فقال ابن عباس مقالاً أمضه
نعم لو وليناكم عدلنا عليكم
ولم يعتمد للحبي والميت غمة
ولم نعظكم إلا الحقوق التي لكم
وما ألف ألف تستميل ابن جعفر
فأصبح يرمي من رماكم ببعضه
فأعظم بما أعطاك من نصح جيبه

يريد بما قد قال تفتيش هاشم
ملكتم رقاب الأكرمين الأكارم
من الكف عنكم واجتباء الدراهم
ولم يكن عن ردّ الجواب بنائم
ولم تشتكوا منا انتهاك المحارم
تحذّثها الركب ان أهل المواسم
وليس الذي يعطي الحقوق بظالم
بها يا بن حرب عند حرّ الغلاصم
عدو المعادي سالماً للمسلم
ومن أمر عيب ليس فيه بنادم (١)

(المحاوراة الثانية عشرة)

(بنا فتح الأمر وبنا يخنم)

(قال يوماً معاوية وعنده ابن عباس : إذا جاءت هاشم بقديمها وحديثها ، وبنو أمية
بأحلامها وسياستها ، وبنو أسد بن عبد العزي بوافدها ودياتها ، وبنو عبد الدار بحجابتها
ولوائها ، وبنو مخزوم بأموالها وأفعالها ، وبنو تميم بصديقيها وجوادها ، وبنو عدي بفاروقها
ومتذكرها ، وبنو سهم

(١) الجليس الصالح ٣ / ١٩٨ . ١٩٩ ، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٤٨ / ٣٣٧ . ٣٤٠ ط دار الفكر ،
ومختصر تاريخ دمشق لابن منظور ٢ / ٢٨٢ . ٢٨٤ ، العقد الفريد ٢ / ٣١٧ ط مصر الأولى ١٤ / ٨ تحقيق
أحمد امين ورفيقه .

بآرائها ودهائها ، وبنو جمح بشرفها وأنوفها ، وبنو عامر بن لوي بفارسها وقريعتها ، فمن ذا يحمل مضمارها ، ويجري إلى غايتها. ما تقول يا بن عباس؟

قال : أقول : ليس حي من قريش يفتخرون بأمر إلا وإلى جنبهم من يشركوهم فيه إلا بني هاشم ، فإنهم يفتخرون بالنبوة التي لا يشاركون فيها ، ولا يسأوون بها ، ولا يدفعون عنها ، وأشهد أن الله تعالى لم يجعل محمداً من قريش إلا وقريش خير البرية ، ولم يجعله في بني هاشم إلا وهاشم خير قريش ، ولم يجعله في بني عبد المطلب إلا وهم خير بني هاشم ، ولسنا نريد أن نفخر عليكم إلا بما تفخرون به على العرب ، وهذه أمة مرحومة ، فمنها نبيها ومهديها ومهدي آخرها ، لأن بنا فتح الأمر وبننا يختم ، ولك ملك معجل ، ولنا ملك مؤجل ، فإن يكن ملككم قبل ملكنا ، فليس بعد ملكنا ملك ، لأننا أهل العاقبة ، والعاقبة للمتقين (١).

(المحاوره الثالثه عشرة)

(أكفاك أم أزيدك)

أخرج البلاذري في (أنساب الأشراف) ، وابن عساكر في (تاريخ دمشق) ، وابن منظور في (مختصر تاريخ دمشق) ، واللفظة منهم جميعاً بتلفيق :
(قال : معاوية يوماً وعنده عبد الله بن جعفر ، وعبد الله بن عباس ،

(١) الملاحم والفتن للسيد ابن طاووس / ٨١ - ٨٢ ، العقد الفريد ٢ / ٣١٨ ط مصر الأولى تح أحمد أمين ورفيقه.

والفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب ، وذكروا أنّ معاوية أقبل على بني هاشم ، فقال : يا بني هاشم إنّ خيرى لكم ممنوح ، وبابي مفتوح ، فلا تقطعوا خيرى عنكم ، ولا تغلقوا بابى دونكم ، وقد رأيت أمرى وأمركم متفاوتاً ، فرأيت أمراً مختلفاً ، إنكم ترون أنّكم أحق بهذا الأمر منى بما فى يدي منى ، وأنا أرى أنّى أحق به منكم ، فإذا أعطيتكم العطية فيها قضاء حقوقكم قلتم : أعطانا دون حقنا ، وقصر بنا عن قدرنا دون منزلتنا ، فصرت كالمسلوب لا يحمد على ما أخذ منه ، فبئست المنزلة نزلت بها منكم ، أعطي فلا أشكر ، وأمنع فلا أعذر ، ونعمت المنزلة نزلتم بها منى ، إنصاف قائلكم ، وإعطاء سائلكم .

فقال له عبد الله بن عباس : ما ههنا سلوب غيرنا ، إذ كان الحق حقنا دون الناس ، ووالله ما منحتنا شيئاً حتى سألناه خيرك حتى طلبناه ، ولا فتحت لنا بابك حتى قرعناه ، ولئن قطعت عنا خيرك فخير الله لنا أوسع منك إنّ الله عزّ وجلّ لأرحم بنا منك ، ولئن أغلقت دوننا بابك لنكفّن أنفسنا عنك ، فوالله ما سألنا قط عن خلة ولا أحفيناك فى مسألة ، ولا سألناك باهظة ، وإنّ من ضعة الدين وعظيم الفتنة فى المسلمين قرعنا بابك ، وطلبنا ما فى يدك .

فأمّا هذا المال الفيئى فليس لك منه إلّا ما لرجل من المسلمين ، ولنا فى كتاب الله حقان : حق خمس الغنيمة وحق الفيئى ، فخمس الغنيمة ما غلبنا عليه ، والفيئى ما اجتبيناه ، فعلى أيّ الوجوه خرج ذلك منك أخذنا ، وحمدنا

الله عليه ، ثم لم نخلك من شكر خير جرى على يدك ، ولولا حقنا في هذا المال ما أتاك ممّا زائر يحمّله خفّ ولا حافر ، أكفأك أم أزيدك؟

فقال معاوية : حسبك يا بن عباس كفاك كفاك فإنّك تكوي ولا تغوي.

فقال الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب :

ألا أبلغ معاوية بن صخر فإنّ المرء يعلم ما يقول
لنا حقان حق الخمس وافٍ وحق الفيء جاء به الرسول
فكلّ عطية وصلت إلينا وإن سحبت لخدعتها الذبول
ففي حكم القرآن لنا مزيد على ما كان لا قال ولا قيل
أنأخذ حقنا وتريد حمداً له هـذاك تأباه العقول
فقال له ابن عباس مجيباً فإنّ جوابه صدع أصيل
فأدركه الحياء فصدّ عنه وخطبهما إذا ذكرا جليل (١)

(المآورة الرابعة عشرة)

(حسبك يرحمك الله)

أخرج البلاذري في (أنساب الأشراف) بسنده عن جويرية :

(١) أنساب الأشراف ١ / ٤ / ١١١ - ١١٣ برقم ٣٣٣ ط بيروت ١٤٠٠ هـ بتحقيق الدكتور أحسان عباس ، العقد الفريد ٢ / ٣١٧ ط مصر الأولى ، أمل الأمل للجاحظ / ٢٨ - ٢٩ تحقيق الدكتور رمضان شش ط دار الكتاب الجديد بيروت سنة ١٣٨٧ هـ ، المستطرف للإبشيهي ١ / ٥٨ ، ثمرات الأوراق لابن حجة بهامش المستطرف ١ / ١٣٥ ، وأخبار العباس . الدولة العباسية . / ٥٤ . ٥٦ تحقيق الدكتور الدوري وعبد الجبار المطليبي بيروت سنة ١٩٧١ م .

(أنّ عمرو بن العاص قال لعبد الله بن عباس : يا بني هاشم ، أما والله لقد تقلدتم من دم عثمان كفرم الإمام العوارك ، وأطعتم فُسّاق أهل العراق في عيبيه ، وأجزتموه مرآق أهل مصر ، وآويتم قتلته ، وإّما نظر الناس إلى قريش ، ونظرت قريش إلى بني عبد مناف ، ونظر بنو عبد مناف إلى بني هاشم .

فقال ابن عباس لمعاوية : ما تكلم عمرو إلّا عن رأيك ، وإنّ أحق الناس أن لا يتكلم في قتل عثمان لأنتما ، أمّا أنت يا معاوية فزيّنت له ما صنع ، حتى إذا حُصِر طلب نصرك ، فأبطأت عنه وتناقلت وأحببت قتله ، وتربصت لتتال ما نلت . وأمّا أنت يا عمرو فأضرمت المدينة عليه ناراً ، ثم هربت إلى فلسطين ، فأقبلت تحرض عليه الوارد والصادر ، فلمّا بلغك قتله ، دعيتك عداوة عليّ إلى أن لحقت بمعاوية ، فبعت دينك منه بمصر .

فقال معاوية : حسبك يرحمك الله ، عرضني لك ونفسي فلا جزي خيراً^(١) .

(المحاوراة الخامسة عشرة)

(فاتق الله يا معاوية)

روى صاحب كتاب (نزهة السامع) ، والديلمي في (غرر الأخبار ودرر الآثار) ،

عن ابن عباس :

(١) أنساب الأشراف ١ / ٤ ق / ٩٤ برقم ٣٠٠ ، تاريخ الإسلام للذهبي ٢ / ٢٣٨ ، سير اعلام النبلاء للذهبي

٣ / ٢٥٢ ط دار الفكر بيروت ، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ١٣ / ٢٦٣ .

(أنه دخل على معاوية يوماً وكان مريضاً ، فرآه معاوية على تلك الحال فطمع فيه .
فقال : يا بن عباس الله أعلم حيث يجعل رسالته .

فقال له ابن عباس : الحمد لله الذي أنطقك حقنا ، وعزفك فضلنا ، والحمد لله
الذي جعل الخير منا ، والنبوة فينا ، وجعلنا أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس
وطهرهم تطهيرا .

قال : وكان معاوية متكئاً فجلس ، وقال : كيف رأيتم الله حرمكم هذا الأمر الذي
عرضتم له مناكبكم؟

فقال له ابن عباس : يا معاوية إن الله لم يزل يذود أوليائه عن الدنيا زياد الراعي أبله
عن موارد الهلكة ، وقد قال سبحانه : (**قُلْ مَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ**)^(١) . وأيم الله لولا
حق النبوة وحرمة الإسلام ووصية النبيّ بهما عند عدم الناصر ، وغلبة العدو ، لعلمت أنه
يقصر باعك ويضيق منكبك أن تقذف دلواً في طوى^(٢) شدّ عليها هاشمي رشاء^(٣) .

فقال له معاوية : يا بن عباس لا أزال أمازحك ولم تحلم .

فقال ابن عباس : إنّ الحلم عمّن يرى له الفضل عليك صعب ، فاتق الله يا معاوية
وأعرف الحق لأهله ، ولعمري إنك لتعرفه ولكنك تنكره (٤) .

(١) إبراهيم / ٣٠ .

(٢) الطوى : البئر المبنية بالحجارة .

(٣) الرشاء : الحبل الذي يشدّ به الدلو .

(٤) غرر الأخبار ودرر الآثار / ٢٧٠ ، والصوارم المهركة / ٦ ط ١ بتحقيق جلال الدين الحسيني .

(المحاوراة السادسة عشرة)

(من عذيري من معاوية)

(كان معاوية بن أبي سفيان يلبس الحرير ، فدخل عليه ابن عباس فنهاه فلم ينته ، فقال له : إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال : (إنّّه محرم على رجال أمتي) . قال معاوية : وأنا لا أرى به بأساً .

فقال ابن عباس : من عذيري من معاوية بن أبي سفيان ، أنا أقول له : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو يقول : وأنا لا أرى به بأساً)^(١) .

(المحاوراة السابعة عشرة)

(أيها يابن عباس حديثاً في غير هذا)

(استأذن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما على معاوية وعنده بطون قريش ، فلما نظر معاوية إلى ابن عباس مقبلاً التفت إلى سعيد بن العاص وكان جالساً عن يمينه ، وقال : لألقين على ابن عباس مسائل يعي بجوابها .

فقال له سعيد : ليس ابن عباس ممن يعي بجواب مسائلك .

فلما جلس ابن عباس ، قال له معاوية : يابن عباس إني أريد أن أسألك عن مسائل .

قال : سل عما بدا لك .

قال : ما تقول في أبي بكر؟

(١) كذا جاء في رسالة في ترجمة رقية وزينب وأم كلثوم المزوجتين من عثمان / ٢٤ الملحقه بالطبع بكتاب مكارم الأخلاق للطبرسي وفرحة الغري لابن طاووس ط حجرية بإيران .

قال : رحم الله أبا بكر ، كان والله للقرآن تالياً ، وعن المنكر ناهياً ، وبذنبه عارفاً ، ومن الله خائفاً ، وعن الشبهات زاجراً ، وبالمعروف آمراً ، وبالليل قائماً ، وبالنهار صائماً ، فاق أصحابه ورعاً وكفافاً^(١) ، وسادهم زهداً وعفافاً ، فغضب الله على من أبغضه وطعن عليه .

قال معاوية : أيها^(٢) يابن عباس فما تقول في عمر بن الخطاب؟

قال : رحم الله عمر ، كان والله حليف الإسلام ، ومأوى الأيتام ، ومنتهى الإحسان ، ومنهل الإيمان ، وكهف^(٣) الضعفاء ، ومعقل الحنفاء^(٤) ، قام بحق الله عز وجل صابراً محتسباً^(٥) ، حتى أوضح الدين وفتح البلاد ، وآمن العباد ، فأعقب الله على من ينقصه اللعنة إلى يوم الدين .

قال : فما تقول في عثمان؟

قال : رحم الله أبا عمرو كان والله أكرم الجعدة ، وأفضل البررة ، هجاداً بالأسحار ، كثير الدموع عند ذكر النار ، تهاضاً عند كل مكرمة ، سباقاً إلى كل منحة ، حياً أياً وفيماً ، صاحب جيش العسرة ، وختن^(٦) رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فأعقب الله على من لعنه لعنة اللاعنين إلى يوم الدين .

(١) أي رضي بالكفاف ، والكفاف من الرزق ما كفّ عن الناس وأغنى .

(٢) أي حسبك وهو أمر بالسكوت عن الإسترسال في الكلام .

(٣) الكهف : اللجأ وكذلك المعقل .

(٤) الحنفاء : جمع حنيف وهم النساك .

(٥) أحتسب أجراً عند الله بفعله كذا طلب الأجر منه تعالى .

(٦) ختن الرجال . عند العامة . زوج ابنته .

قال : فما تقول في عليّ؟

قال : صلوات الله على أبي الحسن . خ ل رضي الله عن أبي الحسن . كان والله علم الهدى ، وكهف التقى ، ومحل الحجى (١) ، وبجر غيث الندى ، وطود (٢) النهى ، ومنتهى العلم للورى ، وكهف العلى ، ونوراً أسفر في الدجى ، وداعياً إلى المحجة العظمى (٣) ، ومستمسكاً بالعروة الوثقى ، وعالمماً بما في الصحف الأولى ، قائماً بالتأويل والذكرى ، متعلقاً بالأسباب الحسنى ، تاركاً الجور والأذى ، حايداً عن طرقات الردى ، خير من آمن وأتقى ، وأفضل (سيد . خ ل) من تقمصّ وارتدى ، وأبر (أفضل . ح ل .) من أنتعل وسعى (حج وسعى . خ ل .) ، وأكرم من شهد النجوى ، وأفصح من تنفس وقرأ ، وأكثر من شهد النجوى (٤) ، وأخطب أهل الدنيا سوى

(١) بالكسر والقصر : العقل.

(٢) الطود : الجبل . النهي : جمه النهية وهي العقل . مثل هدية وقدى .. أي جبل العقل.

(٣) المحجة : السبيل والطريق الواضح.

(٤) إشارة إلى قوله عليه السلام في حديث المناشدة يوم الشورى حين قال : (فأنشدكم بالله هل فيكم أحد ناجى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عشر مرات يقدم بين يدي نجواه صدقة قبلي؟ قالوا : اللهم لا) .
وانما استنشد مشيخة الشورى عن خصوص هذه الفضيلة لأن فيهم من كان له الشراء الطويل العريض ، وزعم له أشياعه أنه كان ينفق كذا ، أو أعطى كذا (بينما أثبت الإمام عليه السلام احم على خلاف ما يزعمون بتحدّيهم بآية النجوى في سورة المجادلة : **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذ لَّمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)** (المجادلة / ١٢ - ١٣) .

الأنبياء والنبي المصطفى ، صاحب القبلتين ، فهل يوازيه أحد في الورى ، الزاهد في الدنيا ، أنيس المصطفى ، وأبو السبطين^(١) ، فهل يقارنه بشر ، وزوج خير النسوان^(٢) ، فهل يفوقه قاطن بلد ، للأسود قتال ، وفي الحروب ختال ، لم تر عين مثله ، ولن ترى أحد حتى القيامة ، ولم أسمع بمثله ، فعلى من أنتقصه لعنة الله ولعنة العباد إلى يوم القيامة والتناد^(٣).

قال الطبري في تفسيره وساق حديثاً بإسناده عن مجاهد قال : نحو عن مناجاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى يصدقوا فلم يناجي إلا علي بن أبي طالب قدم ديناراً فتصدق به ، ثم أنزلت الرخصة في ذلك ، (تفسير الطبري ١٩ / ٢٨).

وقال الحبري في تفسيره بسنده عن مجاهد قال : قال علي : آية من القرآن لم يعمل بها أحد قبلي ولم يعمل بها أحد بعدي : أنزلت آية النجوى فكان عندي دينار فبعته بعشرة دراهم ، فكنت إذا أردت أن أناجي النبي صلى الله عليه وآله وسلم تصدقت بدرهم حتى فنيته ، ثم نسخته الآية التي بعدها. وهذا الخبر رواه الطبري في تفسيره والنسائي في الخصائص ، والترمذي في صحيحه في أبواب تفسير القرآن والكنجي الشافعي في كفاية الطالب ، والنسفي الحنفي في تفسيره مدارك التنزيل بhamش تفسير الخازن ، والمتقي الهندي في منتخب كنز العمال بhamش مسند أحمد ٢ / ٢١ ، نقلاً عن ابن أبي شيبه وعبد بن حميد وابن جرير وأبي يعلى وابن المنذر والدورقي وابن حبان وابن مردويه والترمذي. وله مصادر أخرى كثيرة من التراث السني فضلاً عن التراث الشيعي ، وهذا وحده يكفي في تزيف مزاعم الكاذبين بأن في الصحابة من كان يوازي فضل علي عليه السلام ، فضلاً عن تفضيلهم عليه ، كما هو مذهب أصحاب المفاضلة. وجميع ما ذكره ابن عباس في فضل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فهو من مميزات التي لا يوازيه أحد فيها.

(١) هما الحسن والحسين عليهم السلام.

(٢) هي فاطمة الزهراء سيدة العالمين عليها السلام.

(٣) هو يوم القيامة.

قال : أيهاً يا بن عباس لقد أكثرت في ابن عمك ، فما تقول في أبيك العباس؟
 قال : رحم الله العباس ، أبا الفضل ، كان صنو^(١) نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم ،
 وقرّة عين صفي الله ، سيد الأعمام ، له أخلاق آباءه الأجواد ، وأحلام أجداده الأعماد ،
 تباعدت الأسباب في فضيلته ، صاحب البيت والسقاية والمشاعر^(٢) والتلاوة. ولم لا يكون
 كذلك وقد ساسه أكرم من دب.

فقال معاوية : أنا أعلم أنّك كلماّي أهل بيتك.

قال : ولم لا أكون كذلك وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (اللهم
 فقهه في الدين وعلمه التأويل).

ثم قال : يا معاوية إنّ الله جلّ شأنه وتقدست أسماؤه ، خص نبيّه محمداً صلى الله
 عليه وآله وسلم بصحابة آثروه على الأنفس والأموال ، وبذلوا النفوس دونه في كلّ حال ،
 ووصفهم الله في كتابه فقال : (رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا
 سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِمَّنْ أَثَرَ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ
 شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيْعِيْظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ
 آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا)^(٣) ، قاموا بمعالم الدين ،

(١) الصنو : هو النخلتان أو الثلاث من أصل واحد ، فكل واحدة منهن صنو. وفي الحديث (عم الرجل صنو
 أبيه) (الصحاح).

(٢) المشاعر في الحج الموافق ، ومنها المشعر الحرام بالمزدلفة.

(٣) الفتح / ٢٩ .

وناصحوا الاجتهاد للمسلمين ، حتى تهذب طرقه ، وقويت أسبابه ، وظهرت آلاء الله واستقر دينه ووضحت أعلامه ، وأذل الله بهم الشرك ، وأزال رؤوسه ، ومحاً دعائمه ، وصارت كلمة الله العليا وكلمة الذين كفروا السفلى ، فصلوات الله ورحمته وبركاته على تلك النفوس الزاكية ، والأرواح الطاهرة العالية ، فقد كانوا في الحياة لله أولياء ، وكانوا بعد الموت أحياء ، وكانوا لعباد الله نصحاء ، رحلوا إلى الآخرة قبل أن يصلوا إليها ، وخرجوا من الدنيا وهم بعد فيها.

فقطع عليه معاوية الكلام ، وقال : أيها يا بن عباس حديثاً في غير هذا).

تنبيه : ذكر هذا الحديث بطوله أبو الحسن المسعودي في مروجه (١) ، ولكن المحب الطبري ذكر في (ذخائر العقبى) (٢) ما قاله حبر الأمة في صفة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام فقط ، ولم يذكر ما قاله في الخلفاء ولا ما قاله في أبيه العباس ... إلى آخر الحديث ، ويبدو أن تزيدهم طراً على الخبر من قبل رواة السوء الضالعين في ركاب الأمويين ، فذكروا أسماء الشيوخ الثلاثة!

ولو كان الخبر صحيحاً بجميع فصوله ، لأورده المحب الطبري في ذخائره ، وكان هو أولى بذكره من المسعودي لو صح الخبر. على أنّ ثمة ما يشير إلى سطو غير مغتفر قد جرى على فصول من كلام ابن عباس في

(١) مروج الذهب للمسعودي ٢ / ٨٢.

(٢) ذخائر العقبى / ٧٨.

حق الإمام عليه السلام فوزع منها على الشيوخ ، فقرارن ما يأتي في رواية ابن جرير الطبري الإمامي مع ما مرّ في رواية المسعودي.

وقد ذكر أبو الحسن الفتوي في (ضياء العالمين) (١) ما يتعلق بأمر المؤمنين عليه السلام نقلاً عن أبي بكر الجعابي ، وأبي علي الحداد ، وابن السري ، كلّ بإسناده عن ربي بن خراش ، وكذلك روى ابن معصوم المدني في (الدرجات الرفيعة) (٢) نقلاً عن (نهاية الطلب) للحنبلي ، وفي (الدر النظيم) أيضاً ، ولم يرووا سوى وصف الإمام عليه السلام. على أنّ للحديث صورة أخرى ذكرها محمد بن جرير بن رستم الطبري الإمامي في كتابه (المسترشد في الإمامة) ، فكشف كذب ما مرّ في وصف الشيوخ وإليك لفظه ، قال محمد بن جرير :

(وقد وصفه ربّاني هذه الأمة عبد الله بن عباس ، حيث سأله عنه معاوية ، فقال : كان والله للقرآن تالياً ، وللشر قالياً ، وعن المين نائياً ، وعن المنكرات ناهياً ، وعن الفحشاء ساهياً ، وبدينه عارفاً ، ومن الله خائفاً ، وعن الموبقات صارفاً ، وبالليل قائماً ، وبالنهاري صائماً ، ومن دنياه سالماً ، وعلى عدل البرية عازماً ، والمعروف آمراً ، وعن المهلكات زاجراً ، وبنور الله ناظراً ، ولشهوته قاهراً ، فاق العالمين ورعاً وكفافاً ، وقناعة وعفافاً ، وسادهم زهداً وأمانة وبراً وحياطة.

كان والله حليف الإسلام ومأوى الأيتام ، ومحل الإيمان ، ومنتهى

(١) ضياء العالمين ج ٢ (مخطوط).

(٢) الدرجات الرفيعة / ١٢٣ .

الإحسان ، وملاذ الضعفاء ، ومعقل الحنفاء ، كان للحق حصناً حصيناً ، وللناس عزيزاً قوياً .

كان قائماً بحق الله ، صابراً محتسباً في عز الدين في الديار ، وعبد الله في الأقطار وفي الضواحي والبقاع والقلاع والرباع ، وقوراً في الرخاء ، شكوراً في الأواء .
كان والله هجّاداً بالأسحار ، كثير الدموع عند ذكر النار ، دائم الفكرة بالليل والنهار ، تهاضاً إلى كلِّ مكرمة ، سعاءً إلى كلِّ منجية ، فزاراً من كلِّ موبقة .
كان والله علم الهدى ، وكهف التقى ، ومحل الحجى ، وبحر الندى ، وطود النهى ، وكنف العلم للورى ، ونوراً أسفر في ظلم الدجى .

كان داعياً إلى المحجة العظمى ، ومستمسكاً بالعروة الوثقى ، وعالمماً بما في الصحف الأولى ، وعلاماً (عاملاً . ظ .) بطاعة الملك الأعلى ، وعارفاً بالتأويل والذكرى ، متعلقاً بأسباب الهدى ، وحايداً عن طرق الردى ، وسامياً إلى المجد والعلى ، وقائماً بالدين والتقوى ، وتاركاً للجور والردى ، وخير من آمن وأتقى ، وسيد من تقمّص وارتدى ، وأبرّ من انتعل وسعى ، وأصدق من تسربل واكتسى ، وأكرم من تنفّس وقرأ ، وأفضل من صام وصلى ، وأفخر من ضحك وبكى ، وأخطب من مشى على الثرى ، وأفصح من نطق في الورى بعد النبيّ المصطفى ، صلّى القبليتين ، فهل يساويه أحد ، وزوج خير النسوان ، فهل يوازيه أحد ، وأبو السبطين ، فهل

يدانيه مخلوق.

كان والله للأسد قتّالاً ، وفي الحرب شتّالاً ، وفي الهزاهز جبّالاً (ختالا . ظ .) ،
فعلى من لعنه وانتقصه وغصبه حقه لعنة الله والملائكة إلى يوم التناد (١).

(المحاورة الثامنة عشرة)

(وأنتم تصابون في بصائرکم)

قال ابن قتيبة في (المعارف) :

(ثلاثة مكافيف في نسق : عبد الله بن عباس ، وأبوه العباس بن عبد المطلب ، وأبوه

عبد المطلب بن هاشم.

قال : ولذلك قال معاوية لابن عباس : أنتم يا بني هاشم تصابون في أبصاركم.

فقال ابن عباس : وأنتم يا بني أمية تصابون في بصائرکم (٢).

وهذه الملححة ذكرها أيضاً جماعة من الأدباء في كتبهم ، أذكر منهم :

١ - ابن قتيبة أيضاً في كتابه (عيون الأخبار) (٣).

٢ - ابن رسته في (الأعلاق النفيسة) (٤).

(١) المسترشد في الإمامة / ٦٢ نسخة مخطوطة بمكتبة المرحوم السيد الوالد قد سره ويخطه.

(٢) المعارف لابن قتيبة / ٢٨٧ ط ليدن ، ٥٨٩ ط بمصر بتحقيق عكاشة.

(٣) عيون الأخبار ٣ / ٢١٠ ط دار بمصر.

(٤) الأعلاق النفيسة / ٢٢٧ ط ليدن ١٨٩١.

٣ . أبو هلال العسكري في (كتاب الصناعتين) (١).
٤ . القاضي التنوخي في (المستجد من فعلات الأجواد) (٢) ، وفيه : (أنه قال له ذلك بعد ما عمي).

٥ . الخطيب التبريزي في (شرح ديوان الحماسة) (٣).
٦ . الزمخشري في (ربيع الأبرار) (٤).
ومّا يلحق ممّا يستظرف ذكره من المرح الذي دار بينهما :
(قال معاوية : ما أبين الشبق في رجالكم؟
فقال ابن عباس : هو في نسائكم أبين) (٥).

(المحاورة التاسعة عشرة)

(كلّ ما قلت لنا يا معاوية من شر بين دفتيك)

قال اليعقوبي في تاريخه :

(وحج معاوية سنة (٤٤ هـ) ، وقدم معه من الشام بمنبر فوضعه عند البيت الحرام ، فكان أوّل من وضع المنبر في المسجد الحرام .
ولما صار إلى المدينة أتاه جماعة من بني هاشم وكلموه في

(١) كتاب الصناعتين / ٣١٣ ط ٢ محمد علي صبيح بمصر .

(٢) المستجد في فعلات الأجواد / ٢٤٧ .

(٣) شرح ديوان الحماسة ٢ / ٢٦٣ مطبعة حجازي بالقاهرة .

(٤) ربيع الأبرار ٢ / ٢٥٧ .

(٥) عيون الأخبار لابن قتيبة ٣ / ٢١٠ .

أمورهم ، فقال : أما ترضون يا بني هاشم أن نقر عليكم دماءكم وقد قتلتم عثمان حتى تقولوا ما تقولون ، فوالله لأنتم أحلّ دماً من كذا وكذا ، وأعظم القول .

فقال له ابن عباس : كلّ ما قلت لنا يا معاوية من شرّ بين دفتيك ، وأنت والله أولى بذلك منّا ، أنت قتلت عثمان ، ثم قمتَ تغمض على الناس أنّك تطلب بدمه .
فانكسر معاوية .

فقال ابن عباس : والله ما رأيتك صدقتُ إلاّ فرعتَ وانكسرتَ .

قال : فضحك معاوية ، وقال : والله ما أحبّ أنّكم لم تكونوا كلمتموني (١) .

أقول : يبدو ممّا ذكر المقدسي في (البدء والتاريخ) ، أنّ الجماعة الذين كلّموا معاوية

هم الحسن والحسين وابن عباس .

فقد قال : (فلما حج معاوية جاءه الحسن والحسين وابن عباس رضي الله عنه)

وسأله أن يفي لهم بما ضمن .

فقال : أما ترضون يا بني هاشم أن نوقر عليكم دماءكم وأنتم قتلتم عثمان ، ولم

يعطهم ممّا في الصحيفة شيئاً (٢) .

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٩٨ ط الغري .

(٢) البدء والتاريخ ٦ / ٥ .

(المحاور العشرة)

(بدايات قطيعة وهجران)

لقد بدأ تنمر معاوية ينمو ويتزايد ، كما توالى مواقف ابن عباس المغاضبة تتصاعد في حجتها ، وتبدى للناس سيئات معاوية ، وبلغت الذروة حين توترت العلاقات بين ابن عباس ومعاوية من بعد إستشهاد الإمام الحسن عليه السلام وإظهار معاوية الشماتة بموته ، وقد مرّ في الجزء الخامس من الحلقة الأولى حول هذا الموضوع ما يُحسن مراجعته .

وإنّا في المقام نستعيد ما ذكره الزبير بن بكار (ت ٢٥٦ هـ) في (الموفقيات) فيما حكاه عنه الأربلي (ت ٦٩٢ هـ) في (كشف الغمة) ، قال :

(وحدثت الزبير - بن بكار - عن رجاله ، قال : قدم ابن عباس على معاوية ، وكان يلبس أدنى ثيابه ويخفض من شأنه ، لمعرفته أنّ معاوية كان يكره إظهاره لشأنه ، وجاء الخبر إلى معاوية بموت الحسن بن عليّ عليه السلام فسجد شكراً لله تعالى ، وبان السرور في وجهه . في حديث طويل ذكره الزبير وذكرت منه موضع الحاجة إليه . وأذن للناس وأذن لابن عباس بعدهم ، فدخل فاستدناه وكان قد عرف بسجده .

فقال له : أتدري ما حدث بأهلك؟

قال : لا .

قال : فإنّ أبا محمد توفي رحمه الله فعظم الله لك الأجر .

فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، عند الله نحتسب المصيبة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وعند الله نحتسب مصيبتنا بالحسن بن عليّ رحمه الله ، إنّه قد بلغني سجدتك ، فلا أظن ذلك إلاّ لوفاته ، والله لا يسدّ جسده حفرتك ، ولا يزيد انقضاء أجله في عمرك ، ولطال ما رزينا بأعظم من الحسن ثمّ جبر الله .

قال معاوية : كم كان أتى له من العمر؟

قال : شأنه أعظم من أن يُجهل مولده .

قال : أحسبه ترك صبية صغاراً .

قال : كلنا كان صغيراً فكبر .

قال : أصبحت سيّد أهلك .

قال : أمّا ما أبقى الله أبا عبد الله الحسين بن عليّ فلا . ثمّ قام وعينه تدمع .

فقال معاوية : لله درّه لا والله ما هيّجناه قط إلاّ وجدناه سيّداً .

ودخل على معاوية بعد انقضاء العزاء ، فقال : يا أبا العباس أما تدري ما حدث في

أهلك؟

قال : لا .

قال : هلك أسامة بن زيد فعظّم الله لك الأجر .

قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، رحم الله أسامة ، وخرج .

وأتاه بعد أيام وقد عزم على محاقته ^(١) فصلّى في الجامع يوم

(١) المحاقّة : المخاصمة واثبات حقه وأنه أولى به .

الجمعة ، واجتمع الناس عليه يسألونه عن الحلال والحرام والفقه والتفسير وأحوال الإسلام والجاهلية وهو يجيب ، وافتقد معاوية الناس فقيل : إنهم مشغولون بابن عباس ، ولو شاء أن يضربوا معه بمائة ألف سيف قبل الليل لفعل.

فقال : نحن أظلم منه حبسناه عن أهله ، ومنعناه حاجته ، ونعينا إليه أحبته ، انطلقوا فادعوه ، فأتاه الحاجب فدعاه.

فقال : إننا بني عبد مناف إذا حضرت الصلاة لم نقيم حتى نصلّي ، أصلي إن شاء الله وآتبه. فرجع ، وصلّى العصر وأتاه.

فقال : ما حاجتك؟

فما سأله حاجة إلاّ قضاها.

وقال : أقسمت عليك لما دخلت بيت المال فأخذت حاجتك . وإيّا أراد أن يعرف

أهل الشام ميل ابن عباس إلى الدنيا فعرف ما يريد ..

فقال : إنّ ذلك ليس لي ولا لك ، فإن أذنت أن أعطي كلّ ذي حقّ حقّه فعلت.

قال : أقسمت عليك إلاّ دخلت فأخذت حاجتك.

فدخل فأخذ برنس^(١) خزّ أحمر يقال أنّه كان لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه

السلام ، ثمّ خرج ، فقال : يا أمير المؤمنين بقيت لي حاجة؟

(١) البرنس ثوب يغطي الرأس والبدن كما هو لباس المغاربة في عصرنا.

فقال : ما هي؟

قال : عليّ بن أبي طالب قد عرفت فضله وسابقته وقربته ، وقد كفاكه الموت ، أحبّ أن لا يشتم عليّ منابركم.

قال : هيهات يا بن عباس هذا أمر دَين أليس أليس؟ وفعل وفعل؟ فعدّد ما بينه وبين عليّ كرم الله وجهه.

فقال ابن عباس : أولى لك يا معاوية والموعود القيامة ، و (**لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ**)^(١).

وتوجه إلى المدينة ... اهـ)^(٢).

وقال لمعاوية : أيّشتم عليّ على منبر الإسلام وهو بناه بسيفه^(٣).

وقد روى حميد الشهيد في الحقائق الوردية المحاورة بطولها مع تفاوت في بعض ألفاظها وختمها بقوله : (فقال له ابن عباس : الله حسبك فيما قلت ، ثم خرج فلم يلتقيا)^(٤).
ولما كانت رواية حميد الشهيد فيها بعض الإضافات خلت منها رواية الأربلي ، حيث قال كما مر : (وحدث الزبير عن رجاله ... في حديث طويل ذكره الزبير ، وذكرت منه موضع الحاجة إليه).

فرايت من الخير ذكر رواية حميد الشهيد ، لأنها تسلط الضوء على

(١) الأنعام / ٦٧ .

(٢) كشف الغمة / ١٢٧ ط حجرية سنة ١٢٩٤ و ١ / ٤٠٣ منشورات الشريف الرضي .

(٣) نثر الدر للآبي ١ / ٢٨٨ ط دار الكتب العلمية بيروت .

(٤) الحقائق الوردية ١ / ١٨٦ .

انفصام العلاقات لحد القطيعة ، فلنقرأ ما رواه حميد الشهيد ، قال :
(ولما نُعي الحسن عليه السلام إلى معاوية ، وعبد الله بن العباس بباب معاوية ،
فحُجِب ابن عباس حتى أخذ الناس مجالسهم ، ثم أذن له ، فقال : أعظم الله أجرك يا ابن
عباس .

قال : فيمن؟

قال : في الحسن بن عليّ .

قال : إذاً لا يزيد موته في عمرك ، ولا يدخل عمله عليك في قبرك ، فقد فقدنا من
هو أعظم منه قدراً وأجل منه أمراً ، فأعقب الله عقبى صالحاً .

فخرج ابن عباس وهو يقول :

أصبح اليوم ابن هند شامتاً ظاهر النخوة أن مات الحسن
ولقد كان عليه عمره مثل رضوى وثبير وحضن
فارتع اليوم ابن هند آمنّا إنما يقمص (١) بالعرير السمّن
واتق الله وأظهر توبهً إنما كان كشيء لم يكن

وروي عن الزهري من طريق السيد الإمام المرشد بالله يحيى ابن الإمام الموفق بالله أبي
عبد الله الحسين بن إسماعيل الحسني الجرجاني عليهم السلام ، رواه بإسناده مع ما تقدم آنفاً
، قال :

قدم ابن عباس على معاوية ، فمكث أياماً لا يؤذن له ، ثم أذن له ذات

(١) القمص : هو أن يرفع رجله وينكس رأسه .

يوم فدخل فإذا معاوية مستبشراً ومن يطيف به.

فقال : يا بن عباس أتدري ما حدث في أهل بيتك؟

فقال : والله لا أدري ما حدث أهل بيتي غير أنني أراك مستبشراً ومن يطيف بك.

قال : مات الحسن بن عليّ.

قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، يكررها مراراً.

ثم قال : أما والله يا معاوية لا يزيد موته في عمرك ، ولا تسد حفرته حفرتك ، ولقد أصبنا بمن كان أعظم منه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فكفانا الله. ثم خرج من عنده.

قال : فمكث أياماً لا يصل إليه ، ثم وصل إليه ذات يوم فقال معاوية : يا ابن عباس

أتدري ما حدث في أهل بيتك؟

قال : وما حدث في أهل بيتي؟

قال : مات أسامة بن زيد.

قال ابن عباس : إنا لله وإنا إليه راجعون ، رحم الله أسامة بن زيد. ثم خرج من عنده. وقد كان ابن عباس تقشّف وكره أن يتزيّأ بزئيه ، فيشهره أهل الشام فيضرب به ذلك عند معاوية ، فلمّا رجع إلى منزله ، قال : يا غلام هات ثيابي فوالله لعن جلست أنا لهذا المنافق ينعي إليّ أهل بيتي ^(١) واحداً واحداً إليّ إذا أحرق.

(١) في (أ) : أصحابي.

قال : فقال عليّ بالمقطّعات فلبسها. قال : ثم قال : عليّ بعمامة له أسمها : تجويبة
(١) فلبسها. وكان من أجل الناس ، أمدهم جسماً وأحسنهم شَعراً ، وأحسنهم وجهاً.

قال : ثم أتى مسجد دمشق فدخل ، فلما نظر إليه أهل الشام ، قالوا : من هذا؟ ما يشبه هذا إلاّ الملائكة ، ما رأينا مثل هذا! قالوا : هذا ابن عباس ، هذا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فجلس إلى سارية ، وتقوّض إليه الخلق ، فما سُئل عن شيء إلاّ أجابهم به من تفسير من كتاب الله ، ولا حلال ولا حرام ، ولا وقعة كانت في جاهلية ولا إسلام ، ولا شعر كان في جاهلية ولا إسلام إلاّ أجابهم به.

قال : ومعاوية لا يشعر بشيء من هذا ، فانتبه ، فقال للآذن : أئذن لمن بالباب.

قال : أو بالباب أحد؟!

قال : فأين الناس؟

قال : ذهبوا إلى ابن عباس.

قال : هاه قد فعلوها! نحن والله أظلم منه ، وأقطع للرحم ، اذهب يا غلام ، وقل له : أجب أمير المؤمنين. فأتاه الرسول.

قال : فقال ابن عباس : إنّنا بنو عبد مناف لا نقوم عن جلسنا حتى يكون هو الذي يقوم ، لكن قد تقاربت الصلاة فإذا صلينا أتينا أمير المؤمنين.

قال : فأتاه الرسول فأخبره. فقال : صدق ، دعه حتى يصلي.

(١) نسبة إلى تجوب وهي : قبيلة من حمير. القاموس / ٩٠.

قال : فلمّا صلى جاء ابن عباس حتى دخل عليه ، فقال له معاوية : ما حاجتك يا ابن عباس؟

قال : دينّ عليّ.

قال : قد أداه الله عنك.

قال : وما أستعين به على الزمان.

قال : وذلك لك. أبقيت لك حاجة؟

قال : لا.

قال : أدخل بيت المال ، فاحمل ما بدا لك.

قال : إنّنا بنو عبد المطلب لا نأخذ من مال المسلمين إلّا ما أحتجنا إليه.

قال : عزمْتُ عليك إلّا ما فعلت^(١).

قال : فدخل ابن عباس بيت المال ، فتلقّت يميننا وشمالاً فرأى برنساً من خرّ أدكن

فتدرّعه ثم خرج به.

قال : قد أخذت حاجتك؟

قال : نعم.

قال : الحق ببلادك.

قال : يا أمير المؤمنين إنّك حيث نعت إليّ الحسن بن عليّ آليت على نفسي أن لا

أسكن المدينة بعده أبداً ، ولا أجد مكاناً أجلّ من جوار أمير المؤمنين.

(١) فليقرأ هذا الذاهبون في التيه وراء تهمّة ابن عباس ببيت مال البصرة ، ولو كان لها ظل من الحقيقة لردّ بها عليه معاوية.

قال : هيهات ليس إلى ذلك سبيل.

قال : فبقيت لي حاجة هي أهم الحوائج إلي ، وهي لك دوني.

قال : فأني حاجة لك هي لنا دونك؟ إنا نخاف أن نسارع إليها.

قال : عليّ بن أبي طالب قد كفاك الله مؤنته ، ومضى لسبيله ، وقد عرفت منزلته

وقرأته ، فكفّ عن شتمه على المنابر.

قال : هيهات ليس إلى ذلك سبيل يا بن عباس ، هذا موضع دين ، إنّه غشّ رسول

الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وسمّ أبا بكر ، وذمّ عمر ، وقتل عثمان ، فليس إلى الكف

عن سبيل.

فقال له ابن عباس : الله حسبك فيما قلت. ثم خرج فلم يلتقيا ^(١) ، أي لم يلتقيا

بالشام ، وإلاّ فقد التقيا بالحرمين كما سيأتي.

وفي إحدى المرات التي وفد عليه بالشام صادف وفود جابر بن عبد الله ، استأذن

على معاوية فلم يؤذن له أياماً ، ثم دخل فمثل بين يديه ، فقال : يا معاوية أشهد أنّي سمعت

المبارك صلى الله عليه وآله وسلم يقول : ما من أمير احتجب عن الفقراء إلاّ احتجب الله

عنه يوم يفتقر إليه.

فغضب معاوية ، وقال : يا جابر أأنت ذكرت عن رسول الله صلى الله عليه وآله

وسلم أنّه قال : (يا معشر الأنصار سيصيبكم بعدي أثرٌ فاصبروا حتى تلقوني على

(١) الحدائق الوردية في مناقب آئمة الزيدية ، لخميد الشهيد (ت ٦٥٢ هـ) ١ / ١٨٤ . ١٨٦ ، تحقيق د

المرتضى بن زيد المحظوري الحسني مطبوعات مكتبة مركز بدر العلمي والثقافي صنعاء ط الأولى ١٤٢٣ هـ.

الحوض؟).

قال : قد سمعت الطيب المبارك صلى الله عليه وآله وسلم يقول.

قال معاوية : فألاً صبرت؟

قال : إذن والله أصبر كما صبرت حين ضربت أنفك وأنف أبيك حتى دخلتما في

الإسلام كارهين. ثم أنصرف وهو يقول :

إني لأختار البلاء على الغنى وأجزأ بالماء القراح عن المخض

وأدرع الإملاق صبراً وقد أرى مكان الغنى كي لا أهين له عرضي

فناشده معاوية أن يأخذ صلته ، وبعث في أثره يزيد بن معاوية ، فقال : والله لا

يجمعني وإياه بلد أبداً.

فلما خرج لقي عبد الله بن عباس وعبد الرحمن بن سابط ، فقال له ابن عباس : قد

بلغني ما كان من ابن آكلة الأكباد ، وكهف النفاق ، ورأس الأحزاب ، هلم أشاطرك مالي

كما قاسمتني مالك ، ولك نصف داري كما أسكنتني دارك.

فقال جابر : ثمر الله مالك ، وبارك لك في دارك ، فقد أثبت ما أنت أهله ، وقال

معاوية ما كان يشبهه (١).

(أول ذل دخل العرب موت الحسن بن علي عليه السلام)

كلمة قالها ابن عباس رضي الله عنه وهو يستشعر المرارة بفقده ، والإحباط

(١) التذكرة الحمدونية ٤ / ٣٠١ . ٣٠٢ ط صادر.

لجهوده مع معاوية الشانئ الشامت ، إذ ازداد البلاء كما قال المدائني وهو يتحدث عن جرائم معاوية ممّا قد مرّ ذكره في الجزء الخامس من الحلقة الأولى ، فراجع ، وستجد قول المدائني : (فلم يزل كذلك حتى مات الحسن ابن عليّ عليه السلام فازداد البلاء والفتنة فلم يبق أحد من هذا القبيل إلاّ وهو خائف على دمه أو طريد في الأرض ...)^(١).

ماذا كان موقف ابن عباس من السلطة بعد موت الحسن عليه السلام؟

والآن فلننظر إلى حال ابن عباس من بعد موت الإمام الحسن عليه السلام ، وهو الذي قد استشعر دخول الذلّ على العرب بموته ، فماذا لحقه من هوان وهو من سادات العرب؟ وماذا كان موقف معاوية منه في تلك الفترة؟

روى ابن قتيبة في (الإمامة والسياسة) : (لم يلبث معاوية بعد وفاة الحسن رحمه الله إلاّ يسيراً حتى بايع ليزيد بالشام وكتب ببيعته إلى الآفاق ، وكان عامله على المدينة مروان بن الحكم ، فكتب إليه يذكر الذي قضى الله به على لسانه من بيعة يزيد ويأمره بجمع من قبله من قريش وغيرهم من أهل المدينة ثمّ يبائعوا ليزيد.

فلمّا قرأ مروان كتاب معاوية أبي من ذلك وأبته قريش وكتب إلى معاوية ... في ذلك.

قال : فعزله وولى سعيد بن العاص. وكتب إليه في ذلك وأن يكتب

(١) شرح النهج للمعتزلي ٣ / ١٦ ط مصر الأولى.

إليه بمن يسارع ومن لم يسارع. فلما أتاه الكتاب دعا الناس إلى البيعة وأظهر الغلظة وأخذهم بالعزم والشدة ، وسطا بكلّ من أبطأ عن ذلك.

قال : فأبطأ الناس عنها إلاّ اليسير ، لا سيما بني هاشم فإنّه لم يجبه منهم أحد ...
فكتب سعيد إلى معاوية يعلمه بتباطوء الناس عن البيعة لا سيما أهل البيت من بني هاشم فإنّه لم يجيني منهم أحد ، وبلغني عنهم ما أكره ...
فكتب معاوية إلى عبد الله بن عباس وإلى عبد الله بن الزبير وإلى عبد الله بن جعفر وإلى الحسين بن عليّ رضي الله عنهم كتباً وأمر سعيد بن العاص أن يوصلها إليهم ويبعث بجواباتها ...

وكتب إلى ابن عباس : أمّا بعد فقد بلغني إبطاؤك عن البيعة ليزيد بن أمير المؤمنين ، وإنيّ لو قتلتك بعثمان لكان ذلك إليّ ، لأنك ممّن ألّب عليه وأجلب ، وما معك من أمان فتطمئن به ، ولا عهد فتسكن إليه ، فإذا أتاك كتابي هذا فأخرج إلى المسجد ، والعن قتلة عثمان وبائع عاملي ، فقد أعذر من أنذر ، وأنت بنفسك أبصر والسلام)^(١).
قال ابن قتيبة في (الإمامة والسياسة) : (فكان أوّل من أجابه عبد الله بن عباس ، فكتب إليه :

أمّا بعد فقد جاءني كتابك وفهمت ما ذكرت ، وأن ليس معي منك أمان ، وأنّه والله ما منك يطلب الأمان يا معاوية ، وإنّما يطلب الأمان من

(١) الإمامة والسياسة ١ / ١٤٥ - ١٤٧ ط سنة ١٣٢٨ .

الله رب العالمين ، وأما قولك في قتلي ، فوالله لو فعلت للقيت الله ومحمداً صلى الله عليه (وآله) وسلم خصمك ، فما أخاله أفلح ولا أنجح من كان رسول الله خصمه ، وأما ما ذكرت من أيّ ممن ألب على عثمان وأجلب ، فذلك أمر غبت عنه ، ولو حضرته ما نسبت إليّ شيئاً من التآليب عليه ، وأيم الله ما أرى أحداً غضب لعثمان غضبي ، ولا أعظم أحد قتله إعظامي ، ولو شهدته لنصرته أو أموت دونه ، ولقد قلت وتمنيت يوم قتل عثمان ليت الذي قتل عثمان لقيني فقتلني معه ولا أبقى بعده ، وأما قولك لي العن قتلة عثمان ، فلعثمان ولد وخاصة وقرابة هم أحق بلعنهم مني ، فإن شاؤا أن يلعنوا فليلعنوا ، وإن شاؤا أن يمسكوا فليمسكوا والسلام ...) (١).

والذي يلفت النظر أنّ معاوية ما زالت حجته المزعومة لإستباحة دماء بني هاشم هي قتل عثمان ، وكأهمهم هم الذين قتلوه ، مع أنهم أبعد الناس عن تلك التهمة وهم براء منها براءة الذئب من دم ابن يعقوب ، لكن معاوية لا يمنعه من الافتراء مانع ، فليس له من الدين وازع ، وقد مرّ أن كتب لابن عباس يوم كان في البصرة كتاباً ضمّنه نفس تلك التهمة ، وردّ عليه ابن عباس بجواب مرّ ذكره وقد رد التهمة عليه.

أما جوابه في هذه المرّة فلا يخلو من ملاحظة تجعلنا في شك مما تزيّد فيه الرواة! في غضبه لعثمان غضباً لم يغضبه لأحد إلى آخر ما فيه من

(١) نفس المصدر ١ / ١٤٨.

دسّ. تفضحه موافقه في الجمل وصفين ضدّ المطالبين بدم عثمان فيما يزعمون ، ثمّ محاوراته مع معاوية وعمرو بن العاص وقد مرّت بما فيها في جرأة وشجاعة ، فراجع.

معاوية في المدينة

لما فشل ولاة معاوية - مروان وسعيد بن العاص - في حمل الناس بالمدينة على بيعة يزيد ، رغم التهيب والترغيب ، والذي أقلق معاوية إمتناع النفر الذين ينظر الناس إليهم على أنّهم أهل الحلّ والعقد ، وهم أولى بالبيعة لهم من يزيد ، وفي مقدمتهم بنو هاشم وعلى رأسهم الإمام الحسين عليه السلام ، ثمّ العبادلة وفي مقدمتهم عبد الله بن عباس .

ولما وافته جوابات الكتب تحمل النذير بخلاف شرّ مستطير ، قرّر أن يذهب بنفسه إلى المدينة ، يأخذ البيعة لابنه قهراً وقسراً ، ويبدو من حديث ابن قتيبة وابن أعثم أنّه هياً الأجواء لاستقباله عن طريق واليه ورجاله ، قال : (فقدم معاوية المدينة حاجاً ، فلمّا أن دنا من المدينة خرج إليه الناس يتلقونه ما بين راكب وماشي ...)

قال : حتى إذا كان بالجرف - موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام - لقيه الحسين بن عليّ وعبد الله بن عباس .

فقال معاوية : مرحباً بابن بنت رسول الله وابن صنو نبيّه ، ثمّ انحرف إلى الناس ، فقال : هذان شيخان بني عبد مناف ، وأقبل عليهما بوجهه وحديثه ، فرحب وقرب ، فجعل يواجه هذا مرّة ويضاحك هذا أخرى ، حتى

ورد المدينة ، فلما خالطها لقيته المشاة والنساء والصبيان يسلمون عليه ويسايرونه إلى أن نزل. فانصرفا عنه ، فمال الحسين إلى منزله ومضى ابن عباس إلى المسجد فدخله (١). هذا ما رواه ابن قتيبة.

إلا أنّ ابن الأثير ، قال : (سار . معاوية . إلى الحجاز في ألف فارس ، فلما دنا من المدينة لقيه الحسين بن عليّ أول الناس ، فلما نظر إليه ، قال : لا مرحباً ولا أهلاً ، بدنة يترقرق دمها والله مهريقه.

قال : مهلاً فيّ والله لست بأهل لهذه المقالة.

قال : بلى ولشّر منها.

ولقيه ابن الزبير ، فقال : لا مرحباً ولا أهلاً ، خبّ ضبّ تلعة ، يدخل رأسه ويضرب بذنبه ، ويوشك والله أن يؤخذ بذنبه ويدقّ ظهره ، نحياه عتيّ ، فضرب وجه راحلته. ثمّ لقيه عبد الرحمن بن أبي بكر ، فقال له معاوية : لا أهلاً ولا مرحباً ، شيخ قد خرف وذهب عقله ، ثمّ أمر فضرب وجه راحلته.

ثمّ فعل بابت عمر نحو ذلك ، فأقبلوا معه لا يلتفت إليهم حتى دخل المدينة ، فحضروا بابه فلم يؤذن لهم على منازلهم ولم يروا منه ما يحبّون ، فخرجوا إلى مكة فأقاموا بها ...). ثمّ ذكر خطبة معاوية يتهدد الممتنع عن البيعة وخصوصاً أولئك النفر بالقتل بما فيهم الحسين ، وذكر دخوله على عائشة وجرى ذكر إمتناع

(١) نفس المصدر.

أولئك النفر وتهديده بقتلهم ، فقالت له : (فافرق بهم فإنهم يصيرون إلى ما تحب إن شاء الله (١)) .

وهذا الذي ذكره ابن الأثير لعلّه أشبه بسيرة معاوية الرعناء في تلك الفترة ، وقد ذكر ابن كثير أيضاً في تاريخه في حوادث سنة (٥٦ هـ) أخذ البيعة ليزيد ، فقال : (فبايع له الناس في الأقاليم إلاّ عبد الرحمن بن أبي بكر ، وعبد الله بن عمر ، والحسين بن عليّ ، وعبد الله بن الزبير ، وابن عباس ، فركب معاوية إلى مكة معتمراً ، فلما اجتاز بالمدينة . مرجعه من مكة . استدعى كلّ واحد من هؤلاء الخمسة فأوعده وتهدده بانفراده ...) (٢) .

وأحسب أنّ ما ذكره ابن الأثير وابن كثير أخذه من الطبري بصورة مخففة ، ففي تاريخه ذكر إمتناع النفر الخمسة ، ثمّ ذكر كلام معاوية مع كلّ واحد من الأربعة على انفراد ، ولم يذكر ابن عباس (٣) ، وهذا ممّا يلفت النظر! لماذا لم يذكره؟ وهل ساءت العلاقة لحد القطيعة؟ أم أنّه رضي بالبيعة فلم يرسل عليه فيتهدده؟ أم أنّ معاوية أراد أن لا يقطع الشعرة بحدّ الشفرة؟ لا بدّ لنا من البحث في ذلك!

(المحاورة الحادية والعشرون)

(لعمر الله إنّها لذرية الرسول وأحد أصحاب الكساء ومن البيت المطهر)

(١) الكامل في التاريخ ٣ / ٢١٦ . ٢١٧ ط بولاق .

(٢) البداية والنهاية ٨ / ٧٩ .

(٣) أنظر تاريخ الطبري ٥ / ٣٠٣ . ٣٠٤ ط محققة .

ذكر ابن قتيبة في (الإمامة والسياسة) كلام معاوية مع النفر مهدداً ومتوعداً بالقتل كما مرّ ، ثمّ قال : (فلما كان صبيحة اليوم الثاني أمر بفراش فوضع له وسوّيت مقاعد الخاصة حوله وتلقاه من أهله ، ثمّ خرج وعليه حلّة يمانية وعمامة دكناء وقد أسبل طرفها بين كتفيه ، وقد تغلّف وتعطّر فقعد على سريره ، وأجلس كتابه منه بحيث يسمعون ما يأمر به ، وأمر حاجبه أن لا يأذن لأحد من الناس وإن قرب ، ثمّ أرسل إلى الحسين بن عليّ وعبد الله بن عباس ، فسبق ابن عباس ، فلما دخل وسلّم عليه أقعده في الفراش على يساره فحادثه مليّاً .

ثمّ قال : يا بن عباس لقد وفرّ الله حظكم من مجاورة هذا القبر الشريف ودار الرسول عليه السلام .

فقال ابن عباس : نعم أصلح الله أمير المؤمنين وحظنا من القناعة بالبعض والتجاني عن الكلّ ، أوفر .

فجعل معاوية يحدثه ويحيد به عن طريق المجادلة ، ويعدل إلى ذكر الأعمال على اختلاف الغرائز والطباع . حتى أقبل الحسين بن عليّ ، فلما رآه معاوية جمع له وسادة كانت على يمينه ، فدخل الحسين وسلّم ، فأشار إليه فأجلسه عن يمينه مكان الوسادة ، فسأله معاوية عن حال بني أخيه الحسن وأسنانهم ، فأخبره ثمّ سكت .

قال : ثمّ ابتداء معاوية ، فقال : فالحمد لله وليّ النعم ومنزل النقم ، وأشهد

أن لا إله إلا الله المتعالي عمّا يقول الملحدون علواً كبيراً ، وأنّ محمداً عبده المختص المبعوث إلى الجن والإنس كافة لينذرهم بقرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ، فأدى عن الله وصدع بأمره ، وصبر على الأذى في جنبه ، حتى أوضح دين الله وأعزّ أوليائه ، وقمع المشركين وظهر أمر الله وهم كارهون ، فمضى صلوات الله عليه وقد ترك من الدنيا ما بُذل له ، واختار منها الترك لما سخر له ، زهادة واختياراً لله وأنفة واقتداراً على الصبر ، بغياً لما يدوم ويبقى ، فهذه صفة الرسول صلى اله عليه وآله وسلم ، ثم خلفه رجلان محفوظان وثالث مشكوك ، وبين ذلك خوض طال ما عاجناه مشاهدة ومكافحة ومعاينة وسماعاً ، وما أعلم منه فوق ما تعلمان . وقد كان من أمر يزيد ما سبقتم إليه وإلى تجويزه ، وقد علم ما أحاول به من أمر الرعية من سد الخلل ولمّ الصدع بولاية يزيد بما أيقظ العين وأحمد الفعل ، هذا معنای في يزيد ، وفيكما فضل القرابة ، وحظوة العلم ، وكمال المرأة ، وقد أصبت من ذلك في يزيد على المناظرة والمقابلة ما أعياني مثله عندكما وعند غيركما ، مع علمه بالسنة وقراءة القرآن ، والحلم الذي يرجح بالصم الصلاب ، وقد علمتما أنّ الرسول المحفوظ بعصمة الرسالة قدّم على الصديق والفاروق ومن دونهما من أكابر الصحابة وأوائل المهاجرين يوم غزوة السلاسل من لم يقارب القوم ، ولم يعاندهم برتبة في قرابة موصولة ولا سنة مذكورة ، فقادهم الرجل بأمره ، وجمع بهم صلاتهم وحفظ عليهم فيأهم ، وقال ولم يقل معه ، وفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أسوة حسنة ، فمهلاً بني عبد المطلب فإنّما وأنتم شعبا نفع

وجد ، وما زلت أرجو الإنصاف في إجتماعكما ، فما يقول القائل إلاّ بفضل قولكما ، فردّا على ذي رحم مستعتب ما يحمد به البصيرة في عتابكما ، وأستغفر الله لي ولكما.

قال : فتيسّر ابن عباس للكلام ونصب يده للمخاطبة ، فأشار إليه الحسين وقال : على رسلك ، فأنا المراد ونصبي في التهمة أوفر ، فأمسك ابن عباس.

فقام الحسين فحمد الله وصلى على الرسول ثمّ قال : (أمّا بعد يا معاوية فلن يؤدي القائل وإن أطنب في صفة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من جميع جزءاً ، وقد فهمت ما لبست به الخلف بعد رسول الله من إيجاز الصفة ، والتنكّب عن إستبلاغ البيعة ، وهيهات هيهات يا معاوية ، فضح الصبح فحمة الدجى ، وبهرت الشمس أنوار السرج ، ولقد فضلت حتى أفرطت ، واستأثرت حتى أجحفت ، ومنعت حتى بخلت ، وجرت حتى جاوزت ، ما بذلت لذي حقّ من أتم حقه بنصيب ، حتى أخذ الشيطان حظه الأوفر ، ونصبيه الأكمل ، وفهمت ما ذكرته عن يزيد من إكتماله وسياسته لأمة محمّد ، تريد أن توهم الناس في يزيد ، كأنك تصف محجوباً ، أو تنعت غائباً ، أو تخبر عمّا كان احتويته بعلم خاص ، وقد دلّ يزيد من نفسه على موقع رأيه ، فخذ ليزيد فيما أخذ به من استقرائه الكلاب المهارشة عند التحارش ، والحمام السبق لأتراهن ، والقينات ذوات المعازف ، وضروب الملاهي ، تجده ناصراً ، ودع عنك ما تحاول ، فما أغناك أن تلقى الله بوزر هذا الخلق بأكثر

مما أنت لاقية ، فوالله ما برحت تقدم باطلاً في جور ، وحنقاً في ظلم ، حتى ملأت الأسقية ، وما بينك وبين الموت إلا غمضة ، فتقدم على عمل محفوظ في يوم مشهود ولات حين مناص ، ورأيتك عرضت بنا هذا الأمر ، ومنعتنا عن آباءنا تراثنا ، ولقد لعمر الله أورثنا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولادة ، وجئت لنا بها ما حججتم به القائم عند موت الرسول فاذعن للحجة بذلك ، وردّه الإيمان إلى التصف ، فركبتم الأغاليل وفعلتم الأفاعيل ، وقتلتم كان ويكون ، حتى أتاك الأمر يا معاوية من طريق كان قصدها لغيرك ، فهناك فاعتبروا يا أولي الأبصار ، وذكرت قيادة الرجل القوم بعهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتأميره له ، وقد كان ذلك ، ولعمرو بن العاص فضيلة بصحبة الرسول وبيعته له ، وما صار لعمرو يومئذ حتى أنف القوم أمرته ، وكرهوا تقديمه ، وعدّوا عليه أفعاله ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : (لا جرم معشر المهاجرين لا يعمل عليكم بعد اليوم غيري) ، فكيف يحتج بالمنسوخ من فعل الرسول فيؤكد الأحوال وأولاهها بالجمع عليه من الصواب؟ أم كيف صاحبت بصاحب تابعاً ، وحولك من يؤمن في صحبته ، ويعتمد في دينه وقربته ، وتتخطاهم إلى مسرف مفتون ، تريد أن تلبس الناس شبهة يسعد بها الباقي في دنياه وتشقى بها في آخرتك ، وإنّ هذا هو الخسران المبين وأستغفر الله لي ولكم).

قال : نظر معاوية إلى ابن عباس ، فقال : ما هذا يا بن عباس ولما عندك أدهى وأمرّ.

فقال ابن عباس : لعمر الله إنّها لذرية الرسول وأحد أصحاب الكساء ومن البيت المطهر ، فإله عمّا تريد فإن لك في الناس مقنعاً حتى يحكم الله بأمره وهو خير الحاكمين .
فقال معاوية : أعود الحلم التحلم ، وخيره التحلم عن الأهل انصرفاً في حفظ الله (١).

(المحاوراة الثانية والعشرون)

(وعيد وتهديد لمن لم يبايع يزيد)

روى ابن أعثم الكوفي (ت ٣١٤ هـ) في (الفتوح) ، قال :
(وخرج معاوية من منزله إلى المسجد الأعظم فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم ذكر ابنه يزيد في خطبته ، وقال : من أحق بالخلافة من ابني يزيد في فضله وهديه ومذهبه وموضعه من قريش؟ والله أنّي لأرى قوماً يعيبونه ، وما أظنهم بمقلعين ولا منتهين حتى يصيبهم مني بوائق تجتث أصولهم ، فليربع أولئك على ضلعهم من قبل أن تصيبهم مني فاقرة لا يقومون لها ، فقد أذرت إن نفع الإنذار ، وبينت إن نفع البيان ، ثم جعل يتمثل بهذه الأبيات ويقول :

قد كنت حذرتك آل المصطلق وقلت يا عامر ذرني وانطلق
إنك إن كلفتني ما لم أطق ساءك ما سرك مني من خلق
دونك ما استسقيته فاحس وذق

(١) الإمامة والسياسة ١ / ١٥٢ .

قال : ثمّ ذكر عبد الرحمن بن أبي بكر ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، والحسين بن عليّ ، وقال : والله لئن لم يبايعوا ليزيد لأفعلن ولأفعلن ... ثمّ ذكر إجتماعه مع عائشة وما جرى بينهما ممّا لا يعيننا ذكره ...

قال : وأرسل معاوية إلى عبد الرحمن بن أبي بكر ، وابن عمر ، وابن الزبير ، فأخبر أنّهم قد مضوا إلى مكة ..

وذكر غيره أنّ الحسين أيضاً ممّن خرج إلى مكة . قال ابن اعثم : فسكت ساعة يفكر في أمرهم ، ثمّ أرسل إلى عبد الله بن عباس فدعاه ، فلمّا دخل عليه قرّب مجلسه ، ثمّ قال : يا بن عباس أنتم بنو هاشم وأنتم أحق الناس بنا ، وأولاهم بمودتنا ، لأننا بنو عبد مناف ، وإنّما باعد بيننا وبينكم هذا الملك ، وقد كان هذا الأمر في تيم وعدي فلم تعترضوا عليهم ، ولم تظهروا لهم من المباعدة ثمّ قتل عثمان بين أظهركم فلم تغيّروا ، ثمّ وليت هذا الأمر فوالله لقد قرّبتكم وأعطيتكم ورفعت مقداركم (أقداركم) فما تزدادون منّي إلاّ بعداً ، وهذا الحسين بن عليّ قد بلغني عنه هنات غيرها خير له منها ، فاذكروا عليّ بن أبي طالب ومحاربتة إياي ومعه المهاجرون والأنصار ، فأبى الله تبارك وتعالى إلاّ ما قد علمتم ، أفترجون بعد عليّ مثله؟ أم بعد الحسن مثله؟

قال : فقطع عليه ابن عباس الكلام ، ثمّ قال : صدقت يا معاوية نحن بنو عبد مناف ، وأنتم أحق الناس بمودتنا وأولاهم بنا ، وقد مضى أوّل الأمر بما فيه فأصلح آخره فإنّك صائر إلى ما تريد ، وأمّا ما ذكرت من عطيتك علينا

فلعمري ما عليك في جود من عيب.

وأما قولك : ذهب عليّ أفترجون مثله؟ فمهلاً يا معاوية رويداً لا تعجل ، فهذا الحسين بن عليّ وهو حيّ وهو ابن أبيه ، واحذر أن تؤذيه يا معاوية ، فيؤذيك أهل الأرض ، فليس على ظهرها اليوم ابن بنت نبيّ سواه.

فقال معاوية : إيّ قد قبلت منك يا بن عباس.

قال : ثمّ رحل معاوية إلى مكة ورحل معه كافة أصحابه وعمامة أهل المدينة وفيهم عبد

الله بن عباس (١).

وأظنّ نحو إيهام في العبارة : (ورحل معه كافة ... وفيهم عبد الله بن عباس)! إذ لا يعني أنّ عبد الله بن عباس ممّن خرج مع معاوية في ركابه كما قد يتوهم ذلك. بل كان خرج منفصلاً عن معاوية ، فقد كان له موكب كما كان لمعاوية موكب.

فقد أخرج ابن عبد البر في (الإستيعاب) ، وابن حجر في (الصواعق) عن يزيد ابن الأصم ، قال : (خرج معاوية حاجاً معه ابن عباس ، فكان لمعاوية موكب ولابن عباس موكب ممّن يطلب العلم . فالمعينة معه إنّما هي معية الطريق بدلالة تعدّد الموكبين . كما أنّهما إجتمعا في الطواف ، فكان معاوية يستلم الأركان كلّها فأنكر عليه ابن عباس ذلك) (٢).

(١) الفتوح لابن أعمم الكوفي ٤ / ٢٣٥ . ٢٣٩.

(٢) الإستيعاب ٢ / ٣٥٢ ، الصواعق المحرقة / ١٠٧.

وحديثه كما رواه أحمد في مسنده بسنده ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : (أنه طاف مع معاوية بالبيت فجعل معاوية يستلم الأركان كلّها ، فقال له ابن عباس : لم تستلم هذين الركنين ولم يكن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يستلمهما؟ فقال معاوية : ليس شيء من البيت مهجوراً. فقال ابن عباس : (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)^(١). فقال معاوية : صدقت .

قال محقق الكتاب شاکر : إسناده صحيح ، وروى الترمذي معناه مختصراً بإسناد آخر عن ابن عباس^(٢) .

وقد تلاعبت الأهواء بهذا الخبر فقلبت المسألة وجعلت ابن عباس الفاعل ومعاوية هو المنكر! وسيأتي مزيد بيان عن ذلك في الحلقة الثالثة إن شاء الله تعالى.

تضليل وأحاييل :

قال المؤرخون : (ولما قرب من مكة خرج الناس يستقبلونه وفيهم نفر الذين توعدّهم وهدّد بقتلهم. فلمّا رأى الحسين ، قال : مرحباً بابن رسول الله وسيّد شباب المسلمين ، قرّبوا لأبي عبد الله دابة. وقال لعبد الله بن الزبير : مرحباً بابن حوارى رسول الله وابن عمته هاتوا له دابة. وقال لابن

(١) الأحزاب / ٢١ .

(٢) مسند أحمد ٣ / ٢٦٦ برقم ١٨٧٧ تح أحمد محمد شاکر ، وأنظر صحيح الترمذي ٢ / ٩٢ .

عمر : مرحباً بصاحب رسول الله وابن الفاروق ، هاتوا له دابة. وقال لعبد الرحمن بن أبي بكر : مرحباً بشيخ قريش وسيدها وابن الصديق هاتوا له دابة.

وجعلت أطفاه تدخل عليهم ظاهرة يراها الناس ، ويجسن إذنهم وشفاعتهم ، وحملهم على الدواب ، وخرج حتى أتى مكة فقضى حجه ، ولما أراد الشخصوص أمر بأثقاله فقدّمت ، وأمر بالمنبر فقرب من الكعبة ، ثم أرسل إلى نفر الخمسة وهم الحسين بن عليّ وابن عباس وابن الزبير وابن عمر وابن أبي بكر فأحضرهم ، وقال لهم : قد علمتم نظري لكم وتعطفي عليكم ، وصلتي أرحامكم ، ويزيد أخوكم وابن عمكم ، وإئتما أردت أن أقدمه باسم الخلافة وتكونوا أنتم تأمرون وتنهون. فسكتوا.

فقال : أحيبوا.

فابتدر ابن الزبير ، فقال : نخبّرك بعدُ إحدى ثلاث أيّها أخذت فهي لك رغبة وفيها

خيار :

إن شئت فاصنع فينا ما صنعه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبضه الله ولم يستخلف أحداً ، فرأى المسلمون أن يستخلفوا أبا بكر فدع هذا الأمر حتى يختار الناس لأنفسهم.

وإن شئت فما صنع أبو بكر عهد إلى رجل من قاصية قريش وترك من ولده ومن رهطه الأذنين من كان لها أهلاً.

وإن شئت فما صنع عمر جعلها شورى في ستة نفر من قريش

يختارون رجلاً منهم ، وترك ولده وأهل بيته ، وفيهم من لو وليها لكان لها أهلاً.

فقال معاوية : هل غير هذا؟

قال : لا.

ثم قال للآخرين : ما عندكم؟

قالوا : نحن على ما قال ابن الزبير.

فقال معاوية : إني أتقدم اليكم وقد أعذر من أنذر ، إني قائم فقائل مقالة ، فأقسم

بالله لئن ردّ عليّ رجل منكم كلمة في مقامي هذا لا ترجع إليه كلمته ، حتى يضرب رأسه ، فلا ينظر امرؤ منكم إلا إلى نفسه ، ولا يبقى إلاّ عليها.

وأمر أن يقوم على رأس كلّ واحد منهم رجلان بسيفيهما ، فإن تكلم بكلمة يردّ بهما

عليه قوله قتلاه (١).

قال ابن قتيبة في (الإمامة والسياسة) : (وأمر معاوية من حرسه وشرطته قوماً أن

يحضروا هؤلاء النفر الذين أبوا البيعة ، وهم الحسين بن عليّ ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله

بن الزبير ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الرحمن بن أبي بكر ، وأوصاهم معاوية ، قال : إني

خارج العشية إلى أهل الشام فأخبرهم أنّ هؤلاء النفر قد بايعوا وسلّموا ، فإن تكلم أحد

منهم بكلام يصدّقني أو يكذبني فيه فلا ينقضي كلامه حتى يطير رأسه ، فحدّر القوم ذلك.

(١) أنظر الكامل في التاريخ ٣ / ٥١٠.

فلما كان العشي خرج معاوية وخرج معه هؤلاء النفر وهو يضاحكهم ويحدّثهم ، وقد ألبسهم الحلل ، فألبس ابن عمر حلّة حمراء ، وألبس الحسين حلّة صفراء ، وألبس عبد الله بن عباس حلّة خضراء وألبس ابن الزبير حلّة بيمانية . ولم يذكر عن حلّة ابن أبي بكر شيئاً . ثمّ خرج بينهم ، وأظهر لأهل الشام الرضا عنهم وأنهم بايعوا ، فقال : يا أهل الشام إنّ هؤلاء النفر دعاهم أمير المؤمنين فوجدتهم واصلين مطيعين وقد بايعوا وسلّموا . قال ذلك والقوم سكوت لم يتكلموا شيئاً حذر القتل ، فوثب أناس من أهل الشام فقالوا : يا أمير المؤمنين إن كان رابك منهم ريب فخلّ بيننا وبينهم حتى نضرب أعناقهم .

فقال معاوية : سبحان الله ما أحلّ دماء قريش عندكم ، يا أهل الشام ، لا أسمع لهم ذكراً بسوء ، فإنّهم قد بايعوا وسلّموا وارتضوني فرضيت عنهم رضي الله عنهم (١) .

(المحاورة الثالثة والعشرون)

(والله لأتركّهم عليك خوارج)

(قالوا : ثمّ ارتحل معاوية راجعاً وقد أعطى الناس أعطياتهم وأجزل العطاء ، وأخرج إلى كلّ قبيلة جوائزها وأعطياتها ، ولم يخرج لبني هاشم جائزة ولا عطاء ، وذلك فيما تحيّلته سيحمل بني هاشم على الضغط على الحسين عليه السلام ليبيع ، ولكنه فشل في تصوره ، فقد خرج عبد الله بن عباس في أثره حتى لحقه

(١) الإمامة والسياسة ١ / ١٥٧ .

بالروحاء . من الفُرع على نحو أربعين ميلاً من المدينة (١) ..

فجلس بيابه ، فجعل معاوية يقول : من بالباب؟ فيقال : عبد الله بن عباس ، فلم يأذن لأحد ، فلما استيقظ ، قال : من بالباب؟ فقبل : عبد الله بن عباس ، فدعا بدابته فأدخلت إليه ثم خرج راكباً ، فوثب إليه عبد الله بن عباس فأخذ بلجام البغلة ، ثم قال : أين تذهب؟

قال : إلى الشام.

قال : فأين جوائزنا كما أجزت غيرنا؟

فأوماً إليه معاوية ، فقال : والله ما لكم عندي جائزة ولا عطاء حتى يبايع صاحبكم . قال ابن عباس : فقد أبي ابن الزبير فأخرجت جائزة بني أسد ، وأبي عبد الله بن عمر فأخرجت جائزة بني عدي . فمالنا إن أبي صاحبنا وقد أبي صاحب غيرنا؟ فقال معاوية : لستم كغيركم لا والله لا أعطيكم درهماً حتى يبايع صاحبكم . فقال ابن عباس : أما والله لئن لم تفعل لألحقن بساحل من سواحل الشام ثم لأقولن ما تعلم ، والله لأتركنهم عليك خوارج .

فقال معاوية : لا بل أعطيكم جوائزكم . فبعث بها من الروحاء ومضى راجعاً إلى الشام

(٢) .

(١) مرصد الإطلاع ٢ / ٦٣٧ .

(٢) الإمامة والسياسة ١ / ١٥٧ .

وقد فشل في سياسته من الضغط على الحسين عليه السلام عن طريق منع الهاشميين جوائزهم ، ولم يزدهم إلاّ تضامناً مع الإمام الحسين عليه السلام في رفضهم بيعة يزيد ، وقد أخذها لهم ابن عباس لسأهم المعبر عنهم وكبير شأنهم ، فأرغم معاوية على الإنصياح خاسئاً وهو حسير .

قال ابن أعثم في الفتوح . وقد ذكر نحو ما تقدم . ثمّ قال : (فتبسم معاوية وقال : بل تعطون وتكرمون وتزادون أبا محمّد .

قال : ثمّ أمر معاوية لبني هاشم بجوائز سنوية ، فكلّ قبل جائزته إلاّ الحسين بن عليّ فإنّه لم يقبل من ذلك شيئاً)^(١) .

والذي يلفت النظر تقنية معاوية لابن عباس بأبي محمّد ، ولم يذكر ذلك أحد في كناه ، فقد كان يكنى أبا العباس باسم ابنه العباس وهو أكبر ولده^(٢) ، على أنّه كان له ولد اسمه محمّد ذكره ابن الكلبي في (جمهرة النسب) وقال : (لا بقية له)^(٣) ، فلعلّه كانت ولادته في تلك الأيام فكناه معاوية باسمه إستلطافاً وإستدراجاً ، والله العالم بحقائق الأمور .

وبهذه المحاوره أنتهت محاوراته مع معاوية ولم يلتقيا بعدها . فكانت محاورات ابن عباس مع معاوية تميّزت كمّاً وكيفاً على بقية الآخرين ممن حاورهم محتجاً وناصحاً وهادياً ، وإذا سلّطت الأضواء على الجانب الأدبي

(١) الفتوح ٤ / ٢٤٤ . ٢٤٥ .

(٢) مرّ بالجزء الأوّل ما يتعلّق بهذا فراجع .

(٣) جمهرة النسب / ١٤٠ .

من محاوراته ، يستطيع الباحث أن يستخرج منها فكراً حياً ، وأدباً بارعاً ، وشجاعة متميِّزة ، وتبقى أبرز النواحي البارزة هي العقيدة الصامدة على الولاء لعلِّي أمير المؤمنين عليه السلام ، فكان هو المدافع عن حقه في كلِّ مرّة وجد غمطاً لحقه من أرباب الحكم ، سواء في أيام أبي بكر أو أيام عمر أو أيام عثمان ، إلاّ أنّه قد طفح الكيل وما اعتدل الميل في أيام معاوية ، حيث كانت ناره حامية ، أحرقت اليابس والأخضر ، ومع ذلك فقد رأينا محاورات ابن عباس معه كيف صارت ارتداداتها مشنومة على معاوية ، فهو يذعن مغلوباً ، ويستعمل الحيلة بالتحلّم في إمتصاص نقمة ابن عباس ، إذ لم يسعه الجواب على نصاعة إحتجاجاته ، للفوارق في قيم الأخلاق بين الرجلين ، فالقواعد الدينية والأخلاقية المستمدة من تعاليم القرآن وسنة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كانت ثابتة عند ابن عباس ، وبالمقابل فقد انما لدى الطرف الآخر الضارب بعرقه وعروقه إلى جذره الجاهلي ، وتاريخه يغني عن التدليل على ذلك ، فهو ابن أبي سفيان المنادي (أعل هبل) وهو ابن هند آكلة الأكباد :

أتاه الكفر من هنا وهناك فكان له بمجتمع السيول
 لشيخ الكفر صخر حين ينمى وهند أمه ذات البعول
 وإنّ هذا كلّه يدعونا إلى الحقيقة التي كانت تعكس الناحية الأخلاقية لدى كلِّ من
 الرجلين المتحاورين.

ومن الغريب المدهش أن نجد من يقول : (كان جدّ العباسيين

المحدث التقي عبد الله بن عباس وهو ابن عم النبي محمد (u) وعليّ بن أبي طالب ، وبما أنّه استجاز أن يبيع نفسه لمعاوية فقد ظل على صلوات حسنة بالأمويين مذمماً عليهم في الستر (١)!!

وهذه بعض جبايات المستشرقين سيأتي الكلام عليها في الحلقة الرابعة في (ابن عباس في الميزان).

نصائح ابن عباس لمعاوية

بالرغم ممّا كان يجد ابن عباس في نفسه على معاوية ، لم يكن يمنعه ذلك من إسداء النصائح الكافية ، فالدين النصيحة ، وحبر الأمة من حماة الدين ، ومعاوية خارج على الشرعية بكلّ معنى الكلمة ، وما أكثر موبقاته ، وهو مع ذلك ينافق فيتظاهر بالخوف من النار.

وإلى القارئ شواهد على نصائح ابن عباس له :

روى الغزالي في كتابه (مقامات العلماء بين يدي الخلفاء والأمراء) : (قال معاوية ذات يوم وعنده عبد الله بن عباس : أمّا إنّ نبيّ الله صلى الله عليه وآله وسلم لم تخلق الدنيا له ، ولم يخلق لها ، وأمّا أبو بكر فلم يردها ولم ترده ، وأمّا عمر فأرادته ولم يردها ، وأمّا عثمان فنالت منه ونال منها ، وأمّا أنا فمالت بي وملت بها ، وتلطمت في أمواجها ، فأمر تعلمون غداً إذا لم يكن المصير

(١) الدولة العربية وسقوطها ، ولهاوزن ترجمة الدكتور يوسف العش / ٣٩٦ الهامش ط الجامعة السورية.

إلى النار ، فما تقول يا ابن عباس؟

قال : أقول خيراً ، إذا أردت الدنيا فقد أمكنتك من قيادها ، وصار في يديك ضرعها ، فإن أردت الآخرة فهي لك ممكنة وفي يدك أسبابها ، فإن أردت الدنيا فارتضع ، وإن أردت الآخرة فارتدع ، وأعلم أنّ ما زادك في الآخرة ونقصك من الدنيا خير لك ممّا زادك في الدنيا ونقصك من الآخرة ، فلا يسرنك من الدنيا سارّ ، ولا يغرنك عن الآخرة غار ، فلعمري لقد حلبت الدهر أشطره ، وشربت صفوه ، ورعيت عفوه ، فانظر أيّ أمر يكون غداً إن لم يكن المصير إلّا إلى النار فاحذر الآخرة (١).

أقول : ولهذا النصيحة صورة أخرى رواها البلاذري بأخصر ممّا مر . فقد روى في (أنساب الأشراف) عن المدائني عن عوانة وابن جعدبة قالوا : (قال معاوية لابن عباس : إنّ عثمان أصاب من هذه الدنيا وأصابته منه ، وإنّها قد مالت بي وملت بها فما ترى يا أبا عباس؟

فقال : إنّ الدنيا قد أمكنتك فهي في يدك ولك درّها ، وإنّ الآخرة ممكنة لك إن أردتها ، ولما نقصك من دنياك وزادك في آخرتك خير لك ممّا نقصك من آخرتك وزادك في دنياك (٢).

(١) مقامات العلماء بين يدي الخلفاء والأمراء / ٢٠٥ ، تحقيق محمد جاسم الحديثي .

(٢) أنساب الأشراف ١ / ق ٤ / ٤٧ .

محاوراته مع عمرو بن العاص

لقد كان ابن عباس ينظر إلى عمرو بن العاص بأنه شريك معاوية في آثامه بدءاً من إعلان المطالبة بدم عثمان ، ومروراً بخدعة التحكيم ، وانتهاءً بحضوره المحاورات التي جرت في مجلس معاوية مع الإمامين الحسنين عليهما السلام وابن عباس وابن جعفر وبقية رجال ونساء الشيعة الذين اضطرتهم الظروف القاسية إلى الوفود على معاوية ، وكان ابن النابغة حاضراً فكان ابن عباس هو ذلك الرجل الكفوء الذي قد اختاره الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ليكون حَكَمَ أهل العراق ، ولكن أبي ذلك الأشعث ومن معه ممن باعوا دينهم لمعاوية بثمن بخس ، ولو تم ذلك الإختيار الموفق للرجل المناسب في المحل المناسب ، لما بلغ معاوية حاجته من خدعة ابن النابغة لأبي موسى الأشعري ، ولما أثار شجون الإمام عليه السلام فنفت في خطبة له في شأن الحكمين ودم أهل الشام ، فقال :

(جفأة طعام ، عبید أقزام ، جُمعوا من كلّ أوب ، وتُلْقَطُوا من كلّ شوب ، ممن ينبغي أن يُفَقَّه ويُؤدَّب ، ويُعلِّم ويُدرِّب ، ويُؤلى عليه ، ويُؤخذ على يديه ، ليسوا من المهاجرين والأنصار ، ولا من الذين تبوّؤوا الدار .

ألا وإنّ القوم اختاروا لأنفسهم أقرب القوم ممّا تحبّون ، وأخترتم

لأنفسكم أقرب القوم مما تكرهون ، وإنما عهدكم بعبد الله بن قيس بالأمس يقول : إنّها فتنة فقطّعوا أوتاركم ، وشيموا سيوفكم ، فإن كان صادقاً فقد أخطأ بمسيره غير مستكره ، وإن كان كاذباً فقد لزمته التهمة .

فادفعوا في صدر عمرو بن العاص بعبد الله بن العباس ، وخذوا مهل الأيام ، وحوطوا قواصي الإسلام ألا ترون بلادكم تُغزى ، وإلى صفاتكم ترمى (١) .

ولكن أتى لأهل العراق أن يسعدوا بنصائح الإمام عليه السلام ، وقد أستحوذ عليهم الشيطان فمرق منهم من مرق ، وطفق منهم مع معاوية من وصلته صرار الرشوة ، وهكذا تمت الخديعة ، ولئن تمت فقد أبقت عارها وشنارها على الثلاثة الذين باؤا بأثمها معاوية وعمرو وأبي موسى الأشعري .

فكان ابن عباس يصفع تلك الوجوه بحججه الدامغة ، فيما جرت له من محاورات تكشفت فيها مخازيهم خصوصاً مع معاوية وابن العاص اللذين كان الناس يصفونهما بالدهاء ، وقد مرّت بنا محاوراته مع معاوية وقرأنا كيف أعجزه عن الجواب حتى أزعجه فتبرم منه وقال له : (أرحني من شخصك شهراً) ، وأنتهت الحال بالقطيعة بينهما . وأما عمر وبن العاص ، فقد كان يعترف ويقول : (ما اتقيت جواب أحد من الناس غير جواب ابن عباس رضي الله عنه لبداهته) (٢) .

ولقد مرّ بنا في الحلقة الأولى في الجزء الرابع (حديث الخديعة) ،

(١) نهج البلاغة / ٤٥١ . ٤٥٢ .

(٢) محاضرات الراغب ١ / ٣٦ ط الشرفية بمصر .

فلنقرأ الخبر ثانية كما مرّ ، لنعرف مدى تميّز الغيظ الذي لحق بمعاوية وعمرو بن العاص من جراء ما كتبنا به إلى ابن عباس فلم يبلغا حاجتهما منه ، بل ألحق الندامة بهما :

حديث الخديعة :

قبل ذكر الحديث لابدّ من توثيقه ، لأنّ هشام بن عمّار الدمشقي كان يقول للبلاذري وهو من شيوخه : (هذا الحديث ممّا صنعه ابن دأبكم لأنّ البلاذري رواه عن المدائني عن عيسى بن يزيد)^(١) . وهو ابن دأب ..

وإذا رجعنا إلى الجاحظ وجدناه يقول : (يزيد بن بكر بن دأب وكان عالماً ناسباً ورواية شاعراً ، وهو القائل :

الله يعلم في علمي علمه وكذلك علم الله في عثمان
ثمّ قال : وولد يزيد يحيى وعيسى ، فعيسى هو الذي يعرف في العامة بابن دأب ، وكان من أحسن الناس حديثاً وبياناً ، وكان شاعراً راوية ، وكان صاحب رسائل وخطب ، وكان يجيدهما جداً.

ومن آل دأب حذيفة بن دأب ، وكان عالماً ناسباً. وفي الدأب علم بالنسب والخبر)^(٢).

فهؤلاء بنو دأب ، ومنهم عيسى بن دأب الذي اتهمه هشام بن عمار

(١) أنساب الأشراف ٢ / ٣١٠ تح الممودي.

(٢) كتاب البيان والتبيين ١ / ٣٢٣ - ٣٢٤ تح هارون.

الدمشقي وهشام ، على ما ورد في ترجمته في (تهذيب التهذيب) من مدح ، فقد ورد فيه من القدح ما ينسف مدحه . ويكفي أنه كان يُلقن فيتلقن ولا يفهم بما يحدث .
ثم إن الحديث رواه غير ابن دأب ، فلاحظ سند نصر بن مزاحم ، فقد رواه عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي يحيى ، عن عبد الرحمن ابن حاطب ، وهذا صحابي مولود على عهده صلى الله عليه وآله وسلم وتوفي سنة ٦٨ هـ ، وقيل قتل يوم الحرّة كما في (الإصابة) .

ولاحظ سند الجاحظ فقد رواه ^(١) عن محمد بن سعيد ، عن إبراهيم بن حويطب ، إلا أنه ذكره مقالة قالها عمرو بن العاص لابن عباس ، وليس ذلك بضائر .
وأما ابن أعثم فقد ذكر ما جرى من الكتب ... لما عضّهم سلاح أهل العراق وبدأها بلفظ (قال) . وإذا رجعنا نلتمس القائل نجد الرجل قد ذكر في إبتداء خير وقعة صفيين عدّة أسانيد ليس بين أسماء رجالها عيسى بن دأب ، وقال بعد ذكرهم وغير هؤلاء ... (وقد جمعت ما سمعت من رواياتهم على إختلاف لغاتهم فألفتها حديثاً واحداً على نسق واحد ...) ، فعرفنا أنه هو القائل .

(بين عمرو بن العاص وابن عباس)

والآن إلى رواية الحديث بلفظ نصر ، وإضافة ما عند البلاذري بين

(١) نفس المصدر ٢ / ٢٩٨ .

قوسين ، وكذا ما عند ابن أعثم من زيادة ، قال :

(وإنّ معاوية لما يئس من جهة الأشعث قال لعمرو بن العاص : إنّ رأس الناس بعد عليّ هو عبد الله بن عباس ، فلو ألقيت إليه كتاباً لعلك ترفقه به ، فإنّه إن قال شيئاً لم يخرج عليّ منه ، وقد أكلتنا الحرب ، ولا أرانا نصل إلى العراق إلّا بهلاك أهل الشام . فقال له عمرو : إنّ ابن عباس (أريب) لا يُخدع ، ولو طمعت فيه لطمعت في عليّ . فقال معاوية : صدقت إنّّه لأريب ولكن على ذلك فاكتب إليه (رقعة لطيفة وتنظر ما عنده فتعمل على حسب ذلك) .

(قال) : فكتب إليه عمرو : (من عمرو بن العاص إلى عبد الله بن العباس) أمّا بعد ، فإنّ الذي نحن وأنتم فيه ليس بأوّل أمر قاده البلاء ، وساقه سفه العافية ، وأنت رأس هذا الأمر بعد عليّ (ابن عمك) ، فأنظر فيما بقي ودع ما مضى ، فوالله ما أبقت هذه الحرب لنا ولا لكم حياةً ولا صبراً ، واعلم أنّ الشام لا تملك إلّا بهلاك العراق ، وإنّ العراق لا تملك إلّا بهلاك الشام ، وما خيرنا بعد هلاك أعدادنا منكم ، وما خيركم بعد هلاك أعدادكم منّا ، ولسنا نقول لبيت الحرب عادت ، ولكنّا نقول لبيتها لم تكن ، وإنّ فينا من يكره القتال ، كما أنّ فيكم من يكرهه ، وإنّما هو أمير مطاع (أو مأمور مطيع) ، أو مؤتمن مشاور وهو أنت ، وأمّا الأشر الغليظ الطبع القاسي القلب فليس بأهل أن يُدعى في الشورى ، ولا في خواص أهل النجوى (وقد طال

هذا بيننا حتى لقد ظننا أنّ فيه الفناء وفي ذلك أقول).

وكتب في أسفل الكتاب :

طال البلاء وما يُرجى له أس بعد الإله سوى رفق ابن عباس (١)
 قولاً له قول مَنْ يرضى بحضوته لا تنس حظك إن الخاسر الناسي (٢)
 يا بن الذي زمزم سقيا الحجيج له أعظم بذلك من فخر على الناس
 كلٌ لصاحبه قرنٌ يساوره أسد العرين أسودٌ بين أخياس (٣)
 لو قيس بينهم في العرب لاعتدلوا العجز بالعجز ثم الرأس بالرأس
 فانظر فدى لك نفسي قبل قاصمة للظهر ليس لها راق ولا آسي
 إنّ العراق وأهل الشام لن يدوا طعم الحياة مع المستغلق القاسي (٤)
 بسرٌ وأصحاب بُسرٍ والذين هم داء العراق رجال أهل وسواس
 قوم عراة من الخيرات كلهم فما يساوي به خلق من الناس (٥)
 قالوا يرى الناس في ترك العراق لكم والله يعلم ما بالشام من ناس

(١) أسا المرج أسواً وأساً : داواه ، وأسا بينهم أصلح ، والآسي : الطبيب.

(٢) الخَطْوَة ، بالضم والكسر ، والحِطَّة كعدة المكانة والحظ من الرزق ، وفي نسخة : قول من يرجو مودته ، وفي أنساب الأشراف والفتوح : قول مسرور بخطوته.

(٣) في أنساب الأشراف (قرنٌ يعادله) وفي المصدر : يساوره أي يواثبه ، وهو أصح أيضاً ممّا يوجد في بعض المصادر : (يشاوره). والأخياس : جمع خيس . بالكسر . وهو الشجر الكثير الملتفّ . وفي أنساب الأشراف : (أسدٌ تلاقي أسوداً بين أخياس).

(٤) استغلقني في بيعته لم يجعل لي خياراً في رده واستغلقني عليّ بيعته صار كذلك (لقاموس) وفي أنساب الأشراف :

أهل العراق وأهل الشام لن يجدوا طعم الحياة لحرب ذات أنفاس

(٥) في طبعة صفين بمصر / ٤٦٩ : فما يُساوي به أصحابه كاسي.

إني أرى الخير في سلم الشام لكم والله يعلم ما بالسلم من باس
 أنت الشجاء شجاءها في حلوقهم مثل اللجام شجاء موضع الفاس (١)
 (فاصدع بأمرك أمر القوم إنهم) خشاش طير رأت صقراً بحسحاس (٢)
 فيها التقى وأمور ليس يجهلها إلا الجهول وما النوكى كأكياس (٣)
 قال : فلما فرغ من شعره عرضه على معاوية ، فقال معاوية : لا أرى كتابك على رقة
 شعرك.

فلما قرأ ابن عباس الكتاب (والشعر) أتى به علياً فأقرأه شعره فضحك ، وقال :
 قاتل الله ابن العاص (ابن النابغة) ما أغراه بك يا بن عباس ، أجهه وليرد عليه شعره الفضل
 بن العباس فإنه شاعر).

فكتب ابن عباس إلى عمرو : أما بعد فإني لا أعلم رجلاً من العرب أقل حياء منك ،
 إنه مال بك معاوية إلى الهوى ، وبعته دينك بالثمن اليسير ، ثم خبطت بالناس في عشوة (
 عشواء طخياء) (مظلمة) طمعاً في الملك ، فلما لم تر شيئاً أعظمت الدنيا إعظام أهل
 الذنوب (الدين) ، وأظهرت فيها (زهادة) نزاهة أهل الورع ، فإن كنت (أردت) (تريد
 أن) ترضي الله عليه السلام بذلك فدع مصر وارجع إلى بيتك (أهل بيت نبيك محمد صلى
 الله عليه وآله وسلم) ، (فإن) هذه

(١) اللجام ككتاب للدابة ويكون في حلق الدابة لذلك فهو الشجاء ، وكل ما يعترض الخلق من عظم ونحوه فهو
 شجاءً.

(٢) كذا في أنساب الأشراف ٢ / ٣٠٨ (ترجمة الإمام علي) ، وخشاش الطير كالعصافير ونحوها ، والحساس :
 السيف المبير.

(٣) النوكى : الحمقى ، والكيس خلاف الحمقى.

الحرب ليس معاوية فيها كعليّ ، ابتدأها عليّ بالحقّ وانتهى فيها إلى العذر ، وبدأها معاوية بالبغي وانتهى فيها إلى السرف ، وليس أهل العراق فيها كأهل الشام ، بايع أهل العراق عليّاً وهو خير منهم ، وبايع أهل الشام معاوية وهم خير منه ، ولست أنا وأنت فيها بسواء ، أردتُ الله وأردت أنت مصر ، وقد عرفتُ الشيء الذي باعدك مّي ، ولا أرى الشيء الذي قربك من معاوية ، فإن ترد شراً لا نسبقك إليه ، وإن ترد خيراً لا تسبقنا إليه والسلام.

ثمّ دعا الفضل بن العباس ، فقال له : يا ابن أم (١) أجب (عني) عمرواً (على شعره هذا).

فقال الفضل :

يا عمرو حسبك من خدع ووسواس فاذهب فليس لداء الجهل من آسي (٢)
إلا تواتر طعن في نحروركم يشجى النفوس ويشفي نخوة الرأس

(١) في قول ابن عباس يا ابن أم . على تقدير صحة النسخة . نحو تجوز له ما يبرّه في الاستعمال والمخاطبات بين الناس لشدة العزيمة وطلب المعونة . والا فمن المعلوم الثابت ان أخاه الفضل بن العباس بن عبد المطلب قد مات في طاعون عمواس سنة ١٧ . أو ١٨ . بالشام . وإنما المخاطب في المقام هو الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب ، وهو ابن اخت عبد الله بن عباس ، فان أمه آمنة بنت العباس ، ويقال لها : أمينة . قال البلاذري : كانت عند العباس بن عتبة بن أبي لهب فولدت له الفضل الشاعر . ولما كان الاشتراك في الاسم واسم الأب بين الشاعر اللهبي وبين خاله ، فظن من لا خبرة له أن الشاعر هو الفضل بن عباس بن عبد المطلب ، غافلاً عن تقدم وفاته ومن تظن إلى ذلك فقد احتمل تصحيف الندبة (يا بن ام) عن (يا بن عم) باعتبار الشاعر من ذرية أبي لهب وهو من أعمام عبد الله ابن عباس ، لكن الصواب في نظري (يا بن اختي) لأنّه هو ابن اخته كما تقدم .

(٢) في الفتوح (فاذهب فما لك في ترك الهدى آسي) .

(بالسهمريّ وضرب في شواربكم
 هذا الدواء الذي يشفي جماعتكم
 أمّا عليّ فإنّ الله فضّله
 إن تعقلوا الحرب نعقلها محيصة
 قد كان منا ومنكم في عجاجتها
 قتلى العراق بقتلى الشام ذابة
 لا بارك الله في مصر لقد جلبت
 يا عمرو إنك عارٍ من مغارمها
 إن عادت الحرب عدنا فالتمس هربا
 ثمّ عرض الشعر والكتاب على عليّ ، فقال : (أحسنت) ولا أراه يجيبك بشيء
 بعدها إن كان يعقل ، ولعله يعود فتعود عليه) .

فلما انتهى الكتاب إلى عمرو أتى به معاوية ، فقال : أنت دعوتني إلى هذا ، ما كان
 أغناني وإياك عن بني عبد المطلب .

فقال : إنّ قلب ابن عباس وقلب عليّ قلب واحد ، كلاهما ولد عبد المطلب ، وإن
 كان قد خشن فلقد لان ، وإن كان قد تعظّم أو عظّم صاحبه

(١) المحيصة من الإبل : . بالفتح . التي لم تسرح ولكنها حُبست للنحر أو للقسم فشبه الحرب بالابل في اعتقالها ،
 وأنكاس جمع نكس وهو المقصّر عن غاية الكرم .

(٢) في الفتوح (من لا يفرّ وليس الليث كالجاسي / كالجاسي) .

(٣) الأبيات المقوسة من الفتوح لابن أعثم ٣ / ٢٥٣ - ٢٥٤ .

فلقد قارب وجنح إلى السلم).

قال ابن أعثم في (الفتوح) : (فلما وصل الكتاب والشعر إلى عمرو فأتى به معاوية فأقرأه إياه ، ثم قال : ما كان أغناني وإياك عن بني عبد المطلب .

فقال معاوية : صدقت أبا عبد الله ، ولكنك قد علمت ما مرّ علينا بالأمس من القتل والهلاك ، وأظن عليّاً سيياكرنا الحرب غداً ويعمل على المناجزة ، وقد رأيت أن أشغله أنا غداً عن الحرب بكتاب أكتبه إلى ابن عباس ، فإن هو أجابني إلى ما أريد فذلك ، وإلاّ كتبت إلى عليّ وتحملت عليه بجميع من في عسكره فإن أجاب ، وإلاّ صادمته وجعلتها واحدة لي أم عليّ ، فهذا رأيي وإتما أريد بذلك أن أجمّ الحرب أياماً ، فقد تعلم ما نزل بنا في هذه الأيام وإن كان عندك رأي غير هذا فهاته؟

فقال عمرو : أمّا أنا فأقول إنّ رجاءك لا يقوم رجاءه ، ولست بمثله ، وهو رجل يقاتلك على أمر وأنت تقاتله على غيره ، وهو يريد الفناء وأنت تريد البقاء ، وليس يخاف أهل الشام من عليّ إن ظفر بهم ما يخاف أهل العراق إن ظفرت بهم ، وأظنك تريد مخادعة عليّ ، وأين أنت من خديعته.

فقال معاوية : فكيف ذلك؟ ألسنا ببني عبد مناف؟

فضحك عمرو ، ثمّ قال : بلى لعمرى أنت وهو من بني عبد مناف كما تقول ولكن لهم النبوة من دونك ، فإن شئت فاكتب (١).

(١) الفتوح ٣ / ٢٥٤ . ٢٥٥ .

كتاب معاوية إلى ابن عباس :

قال نصر : (وإنّ معاوية كان يكتب ابن عباس ، وكان يجيبه بقول لبيّن ، وذلك قبل أن يعظم الحرب)^(١).

أقول : ولم أفق على شيء من تلك المكاتبات سوى ما ذكره ابن عساكر في (تاريخ دمشق) ونقله المتقي الهندي ، قال :

(عن عبد الملك بن حميد ، قال : كنّا مع عبد الملك بن صالح بدمشق فأصاب كتاباً

في ديوان دمشق :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله بن عباس إلى معاوية بن أبي سفيان ، سلام عليك ، فإنّي أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو ، عصمنا الله وإياك بالتقوى ، أمّا بعد فقد جاءني كتابك فلم أسمع منه إلاّ خيراً ، وذكرت شأن المودة بيننا ، وإنّك لعمر الله لودود في صدري من أهل المودة الخالصة والخاصة ، وإنّي للخلة التي بيننا لراع ، ولصالحها لحافظ ولا قوّة إلاّ بالله.

أمّا بعد فإنّك من ذوي النهى من قريش وأهل الحلم والخلق الجميل منها ، فليصدر رأيك بما فيه النظر لنفسك والتقوية (البقية ظ) على دينك ، والشفقة على الإسلام وأهله ، فإنّه خير لك وأوفر لحظك في دنياك وآخرتك ، وقد سمعتك تذكر شأن عثمان بن عفان ، فاعلم إنّ انبعاثك في

(١) وقعة صفين / ٤٧١.

الطلب بدمه فرقة وسفك للدماء ، وانتهاك للمحارم ، وهذا لعمر الله ضرر على الإسلام وأهله ، وإنّ الله سيكفيك أمر سافكي دم عثمان ، فتأناً في أمرك ، واتق الله ربك ، فقد يقال لك : إنك تريد الإمارة ، وتقول : إن معك وصية من النبيّ صلّى الله عليه (وآله) وسلّم بذلك ، فقول نبيّ الله صلّى الله عليه (وآله) وسلّم الحقّ ، فتأناً في أمرك ، ولقد سمعت رسول الله صلّى الله عليه (وآله) وسلّم يقول للعباس : (إنّ الله يستعمل من ولدك اثني عشر رجلاً منهم السفاح والمنصور والمهدي والأمين والمؤمن وأمير العصب) ، أفتراني استعجل الوقت أو أنتظر قول رسول الله صلّى الله عليه (وآله) وسلّم؟ وقوله الحقّ ، وما يرد الله من أمر يكن ولو كره العالم ذلك ، وأيم الله لو أشاء لوجدت متقدماً وأعواناً وأنصاراً ، ولكنني أكره نفسي ما أهماك عنه فراقب الله ربك ، وأخلف محمداً في أمته خلافة صالحة ، فأما شأن ابن عمك عليّ بن أبي طالب فقد استقامت له عشيرته وله سابقته وحقه ، وبحوله على الحقّ أعوان ونصحاء لك وله ولجماعة المسلمين ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وكتب عكرمة ليلة البدر من صفر سنة ست وثلاثين ... اهـ)^(١).

فهذا الكتاب نموذج من تلك الأجوبة اللينة والتي لم تجد الأرض الصالحة لتثمر نفعاً وقد استمر معاوية في خداعه ، وهو الآخر لم يجد الأذن الصاغية لاستماعه ، حتى إذا عظم الخطب ، واشتعلت نار الحرب ، تغيّرت اللهجة ، وتقارعت

(١) كنز العمال ١١ / ٣٣٣ - ٣٣٥ ط حيدر آباد الثانية برقم ١٣٢٦.

الحجة بالحجة وصار إلى المخادعة والمخاتلة بطريقة إيقاع الفرقة بين الهاشميين ، وإغراء بعضهم على بعض ، وليس ذلك ببدع منه فقد كان . على حدّ قول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام . : (يودّ ما ترك من بني هاشم نافخ ضرمة إلاّ طعن في نيّطه)^(١) .

وهل في الهاشميين بعد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مثل ابن عباس في فهمه وعلمه ، وعقله وفضله ، فليجهد معاوية نفسه فيما يفرّق به بين المرء وإمامه ، وذلك بخديعة ابن عباس وإثته الرأس بعد الإمام عليه السلام .

وهذه الفكرة لم تبارح معاوية طيلة حكمه ، فسيأتي من الشواهد عليها بعد موت الإمام الحسن عليه السلام وقوله لابن عباس : (أصبحت سيّد أهلك) ، ولكن ابن عباس الذكيّ الأملعي لا ينخدع بزبرج الألفاظ فرد عليه قائلاً : (أمّا ما بقي أبو عبد الله الحسين بن عليّ فلا ...) .

والآن إلى حديثه في صفين برواية نصر بن مزاحم :

قال نصر بن مزاحم : (فلما قتل أهل الشام ، قال معاوية : إنّ ابن عباس رجل من قريش ، وأنا كاتب إليه في عداوة بني هاشم لنا ، وأخوّفه عواقب هذه الحرب لعله يكف عنّا . فكتب إليه :

أمّا بعد فإنّكم يا معشر بني هاشم لستم إلى أحد أسرع بالمساءة منكم إلى أنصار عثمان بن عفان ، حتى أنّكم قتلتم طلحة والزبير لطلبهما بدمه ، واستعظامهما ما نيل منه ، فإن يكن ذلك لسلطان بني أمية فقد وليها عدي

(١) الفائق للزمخشري (نيّط) .

وتيم (قبل بني أمية) فلم تنافسوهم وأظهرتم لهم الطاعة ، وقد وقع من الأمر ما قد ترى (وأدالت هذه الحروب منا ومنكم) ، وأكلت هذه الحرب بعضها من بعض حتى استويننا فيها ، فما أطمعكم فينا أطمعنا فيكم ، وما آيسكم منا آيسنا منكم ، وقد رجونا غير الذي كان وخشيننا دون ما وقع ، ولستم بملاقينا اليوم بأحد من حدّ أمس ، ولا غداً بأحد من حدّ اليوم ، وقد فنعنا بما كان في أيدينا من ملك الشام ، فاقنعوا بما في أيديكم من ملك العراق ، وأبقوا على قريش (واتقوا الله ربكم) فإنّما بقي من رجالها ستة : رجلان بالشام ورجلان بالعراق ورجلان بالحجاز ، فأما اللذان بالشام فأنا وعمرو ، وأما اللذان بالعراق فأنت وعليّ ، وأما اللذان بالحجاز فسعد وابن عمر ، واثنان من الستة ناصبان لك (ولابن عمك) ، واثنان واقفان فيك ، وأنت رأس هذا الجمع اليوم ، ولو بايع لك الناس بعد عثمان لكنا إليك (إلى طاعتك) أسرع منا إلى عليّ (فرأيتك فيما كتبت إليك)^(١).

قال نصر في كلام كثير كتب إليه : (فلما انتهى الكتاب إلى ابن عباس) تبسم ضاحكاً (أسخطه ، ثمّ قال : حتى متى يخطب ابن هند إليّ عقلي؟ وحتى متى أجمع على ما في نفسي؟

فكتب إليه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد فقد أتاني كتابك وقرأته (وفهمت ما سطرت فيه) ، فأما ما ذكرت من سرعتنا إليك بالمساءة في أنصار ابن عفان ،

(١) وقعة صفين / ٤٧١ .

وكراهيتنا لسلطان بني أمية ، فلعمري لقد أدركت في عثمان حاجتك حين استنصرك فلم تنصره ، حتى صرت إلى ما صرت إليه ، وبينني وبينك في ذلك ابن عمك وأخو عثمان الوليد بن عُقبة.

وأما طلحة والزبير فإتّهما أجلبا عليه وضيّقا خناقه ، ثمّ خرجا ينقضان البيعة ويطلبان الملك ، فقاتلناهما على النكث ، وقاتلناك على البغي.

وأما قولك : إنّه لم يبق من قريش غير ستة ، فما أكثر رجالها وأحسن بقيتها ، وقد قاتلك من خيارها من قاتلك ، ولم يخذلنا إلا من خذلك.

وأما إغراؤك إيانا بعدّي وتيم ، فأبو بكر وعمر خير من عثمان ، كما أنّ عثمان خير منك (وأما ذكرك الحرب) فقد بقي لك منا يوم ينسيك ما (كان) قبله ، وتخاف ما (يكون) بعده.

وأما قولك : إنّه لو بايع الناس لي لاستقاموا لي (لأسرعت إلى طاعتي) ، فقد بايع الناس عليّاً (وهو أخو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابن عمه ووصيه ووزيره) وهو خير مني فلم تستقيموا له ، وإتّما الخلافة لمن كانت له في المشورة ، (وأما أنت فليس لك فيها حق) ، وما أنت يا معاوية والخلافة ، وأنت طليق وابن طليق (رأس الأحزاب وابن أكلة الأكباد) ، والخلافة للمهاجرين الأولين ، وليس الطلقاء منها في شيء (١).

قال نصر في روايته : (فلمّا انتهى الكتاب إلى معاوية ، قال : هذا عملي بنفسي ، لا والله لا أكتب إليه كتاباً سنة كاملة.

(١) نفس المصدر / ٢٧٢.

وقال معاوية في ذلك :

دعوت ابن عباس إلى حدّ خِطّة
فأخلف ظنّي والحوادثُ جَمّةٌ
وما كان فيما جاء ما يستحقّه
فقل لابن عباس تارك مفزّقا
وقل لابن عباس تُرك محوّفا
فأبرق وأرعد ما استطعت فإني
(وصفين داري ما حييت وليس ما
قال نصر في روايته : (فلما قرأ ابن عباس الشعر ، قال : لن أشتمك بعدها) (٢).

وقال الفضل بن عباس :

ألا يا بن هند إنني غير غافل
لأنّ الذي إجتبت إلى الحرب ناهما
فأصبح أهل الشام (صرعى فكلّهم)
وإنك ما تسعى له غير نائل
عليك وألقت بركها بالكلاكل (٣)
كفقعة قاع أو كشحمة آكل (٤)

(١) سبط اليبدين ، وسبط الأنامل هو السخي .

(٢) وقعة صفين / ٤٧٣ ، الفتح ٣ / ٥٩ ، والبيت ما بين القوسين منه .

(٣) الكلاكل : جمع كلكل . الصدر . (الصحاح : كلل) .

(٤) الفقعة : الكمأة البيضاء الرخوة ، ويقال للذليل وهو اذل من فقع بقرقرة لأنّه لا يمتنع على من اجتناه ، أو لأنّه يوطأ بالأرجل .

وأيقنت أنا أهل حق وإثما دعوت لأمر كان أبطل باطل
 دعوت ابن عباس إلى السلم خُدعة وليس لها حتى تدين بقابل
 فلا سلم حتى تشجر الخيل بالقنا وتضرب هامات الرجال الأماثل
 وآليت : لا تهدي إليه رسالة إلى أن يحول الحول من رأس قابل
 أردت به قطع الجواب وإثما رماك فلم يخطئ بنان المقاتل
 وقلت له لو بايعوك تبعتهم فهذا عليّ خير حافٍ وناعل
 وصي رسول الله من دون أهله وفارسه إن قيل هل من منازل
 فدونكه إن كنت تبغي مهاجراً أشمّ كنعل السيف غير خُلاحل (١)
 فعرض شعره على عليّ فقال : (أنت أشعر قريش) ، فضرب بها الناس إلى معاوية (٢).

قال ابن أعثم : (فوصل الكتاب إلى معاوية فقرأه وفهم الشعر فلم يرد على ذلك إلى أن كتب إلى عليّ ...) (٣).

أقول : في صحة نسبة هذه الأبيات إلى الفضل بن عباس عندي توقف! لأنّ ابن شهر اشوب المتوفى سنة (٥٨٨ هـ) ذكر منها البيت الخامس منسوباً إلى عبد الله ابن عباس بتغيير في القافية من (بقائل) إلى (بخادع) ،

(١) نعل السيف : حديدة في أسفل غمد السيف ، غير خُلاحل ، غير سيّد شجاع أي فدونكه وأنت كنعل السيف غير خُلاحل. وفي الفتوح (أشم بنصل السيف ليس بناكل).

(٢) وقعة صفين / ٤٧٤ .

(٣) الفتوح ٣ / ٢٥٩ .

وإحتمال وهم النساخ جارٍ في المقام ، خصوصاً وقد ذكر ابن أبي الحديد في (شرح النهج)
 (١) البيتين الأخيرين مصرحاً بنسبتهما إلى عبد الله بن عباس ، وتابعه السيّد شرف الدين في (المراجعات) (٢) على ذلك ، وأيضاً خلو ما ذكر من أشعار الفضل بن العباس اللهي من
 الأبيات المذكورة ، ولا يبعد أن تكون جميعها لعبد الله بن عباس ووهم الراوي أو الناسخ
 فنسبها إلى الفضل بن عباس لقرب ذكره فيما تقدم له من الشعر في المقام.

ومهما كان الصحيح في نسبة الشعر فإنّه شعر صادق في التعبير عما كان أدخله
 كتاب ابن عباس ، والشعر الأوّل في نفس معاوية من إنهميار معنوي حتى حلف أن لا يكتب
 إلى ابن عباس كتاباً سنة كاملة. وأبياته المذكورة تنبئ عن فشله وندامته ولكنه على عادته في
 المكابرة ختمها بقوله :

فأبرق وأرعد ما استطعت فإنني إليك بما يشجيك سبط الأنامل
 أي سخيّ بما يشجيك ، ولم يكن يتوقع أن يأتيه من قبل ابن عباس ما يشجيه هو
 أيضاً ، ولقد صدقت فراسة عمر بن الخطاب في ابن عباس ومعاوية وعمرو بن العاص حين
 ذكر نفر عنده معاوية وابن العاص ، فقال لهم : (أين أنتم عن عبد الله بن عباس؟ فقالوا :
 والله أنّه . أي كما ذكرت . ولكنهما أذكى سنّاً وأطول تجربة. فقال عمر : إنّ هذا

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ١ / ٥٠ .

(٢) المراجعات / ٢٨٢ .

لهما عليه ، ولئن بقي يجري في عنانهما ليبرحنّ بهما تبريح الأشقر مقرأً وشيحاً^(١) .
نعم لقد برّح بهما أيّما تبريح ، حتى قال معاوية بعد وصول الجواب إليه : (هذا عملي
بنفسي ، لا أكتب والله إليه كتاباً سنة كاملة) .

ومرّ بنا قول عمرو بن العاص معانياً ومعاتباً معاوية على حمله أن يكتب إلى ابن
عباس وجاءه الجواب المليء تقريعاً وتسفيهاً ، فقال : (أنت دعوتني إلى هذا ، ما كان
أغنائي وإياك عن بني عبد المطلب) .

ولم يرتدع ابن النابغة عن غيّه بل كان متمادياً في عناده ، وأزداد عتواً ونفوراً بعد أن
أخذ مصر طعمة من معاوية ، فكان يرى لنفسه ما يشمخ به ، إلاّ أنّه ما أن يرى ابن عباس
إلاّ وتتصاغر نفسه ، ويهبط من عليا كبريائه ، فيحمله الحسد على المراوغة والمداجاة ، وأخيراً
إلى المراضاة تخفيفاً لغلوائه ، أنّى يجديه ذلك وفي كلّ مشهد ومقام يرى من ابن عباس ما
يزري به ، ويغضّ من قدره .

ولنقرأ بعض المحاورات التي جرت بين ابن العباس وابن العاص . وكلّ منهما على سجيّته
وجبلّته :

(١) أبناء نجباء الأبناء لابن ظفر المكي / ٨٠ ط مصر . والمعنى برّح به الأمر تبريحاً أي جهده ، والأشقر من
الخجل حمزته صافية يحتر معها العرف والذنب ، والمقر . ساكن . دقّ العنق ، والشيخ . في لغة هذيل . الجادّ في
الأمور .

(لأنك من اللئام الفجرة)

روى ابن عبد ربه الأندلسي في (العقد الفريد) :

(قال أبو مخنف. قال حج عمرو بن العاص. فمرّ بعبد الله بن عباس فحسده مكانه وما رأى من هيبة الناس له. وموقعه من قلوبهم.

فقال له : يا بن عباس ، مالك إذا رأيتني وليتني القصرة ، وكأن بين عينيك دبيرة ، وإذا كنت في ملاء من الناس كنت الهوهات الهمزة.

فقال ابن عباس : لأنك من اللئام الفجرة ، وقريش الكرام البررة ، لا ينطقون بباطل جهلوه ، ولا يكتمون حقاً علموه ، وهم أعظم الناس أحلاماً ، وأرفع الناس أعلاماً ، دخلت في قريش ولست منها ، فأنت الساقط بين الحيين ، لا في بني هاشم رحلك ولا في بني عبد شمس راحلتك ؛ فأنت الأثيم الزنيم الضال المضلل ، حملك معاوية على رقاب الناس ، فأنت تسطو بجلمه ، وتسمو بكرمه.

فقال عمرو : أما والله أتيّ لمسرور بك فهل ينفعني ذلك عندك؟

قال ابن عباس : حيث مال الحق ملنا ، وحيث سلك قصدنا (١).

(إن قريشاً تزعم أنك أعلمها)

أخرج ابن النجار في تاريخه عن ابن عباس :

(أنه دخل على معاوية وعنده عمرو بن العاص.

(١) العقد الفريد ٢ / ٣١٨.

فقال عمرو : إن قريشاً تزعم أنك أعلمها ، فلم سميت قريش قريشاً؟
فقال : بأمر بين.

فقال : ففسره لنا ، ففسره.

فقال : هل قال فيهم أحد شعراً؟

قال : نعم سميت قريش قريشاً بدابة في البحر ، وقد قال الشمخ بن عمرو الحميري :
وقريش هي التي تسكن البحر بها سميت قريش قريشاً
تأكل الغث والسمين ولا تترك فيه لذي الجناحين ريشاً
هكذا في البلاد حي قريش يأكلون البلاد أكلاً كميثاً (١)
ولهم آخر الزمان نبي يكثر القتل فيهموا والخموشا (٢)
يملا الأرض خيله ورجاله يحشرون المطي حشراً كشيثا
هكذا رواه الزرقاني في (شرح المواهب اللدنية) (٣) ، وأخرجه ابن عساكر أيضاً إلا أنه
ذكر أن السائل كان معاوية ، ووصف ابن عباس الدابة بأنها أعظم دواب البحر ، وعزا هذه
الآيات للجمحي.

(١) كميثاً : سريعاً.

(٢) الخموش : الخدوش.

(٣) شرح المواهب اللدنية ١ / ٧٦ ط الأولى الأزهرية ١٣٢٥ هـ.

(فليت شعري بأيّ قدر تتعرض للرجال)

(حضر عبد الله بن جعفر مجلس معاوية ، فقال عمرو بن العاص : قد جاءكم رجل كثير الخلوات بالتمني ، والطربات بالتغني ، محبّ للقيان ، كثير مزاحه ، شديد طماحه ، صدود عن السنان ، ظاهر الطيش ، رخيّ العيش ، أخذ بالسلف ، منفاق بالسرف . فقال له ابن عباس : كذبت والله أنت ، وليس كما ذكرت ، ولكنه لله ذكور ، ولعمائه شكور ، وعن الحنا زجور ، جواد كريم ، سيد حلیم ، إذا رمى أصاب ، وإذا سئل أجاب ، غير حصر ولا هيّاب ولا عيّابة مغتاب ، حلّ من قريش في كريم النصاب ، كالهزبر الضرغام ، الجريّ المقدام ، في الحسب القمقام ، ليس بدعيّ ولا دينيّ ، ولا كمن اختصم فيه من قريش شرارها ؛ فغلب عليه جزّارها ، فأصبح الأمها حسباً ، وأدناها منصباً ، ينوء منها بالذليل ، ويأذى منها إلى القليل ، مذبذب بين الحيين ، كالساقط بين المهدين ، لا المضطر فيهم عرفوه ، ولا الطاعن عنهم فقدوه ؛ فليت شعري بأيّ قدر تتعرض للرجال ، وبأيّ حسب تعتد به تبارز عند النضال ، أنفesk وأنت الوغد اللئيم ، والنكد الذميم ، والوضيع الزنيم ، أم بمن تنتمي إليهم ، وهم أهل السفه والطيش ، والدناء في قريش ، لا بشرف في الجاهلية شهروا ، ولا بتقديم في الإسلام ذكروا ، جعلت تتكلم بغير لسانك ، وتنطق بالزور في غير أقرانك ، والله لكان أبين للفضل ، وأبعد للعدوان ، أن ينزلك معاوية منزلة البعيد السحيق ، فإنّه طالما سلسل داؤك ، وطمح بك رجاؤك ،

إلى الغاية القصوى التي لم يخضّر فيها رعيك ، ولم يورق فيها غصنك.
 فقال عبد الله بن جعفر : أقسمت عليك لما أمسكت فإِنَّكَ ناضلت ولي قارضت.
 فقال ابن عباس : دعني والعبد ، فإنه قد كان يهدر خالياً ، ولا يجد ملاحياً ، وقد
 أتىح له ضيغم شرس ، للأقران مفترس ، وللأرواح مختلس.
 فقال ابن العاص : دعني يا أمير المؤمنين أنتصف منه فوالله ما ترك لي شيئاً.
 قال ابن عباس : دعه فلا يبقى المبقي إلا على نفسه ، فوالله إن قلبي لشديد ، وإنّ
 جوابي لعتيد ، وأني لكما قال نابغة بني ذبيان :
 وَقَدِمًا قَدِ قَرَعَتْ وَقَارِعُونِي فَمَا نَزَرُ الْكَلَامَ وَلَا شَجَانِي
 يَصِدُّ الشَّاعِرَ الْعَرَّافَ عَنِّي صَدُودَ الْبَكْرِ عَن قَرْمِ هِجَانٍ (١)

(لك يدان ووجهان)

ذكر البلاذري وغيره :

(قال قام عمرو بن العاص بالموسم فأطرى معاوية وبني أمية وتناول بني هاشم ، ثم
 ذكر مشاهده بصفين ويوم أبي موسى .
 فقام إليه عبد الله بن عباس ، فقال : يا عمرو إنك بعث دينك من معاوية

(١) المحاسن والأضداد للجاحظ / ١٠١ ، المحاسن والمساويء للبيهقي ١ / ٦٨ ط السعادة بمصر ١٣٢٥ .

فأعطيته ما في يدك ، ومَتَاكَ ما في يد غيره ، فكان الذي أخذه منك فوق الذي أعطاك ، وكان الذي أخذت منه دون ما أعطيته ، وكلٌّ راضٍ بما أخذ وأعطى ، فلمَّا صارت مصر في يدك تتبّعك بالنقص عليك والتعقّب لأمرك ، ثم بالعزل لك ، حتى لو أنّ نفسك في يدك لأرسلتها ، وذكرتَ يومك مع أبي موسى ، فلا أراك فخرتَ إلا بالغدر ، ولا منّيتَ إلا بالفجور والغش ، وذكرتَ مشاهدك بصفين ، فو الله ما ثقلتَ علينا يومئذ وطأتك ، ولا نكأتَ فينا جرأتك ، وإن كنتَ فيها لطويل اللسان وقصير السنان ، آخر الحرب إذا أقبلت ، وأولها إذا أدبرت ، لك يدان ، يد لا تقبضها عن شرّ ، ويد لا تبسطها إلى خير ، ووجهان ، وجه مؤنس ، ووجه موحش ، ولعمري إنّ من باع دينه بدنيا غيره لحريّ أن يطول حزنه على ما باع وأشترى. أما إنّ لك بياناً ولكن فيك حَظْل ، وإنّ لك رأياً ولكن فيك فشل ، ولك قدر وفيك حسد .. وإنّ أصغر عيبك فيك لأعظم عيب في غيرك.

فقال عمرو : أما والله ما في قريش أحد أثقل وطأة عليّ منك ، ولا لأحد من قريش قدر عندي مثل قدرك (١).

أقول : إنّ قول ابن عباس لعمرو : (إنّك بعثت دينك من معاوية ...) إلى آخر كلامه الذي تابع فيه مزاعم عمرو في إطرائه لمعاوية وبني أمية ، وتناوله بني هاشم ثم ذكر مشاهده بصفين ، ويوم أبي موسى ، لم يرد فيه الردّ على إطرء

(١) البيان والتبيان للجاحظ ٢ / ٢٣٩ ، العقد الفريد ٢ / ٤٥٩ ، التذكرة الحمدونية ٧ / ١٩٦ ، نثر الدر للآبي أيضاً.

عمرو لمعاوية وبني أمية ، ولا على تناوله بني هاشم ، وإنما ورد فقط الردّ على مشاهد عمرو يوم صفين ويوم أبي موسى ، فيا ترى من الذي ضاق ذرعاً فلم يذكر ما قاله عمرو في معاوية وبني أمية وما تناول به بني هاشم؟ وماذا كان رد ابن عباس عليه في ذلك؟ إنّها غمغمة الرواة ، وإزمة التاريخ.

ومهما يكن نص ذلك المحذوف ، فهو لا يخرج في معناه عما بقي ، وفيه الدلالة على سفاهة عمرو إذ باع دينه من معاوية بمصر ، ومع ذلك لم تكن الصفقة رابحة لكلّ منها ، إذ كان معاوية يكيّد عمروا ، وهو يكيّد معاوية ، وما أكثر الشواهد على ذلك ، وحديث الوهط ^(١) ، وحده يكفي شاهداً.

فقد ذكر البكري في (معجم ما استعجم) : (حدّث سفيان بن عمرو ابن دينار ، عن مولى لعمرو بن العاص : أنّ عمرواً أدخل في تعريش الوهط ألف ألف عود قام كلّ عود بدرهم ، فقال معاوية لعمرو : من يأخذ مال مصرين يجعله في وهطين ويصلى سعير نارين) ^(٢).

وقد روى البلاذري في (أنساب الأشراف) بإسناده عن ميمون بن مهران : (أنّ معاوية قال لعمرو بن العاص : أحبّ أن تصفح لي عن الوهط ضيعتك . فقال : يا أمير المؤمنين أحبّ أن تعرض لي عنها .

(١) الوهط : الموضع المطمئن المستوى من الأرض ، وبه سمي الوهط مال كان لعمرو بن العاص كذا في لسان العرب.

(٢) معجم ما استعجم ٤ / ١٣٨٤ .

قال : لا ، فأبى عمرو أن يفعل.

فقال معاوية : مثلك يا عمرو كمثلك ثور في روضة ، إن تُرك رتع ، وإن هيج نطح.
فقال عمرو : ومثلك يا أمير المؤمنين مثل بعير في روضة يصيب من أخلاط الشجر
فيها ، فرأى شجرة على صخرة زلّاء فرغب عمّا هو فيه ، وتعاطى الشجرة فتكسّر (١).
وروي البلاذري أيضاً : (قال الهيثم بن عدي : أراد معاوية أن يأخذ أرضاً لعمرو بن
العاص ، فكتب إليه عمرو بشعر (هجى به) خفاف بن ندبة :
أبا خراشة إنا كنت ذا نفر فإن قومي لم تأكلهم الضبغ
وكلّ قومك يخشى منك بائقة فأنفر قليلاً وأبصرها بمن تقع
فالسلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من أنفاسها الجرغ (٢)
وهكذا هي صحبة أهل الدنيا فيما بينهم : يتصاحبون على غير تقوي ويكيد بعضهم
بعضاً.

فكذلك كان صحبة عمرو بن العاص مع معاوية ، فهو قد باع دينه بولاية مصر ،
فخسرت صفقة البايع حيث بدت بوادر الخلاف بينهما ، فكان يکید أحدهما الآخر ،
فكانت عاقبة عمرو بن العاص عند معاوية سيئة ، رغم أنّه خالف الله ورسوله في طاعته ،
وحالف الشيطان في نصرته.

(١) أنساب الأشراف ١ / ق ٤ / ٦٨ . تح إحسان عباس.

(٢) نفس المصدر ١ / ق ٤ / ٧٠ برقم ٢٤٠.

فقد روى البلاذري في (أنساب الأشراف) ، قال : (وفد عمرو بن العاص على معاوية ومعه قوم من أهل حمص ، فأمرهم إذا دخلوا أن يقفوا ولا يسلموا بالخلافة ، فلما دخلوا ، قالوا : السلام عليك يا رسول الله ، وتتابعوا على ذلك ، فضحك معاوية ، وقال : أعزبوا وزجرهم؟

فلما خرجوا قال لهم عمرو : نهيتمكم عن أن تسلموا بالخلافة فسلمتم بالنبوة ، عليكم لعنة الله) (١).

وهذا ما رواه الطبري في تاريخه ، وابن الأثير في كامله ، وابن كثير في (البداية والنهاية) ، ولكن مع أهل مصر. إذ لم يقف عمرو بن العاص عند تلك التجربة الأولى موقف المتبصر المعتبر فيأخذ العبرة ، بل ازداد في كيدته ، وإلى القارئ الخبر بلفظ الطبري ، قال : (أخبرت أن عمرو بن العاص وفد إلى معاوية ومعه أهل مصر ، فقال لهم عمرو : أنظروا إذا دخلتم على ابن هند فلا تسلموا عليه بالخلافة ، فإنه أعظم لكم في عينه ، وصغروه ما استطعتم.

فلما قدموا عليه ، قال معاوية لحجابه : إني كأني أعرف ابن النابغة ، وقد صغر أمري عند القوم ، فأنظروا إذا دخل الوفد فتعتوهم أشد تعتعة تقدرن عليها ، فلا يبلغني رجل منهم إلا وقد همته نفسه بالتلغ ، فكان أول من دخل عليه رجل من أهل مصر يقال له ابن الخياط وقد تُتعتع ، فقال : السلام عليك يا رسول الله ، فتتابع القوم على ذلك ، فلما خرجوا قال لهم عمرو : لعنكم الله ،

(١) نفس المصدر ١ / ٤ / ٣١.

نهيتمكم أن تسلّموا عليه بالإمارة فسَلّمتم عليه بالنبوة (١).

وأطرف من هذا وذاك رؤيا عمرو للخلفاء الثلاثة ومعاوية فقَصَّها على معاوية ، فأجابه معاوية مستهزئاً به بما يأتي كما في (معجم ما استعجم) للبكري في مادة (الحزورة (٢) ، فليقرأها القارئ ليعرف مكايدة أحدهما للآخر :

(وقال عمرو بن العاص لمعاوية : رأيت في منامي أبا بكر حزيناً ، فسألته عن شأنه ، فقال : وُكِّل بي هذان لمحاسبي ، وإذا صحف يسير ورأيت عمر كذلك ، وإذا صحف مثل الحزورة ورأيت عثمان كذلك ، وإذا صحف مثل الخندمة (٣) ورأيتك يا معاوية وصحفك مثل أحد (٤) وثبير .

فقال له معاوية : أفرايت ثمّ دنانير مصر (برابي مصر) ؟ (٥).

فهذا الكلام هو رؤيا منام فإن صحت الأحلام ينبئ عن سوء عقيدة عمرو بن العاص بكلّ الخلفاء الذين ذكرهم ، فهو لم يقل عن واحد منهم لم يكن حزيناً ، وأن صحيفته خالية ممّا يؤاخذ ويحاسب عليه ، فقال عن أبي بكر رأيته حزيناً ، وقال عن عمر كذلك ، وعن عثمان كذلك ، وكلّ

(١) تاريخ الطبري ٥ / ٣٣٠ ط دار المعارف ، الكامل ٤ / ٧ ، البداية والنهاية ابن كثير ٨ / ١٤٠ ط السعادة بمصر .

(٢) الحزورة : موضع بمكة يلي البيت .

(٣) الخندمة : اسم جبل بمكة .

(٤) أحد : جبل تلقاء المدينة .

(٥) معجم ما استعجم ٢ / ٤٤٥ ، تحقيق مصطفى السقي ط القاهرة ١٣٦٦ هـ .

منهم لديه صحفاً منشورةً يحاسب عليها ، وقد تزايدت صحائف المتأخر على المتقدم ، حتى أضحت صحائف عثمان في حجم جبل الخندمة ، أما صحف معاوية فهي في حجم جبلي أحد وثبير .

واللافت للنظر أنه لم يذكر علياً معهم ، إمّا لأنه لا يراه خليفة ، مع إجماع المسلمين . إلا من شدّد . أنه كان خليفة وإن عدّوه رابع الخلفاء ، ولعله إمّا لم يذكره لأنه لم ير فيه ما يشين سلوكه في سيرته أيام خلافته ، لأنه كان مع الحق والحق معه ، وشعر ابن النابغة في القصيدة الجملية يشهد بذلك ^(١) .

(ما أرسلت كلمة إلا أرسلت نقيضها)

(دخل ابن عباس على عمرو بن العاص في مرضه فسلم عليه ، وقال : كيف أصبحت يا أبا عبد الله؟

قال : أصبحت وقد أصلحتُ من دنيائي قليلاً ، وأفسدتُ من ديني كثيراً ، فلو كان الذي أصلحت هو الذي أفسدت ، والذي أفسدت هو الذي أصلحت لفزت ، ولو كان ينفعني أن أطلب لطلب ، ولو كان ينجيني أن أهرب هربت ، فصرت كالمجنون بين السماء والأرض لا أرقى بيدين ولا أهبط برجلين ^(٢) ، فعظني بعظة أنتفع بها يا بن أخي .

(١) أنظر الغدير ٢ / ١٧٦ ط مركز الغدير .

٢ . ذكر ابن أبي الحديد في شرح النهج ٢ / ١١٣ : (أن ابن عباس قال له : يا ابا عبد الله كنت تقول أشتهي أن أرى عاقلاً يموت حتى أسأله كيف يجد؟

قال : أجد السماء كأنها مطبقة على الأرض وأنا بينها ، وأراني كأنما أتنفس من خرق إبرة) .

فقال له ابن عباس : هيهات يا أبا عبد الله ، صار ابن أخيك أخاك ، ولا تشاء أن تبكي إلا بكيت ، كيف يؤمن برحيل من هو مقيم؟

فقال عمرو : وعلى حينها! حين ابن بضع وثمانين سنة تقنطني من رحمة ربّي ، اللهم إن ابن عباس يقنطني من رحمتك ، فخذ منّي حتى ترضى .

فقال ابن عباس : هيهات يا أبا عبد الله أخذت جديداً وتُعطي خَلِقا.

فقال عمرو : ما لي ولك يا بن عباس؟ ما أرسلت كلمة إلا أرسلت نقيضها (١).

فقال ابن قتيبة في (المعارف) : (ثم وضع إصبعه في فمه حتى مات) (٢).

وروى اليعقوبي في تاريخه ، قال : (ولما حضرت عمرواً الوفاة ، قال : لابنه : لو دأبوك أنه كان مات في غزاة ذات السلاسل ، إني قد دخلت في أمور لا أدري ما حجتي عند الله فيها .

ثم نظر إلى ماله فرأى كثرته ، قال : ياليتني كان بعراً ، ياليتني مت قبل هذا اليوم بثلاثين سنة ، أصلحت لمعاوية دنياه وأفسدت ديني ، أثرت دنياي وتركت آخري ، (عمي) عليّ رشدي حتى حضرني أجلي ، كأني بمعاوية قد حوى ما لي وأساء فيكم خلافتي .

قال الله تعالى : (كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَانَهُمْ حَسْرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ

(٣) ، وقال تعالى : (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً

(١) الإستيعاب لابن عبد البر ٢ / ٤٣٦ في ترجمة عمرو بن العاص ، رغبة الأمل ٣ / ٢١٤ .

(٢) المعارف / ٢٨٦ تح عكاشة .

(٣) البقرة / ١٦٧ .

أَوْ قَالَ أَوْحَى إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي
 غَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ
 تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ . وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ
 مَرَّةٍ وَتَرْكُنْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ
 لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَصَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (١) .

وتوفي عمرو ليلة الفطر سنة ٤٣ ، فأقرّ معاوية ابنه عبد الله بن عمرو ثم استصفى مال
 عمرو ، فكان أول من استصفى مال عامل ، ولم يكن يموت لمعاوية عامل إلا شاطر ورثته
 ماله ، فكان يكلم في ذلك ، فيقول : هذه سنة سنّها عمر بن الخطاب (٢) .

أقول : فليُنظر العمريون أين تكون تلك السنة؟ ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
 يقول : (من سنّ سنة سيئة عمل بها من بعده كان عليه وزرها ووزر من عمل بها) (٣) .
 وأخيراً فليُنظر أبناء كثير وتيمية وقيّم الجوزية ، كيف كانت صحابتهم الذين يوالوهم
 ويعادون من عاداتهم على غير هدى من الله ، وليفرحوا بما قاله ابن قيمهم في تقييمهم في
 كتابه (المنار المنيف) ، الأحاديث بالإرقام التالية :
 (٢٥٠ . ومن ذلك الأحاديث في ذم معاوية .

(١) الأنعام / ٩٣ - ٩٤ .

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٢٢ .

(٣) مسند أحمد ٤ / ٣٦١ ، وراجع موسوعة أطراف الحديث النبوي ٨ / ٣١٩ - ٣٢٠ .

٢٥١ . وكلّ حديث في ذمّه فهو كذب .

٢٥٢ . وكلّ حديث في ذمّ عمرو بن العاص فهو كذب .

٢٥٣ . وكلّ حديث في ذمّ بني أمية فهو كذب ، وكلّ حديث في ذمّ يزيد بن معاوية

فكذب .)

وزاد المعلق في الهامش في الطنبور نغمة ، فقال : (وأحاديث ذمّ معاوية ، أو عمرو بن العاص ، أو يزيد بن معاوية من وضع غلاة الشيعة ، القصد منها تفضيل عليّ ، وليس فضل عليّ بحاجة إلى وضع أحاديث . ومعاوية وعمرو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يصحّ لمسلم الخوض فيهما ، وكلّ منهما له فضل ومناقبه ، أمّا يزيد فهو متروك إلى الله يحاسبه عما جنت يده) (١) .

أقول : ما ذنب غلاة الشيعة في هذا ، وجميع ما تقدم من محاورات رواها أعلام السنة في كتبهم ! فإن كان غلاة الشيعة قد اخترقوا الحواجز حتى كتبوا في مصادر أهل السنة ما القصد منه تفضيل عليّ؟ فليحرق أهل السنة تلك المصادر ويؤوؤا بالخسران ، وليت ابن قيم الجوزية ومن نقّ معه هدّبوا كتاب (الإصابة) لابن حجر العسقلاني من تراجم بعض الصحابة ممن كان يماكس ويعافس في بيع دينه بإعترافه كالحئات المجاشعي المذكور .

قال ابن حجر : (ذكره ابن إسحاق وابن الكلبي فيمن وفد من بني

(١) المنار المنيف / ١١٠ الفصل ٣٣ .

تميم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأسلموا ، وقال ابن هشام هو القائل :
لعمر أيك فلا تكذبين لقد ذهب الخير إلا قليلا
لقد فتن الناس في دينهم وأبقى ابن عفان شراً طويلاً^(١)
ثم قال ابن حجر : وأخرج الدارقطني في المؤتلف ومن طريقه أبو عمر من رواية نصر
بن علي الأصمعي عن الحارث بن عمير عن أيوب ، قال : غزا الحتات المجاشعي وحارثة بن
قدامة والأحنف ، فرجع الحتات فقال لمعاوية : فضلت عليّ محرقاً ومخذلاً؟ قال : أشتريت
منهما ذمتهما ، قال : فاشتري مني ذمتي . وهذا من التحريف المتعمد ، والصواب : (اشتريت
منهما دينهما ، قال : فاشتري مني ديني) كما في (الإستيعاب) في ترجمة الحتات^(٢) .^(٣)
ومما يستطرف من حديث هذا الصحابي ما رواه ابن عبد البر في ترجمته ، حيث قال :
(ذكره ابن إسحاق وابن هشام وابن الكلبي ، وقالوا : آخى رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم بين الحتات وبين معاوية بن أبي سفيان ، فمات الحتات عند معاوية في خلافته ، فورثه
بتلك الإخوة .

فقال الفرزدق في ذلك لمعاوية :

(١) البيتان المذكوران في ١ / ٣١٠ ط مصطفى محمد بهامش الإستيعاب .

(٢) الإستيعاب لابن عبد البر ١ / ٤١٣ .

(٣) ترجمة الحتات ١ / ٣٩٤ ، هامش الإصابة ، نفس الطبعة المشار إليها .

أبوك وعمي يا معاوية أورثا تراثا فيحتاز التراث أقاربه
فما بال ميراث الحتات أكلته وميراث صخر جامد لك دائبه
قال ابن هشام : وهذان البيتان في أبيات له .

والحتات بن يزيد هذا هو القاتل :

لعمر أيبك فلا تكذبين لقد ذهب الخير إلا قليلاً
لقد فتن الناس في دينهم وخلصى ابن عفان شرا طويلاً
وأول هذه الأبيات :

نأتك أمامة نأيا محيلاً وأعقبك الشوق حزنًا طويلاً
وحوال أبو حسن دونها فما تستطيع إليها سبيلاً
لعمر أيبك ... الخ

وكان هرب من عليّ رضي الله عنه إلى معاوية ، وللحتات بنون عبد الله وعبد الملك
ومنازل بنو الحتات ولوا لبني أمية (١) .

أقول : وهذا أيضاً ترجمه ابن الأثير في (أسد الغابة) (٢) وذكر بيع الدين . فيا ترى
من هو الغالي من الروافض الذي اخترق صفوف أهل السنة فأدخل هذه المخزاة في مصادر
تراجم الصحابة؟ وكم لحتات من نظير؟

(فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) (٣) .

(١) الإستيعاب ١ / ٤١٣ .

(٢) أسد الغابة ١ / ٣٧٩ .

(٣) الحج / ٤٦ .

محاورته مع الأشعث بن قيس

أخرج الطبراني في (المعجم الكبير) بسنده عن عيسى بن يزيد ، قال :
(استأذن الأشعث على معاوية بالكوفة فحجبه ملياً وعنده العباس والحسن بن علي
رضي الله عنهما .

فقال : أعن هذين حجبتني يا أمير المؤمنين؟ تعلم أن صاحبهما جائنا فمألنا كذباً .
يعني علياً ..

فقال ابن عباس : أتراني أسبك ب ابن أبي طالب؟

قال : ما سبّ عربي خير مني .

فقال ابن عباس : عبد مهرة ، قتل جدك ، وطعن في أست أهلك .

فقال : ألا تسمع ما يقول لي يا أمير المؤمنين؟

قال : أنت بدأت (١) .

ورواه الهيثمي في (مجمع الزوائد) ، وقال : (رواه الطبراني في الكبير وفيه جماعة لا
أعرفهم) (٢) .

أقول : وفي النفس من صحة هذا الخبر شيء ، إذ أن ابن عباس لم

(١) المعجم الكبير ١ / ٢٣٨ .

(٢) مجمع الزوائد ٧ / ٢٤٨ .

يكن قد حضر الصلح ، ولم يجتمع مع معاوية بالكوفة . وقد مرّ أن ذكرت في الجزء الخامس من الحلقة الأولى زمان ومكان أول لقاء بينهما . وأحسب أنّ المراد بابن عباس في الخبر هو عبيد الله بن عباس الذي كان مع قيس بن سعد في مقدمة جيش الإمام الحسن عليه السلام وقيل عنه ما قيل من خيانة ترك الجيش وذهب إلى معاوية ، وهذا الخبر إن صحّ سنداً ودلالة فهو يلقي بضلال الشك على ما قيل في عبيد الله .

محاورته مع عتبة بن أبي سفيان

(قال عتبة بن أبي سفيان لعبد الله بن عباس رضي الله عنه : ما منع علياً أن يبعثك مكان أبي موسى الأشعري يوم الحكمين؟

قال : منعه والله من ذلك حاجز القدر ، وقصر المدة ، ومحنة الإبتلاء. أما والله لو بعثني مكانه لاعترضت لعمرو في مدارج نفسه ، ناقضاً ما أبرمه ، ومبرماً ما أنقضه ، أسفُ إذا طار ، وأطير إذا أسف ، ولكن مضى قدر وبقي أسف ، ومع اليوم غد ، والآخرة خير لأمير المؤمنين من الأولى) (١).

وقالوا : لما استتبَّ الأمرُ لمعاوية قدم عليه عبد الله بن عباس ، وهي أولُ قدمية قدمها عليه ، فدخل وكأنه فُرحةٌ تتبجس (٢) ، فجعل عتبةُ بن أبي سفيان يطيلُ النظرَ إليه ويقولُ الكلامَ معه.

فقال ابن عباس : يا عتبة إنك لتطيلُ النظرَ إليَّ وتقلُّ الكلامَ معي ،

(١) جاء ذلك في أمالي المرتضى ١ / ٢٠٧ ، وشرح النهج للمعتزلي ١ / ١٩٥ ، وإعجاز القرآن للباقلاني / ١٢٢ ، والعقد الفريد للملك السعيد / ١١ ، والمنتخب من كناية الأدباء وإشارات البلغاء للقاضي الجرجاني / ١٤٧ (ت ٤٨٢ هـ) ، ط السعادة بمصر ١٣٥٦ هـ ، وإسرار البلاغة بذيل المخلاة / ٤ ، وجمهرة خطب العرب ٢ / ٩٢ .

(٢) تتبجس : أي تتفجر من قولهم : إنبجس الماء وتبجس : أي تفجّر (الصحاح / بجز) .

أفلموجدةٍ فدامت أو لمعتبةٍ فلا زالت؟

فقال له عتبة : ماذا أبقيت لما لا رأيت؟ أما طولُ نظري إليك فسروراً بك ، وأما قلّةُ كلامي معك فلقلّته مع غيرك ، ولو سلطت الحقّ على نفسك لعلمت أنّه لا تنظرُ إليك عينٌ مبغض.

فقال ابن عباس : أمهيت يا أبا الوليد أمهيت ، لو تحقّق عندنا أكثر ممّا ظنناه لمحاهُ أقلُّ ممّا قلت.

فذهب بعضٌ من حضر ليتكلم ، فقال له معاوية : أسكت إنّ الداخل بين قريشٍ لخائن نفسه. وجعل معاويةً يصقّقُ بيديه ويقول : [من الرجز] :
جندلتانٍ اصطكتنا اصطكاكا
دعوتُ عَرَكا إذ دَعَوَا عراكا
(إنّ الداخل بين قريش لخائن نفسه).

يقال : أمهيت الحديدَةَ إذا سميتها ، والأمهاء : إرخاءُ الحبل. وأمهيت الفرسَ : أرخيتُ عنانه. ولبن ممهوّ : رقيق ، وناقاة ممهاء : رقيقة اللبن^(١).

(١) التذكرة الحمدونية ٥ / ٥٣ برقم ١٢٤ ، والبصائر ٦ / ٢٦ - ٢٧ (برقم / ٥٧) ، ونور القبس / ١٨٩ ، ونثر الدر ٣ / ١١٥ ، وما بين القوسين منه.

محاورته مع زياد (الدعيّ)

(إنك لا تشاء أن تغلب إلا غلبت)

قالوا : (إنّ عبد الله بن عباس قدم على معاوية وعنده زياد ، فرحّب به معاوية وألطفه وقرب مجلسه ، ووسّع له إلى جنبه ، وأقبل عليه يسأله ويحادثه ، وزياد ساكت فلم يكلمه شيئاً .

فأبتدأ ابن عباس وقال له : ما بالك أبا المغيرة كأنك أردت أن تحدث بيننا وبينك

هجرة؟

قال : لا ، ولكنه لا يسلم على قادم بين يدي أمير المؤمنين .

فقال له ابن عباس : ما أدركت الناس إلا وهم يسلمون على إخوانهم بين يدي

أمرائهم .

فقال له معاوية : كفّ عنه يا بن عباس فإنك لا تشاء أن تغلب إلا غلبت (^١) .

(١) العقد الفريد ١ / ١٠ ، و ٢ / ٩ ، نهاية الإرب ٦ / ١٤ .

محاورته مع أبي موسى الأشعري

(لما استقام رأيُ الناسِ على جعل أبي موسى حكاماً لأهل العراق بصفيين .
 أتاه عبدُ الله بنُ عباس . وعنده وجوهُ الناسِ وأشرافُهم . فقال : يا أبا موسى ، إنَّ
 الناسَ لم يرضَوْا بك ولم يجتمعوا عليك لفضلٍ لا تُشاركُ فيه ، وما أكثرَ أشباهك من
 المهاجرين والأنصار والمقدمين قبلك ، ولكنَّ أهلَ الشَّامِ أبوا غيرك ، وإيمُ الله إليَّ لأظنُّ ذلك
 شرّاً لنا وخيراً لهم ، وإنَّه قد ضُمَّ إليك داهيةُ العرب ، وليس في معاويةَ خصلةٌ يستحقُّ بها
 الخلافةَ ؛ فإن تقذِفْ بحمِّك على باطله تُدرِكْ حاجتكَ ، وإنَّ تُطمعَ باطله في حقِّك يُدرِكْ
 حاجتهُ فيك .

إعلم أنَّ معاوية طليقُ الإسلام ، وأنَّ أباه من الأحزاب ، وأنَّه ادعى الخلافةَ من غير
 مشورةٍ ، فإن صدَّقَكَ فقد صرَّحَ بخلعه ، وإن كذَّبَكَ فقد حرَّمَ عليك كلامه ، وإن ادعى أنَّ
 عمرَ وعثمانَ إستعملاه فصدَّق : فأما عمرُ استعمله وهو الوالي عليه ، بمنزلةِ الطيبِ من
 المريضِ يحميه ممَّا يشتهي ويؤخِّره ممَّا يكره ، ثم استعمله عثمان برأي عمر ، وما أكثرَ من
 استعملاه ثم لم يدعُوا الخلافةَ ، وهو منهم واحد .

واعلم أنّ لعمرٍ مع كلّ شيءٍ يسرُّك حيناً يسوءُك ، ومهما نسيت فلا تنس أن عليّاً
بايعه القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان ، فإنّها بيعه هدى ، وأنّه لم يقاتل إلاّ غاصباً
أو ناكثاً.

فقال أبو موسى : رحمك الله ، والله ما لي إمامٌ غيرُ عليّ ، وإني لواقفٌ عند ما أرى ،
وليرضى الله أحبُّ إليّ من رضى أهل الشام ، وما أنا وأنت إلاّ بالله (١).

(١) التذكرة الحمدونية ٧ / ١٩٦ برقم ٩٠٤ ، ونشر الدر للآبي ١ / ٤٢١ ، كما في الهامش الأول.

محاورته مع عروة بن الزبير

(ما تقول يا عُرَيَّة)

أخرج ابن عبد البر في كتابه (التمهيد كما في الموطأ من المعاني والأسانيد) :

(إنّ عروة قال لابن عباس : أضللت الناس؟

قال : وما ذلك؟

قال : تفتي الناس إذا طافوا بالبيت فقد حلّوا ، وقال أبو بكر وعمر : من أحرم بالحج

لم يزل محرماً إلى يوم النحر.

فقال ابن عباس : أحدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتحدثوني عن أبي

بكر وعمر.

فقال عروة : كانا أعلم برسول الله منك (١).

وأخرج الذهبي في (تذكرة الحفاظ) في ذيل ترجمة محمد بن عبد الملك بن أيمن بن فرج

بسنده ، عن سعيد بن جبير :

(فقال ابن عباس : ما تقول يا عُرَيَّة؟

قال : نهى أبو بكر وعمر عن المتعة.

(١) التمهيد ٣ / ٥٢٢.

فقال : أراهم سيهلكون أقول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ويقولون : قال أبو بكر وعمر؟! .

قال ابن حزم : إنها لعظيمة ما رضي بها قط! أبو بكر وعمر (١)!!

وذكر ابن قيم الجوزية في (زاد المعاد) عن أيوب :

(قال عروة لابن عباس : ألا تتقي الله ترخص في المتعة؟

فقال ابن عباس : سل أمك ياعربية .

فقال عروة : أمّا أبو بكر وعمر فلم يفعلوا .

فقال ابن عباس : والله ما أراكم منتهين حتى يعذبكم الله ، نحدثكم عن النبي صلى

الله عليه وآله وسلم ونحدثونا عن أبي وبكر؟! (٢) .

(١) تذكرة الحفاظ ٣ / ١٧٣ .

(٢) زاد المعاد ٢ / ٢١٣ .

إحتجاجاته على ابن الزبير

(سل أمك عن بردي عوسجة)

(خطب ابن الزبير بمكة على المنبر وابن عباس جالس مع الناس تحت المنبر .
فقال : إنّ ههنا رجلاً قد أعمى الله قلبه كما أعمى بصره ، يزعم أنّ متعة النساء
حلال من الله ورسوله ، ويفتي في القملة والنملة ، وقد أحتمل بيت مال البصرة بالأمس وترك
المسلمين بما يرتضخون النوى ، وكيف ألومه في ذلك وقد قاتل أم المؤمنين وحواري رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم ومن وقاه بيده .

فقال ابن عباس لقائده سعيد بن جبير بن هشام . مولى بن أسد بن خزيمه . : استقبل
بي وجه ابن الزبير ، وأرفع من صدري . وكان ابن عباس قد كفّ بصره .
فاستقبل به قائده عكرمة وجه ابن الزبير ، وأقام قامته فحسر عن ذراعيه ثم قال : يا
ابن الزبير :

قد أنصف القارة من رامها إنّنا إذا ما فئنةً نلقاها
نردّ أولاهما على آخراها حتى تصير خرضاً دعواها

يا بن الزبير أَمَا الْعَمَى فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : (**فِيَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**)^(١) ، ثم أنشأ قوله :

إِنْ يَأْخُذُ اللَّهُ مِنْ عَيْنِي نَوْرَهُمَا ففِي لِسَانِي وَقَلْبِي مِنْهُمَا نَوْرٌ
وَأَمَّا فَتْيَايَ فِي الْقَمَلَةِ وَالنَّمْلَةِ ، فَإِنَّ فِيهِمَا حَكَمِينَ لَا تَعْلَمُهُمَا أَنْتَ وَلَا أَصْحَابُكَ .
وَأَمَّا حَمَلِي الْمَالَ ، فَإِنَّهُ كَانَ مَالاً جَبِينَاهُ فَأَعْطِينَا كُلَّ ذِي حَقِّ حَقَّهُ ، وَبَقِيَتْ بَقِيَّةٌ هِيَ
دُونَ حَقِّنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ ، فَأَخَذْنَاهُ بِحَقِّنَا .

وَأَمَّا الْمَتْعَةُ ، فَسَلَّ أَمْكُ أَسْمَاءَ إِذَا نَزَلَتْ عَنْ بَرْدِي عَوْسَجَةَ) .

. وفي رواية : (أول مجمر سطم في المتعة مجمر آل الزبير) ، وفي رواية ثالثة : (فإنَّ

أول متعة سطم مجمرها لمجر سطم بين أمك وأبيك) .

وَأَمَّا قِتَالُنَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ ، فَبِنَا سُمِّيَتْ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ لَا بِكَ وَلَا بِأَبِيكَ ، فَانْطَلَقَ أَبُوكَ
وَخَالَكَ إِلَى حِجَابِ مَدَّةِ اللَّهِ عَلَيْهَا فَهَتَكَاهُ عَنْهَا ، ثُمَّ اتَّخَذَاهَا فِئَةً يِقَاتِلَانِ دُونَهَا ، وَصَانَا
حَلَالَهُمَا فِي بِيوتِهِمَا ، فَمَا أَنْصَفَا اللَّهَ وَلَا مُحَمَّدًا مِنْ أَنْفُسِهِمَا ، أَنْ اِبْرَزَا زَوْجَةَ نَبِيِّهِ وَصَانَا
حَلَالَهُمَا .

وَأَمَّا قِتَالُنَا إِيَّاكُمْ ، فَإِنَّا لَقِينَاكُمْ زَحْفًا ، فَإِنْ كُنَّا كُفْرَارًا فَقَدْ كَفَرْتُمْ بِفِرَارِكُمْ مِنَّا ، وَإِنْ كُنَّا

مُؤْمِنِينَ فَقَدْ كَفَرْتُمْ بِقِتَالِكُمْ إِيَّانَا .

. وفي رواية : (فقد لقيت أباك في الزحف وأنا مع إمام هدى ، فإن يكن

على ما أقول فقد كفر بقتالنا ، وإن يكن على ما تقول فقد كفر بجره عنا) .
وأيم الله لولا مكان صفيه فيكم ومكان خديجة فينا لما تركت لبني أسد بن عبد العزى
عظماً إلا كسرته .

فانقطع ابن الزبير .

ولما عاد إلى أمه سأها عن بردي عوسجة؟ فقالت : يا بني ما ولدتك إلا في المتعة ،
ألم أهلك عن ابن عباس وعن بني هاشم فإنهم كعم الجواب إذا بدهوا .
فقال : بلى وعصيتك .

فقالت : يا بني أحذر هذا الأعمى الذي ما أطاقته الإنس والجن ، واعلم أنّ عنده
فضائح قريش ومخازيها بأسرها ، فأياك وإياه آخر الدهر .

فقال أيمن بن خزيمة بن فاتك الأسدي :

يا ابن الزبير لقد لاقيت بائقة من البوائق فالطف لطف محتال
لاقيته هاشمياً طاب منبته في مغرسيه كريم العمّ والخال
ما زال يقرع منك العظم مقتدرأ على الجواب بصوت مسمع عال
حتى رأيتك مثل الكلب منحجراً خلف الغبيط وكنت الباذخ العالي
إن ابن عباس المعروف حكمته خير الأنام له حال من الحال
عيرته المتعة المتبوع سننتها وبالقتال وقد عيرت بالمال
لما رماك على رسلٍ بأسهمه جرت عليك كسوف الحال والبال

فأحترز مقولك الأعلى بشفرته حزاً وحيّاً بلا قيل ولا قال
وأعلم بأنك إن عاودت غيبته عادت عليك مخازٍ ذات أذيال (١)
أقول : وأورد الحادثة الحافظ جمال الدين الزيلعي في (نصب الراية لأحاديث الهداية)
نقلاً عن مسلم في صحيحه عن عروة بن الزبير :

(أنّ عبد الله بن الزبير قام بمكة ، فقال : إنّ ناساً أعمى الله قلوبهم كما أعمى
أبصارهم يفتنون بالمتعة . يعرض برجل ..
فناداه فقال : إنّك لجلف جاف فلعمري لقد كانت المتعة في عهد إمام المتقين . يريد
رسول الله ..

فقال له ابن الزبير : فجرب نفسك فو الله لئن فعلتها لأرجمك بأحجارك (٢).
وعلق ابن الهمام الحنفي في شرحه على هذه الخطبة ، فقال : (ولا تردّد عندنا في أنّ
ابن عباس هو الرجل المعروض به ، فكان قد كفت بصره ، فلذا قال ابن الزبير : كما أعمى
أبصارهم) (٣) (٤).

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ٤ / ٤٩٠ ، ط دار الكتب العربية بمصر .

(٢) نصب الراية لأحاديث الهداية ٣ / ط مصر سنة ١٣٥٧ نقلاً عن مسلم في صحيحه ٤ / ١٣٣ .

(٣) شرح الفتح ٢ / ٢٨٦ .

(٤) وروى الحادثة النسائي أيضاً والمسعودي في جملة من كتبه كالإستبصار وكتاب الصفوة والكتاب الواجب في
الفروض اللازمة كما في مروج الذهب ٢ / ١٠٣ ، وابن عبد ربه في العقد الفريد ٣ / ١٥٧ ، وابن أبي الحديد في
شرح النهج ٤ / ٤٨٩ . ٤٩١ ، والراغب في محاضراته ٢ / ٢٩٤ ، والمدني في الدرجات الرفيعة ١ / ١٤٢ ،
وغيرهم ..

تنبيه هام :

عند كثير ممن روى هذه الحادثة رواها خالية عن قصة أخذ المال وفتيا المتعة والقملة والنملة ، ومنهم الخوازمي في (مقتل الحسين)^(١) ، وأوردها خالية عن قصة أخذ المال فقط ، أو خالية بما عدا المتعة وعمى البصر كالزيلي في (نصب الراية) ، وابن الهمام الحنفي في (شرح الفتح)^(٢) ، وابن عبد ربه في (العقد الفريد)^(٣) ، والمسعودي في موجهه^(٤) ، والراغب في محاضراته^(٥) ، وهامش (الإستغاثة في بدع الثلاثة)^(٦) نقلاً عن المختصر من الأصل لابن شهر آشوب ، وستجد شرحاً عن المتعة في باب أقواله الفقهية التي خالف بها الخلفاء الثلاثة ، وهناك تجد قول من قال :

أقول للشيخ إذ طالعت عزوبته يا شيخ هل لك في فتوى ابن عباس
كما في (محاضرات الراغب)^(٧) ، لشهرة فتواه بحلية المتعة ، وكذا تجد هذا في (أصل الشيعة وأصولها)^(٨).

(١) مقتل الحسين ٢ / ٢٥٢ .

(٢) شرح الفتح ٢ / ٢٨٦ .

(٣) العقد الفريد ٢ / ١٥٧ .

(٤) مروج الذهب ٢ / ١٠٢ .

(٥) محاضرات الراغب ٢ / ٩٤ .

(٦) الإستغاثة / ٤٥ .

(٧) محاضرات الراغب ٢ / ٩٣ .

(٨) أصل الشيعة وأصولها / ١٢٣ .

(على رسلك)

(عن عثمان بن طلحة العبدي ، قال : شهدت من ابن عباس رحمه الله مشهداً ما سمعته من رجل من قريش ، كان يوضع إلى جانب سرير مروان بن الحكم . وهو يؤمئذ أمير المدينة . سرير آخر أصغر منه فيجلس عليه عبد الله بن عباس إذا دخل . وتوضع الوسائد فيما سوى ذلك .

فأذن مروان يوماً للناس ، وإذا سرير آخر قد أحدث تجاه سرير مروان ، فأقبل ابن عباس فجلس على سيره ، وجاء عبد الله بن الزبير فجلس على السرير المحدث ، وسكت مروان والقوم ، فإذا يدا ابن الزبير تتحرك ، فعلمت أن يريد أن ينطق .

ثم نطق ، فقال : إنّ أناساً يزعمون أنّ بيعة أبي بكر كانت غلطاً وفتنةً ، ومغالبةً . ألا إنّ شأن أبي بكر أعظم من أن يقال فيه هذا . ويزعمون أنّه لولا ما وقع لكان الأمر لهم وفيهم ، والله ما كان من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم أحداً أثبت إيماناً ولا أعظم سابقة من أبي بكر ، فمن قال غير ذلك فعليه لعنة الله . فأين هم حين عقد أبو بكر لعمر ، فلم يكن إلا ما قال ، ثم ألقى عمر حظهم في حظوظ ، وجدّهم في جدود ، فقسمت تلك الحظوظ فأخرّ الله سهمهم ، وأدحض جدّتهم وولي الأمر عليهم من كان أحق به منهم ، فخرجوا عليه خروج اللصوص على التاجر خارجاً من القرية ، فأصابوا منه غرة فقتلوه ، ثم قتلهم الله به كلّ قتلة ، وصاروا مطرّدين تحت بطون الكواكب .

فقال ابن عباس : على رسلك أيها القائل في أبي بكر وعمر والخلافة .

أما والله ما نالا ولا نال واحد منهما شيئاً إلا وصاحبنا خير ممن نال ، وما أنكرنا تقدّم من تقدّم لعيب عناه عليه ، ولو تقدم صاحبنا لكان أهلاً وفوق الأهل ، ولولا أنّك إنّما تذكر حظ غيرك وشرف أمريء سواك لكلمتّك ، ولكن ما أنت وما لاحظّ لك فيه ، أقتصر على حظك ودع تيمناً لتيم ، وعدياً لعدي ، وأمياً لأمية. ولو كلمني تيمي أو عدوي أو أموي لكلمته ، وأخبرته خير حاضر عن حاضر لا خير غائب عن غائب ، ولكن ما أنت وما ليس لك ، فإنّ يكن في أسد بن عبد العزّي شيء فهو لك.

أما والله لنحن أقرب بك عهداً ، وأبيضُ عندك يداً ، وأوفر عندك نعمة ممن أسميت ، تظن أنّك تصول به علينا ، وما أخلق ثوب صفية بعد. (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ)^(١) (٢).

(قد أنصف القارة من رامها)

(تزوج عبد الله بن الزبير أم عمرو ابنة منظور بن أبان الفزارية. فلمّا دخل بها ، قال لها تلك الليلة : أتدريين من معك في حجلك؟

قالت : نعم عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزي.

قال : ليس غير هذا.

قالت : فما الذي تريد؟

(١) يوسف / ١١٨ .

(٢) شرح النهج للمعتزلي ٤ / ٤٩٠ ، والدرجات الرفيعة / ١١٨ .

قال : معك مَنْ أصبح من قريش بمنزلة الرأس من الجسد ، لا بل بمنزلة العينين من الرأس.

قالت : أم والله لو أنّ بعض بني عبد مناف حضرك لقال لك خلاف قولك .
فغضب وقال : الطعام والشراب عليّ حرام حتى أحضرك الهاشميين وغيرهم من بني عبد مناف فلا يستطيعون لذلك إنكاراً .

قالت : إن أطعتني لم تفعل ، وأنت أعلم وشأنك .
فخرج إلى المسجد فرأى حلقة فيها قوم من قريش منهم عبد الله بن العباس ، وعبد الله بن الحصين بن الحرث بن المطلب بن عبد مناف ، فقال لهم ابن الزبير : أحبّ أن تنطلقوا معي إلى منزلي . فقام القوم بأجمعهم حتى وقفوا على باب بيته ، فقال ابن الزبير : يا هذه اطرحي عليك سترك .

فلما أخذوا مجالسهم دعا بالمائدة فتغدى القوم فلما فرغوا ، قال لهم : إنّما جمعتكم لحديث ردّته علي صاحبته الستر وزعمت أنّه لو كان بعض بني عبد مناف حضري لما أقرّ لي بما قلت ، وقد حضرتم جميعاً ، وأنت يا ابن عباس ما تقول : إنّني أخبرتها إنّ معها في خدرها مَنْ أصبح في قريش بمنزلة الرأس من الجسد لا بل بمنزلة العين من الرأس فردّت عليّ مقالتي .
فقال : ابن عباس : أراك قصدت قصدي فإن شئت أن أقول قلتُ ، وإن شئت أن أكفّ كفت .

قال : بل قل وما عسى أن تقول : ألسنت تعلم أنّي ابن الزبير حوارى

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأنّ أمي أسماء بنت أبي بكر الصديق ذات النطاقين؟
وأنّ عمتي خديجة سيدة نساء العالمين ، وأنّ صفيّة عمّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
جدتي؟ وأنّ عائشة أم المؤمنين خالتي؟ فهل تستطيع لهذا أنكاراً؟

قال ابن عباس : لا ولقد ذكرتَ شرفاً شريفاً وفخراً فاحراً ، غير أنّك تفاخر من
بفخره فخرت وبفضله سموت.

قال : وكيف ذلك؟

قال : لأنّك لم تذكر فخراً إلاّ برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا أولى بالفخر به
منك.

قال ابن الزبير : لو شئت لفخرت عليك بما كان قبل النبوة.

قال ابن عباس : (قد أنصف القارة من رامها) ، نشدتكم الله أيّها الحاضرون أعبد
المطلب أشرف أم خويلد في قريش؟

قالوا : عبد المطلب.

قال : أفهاشم كان أشرف فيها أم أسد؟

قالوا : بل هاشم.

قال : أفعبد مناف أشرف أم عبد العزى؟

قالوا : عبد مناف.

فقال ابن عباس :

تفاني يا بن الزبير وقد قضى عليك رسول الله لا قول هازل
ولو غيرنا يا بن الزبير فخرته ولكنما ساميت شمس الأصائل

قضى لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالفضل في قوله : (ما أفرقت فرقتان إلا كنت في خيرهما ، فقد فارقتك من بعد قصي بن كلاب) ، أفنحن في فرقة الخير أم لا؟
 إن قلت : نعم خُصمت ، وإن قلت لا كفرت. فضحك بعض القوم.
 فقال ابن الزبير : أما والله لولا تحرمك بطعامنا يا ابن عباس لأعرت جبينك قبل أن تقوم من مجلسك.

قال ابن عباس ولم؟ أباطل؟ فالباطل لا يغلب الحق ، أم بحق؟ فالحق لا يخشى من الباطل.

فقال المرأة من وراء الستر : إني والله لقد نهيته عن هذا المجلس فأبى إلا ما ترون.
 فقال ابن عباس : صه أيتها المرأة أقنعي ببعلك ، فما أعظم الخطر وما أكرم الخير ، فأخذ القوم بيد ابن عباس وكان قد عمى ، فقالوا : إنهمض أيها الرجل ، فقد أفحمته غير مرة. فنهض وقال :

ألا يا قومنا أرتحلوا وسيروا فلو ترك القطا لغفا وناما
 فقال ابن الزبير : يا صاحب القطا أقبل عليّ فما كنت لتدعني حتى أقول ، وأيم الله لقد عرف الأقوام أيّ سابق غير مسبوق ، وابن حواريّ وصديق ، متبجح في الشرف الأنيق ، خير من طليق وابن طليق.

فقال ابن عباس : رسعت بجرتك فلم تبق شيئاً ، هذا الكلام مردود ، من

أمريء حسود ، فإن كنت سابقاً فإلى من سبقت؟ وإن كنت فاحراً فبمن فخرت؟
 فإن كنت أدركت هذا الفخر بأسرتك دون أسرتنا ، فالفخر لك علينا ، وإن كنت إنما
 أدركته بأسرتنا فالفخر لنا عليك ، والكثكث في فمك ويدك.
 وأما ما ذكرت من الطليق ، فو الله لقد ابتلي فصير ، وأنعم عليه فشكر ، وإن كان
 والله لوفياً كريماً ، غير ناقض بيعه بعد توكيدها ، ولا مسلم كتيبة بعد التآمر عليها.
 فقال ابن الزبير : أتعيّر الزبير بالجبين ، والله إنك لتعلم منه خلاف ذلك.
 قال ابن عباس : والله إني لا أعلم إلا أنه فرّ وماكر ، وحارب فما صبر ، وباع فما
 تم ، وقطع الرحم وأنكر الفضل ، ورام ما ليس له بأهل :
 وأدرك منها بعض ما كان يرتجى وقصر عن جري الكرام وبلدا
 وما كان إلا كالهجين أمامه عناق فجاراه العناق فأجهدا
 فقال عبد الله بن الحصين بن الحرث : ويلك يا ابن الزبير أقمناه عنك وتأبى إلا
 منازعته ، والله لو نازعته من ساعتك إلى إنقضاء عمرك ، ما كنت إلا كالسغب الظمان ،
 يفتح فاه يستزيد من الريح فلا يشبع من سغب ، ولا يروي من عطش فقل : إن شئت أو
 فدع ، فأنصرف القوم.
 قال ابن الزبير : والله يا بني هاشم ما بقي إلا المحاربة والمضاربة بالسيوف.

فقال له عبد الله بن نوفل بن الحرث : أما والله لقد جرّبت ذلك ، فوجدت غيه وخيماً ، فإن شئت فعد حتى نعود ، وانصرف القوم عنه وافتضح ابن الزبير (١).

(بئس المرء يشبع وجاره جائع)

(دخل ابن عباس على ابن الزبير وكان القائد له سعيد بن جبير .

فقال له ابن الزبير : تؤنّبني وتعنفني .

قال ابن عباس : إيّ سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : (بئس المرء

المسلم يشبع ويجوع جاره) ، وأنت ذلك الرجل .

فقال ابن الزبير : والله إيّ لأكتم بغضكم أهل هذا البيت منذ أربعين سنة .

وتشاجرا ، فخرج ابن عباس من مكة فأقام بالطائف حتى مات (٢) .

(والفصل لأهل الفصل)

عن الشعبي ، عن ابن عباس :

(إنّه دخل المسجد وقد سار الحسين بن علي رضي الله عنهما إلى العراق ، فإذا هو

بابن الزبير في جماعة من قريش قد استعلاهم بالكلام .

فجاء ابن عباس حتى ضرب بيده بين عضدي ابن الزبير ، وقال : قرّت

(١) شرح النهج للمعتزلي ٢ / ٥٠١ ط الأولى بمصر ، جمهرة خطب العرب ٢ / ١٠٤ - ١٠٩ ، الدرجات الرفيعة / ١٣٢ - ١٣٤ .

(٢) مروج الذهب ٢ / ١٠٢ ، شرح النهج ٤ / ٤٩٥ ، الرسالة الأولى من رسائل الجاحظ في الحاسد والمحسود / ٨ ط مصر . الدرجات الرفيعة / ١٤٧ .

عينك يا بن الزبير أصحبت والله كما قال الأول :

يا لك من قبرة بمعمّر خلالك الجوّ فيصبي واصفري
ونقري ما شئت أن تنقري قد زُفِع الفخ فماذا تحذري

هذا الحسين سائر فأبشري

خلا الجو والله لك يا بن الزبير وسار الحسين إلى العراق ، خلت الحجاز من الحسين
بن عليّ وأقبلت تهدر في جوانبها.

فغضب ابن الزبير وقال : والله إنك لترى إنك أحق بهذا الأمر من غيرك^(١).

فقال ابن عباس : إنما يرى من كان في حال شك وإتّاناً . نحن - خ ل - من ذلك على
يقين.

فقال : وبأي شيء تحقق عندك أنك أحق بهذا الأمر مني؟

قال ابن عباس : لأنّ أحق من يدلّ بحقه ، ولكن أخبرني عن نفسك بماذا تروم هذا

الأمر - خ ل - وبأي شيء تحقق عندك؟ إنك أحق بها من سائر العرب إلّا بنا.

فقال ابن الزبير : تحقق عندي أنّي أحق بها منكم لشرفي عليكم قديماً وحديثاً.

فقال : أنت أشرف أم من قد شُرفت به؟

فقال : أنّ من شُرفت به زادني شرفاً إلى شرف قد كان لي قديماً وحديثاً.

(١) في رواية الدرجات الرفيعة : يا بن عباس والله ما ترون هذا الأمر إلّا لكم ، ولا ترون إلّا أنكم أحق به من

جميع الناس في ١ / ١٣٨ مخطوطة السماوي / ١٣٠ ط الحيدرية.

قال : أفمني الزيادة أم منك؟

قال : بل منك.

فتبسم ابن عباس ، وعلت أصواتهما.

فقال غلام من آل الزبير : يا بن عباس دعنا من لسانك هذا الذي تقلبه كيف شئت ، والله لا تحبوننا يا بني هاشم ولا نحبكم أبداً. فلطمه عبد الله ابن الزبير وقال له : أتتكلم وأنا حاضر.

وقال ابن عباس للغلام : صدقت نحن أهل بيت مع الله عزّو جلّ لا نحبّ من أبغضه الله تعالى. ثم قال لابن الزبير : لم ضربت الغلام؟ والله أحق بالضرب منه من خرق ومرق.

قال ابن الزبير : ومن هو؟

قال ابن عباس : أنت.

فقال ابن الزبير : يا بن عباس ما ينبغي لك أن تصفح عن كلمة واحدة؟

قال : أنا أصفح عمن أقرّ ، وأمّا عمن هرّ فلا ، والفضل لأهل الفضل.

قال ابن الزبير : فأين الفضل؟

قال : عندنا أهل البيت لا تصرفه عن أهله فتظلم ، ولا تضعه في غير أهله فتندم.

قال ابن الزبير : أفلسنت من أهله؟

قال ابن عباس : بلى إن نبذت الحسد ولزمت الجدّد.

وأنفضّ حديثهما باعتراض رجال من قريش بينهما فأسكتوهما ، وقام القوم فترفقوا)

(١).

قالوا : لما همَّ عبدُ الله بن الزبير بما همَّ به من أمرِ بني هاشم وإحراقهم وإنه كان ذلك من ولايته على رأسِ خمسِ سنين ، لم يذكر رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم فيهن بحرفٍ في خطبة ، فعُوتب على ذلك.

فقال : (والله ما تركته علانيةً إلا أن أكونَ أقوله سرّاً ، وأكثر منه ، ولكن رأيتني إذا ذكرته طالت رِقابُ بني هاشم ، واشراَّبَت ألوانهم ، ولم أكن لأذكر لهم سروراً وأنا أقدر عليه . ثم صعد المنبر ؛ فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، إني حاضر لهم حظيرة ، فمضرمها عليهم ناراً ، فإني لا أقتلُ إلا أثماً كقاراً أفكاً سحاراً ، والله ما رضي بهم رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم حقراً ، ولا تركَ فيهم خيراً ، ولا رضيهم لولايةٍ ، أهل كذبٍ استفرغَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم صِدْقهم .

فقام إليه محمد بنُ سعد بن أبي وقاص ، فقال : وفقك الله يا أمير المؤمنين ، فأتا أول من أعانك عليهم .

وقام عبدُ الله بن صفوان ، فقال : يا ابنَ الزبير ، أيمُ الله ما قلتَ صواباً ، ولا هممت برُشد ، أرهط رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم تعيبُ ، وإياهم تقتل ، والعرب حولك؟! والله لئن لم ينصرهم الناسُ لينصرهمُ الله منك .

قال : فقال ابن الزبير : اجلس يا أبا صفوان ؛ فإنك لست بنا مؤوس . وبلغ الخبرُ عبدَ الله بن العباس ؛ فخرج يتوكأ على يد ابنه حتى دخل المسجد ، فقصد قَصَدَ المنبر ، فقال : أيها الناس ، إن ابنَ الزبير يقول : أن لا أول ولا آخر لرسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فوالله إنَّ أولَ من أَلَّفَ الإلف ، وأجاز عِيرات قريش لهاشم ، وما شدتْ بعبيراً لسفيرٍ ، ولا أناختْ بعبيراً لحضرةٍ إلا بهاشم ، وإنَّ أولَ مَنْ سَقَى بمكة عذباً ، وجعل باب الكعبة ذهباً لعبدِ المطلب ، ثمَ لقد نشأتْ ناشئتنا مع ناشئتهم ، فإن كنا لقاتلهم إذا قالوا ، وخطبواؤهم إذا

نطفوا ، وما عددتُ مجدّاً كمجد أولنا ، ولا كان فيها مجد لغيرنا ، إلا في كُفْر ماحقٍ ، ودين فاسقٍ ، وضلّةٍ ضالةٍ في عشواءٍ عمياءٍ ، حتى إختار لها الله نوراً ، وبعث لها سراجاً ، فأخذه طيباً من طيبٍ ، لا يُسبُّ بمسبّةٍ ، ولا تغولُه غائلةٌ. فكان أحدنا وولدنا وعمّنا وابن عمّنا ، ثم إنّ السابقين إليه لَمَنّا اللسان ، ثم إنّنا لخير الناس بعده صلى الله عليه وآله وسلم أظهرهم أدباً ، وأكرمهم حسباً ، والعجبُ عجباً ، أنّ ابن الزبير يعيبُ أولاً وآخرّاً من كان له لسانٌ نطق ، كذبٍ أو صدق. متى كان عوّامُ بن خويلد يطمع في صفيّةٍ ، لقد جلست الفرسُ بغلاً ، أما والذي لا إله غيره إنّه لمصلوبُ قريش ، وإنّه لأُم عَقِي تَغزِلُ من إستها ، ليس لها سوى بيتها. قيل للبلع : مَنْ أبوك يا بعل؟ قال : خالي الفرس (١).

وبهذه المحاوره ننهى صفحه احتجاجات ابن عباس رضي الله عنه التي إفتتحها مع الذين تعاقبوا على الحكم ، ثم مع الذين شايعهم وتابعهم كأصحاب الجمل ، ثم من بعدهم معاوية وبنو أمية وابن العاص ، وأخيراً مع ابن الزبير ، فكانت موافقه مع جميعهم تنبئ عن صدق إيمان ، وشجاعة قلب ، وقوّة حجة ، عزّ نظيرها ، إن لم يكن هو الفذّ بكلّ ما لهذا الوصف من معنى.

وبهذا نختم الجزء الرابع من الحلقة الثانية من (موسوعة عبد الله بن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن) ونرجئ بقية احتجاجاته إلى الجزء الخامس ونلحقها بما ورد عنه من مفردات الكَلِم في (جوامع) الحِكَم.

نسأل الله تعالى التيسير فهو على كلّ شيء قدير .

تمّ تبييضه في يوم الجمعة

١٦ شهر رجب المرجب ١٤٣٠ هـ

(١) أنظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٠ / ١٢٩ ، جمهرة العرب لأحمد زكي ٢ / ١٢٠.

فهرس الجزء التاسع

- ٩ تمهيد
١٥ حقائق معيّنة في عيابات المؤرخين
٢٠ نماذج مثيرة لإعترافات خطيرة
٢٦ فماذا عن ابن عباس في كتاب (الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة)؟

الفصل الرابع

- ٣٣ آثاره الأدبية شعراً ونثراً ومحاججات كلامية
٣٥ المبحث الأول ابن عباس وما ينسب إليه من شعر وشاعرية
٦١ المبحث الثاني ابن عباس والخطابة
٦٥ نماذج من بعض خطبه
٧٥ المبحث الثالث ابن عباس والإحتجاج
٨١ مواقف إحتجاجاته في أيام أبي بكر
٩١ مقام رجلين من علماء اليهود بين يدي أبي بكر
٩٣ ابن عباس مع عمر بن الخطاب في أيام خلافته
٩٨ نماذج من إحتجاجاته على عمر بن الخطاب
٩٨ ١ . لقد كان من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أمره ذرواً من قول
١٠٠ ٢ . (أنت والله أحق أن تتبع)
١٠٢ ٣ . (أمسك عليّ وأكتم)
١٠٤ ٤ . (إنّ عليّاً لأحق الناس)

- ٥ . (فأررد إليه ظلامته) ١٠٧
- ٦ . (أول من راثكم عن هذا . الأمر . أبو بكر) ١٠٨
- ٧ . (إني بابّ وعليّ مفتاحه) ١١٠
- ٨ . (ولو سكت سكتنا) ١١١
- ٩ . (إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أراد الأمر له) ١١٢
- ١٠ . (واهماً لابن عباس ما رأيته لا حيّ أحداً قط إلاّ خصمه) ١١٤
- ١١ . (إنّنا أنزل علينا القرآن) ١٢٦
- ١٢ . (قد رشحه لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فصُرفت عنه) ١٢٧
- ١٣ . (يكرهون ولا يتكلم لهم !) ١٢٨
- ١٤ . (إنّكم فضلتموهم بالنبوة) ١٣١
- ١٥ . (لئن وليهم ليحملنهم على المحجة البيضاء) ١٣١
- ١٦ . (نشنشة من أحسن) ١٣٣
- إحتجاجه على أهل الشورى ١٣٦
- (كم تمنعون حقوقنا؟!) ١٣٦
- بين يدي محاوراته مع عثمان ١٤١
- وصية العباس للإمام عليه السلام : ١٥٠
- تعقيب ابن أبي الحديد على الوصية : ١٥٢
- محاورات ابن عباس مع عثمان ١٥٥
- بين يدي المحاورّة الأولى : ١٥٥
- المحاورّة الثانية : ١٥٦
- المحاورّة الثالثة : ١٦١

- ١٦٧ : المآورة الرابة
- ١٧١ : المآورة الآمسة
- ١٧٣ : المآورة السامسة
- ١٧٤ : المآورة السابعة
- ١٧٥ : المآورة الثامنة
- ١٨٠ : المآورة التاسعة
- ١٨٤ : المآورة العاشرة
- ١٨٥ : المآورة الحادية عشر
- ١٨٨ : مآورات ابن عباس مع رموز الناكثين
- ١٨٩ : (السفارة الأولى)
- ١٩٠ : (السفارة الثانية)
- ١٩٦ : (السفارة الثالثة)
- ١٩٦ : (السفارة الرابعة)
- ١٩٩ : (السفارة الخامسة)
- ٢٠١ : (السفارة السادسة)
- ٢٠٥ : ابن عباس وعائشة
- ٢٠٦ : أمر تسير عائشة إلى المدينة
- ٢١١ : ماذا عن نص المآورة؟
- ٢١٦ : نص المآورة في مصادر القرن الثالث
- ٢٢٢ : نص المآورة في مصادر القرن الرابع
- ٢٣٦ : نص المآورة في مصادر القرن الخامس
- ٢٣٧ : نص المآورة في مصادر القرن السادس

- ٢٤١ نص المحاورة في مصادر القرن السابع :
 ٢٤٥ نص المحاورة في مصادر القرن التاسع :
 ٢٤٧ فنادى ابن عباس؟
 ٢٥١ وقفة مع الأفغاني للحساب :
 ٢٥٧ إستدراكها على عبد الله بن عباس
 ٢٧١ تعقيب في استدراك عائشة على ابن عباس.
 ٢٧٢ (حديث واحد خير من ألف شاهد) :
 ٢٧٦ فماذا قال علماء التبرير؟
 ٢٨٣ ماذا وراء الأكمة من غمّة؟
 ٢٨٧ نور على الدرب :
 ٣١٣ محاورات ابن عباس مع معاوية.....
 ٣١٤ من هم قتلة عثمان؟ هل هم بنو هاشم؟ أم هم بنو أمية؟
 ٣٢٤ كبرياء معاوية في عتابه واعتداد ابن عباس في جوابه :
 ٣٢٥ (حَكَمًا من أهله وحَكَمًا من أهلها)
 ٣٢٩ (المحاورة الأولى)
 ٣٤١ مواقف فخر ونصرة.....
 ٣٥١ (المحاورة الثانية)
 ٣٥٢ (المحاورة الثالثة)
 ٣٥٣ (المحاورة الرابعة)
 ٣٥٧ (المحاورة الخامسة)
 ٣٦٠ (المحاورة السادسة)

- ٣٦٥ (المحاورة السابعة)
- ٣٧٢ (المحاورة الثامنة)
- ٣٧٤ (المحاورة التاسعة)
- ٣٧٦ (المحاورة العاشرة)
- ٣٨١ (المحاورة الحادية عشرة)
- ٣٨٣ (المحاورة الثانية عشرة)
- ٣٨٤ (المحاورة الثالثة عشرة)
- ٣٨٦ (المحاورة الرابعة عشرة)
- ٣٨٧ (المحاورة الخامسة عشرة)
- ٣٨٩ (المحاورة السادسة عشرة)
- ٣٨٩ (المحاورة السابعة عشرة)
- ٣٩٧ (المحاورة الثامنة عشرة)
- ٣٩٨ (المحاورة التاسعة عشرة)
- ٤٠٠ (المحاورة العشرون)
- ٤١٣ معاوية في المدينة.....
- ٤١٥ (المحاورة الحادية والعشرون)
- ٤٢٠ (المحاورة الثانية والعشرون)
- ٤٢٣ تضليل وأحاييل :
- ٤٢٦ (المحاورة الثالثة والعشرون)
- ٤٣٠ نصائح ابن عباس لمعاوية.....
- ٤٣٢ محاوراته مع عمرو بن العاص.....
- ٤٣٤ حديث الخديعة :

- ٤٣٥ (بين عمرو بن العاص وابن عباس)
- ٤٤٢ كتاب معاوية إلى ابن عباس :
- ٤٥١ (لَأَتَّكَ مِنَ اللَّغَامِ الْفَجْرَةَ)
- ٤٥١ (إِنَّ فَرِيشاً تَزْعَمُ أَنَّكَ أَعْلَمُهَا)
- ٤٥٣ (فليت شعري بأيّ قدر تتعرض للرجال)
- ٤٥٤ (لك يدان ووجهان)
- ٤٦٠ (ما أرسلت كلمة إلا أرسلت نقيضها)
- ٤٦٦ محاورته مع الأشعث بن قيس.
- ٤٦٨ محاورته مع عتبة بن أبي سفيان.
- ٤٧٠ محاورته مع زياد (الدعي)
- ٤٧١ محاورته مع أبي موسى الأشعري.
- ٤٧٣ محاورته مع عروة بن الزبير.
- ٤٧٥ إحتجاجاته على ابن الزبير.
- ٤٨٠ (على رسلك)
- ٤٨١ (قد أنصف القارة من رامها)
- ٤٨٦ (بئس المرء يشبع وجأزه جائع)
- ٤٨٦ (وَالْفَضْلُ لِأَهْلِ الْفَضْلِ)
- Error! Bookmark not defined.** فهرس الجزء التاسع.